بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي جعل في السماء بروجاً ، وفي الأرض رواسي وأنهاراً ، ومرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاج ، وخلق الإنسان من طين ، وعلمه ما لم يعلمْ ، وخلق فيه ما خلق من الصفات والسلوك ، ومن ضمن ما خلق أوجد فيه حاسة لتتذوق الجمال والإبداعْ , ثم أطلقه في هذه المعمورة ليرى كيف يصنعْ ، فله الحمد حمدا كثيراً يليق بذاته وجلال قدرته.

ومن ثم نصلي على الهادي البشير محمد بن عبد الله الضَحوك القتال ، الذي أعطيَّ مجامعُ الكلِمْ ، ولا ينطقُ عن الهوى ، فقال (إن من البيان لسحراً) فصلى اللهم على الحبيبُ المصطفى ما تعاقب الليل والنهار ، وعلى آله وأصحابه وسلمْ.

أما بعدُ...

اليوم شاء لي الله سبحانه وتعالى أن أقدم تقديم بسيط هو أبسط ما يكون لرواية هي أفضل ما قرأت على الإطلاق ، لقلة وجودها ، وأحاول قدر الإمكان أن لا أطيل عليكم في تقديمي هذا ، حتى تستمتعوا بها كما استمتعت أنا بقراءتها.

رواية الدمعة رواية تحكي قصة من قصص أولئك الشباب المجاهد ، الذين باعوا عرضٌ من الحياة الدنيا من أجل الآخرة وجنة الخلد ، وحورٌ مقصورات في الخيامْ ، ومُلكٌ لا يبلى ، خمسة كان لكل واحد منهم طريقته في خدمة الدين ، ولكل واحدٍ منهم تضحياته.

وبسردٍ شيق تجرك الأسطر خلفها تلهث لتبلغٌ نهايتها ، وجدت فيها ما يقنعني بصحة هدفهم وفكرهم ، وسمو غايتهم ووسيلتهمْ.

الرواية صورت بالفعل حقيقة المجاهدين التي تخفى على العالم أجمع ، حيثُ يظنوهم قتلة مأجورين عتاة أشرار ،وهي أثبتت عكس ذلك تماما فكم رأينا فيهم من أخلاق سامية ، وبطولة وشهامة ومروءة ، وعدلٌ حتى مع الأعداء ، وشهادة الأعداء لهم وتميزهم غيضاً منهم.

وصورت حياتهم القريبة من الله حيثُ ينام أحدهم وقرءانه بين ذراعيه ، وكلما حزبه أمر تراه راكعا ًلله ساجداً.

رواية توصل رسالة لمحبي المجاهدين وللحاقدين على المجاهدين على السواء

مضمونها

(نحنُ خيرُ ما أنجبت الأرض فانظروا لنا نظرة إنصاف)

بِسمْ الله الرَّحمَـــن الرَّحيم

الحَمدُ لله ربْ العِزة والجَـلالْ ، والصَلاةُ والسَّـــلام على الضَحوكْ القتـــال

أما بعد

فيقدمُ مَكتب النور الإعـلامي اليوم ، روايةٌ لأميـرة الحرف والدمَعة ، المسلمة أولاً وأخيراً ، الإماراتية الجنسية ، هيبَة الخيل السَّـــاحرة

عُنونتْ بـ * دَمعةٌ في العَالمـ المَفقود * ، تحكـي من خِلالها بواقِعية صيغت بخيالٍ غير مبالغٍ فيه حياة أناسٍ وقضايا مَهمه في زَمننا المُعاصـرِ ، يَتداولها العُقال والجُهال على حدِ سواء ، مُهديـةً هذا العمل إلى إخواننا المجاهِدين في سَبيل الله تعالى ، وإلى المُسلمينَ في كل مكانْ ، مثبتةً من خِلالِـه أن المسلم والمسلمَه هم الأكثر عطاءً في جميع المجالاتْ ، مخاطبةً العقول قبلَ القلوب ليتفكروا ويعقلوا أمرهم ، وهو عملٌ ما أرادتْ به شهرةً ولا علوَّ أسم ، إنَّما أرادت به التأكيدَ على قوة المسلم ما دامَ موصولاً بالله عزَّ جلاله ، سائلةً المولى أن يجدْ هذ العَمل المبارك الصَّدى في نفوس المسلمين لينفضوا عَنهم

غِبار التبعية الفكرية فيعملوا على إستنهاضْ أمتهم الغالية بكل مجالاتْ الحياة ، ملغين الألوان والأجناس والجنسِيات ، والرجوع بالأرواح والأنفسْ حالياً إلى دولة الخِلافة ، والتي تجمعُ المسلمينْ من خلال دينِهم لا ألوانهم وأجناسِهم وحدودٌ ما أنزلَّ الله بها من سلطـــان.

والحمدُ لله من قبلُ ومن بعد

مَكتبُ النُور الإعـــــلامي

يتبع للرواية..

دمعة في العالم المفقود

المَشهَـــــد الأوَل

(حَنينْ)

يحتضنُ اطار الصورة المثلم بين أصابعه المتشققة، فيمسح عن وجه الصورة آثـــــار الغبار و ينفضه عنها، فيشد على عينيه هنيهةً...
و يطيل النظر في تلك الصورة، ليسبح إلـــــى عالم بعيدٍ بعيد عن واقعه المشتعل بتلك النيران التي إلتهمت كل شيء، من أخضر و يابس و كهلٍ و شاب،
و رائحة الدخان المنبعثة من كل زاوية و نافذة،رائحة الدمـــــــاء التي سادت السمـــــاء، وأرض تصرخُ بنواح النساء و بكاء الصغار..!!

للحظات رسمت شفتيه إبتسامـــــة أخرستها السنين ، و كأنها تنتزع تلك الابتسامة عنوة من داخل كفن الحزن و البؤس و تسحبها للخارج، ليصل صوته
إليـــــــه فيخترقُ عالمه الوردي، فيخفي الصورة بصدر كفه ويدخلها في معطفه المهترئ،فتنطق شفتيه الغارقة بدم جاف تعانق نظرة قاسية من عينيه اللامعتين:
-إني قادم يا حمزة !! سألملم أغراضـــــي و سألحق بك...

الحلقة الأولـــــى: شاحنة الموت!!

تسيـــــر تلك الشاحنة القديمة ببطء صاعدة طريق الجبل الوعر، و تثاقلها يرجع لأنها تحمل من المتاع الكثير و من الرجال المتعاصرين ليضمهم المكان المزيد و
المزيد عند كل محطة تقف عندها أثناء المسير، فيترجلها أحدهم ليأتي إثنين غيره، أو تترجل مجموعة أخرى و تركب مجموعة أخرى!!!
و كأن التنقل في الشاحنات من قرية لأخرى، بين تلك الجبال الوعرة و الخطرة هي طريقة التنقل الوحيدة في تلك البلاد والتـــــي أبكاها الدمارالفظيع الذي
حصل لها .. فأخذت تلطم بكفيها حسرة و قهرا لآلاف القتلى الذين يذبحون كل دقيقة في ربوعها، فتنثر التراب على رأسها كما تفعل الأرامل لحظة وصول
خبر إستشهاد أزواجهن.!!!

مازالت الصورة مختبأة كعصفور مذعور في معطف صاحبها، ضاما ذراعيه لصدره حاميـــــا نفسه من الهواء الحار المليء بالغبار، و ليفسح المكان للذين
يجلسون معه في الشاحنة التي أنهكها التعب، و باتت تتوقف كل ساعة، فيذلف الرجال منها، و يقوموا بدفعها لدقائق لكي تتحرك مرة أخرى،
و من ثم يجرون وراءها ليحاولوا القفز إليها !! ما أغربها من شاحنة ، أتتعمد أن توقظ النائم، وتنشط الكسلان؟.. أم أن جنوناً ما قد أصابها في ذلك اليوم
كذلك الجنون الذي يصيبنا نحن البشر أحيانا..!!

تحتضن جفنـــــا صاحبنا عينيه، ليغرق في نوم أشبه بعميقْ لثوان، ليصل الـــــيه همسٌ مزعج من راكبٍ قد مل قصصه التافهة عن كنز يزعم أنه مخبأ في احدى
الجبال:
-هـــي أنت !! أنائمٌ أنت فعلاً؟
يفتح عينيه و يشد على شفتيه غضباً:
-و لم أغمض عيني إن لم أكن نائماً برأيك؟
-يا رجل قصدت أن أضحكك قليلاً، لم أنت غاضبٌ هكذا ؟.. صدق رجال القرية عندما قالوا عنك بأنك عصبي الطبع و المزاجْ !!
يمسح بكفه المتسخة بالرملِ و الدم الجاف وجهه ليوقظ حواسهُ كلها من كسل سرى لجسده:

-هل لـــــي أن أعرف ماوراءك يارجل؟
بحمـــــاسْ:
-إذا مارأيك بما إقترحته على الشبابْ؟.. هل ستذهب معي للبحث عن الكنز ؟
-
بغضبٍ و صوت يزمجر كالأسد أفزع النائـــــــــم و أيقظ اليقِظ:
-سُحـــــــقاً لك !! توقظني من نومي في وقت لاأستطيع تحمل نفسي فيه من شدة الحر و قذارة الجو، فتقول لـــــي نبحث عن الكنز !! أي إحساسٍ
تملكهُ أيها الغبي ؟

و على أثرهِ أفزع صوت صاحبنا السائق المسكين الذي فقد السيطرة على مقود الشاحنة ،فأخذت تتمايل كراقصة شرقيةٍ يمنة و يسرة و الكل يحاول التماسك
في الشاحنة ، لتسقط إحدى عجلاتها بحفرة خبيثة تصفق فرحـــاً لصيدها الثمين، تتبعها لحظات صمتٍ للركاب، و كلٌ يهتفُ الله أكبر !! الله أكبر!!!
فيحمدون ربهم على النجـــــاة بأعجوبة .. وماهي لحظات حتى يعودوا لوعيهم من بعد صدمة الرعـــب ليبحثوا عن صاحب الصوت الغاضب ليكتشفوا غياب خمسة رجال من بينهم!!!

تحت حرارة تلك الشمس .. حفاة يمشون متحملين قســـوة و شراسة تلك الأرض، إستمروا ليكملوا رحلتهم سيرا على أقدامهم التـــــي تسألهم الرحمة و
الرأفة بها،كان صاحبنا يتقدمهم بخطواته الثقيلة، فتكاد الأرض تهتز تحت أقدامه كلمـــــا هوى بواحدة على الأرض، يحمل متاعه على كتفه في قطعة قماش
مهترئة قد أجاد لفها لتحتوي مايريد من أشياء يود حملها معه ،إن ارتفعنـــا لكتفه القوي، و أخذنا بالاقتراب منه أكثر ، لا صدمنـــــا بوجه أبيض السحنة إصطبغ باسمرار بفعل الشمس، متورد من حرارة الجو، تخفـــــي عِمامة بيضاء ملفوفة عدة مرات سواد شعر رأسه الأسود الفاحم، تتوسط وجهه عينين
واسعتين كبيرتين و كأنهما مكحلتين بأثمد نادر موجود فقط في جزيرة العرب. و بإمتداد رسمة عينيه نرى حاجبيه الكثيفتين و المرفوعتين لأعلـــــى لتواكب شراسة الملامح التـــــي عانقت وجه صاحبنا، لكن عيناه العسليتين لا تستطيع إخفاء طيبة قلب كبير يخفيـــــه في زاوية مـــــا بين ضلوعه.

يتبع صاحبنا صديق عمره حمزة، ذو السحنة البدوية الأصيلة، له أنف حاد، و إبتسامة لا تختفـــــي أبدا برغم حرارة الجو وصعوبة العيش، و عينين غامقتين ترحبُ بكل من تلتقي به، يسيرُ حمزة تابعاً صديقه، حاملاً متاعه على قمة رأسه، و يده الأخرى تحمل سلاحـــــاً يتراقص مع حركة ذراعيه. و بقية الرجـــــال : رجل قصة الكنز وشابين عظيمـــــا البنية يحملون أسلحة أخرى و أدوات صيد يتبعون الصديقين و صمت رهيب يخيمُ عليـــــهم، فيتساءلون فيـــــما بينهم: الـــــى أين نحن ذاهبـــــونْ؟..

الحلقـــــة الثانية: خمسُ رجـــــــالْ!!

ينتصف الليلُ، لـــــيلٌ مخيفٌ و مفزعْ لمن يرعى وحيداً في الجبـــــال، لكن هنـــــاك نور، نورٌ يشع من إحتراق نارْ، ها هم رجالنا الخمســـــةُ يلتفونَ حول تلك النار و بجانبهمْ أسلحتهمْ و أدواتهمْ، منهم من يحاول تدفئة يديهِ من برد هذا الليل، و آخر يحاول شواء ما تيسر له من حصته من لحـــــمِ أرنبٍ قد إصطادوهُ مع غزالٍ بريْ في قاعِ الجبل و هم في طريقهمْ إلـــــى هنا، ليقطعَ صمتَ تلكَ الجلسةِ حمزة بابتسامتـــــهِ الرائعة:
-ما أروعَ هذه الأجواء، و صحبـــــةِ الناس و التعرف إليهم..

يبتسم صاحبنا بصعوبة والذي توسدَ عمامتـــــهُ و نام على جنبهِ ليواجه النار التـــــي تتلألأ في بؤبؤ عينيه، فيرمـــــي غصنَ شجرٍ آخر ليزيد إشتعالَ النار ليتمتم قائلاً:
-لكننا لم نتعرف علـــــى الأحبةِ حتى الآن!!

تبادل نظراتٍ، و تهكـــــمٍ من رجل قصة الكنزِ الذي لم يعجبهُ أسلوبُ الأخير بأسلوبه الساخر ليبدأ حديثه:
-حسنـــا، لكم أن تعرفوا بأني شخصياً لا أعلم لم تبعتكم، ربما لأني خفتُ أن يقتلنا رجال الشاحنة لأننا من تَسبب بتلك الحادثة،

فقررتُ الفرارَ و صادف أني ذهبت معكم، و أنا سعيدٌ لأنـــــي معكم...
صمتٌ لثوان .. يتبعه زفير .. و إبتسامةُ حمـــــزة الذي أومأ للرجل بأن يكمل حديثه وسط عبث صاحبه بنار حيث أخذ يزيدها من تلك الأغصان لتتراقص الفراشات على ألسنة النار:
-أدعـــــى تركـــــي، من غرب جزيرة العرب، أتيت إلـــــى باكستان منذ عدة أشهر، و من ثم أتيت إلى أفغانستان، لا علاقة لـــــي بصفوف المجاهدين و غيرهم!! أنا شخص مسالم أتيت كتاجر شاب فقط!! و قصة الكنز قد سمعت عنها من سكان القرى النائية، فجئت لأبحث عنـــــه..!!

عطســـــة فظيعة تجزع الجالسيـــــن، و أحسب أن صاحبها قد تعمدها لأن حمزة قد عالج صاحبها بركلة من رجله وسط ضحكاته و سخريته
أراني أرى السخرية على وجهه لسماع قصة تركي – ينظر حمزة للرجل الثاني و يخاطبـــــه بهدوء بعد أن مد له يده ليعطيه قطعة من لحم الشواء:
-وماذا عنك يا أخي في الله ؟.. من أنت و ما هي قصتك ؟

يمضغ الرجل قطعة اللحـــــم المحروقة ليوجه نظره للجالسين قائلا:
-أنا طبيب متقاعد منذ سنتين، لـــي أسرة صغيرة تركتها في باكستان، و أتيت هنا لأبحث عن أخي المفقود منذ أحداث ١١ سبتمبر، وصلتني أخبار بأنه مازال حيا !! فجئت بحثا عنه متحملا عناء الرحلة و نتائجها بعد أن أمنت كل شيء لأسرتي!.. إنضممت إليكم لإحساس قوي يخبرني بأنكم قد تستطيعون مساعدتي، و لكم عهد منـــــي بأن أفعل المستحيل لأحقق ما تريدون منيْ في سبيل أن أجد أخـــــي..!!
:
:
ضحكـــــة هستيرية تقطع الصمت الذي تبعه حديث الطبيب، لينبطح من بعدها صاحبنا على بطنه غير قادر على السيطرة على نفســـــه، لتشتد ملامح حمزة لأول مرة غاضبة من ذلك التصرف ليرمق صديقه معاتبا إياه على ذلك ليعتدل في جلسته و يحاول أن يتوقف، فيرفع يديه لأعلى باسطا يده:
-عذرا !! أنا آسف .. هههههه .. لكني لا أستطيع التوقف !!.. هههه
يخاطبه الطبيب مستغربا:
-و لم الضحك يا أخي ؟.. هل أخطأت بحديثي ؟

يتوقف صاحبنا عن الضحك، و يفتح عين و يشد على الأخرى و يخاطب الطبيب بشراسة:
-مستعدٌ أنا لأساعدك على العثور على أخيك، مع أني لا أضمن لك شيئا، لأن هدفـــــي غير هدفك و هدف غيرك، إني و صديقي حمزة لا نبحث عن شيء دنيوي في هذه الدنيا، قد عشنا الحياة بكل ما فيها من ملذات و آلام أيضا، لكن لم نجد راحتنا إلا في هدفنـــــا و الذي أسأل الله تعالى أن يوفقنا فيه، ألا و هي أن نقاتل في صفوف المجاهدين هنا، هذا هو سبب مجيئنا إلى هنا.

تتسع الأعين معبرةً عن دهشتها لما تسمعْ، ليقطع حمزة تلك اللحظة مخاطبا الطبيب:
-هل لنـــــا أن نعرف إسمك يا أخي؟
-إسمي الدكتور راشد !! من شمال جزيرة العرب !! جئت متطوعا مع قوات بلادنا المسلحة، قد عشت في باكستان أنا و أسرتي مدة تقرب ٤ سنين!! و أحببنا أهلها و حياتها، لكن أخي الكبير أصر على أن يأتي لباكستان ، و من ثم إختفى و تحديداً في ١١ سبتمبر و لا أعلم أين هو الآن ؟..

تذرف عيني راشد دموعـــــا أحرقت قلب حمزة و تركـــــي و الرجل الثالث، لكنها أشعلت الشرر أكثر في صدر صاحبنـــــا الغاضب!!

يحاول حمزة التخفيف عن راشد:
-لا تخف !! كلنا إخوة في الله، يكفـــــي بأننا نحمل دما واحدا و أننا من جزيرة العرب !! لذا علينا أن نتكاتف بهذه الغربة لنحقق هدف كل واحد منـــا!!

يصرخ تركي:

-و ماذا عن الكنز ؟

أثار ذلك السؤال جنون صاحبـــــنا و الذي كاد أن يخنق تركـــــي لولا تحرك حمزة السريع ليوقفه:
-سنتناقش في ذلك فيما بعد يا تركي !! أرجوك !! قصة الكنز هذه تثير غضب صاحبي..!!

يصمت تركي هنيهة ليبدأ الرجل الثالث حديثه:
-إسمـــــي سيف.. تستطيعون مناداتي بالسيف البتار !!.. هو لقبي الذي أحب أن تنادونني به ..!! كنت أعمل صحفيا في ما مضى، ولي علاقات كثيرة مع إذاعات و محطات إعلامية، جئت إلى هنا لأدخل لعالم الناس الحقيقي لأنقل للعالـــــم الصورة الحقيقية لمعاناة المسلمين ضد حربهم مع أمريكا و حلفائها من الكلاب و السفلة !! أردت نقل الحقيقة و أريدها !! هلا ساعدتموني ؟ و لكم عهد مني أن أبذل قصارى جهدي لأساعد كل منكم.

يبتسم كل من تركي و راشد و يومئون موافقين للسيف البتـــــار .. وسط ترحيب حمزة و ترحيب صديقه لأول مرة !! .. فيمد حمزة باسطا يده ناحيتهم قائلا:
-أنا حمزة، يدعونني بالأصمعـــــي،لا تسألوني عن السبب !! صاحبي من أطلق علي هذا الاسم !! لكم عهد منـــــي أن أبذل قصارى جهدي ليحقق كل واحد منكم هدفه الذي جاء من أجله..!!

يمد راشد و تركي و السيف البتار أيديهم ليضعوها فوق يد حمزة:
-أنا السيف البتـــــار .. و أتمنى من الله أن يمدني بالقوة لأكون عونا لكم..
-أنا راشد .. نادونـــــي بـــــ الفارس .. لكم مني عهد أيضا..
-و أنا تركي!! و نادوني بتركي !! و لكم عهد أيضا شرط أنـــ..

نظرة مخيفة من صاحبنـــــا الغاضب ليردف تركي على عجل:
-ولكم عهد بأن أبذل قصارى جهدي من أجلكم و من أجل إرضاء هذا الأسد الكاسر!!

ضحكات تقطع سكون الليل تشاركها ضحكة أخرى غاضبة من صاحبنا ليفرج عن ابتسامة أشرقت ظلام الليل ليضع يده و يشدها على أيديهم:
-لكم عهد منـــــي يا إخوتي، بأن أكون لكم الصاحب و الصديق ، في جميع الأوقات، و بأن أساعدكم على أن تحققوا أهدافكم و هدفـــــي..!!

ضحكاتٌ من قلوب حبســـــت دموع العالم في صدرها، و أمسيـــــةٌ رائعة أضاءها صاحبنا بشعره الرائع، و مجارات تركـــــي المضحكة له، إمتزجت بعبق الذكريات من جزيرةِ العرب ليتبادلها الأصمعي و السيف البتار و الفارسْ.. !!

تثاؤب لأسدٍ يود أن ينام أطلقها صاحبنا ليقف على رجليه بتثاقلٍ و يرفع ذراعيه للأعلـــى لأقصى ما يستطيع ليدب النشاط في جسدهِ الكسولْ ليقول:
-تصبحون على خيرٍ الآن ، حان وقت النوم أتمنـــــى لكم ليلةً سعيدة..

صوت وصل لصاحبـــــنا لحظة أن أدار ظهره للرجال قائلا:
-لكننا لم نتشرف باسمك يا أخانا في الله!!
تتوقف خطواتُ صاحبـــــنا لحظة .. و من دون أن يلتفت لهم، تخرجُ تلك الكلمات من بين شفتيه وسط بريقٍ غامض في عينيه:
-أدعـــــى براكين الغضبْ !!! نادوني ببراكين الغضبْ فقط!!

الحلقة الثالثة: من أنت يا براكين؟

خيوطٌ ذهبيـــــة لشمس تلك الصحراءِ القاحلة تحاول التحرشَ بعينـــــي حمزة.. ليفتح عينيه فيغطي بذراعيه عينيهِ ليحميهمـــــا من الشمس القوية ... ينتشل رأسه من على الأرض ..فينظرُ ليمينه ليضحك على منظر تركـــــي الذي إحتضن

حقيبة متـــــاعهِ و كأنه طفل صغير .و بجانبه ينام الفارس بهيبـــــةٍ و عظمة .. و بعيد عنهما يرقد السيف على جنـــــبه و كأنما توسد كتابا مـــــا و تعانقت أصابعه مع قلمه ذا الحبـــــر الأحمر الجريء الذي عاهد كاتبـــــه الله على أن يكتب الحقيقة و ينبش في قبورها لينقلها كاملة واضحة..

بسمةٌ مضيئةٌ على شفتي حمزة .. الذي أخذ يزيل بقايا الرمل و الغبار من ملابسه و ينفضها بعيدا .. مستعدا ليقف على قدميـــــه فيرفع ذراعيه للأعلـــــى لتصافح السحاب ..فيبدأ صباحـــــه الأول على أرض العراء مع صديقـــــ.. صديـــــقه .. براكين الغضب.. لكن براكينَ ليس بنائم بجانبه !!. و قد ترك عمامته و معطفه وكأنه ينوي تمويهاً مـــــا أو قذف الذعر في قلوب أصحابه .. لكن !!.. أين ذهب !! .. يتبع حمزة أثار أقدام براكين الكبيرة و كأنـــــه يتبع وحشـــــا أسطورياً لا براكين نفسه..!!

ها هو ذا !! ها قد وجدتك أيـــــها المحتالْ !! ماذا تفعل أسفل هذه الشجرة!!!

يجلس براكين مستظلا بظل شجرة تماسكت و حافظت على نضارتها .. مسنداً ظهره إليها .. يقرأ في كتاب صغيـــــر .. ليقترب منه حمزة أكثر فيسمع صوت براكين الهادئ والعذب و هو يتلو آيات من كتاب الله الكريـــــم..

-حمزة (مبتسمـــــا كعادته :(الله أكبر !! الله أكبر يا براكين ما أعظم ذلك الايمان الذي تحمله في قلبك يا رجل !!قد سبقتنا في إفتتاحك لأول يوم لنـــــا في هذا العراء بأعظم شيء بهذا الوجود. ألا و هو كلام الله تعالـــــى . أكرمك الله يا براكين .. أكرمك الله و رزقك بما تشتهيه يا صاحبي..

مازال براكين محتضنا للمصحف بين يديه حيث تتحرك شفتيه في قراءة صامتة للآيات الكريمة فيرفع عينيه لحمزة ثوان و يعيدها لتعانق صفحة المصحف.. يتبعه صمت يتأمل فيه حمزة الطبيعة من حوله .. مسندا ظهره لكتف صاحبه الذي سرعان ما قلب صفحة أخرى من المصحف و أنهى قراءتها ليغلق الكتاب و يقربه لشفتيه و يقبله .. !!! يقطع حمزة ذلك الجو الحميمي بين براكين و المصحف.. ليبدأ حواراً في هذا الهواء الطلق:

-حمزة: أتدري يا براكين أن أفغانستان بلد عظيـــــم أكن له إعجابا عظيما؟..

-براكين مؤيدا: و أنا أكثرك إعجابا و عشـــــقا له يا حمزة ... أعشق كل شيء هنا.. أحب جفاف الحياة .. صعوبتها .. أهوى قسوة أرضها و صلابتها متيم بتلك الرياح التي تلفح الوجوه و تجرحها .. معجب أشد الاعجاب برجال هذه الأرض. بأفكارهم .. بتمسكهم العجيب بالدين و تعاليمه..

-حمزة (مهتمـــــا :(أخبرنـــــي عن رجال هذه الأرض يا براكين مادمت معجبا بهم..

تنهيدة هادئة و كأن براكين يستجمع المعلومات من أنحـــــاء جسده.. ليردف:

-براكين : يا صاحبي الغالي.. لك أن تعرف أن الأفغانـــــي حياته شاي و خبز و قتال ، أفغانستان مدمرة حاليا .. و لا توجد فيها أي موارد إقتصادية أو مبان و مصانع أو أي مظاهر أخرى من العمران ، هي بلاد ممتدة ، فيها من الوديان و الأنهار و الطبيعة الكثيـــــر و الحمدلله ، و أهلها يعيشون حياة بسيطة جدا جدا ، ولهم قدرة عالية على التكيف مع هذه الحياة الصعبة لأنهم قد إعتادوا على هذا النمط من الحيـــــاة..

-حمزة: أجل .. حياة الأفغاني شاي و خبز و قتال !!. كما يقولونها بلغتهم المحلية: ليلخصوا متع الحياة في ثلاثة أمور }دودي وخري.. تشاي وتشري.. تكان تكان {، أي أكل الخبز، وشرب الشاي، وإطلاق النار.. أليس كذلك؟..

صوتٌ يهتف من بعيـــــد ليهلل من بعده حمزة و يصفق له براكين مرحبا:

-و الأفغـــــان لا يستطيعون العيش من دون قتـــــال!!!

تتبعه ضحكـــة من تركـــــي و السيف ليزيد تركي:

-تركي: أراهن أن براكيـــــناً يعشق حكايا القتال و الحرب.!!

-براكين (شادا لعينه اليسرى التي تنطق شرا ما): بل أعشق دمـــــاء الحرب و شرب دم أعدائي و هم أحياء.

يحاول حمزة تهدئة الموقف كالعادة بين الثنائي براكين و تركـــــي ليفرد ذراعه ليمينه مشيرا للفارس و السيف و تركـــــي ليشاركوه و براكينَ جلسة الحديث هذه...

-براكين) مخاطبا السيف): هل لك أن تحدثني أكثر عن ما عنيته من أن الأفغان لا يستطيعون العيش من دون قتال؟..

السيف (متربعا الأرض ملوحا بيده للأعلى مسترسلا الحديث)

-أجل ياأخي براكين .. هم يعشقون القتال بشكل جنوني ، من خلال لقائاتي الصحفية مع زعمـــــاء و مشايخ أفغان في قندهار و كابول . قد توصلت إلى تلك الحقيقة .. هذا الشعب يعشق القتال حقا، ولا يستطيع الحياة دونه، فإن لم يجدوا كافرًا يحاربونه.. حارب بعضه بعضًا، فلا يحسبنَّ أحد أنهم قد ملُّوا الحروب، بل إني قد علمت بأنهم دخلوا في عالم من الهم و الحزن و العميق في فترة بعد أن انسحب الروس من أراضيهم ولمَّا استفسرت عن ذلك وصلني الجواب التالي على لسان أحد زعمائهم : قال إذا انسحب الروس فمن نحارب إذن؟

يومئ براكين برأسه للأعلى و الأسفل و كأنما يؤيد السيف في كلامه ليكمل مردفا:

-السيف البتار: إن الحرب جزء من حياة الأفغاني، و إنَّ في حصار أفغانستانَ لن يجدي شيئًا؛ فالأفغان يمكنهم التقوُّت بأقل القليل، وبلادهم تزخر بالمياه والأنهار كما تفضل أخي براكين بقوله من قبل، ليس لديهم بترول، ولا مصانع، ولا بنية أساسية، ولا سياحة، ولا أي شيء يمكن أن يضرَّه الحصار الذي فرضته أمريكا عليهم، ويستطيعون الإكتفاء الذاتي بالقليل دون ملل؛ لأن هذه هي طبيعة حياتهم، طبيعتهم الصعبة ...و القاسية .. و أستطيع القول بأني معجب برجالها كثيرا..!

-الفارس: هم يرغبون بتحطيم كل شيء ، و يرغبون بالدمار لأفغانستان و ايران و باكستان و الهند و الصين !! و يريدون النيل الأكيد من الأمة الاسلامية كلها ، قد وقعت أمريكا في ورطة حقيقية بعد أحداث ١١ سبتمبر ، و أصبحت حكومتها متهمة من قبل الشعب الأمريكي و محرجة حيث كيف لرجل واحد ألا و هو أسامة بن لادن أن يخيف عالـــــما بأسره ؟ و يهز أركان القارة الأمريكية بيده ؟

-حمزة (معللا :(الشعب الأمريكي يريد الإنتقام ، و يريد شرب دم الفاعلين ، و إن لم تفعل حكومتهم أي شيء من أجلهم سيقلبون نظام الحكم و يلقوا ببوش في المحيط.

-تركي (ساخرا) : ذلك الكاوبوي الأخرق ، خبير فقط بالقاء الخطابات الرسمية ، و فاشلا في أي شيء آخر ، السافل المنحط يقصفون بلاداً خلت من البنيان .. رأس مالها تلك الجبال و الطرق الوعرة!! لاااااااااا..و قد سمعت بأنهم يريدون إقحام قوات الكوماندوز في هذه الحرب ليختطفوا بن لادن.

ينتفض السيـــــف غاضبا:

-السيف: والله إنها الحماقة بعينها وأنفها أيضا، فالشعب الأفغاني شعب مسلح مقاتل، بل مقاتل ضارٍ لا يلين ولا يستكين و لن يصمت أبدا ،قد قام بهزيمة الإنجليز مرتين من قبل، ودحر الروس وجعلوهم يفرون كالجرذان في حرب أدَّت إلى إنهيار الاتحاد السوفييتي، والعرب الذين مع بن لادن أشدُّ ضراوة من الأفغان، قد يدخل الأمريكان أفغانستان، لكن يستحيل أن يخرجوا بكرامتهم منها، وإذا حسبوا أن الكوماندوز سينقذهم و سيحفظ ماء وجههم، فليعتبروا بما حدث لفرق الكوماندوز الروسي في جبال جاجى على يدِ ثُلَّة من العرب.

هدوء يخيـــــم للحظات عندما هب نسيـــــم بارد صافح وجوه الرجـــــال الخمسة .. ليعتدل براكينُ في جلسته و يجذب أطراف الحديث مرة أخرى:

-براكين: و ماذا عن رجال طالبان ؟ ...قد نسيناهم بين طيات تلك الأسطر و العناوين .. لله درهم حقا .. ما أروع رغبة التصميم و التحدي فيهم .. أتعلمون بأن رجالهم يقيسون درجة خشونتهم و قوة تحملهم بإطفاء الجمر الملتهب ناراً و غضبا في بطون أكفهم دون إطلاق صرخة ألم واحدة !! كم أتمنى أن أرى واحدا منهم !! أريد أن أختلط بهـــــم و أنهل بما يفيدني في ديني و حياتي منهم!!

-تركي (مازحا): وما المشكلة ؟ و أقسم بأنك لتملك قسوةً لم أرى إنسانا واحدا يملكها في أي جزء من أنحاء جسده .. فعلا .. أرى نصف أطباع الأفغان فيك.. لدي إحساس ذا فضول و قرني إستشعار يخبرني بأن لك دمـــــا أفغانيا ، هيا إعترف ، ما علاقتك بالأفغان يا براكين ؟

صمت مفاجـــــــــئ و رهيب فيه لم يتوقف تبادل النظرات بين عيني براكين الغضب الثائرة و عيني تركـــــي المتحدية و لأول مرة وكأنه قد تعمد طرح ذلك السؤال..ليرفع براكين نظره عن تركـــــي و يطلق ضحكته الساخرة المشهورة وسط دهشة تركـــــي و تتابع الضحكات بين باقـــــي الجالسين..

يضع براكين يده على بطنه و كأنه يبحث عن زر ما أو وصلة ليوقف ضحكته.. لكنه سرعان ما يهدأ و يعيد نظرة عينيه الثائرة و الصارمة هذه المرة لتلفح عيني تركي بشراسة:

-براكين: وأقســـــم بأني قد شممت رائحة الخبث من أنفاسك و دمك!!

يتدخل السيف:

-براكين !! تركي !! توقفا !! هل بدأتمـــــا الآن !! أين العهد الذي قطعتموه ليلة أمس ؟ أين الأخوة التي تجمعكم يا رجاااااااااال ؟ كفوا عن هذا الهرج و المرج ، إنه الشيطان الرجيـــــم الذي يعبث بكم و يريد زرع فتنة بين البشـــــر و خاصة أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

-الفارس: أجل.. هو الشيطان .. إستعيذوا بالله من الشيطان الرجيـــــم..

لا يحرك ذلك الكلام في قلب تركـــــــي من شيء ، بل تستمر معركته الكلامية مع براكين مرة أخرى:

-تركي: أجل .. لم أنسى ذلك العهد .. لكنـــــــي أطالب بالعدالة .. كلنا قد تعرفنا على بعضنـــا ، و كلنا قد عرف عن نفسه و عرف بقصته .. إلا هو !!! إلا هو !! إكتفى بإسمه المستعار ، و ما لمست منه إلا شراسة في النظرة .. و قسوة ما .. و تحالفا مع المجاهدين و الأفغان و و و .. ألا تحسون بنفس إحساسي من أنه قد يكون من طالبان أو..

يلتفت تركي جهة براكين ليرى ردة فعله .. و قد سبقه براكين أن ترك الجلســـــة كلها و ذهب بعيدا.. !!!

-حمزة (مقاطعا): قد تعديت كل الحدود و القيـــــم يا تركي !! دعه يقل ما يشاء و يفعل ما يشاء !! لا حق لك عليه إلا العهد الذي قطعه لك ، فأنت لا تملك الحق على أن تملي عليه ما يقول و ما عليه أن يفعل و كيف يفكر ، هو شخص حر .. صقر حـــــر يحلق حيثمـــــا شاء..

-تركـــــي : انه غاااااااااااااااامض !! غاااااااااااااااااااااامض قد قتلني هذا الغموض و الهدوء العجيب !!حدثنا أنت عنه إذا !! من يكون براكين هذا؟

نظرات أخرى تهتف مع تركي لتتحد أصوات كل من السيف والفارس:

-السيف و الفارس: أجل من هو براكيـــــــن يا حمزة ؟..

-حمزة: يكفي أن تعلموا بأنه صديقي و أخي وكل شيء في حياتـــــي .. ليس بأفغانـــــي و لا بباكستاني.. بل عربـــي و له دم نقـــــي نقاء قلوب الأطفال .. جاء من الجزيرة العربيـــــة متحملا الصعاب ليصل إلى بيشاور .. ترك عائلته و حياته و عالمه من أجله!! من أجله فقط !! من أجل رب العرش العظيـــــم..

فقط من أجله !! و لا يرغب بها شهرة و لا أي شيء آخر .. شهادة و دم يدفن معهما ليقابل رب كريـــــم .. هذا هو براكين .. هذا هو براكين الغضب .. و الأيام التي ستقضونها معه ستخبركم عنه .. هذا ما لدي .. إسمحوا لـــــي سألحق به .. إرجعوا من حيث أتيتم و سنلحق بكم بعد قليل..

علامات إستفهام كثيـــــرة إرتسمت فوق رؤوس الرجال الثلاثـــة .. ووجه شيطان صغير ذو قرنين يحمل شوكة صغيرة يود طعن أحدهم بها يقف على رأس تركي الذي لم يشبع حمزه ما بنفسه ... فيعض على شفتيه قهرا.

يقف على صخرة كبيرة تطل على منحدر يتراقص من تحته نهـــــر عظيم .. فيترك العنان لعينيه لتسرح بعيدا عن هذا المكان ... فتتعانق عينيه و هي تنظر للسمـــاء.. فتخفي شيء حاراااااااااا ثقيلا يحمله في قلبه الكبير.. و يده كعادتها تحتضنها كما يفعل كل يوم .. لحظة و دقيقة وثانية.. فيلمسها بأصابعه ..و يخرجها من جيبه لينظر إليها تارة . يضحك. . و يرجعها مرة أخرى ... و يعيدها مرة و إثنان و ثلاث و رباااااع .. فينتشلها مرة أخرى من جيبه و ينظر اليها.. فيهمـــس..

-

-

-

-

-

-

-إشتقت اليـــــــك..!!

ليقطـــــــع عالمه الوردي مرة أخرى صوته المندهش و المحـــــــتار لأول مرة:

-فعلاً !! .. من أنت يا براكين ؟

فنتسائل أنا و قرائـــــي الأعزاء مع حمزة.. من أنت فعلاً يا براكين الغضب؟..
و ماهي قصتك بالضبط!!! .. ترى .. هل ستكشف الأيام لنا براكين الغضب حقاً!!
أم ستتلاعب الأقدار و الأيـــــام بنا لتدخلنا لمتاهات غامضة متعمدة..
لتزيد شغف فضولنا هذا.. و ستمنعنا من معرفة الحقيقة.!!

و هل سيتوقف تركي عن بداية مشواره لكشف غموض صاحبـــــنا.. !!
هذا ما سنعرفه في..
الحلقة الرابعة..!!!

الحلقة الرابـــــعة :الاشارة الأولـــــــــــــى

تتحرك العربـــــة بصورة مزعجة جداً و تهتز بقوة يمنة و يسرة كل دقيقة عندما تصطدم بحجرٍ ما في الطريق و الذي يزداد وعورةً .. ثقل ثقيل يجرجره البغل المسكين ، و كأنني أرى لسانه الذي إلتف على شفتيهْ، ينشد صاحبه ليرأفَ بحاله تحت هذه الشمس، لكن !! صاحبُ البغل غير مصغ و يهمه أن يوصل الغربـــــاء إلى مدينة قندهار كما أصروا عليه في حين أنه متخوف كثيراً من ذلك لخطورة الرحلة إلـــــى هناك ، لكن ما العمل و أين المفر من مواجهة صراخ براكين الغضب، و هستيرية تركي
أمره لله

تترنح العربة مرة أخرى لتضج بمضجع تركي الذي كره الحر و الكر و الفر و أفغانستان كلها و الذي مال بقوة على براكينَ و أيقظه من نومه لينتفض الآخر كنسرٍ جارح فيصرخ:
-براكين: ألا يكفيك مافعلته بنا في القرية ؟ كادوا يقتلوننا أحياءً لولا رحمة الله بنا و إنقاذنا لك و هروبنا في الوقت المناسب، و الآن ماذا ؟ مصيبة أخرى دعني أنام.
-تركي (غاضبا): و ماذا فعلت لتذلني بكلماتك هذه ، ماشأني إن أقدمت هي على مراودتي عن نفسها ، لا شأن لي !! ما ان قلت لاااااا حتى صرخت وولولت لتجمع الرجالَ و تتهمني بأني حاولت اغتصابها، أيعقل ذلك، ألم ترَ وقار لحيتي هذه!!
-براكين (ملوحا بيده بعصبية): بل لم ترَ القمل الأسود في أسفله ، ليتني كنت مكانها، والله ما تركتك دقيقة.. و جعلت الرجال يبرحونك و يغسلون ملابسهم بدمائك، كف عن أداء دور الضحية دائماً يا تركي أرجوك.
-تركي (صارخاً :(لم أفعل قلت لك.
-براكين : بلا فعلت ياتركي.
-لاااااااا
-بلاااااااااااااااااااااااااااااااااا بلاااااااااااااا
يصرخ الفارس بهما:
-الفارس: كفا عن تصرفات الأطفال هذه ، ما أن نصل لقرية ما حتى تنشب تلك المعارك الكلامية بينكما، قد مضت أسابيع عدة و نحن معاً، نعيش اليوم بحلوهِ ومرهْ، أبعْدَ هذا كله لم تصلا حتى لآن لنقطة صلح بينكما؟ ما أروعكماا عندما تصفوان و تتحدثان ، فتطربنا ضحكاتكما و أحاديثكما.
-السيف: و الله صدقت أيها الفارس ، هذان الإثنان يلزمهما عقاب خاص ليكفا عن ذلك، مارأيك ياحمزة ؟
-حمزة (مبتسما) : مارأيك أن نلبسهما ملابس نسوة أفغانيات و نرسلهما ليجلبوا لنا ما نرغب من حاجيات من القرية التي سنصل إليها ؟
-السيف: فكرة !! لم لا ؟.
يضحك الرجال الثلاثة.. وسط همهمة براكين و تركي و الذي أدارا ظهرهما لبعضهما البعض.. و شرر يتطاير من عينيهما..
"سأضع يدي على عنقك و ألويـــــــها لك أيها الغبي" !!.. براكين محدثاً نفسه..
"سأقتلع عينيك الشرستين و سأطبخهما على نار هذه الشمس".. تركي متمتماً..
-
-
-

و فجـــــــــأة.. !!!

تزمجر حوافر البغل لتتوقف العربة بصورة مفاجئة ليقع كل من براكين و تركي من عليها و ذلك لأنهما يجلسان في نهايتها.. و يتمسك كل من الفارس و السيف و حمزة بالقضبان الموجودة أسفل مقعد صاحب العربة و الذي أخذ يلعن البغل بلغته الأفغانية..

يصرخ تركي وهو واقعٌ على الأرض

تركي : قلت لكم بأنه نحس من نوع آخر ، كرهت هذه الرحلة التي نقوم بها ، تباً لكل شيء ، و تباً للكنز فقط أبعدوا شبحه عني..

-براكين بغضب: شبح من يا رأس القرد ؟

-تركي (بهستيرية و غضب) : أنا رأس القرد يا مارد المصباح ، لن يلقنك الدرس اليوم غيري إليك بهذه..

يحاول تركي إسداء ضربة لوجه براكين الذي سرعان ما أمسك ذراع تركي بين يديه و لواها له ليقفز فوقه تركي و يوقعه أرضا و يحتدم العراك بينهما حيث وقعت عمامتهما و حلقت النِعل في السمـــاء و السيف و الفارس و حمزة يحاولون أن يبعداهما عن بعضهما البعض .. فيمسك السيف و حمزة براكين من ذراعيه و هو كأسد يريد إفتراس أسد آخر حاول التحرش بأنثاه ليصرخ فيه تركـــــي مُدما الشفتين و الرأس و الذي يحاول حمزة تهدأته

-تركي: مالي أراك كطفل صغير لا يملك إلا النظرات ليلقيها بوجه خصمه ، تعال لأكمل معك اللعبة!!

-براكين: هذه المرة سأقتلك ، سحقاً لك.

و يرفع براكين ذراعيه للأعلى ليسقط السيف على الأرض من قوته، و يحلق الفارس لأعلى و يبقى معلقا بين السماء و الأرض ، فيتمتم بما يحفظ من آيات و أدعية تعينه على ما هو فيه..فيرميه براكين و يهجم على تركي و الذي إنتزعه من بين ذراعي حمزة المنصدم و الذي تجمدت قدماه وغرست أظافرها في الأرض من شدة الذعر، ليتبادل الإثنان اللكمات فيسقط واحد منهما على الآخر، فيتدحرجان بعنف لأسفل المنحدر و يسقطا من فوق المنحدر على أرضٍ رملية و الحمدلله أنها ناعمة ، لكن .. نعومتها خشنة جدا . فيتبادلان الأدوار بينهما.. مرة براكين يهوي بكفه العريضة على وجه تركي.. و مرة أخرى يقوم تركي بمحاولة لطم وجه براكين بما أوتي من قوة باقية ليغرس الأخير بأسنانه لحم براكين الذي صرخ متألماً:

-براكين الغضب: اللعنة عليـــــك أيها الجرذ.

-تركي: هل ستستسلم أم لا يا مارد المصباح ؟

لم يحس تركي لحظتها إلا و هو يحلق في السماء ليسقط بقوة على ظهره و يتدحرج من فوق المنحدر الرملي .. لينهال عليه براكين بلكمات أخرى بقوة أقل وسط لهاثه من شدة الحر و التعب .. و تركي منتهٍ قد خارقت قواه يرفع يده بتثاقل و يضرب بها براكين ببطء و كأنهما يمثلان في أحد أفلام الأبيض و الأسود البطيئة.

-

-

-

فجأة..!!

لحظة أن يحاول براكين خنق تركي و الذي أخذ يصرخ بشدة حتى جمد لحظة ، ما إن رفع عينيه للأعلى قليلاً حتى رأى أكثر من ٢٠ سلاحاً موجهاً لرأسه و تركي ، فجمد الإثنان في مكانهما و كفاااا عن الحركة ... ليصرخ بهما أحد هؤلاء المسلحين بلغته الأفغانية و عن إثرها يحاول براكين و تركي الوقوف على قدميهما..

يقترب قائد المسلحين منهما و هما ينفضان الغبار و الرمل عن ملابسها.. فينظر إليهما من تحت عمامته البيضاء المائلة للإصفرار، ووجه كثير التعرق ملأته قسمات مزعجة و قاسية ليخاطبهما بشيء ما و هما يتبادلان الأنظار و كأنهما يسألان بعضهما:

-أتفهم ما يقول ؟

من دون مقدمات يضرب الرجل المسلح بمؤخرة سلاحه وجه تركي ليسقط الأخير على الأرض متأوهاً ليصرخ في وجهه براكين بعد أن أمسك بسلاحه:

-براكين (بحنق :(ماذا تظن بأنك فاعلٌ بصديقي ؟ ماذا تريدون منا ؟

يتحدث الرجل بصوت عال يحاول شرح شيء ما لبراكين و الذي لم يستطع أن يفهم حرفاً واحداً ، فتأتيه أصوات رفاقه من بعيد و هو يجرون نحوهم ملوحين بأيديهم لتتخالف و كأنهم يريدون لفت الأنظار اليهم .. فيبعد براكين يديه عن سلاح الرجل و يواسي صديقه مدمى الوجه

-براكين (بحنان و هو يمسح على وجه تركي): أأنت بخير يا تركي ؟
-تركي (بدلال مصطنع): كيف أكون بخير و تلك الآلام تأكل في جسدي ، ساعدني على النهوض.
-براكين: أجل أجل ... هيا .. سأساعدك .. لا أعلم ما يحصل لكن صاحب العربة و السيف يتحدثان مع هذا المغفل.
يقترب حمزة و الفارس من براكين و تركي:
-هل أنتما بخير!!!
براكين و تركي: أجل ... نحن بخير..
-الفارس: لقد عالجنا الموضوع مع هؤلاء المسلحين. قد ظنوا بأنكم من جماعة طالبان ، لكننا قلنا بأننا مجرد مسافرين مسالمين.
-حمزة) مبتسم كعادته): هيا الآن تعالا الآن .. لقد أصلحنا العربة و بإمكاننا أن نكمل الطريق الآن.

-تركي(وهو يقف على قدميه بمساعدة براكين متمتماً كعجوز يعاونونها على النهوض) لأول مرةٍ ألمس حناناً فيك يا براكين!!!
تتجمد يدا براكين فجأة ليترك ذراعي تركي و الذي يسقط بقوة على الأرض ليصرخ:
-تركي: أي قلب تحمله بين ضلوعك أيها المتوحش ؟
يضحك براكين ثم يعاونه مرة أخرى:
-براكين :كنت أمزح معك ! كنت أود أن أريك القسوة و الحنان في لحظة.
يعض تركي على شفتيه من سخرية براكين التي لا يتحملها .. و حمزة و الفارس لا يستطيعان التوقف عن الضحك، فيأتيهم السيف و صاحب العربة الذي يشير لعربته و يقول لهم بعربيته المتكسرة:
-كُل شيْ تمام سِيدي ، خلاص مافي مُشكلْ.

المشهد الثاني

صمـــــــتْ

قد حل الظلام .. لتسدل الشمـــــس الستار .. لتسمح لقمر ذلك اليوم ليدخل لمسرح سمـــــاءٍ ملأتها تلك النجوم المتألألة و كأنها تقول لناظرها: تعاااااااال .. تعاااااااااال و حاول الوصول الينا .. ليتمتم معها براكين َ المستلقي على ظهره بجانب النار قائلاً

أراكِ شامخـــــــــــةً
آنفةً .. غير خاضـــــــعةٍ

لعدوك كاســـــــــرةً
حانقةً.. غير آبهـــــــــــةٍ

لحبيبك عاشـــــــقةً..
متيمةً.. لـــــه معانـــــــــــقةً..

لك من الشفتيـــــــــــن...
كـــــــ...

-مرحباً بشاعر الليالـــــــــي و خليل اليوم و صديق الروح.
يستلقي براكين المتململ على جنبه الآخر ليرفع زاوية شفته لأعلى شاداً على أسنانه و كأنما ينوي كسرها... ليقترب منه تركي و يجلس قبالة النار ..موجهاً نظره إليها وكأنه يستمتع بمنظر إحتراق الأغصان .. ليعتدل براكين في جلسته، فيبدأ حديثه مع تركي السارح لعالم آخر
-براكين (مندهشا) : لم لم تنم حتى الآن ؟ الجميع قد غط في نوم عميق من عناء الرحلة ، علينا النهوض مبكرا غدا صباحا لنكمل المسير، لا تنسى أنه من الخطر التجوال خارج المدن و القرى ليلاً..

تركي ..!! صامتـــــاً.. و كأنه مصغ و غير مصـــــــغ.. عابثاً بغصن إحدى الأشجار يحرق ما تبقى من رماد الأغصان الأخرى و حجارة

قد دثّرها السواد ... لينظر إليه براكين مندهشاً و على رأسه ألف علامة إستفهام تدور و تدور حول رأسه الذي بدأ بحكه مستغرباً من صمت تركي الغريب

-براكين: هل أنت على مايرام يا تركي ؟ مابالك غائبا هكذا عن الواقع ؟ أين وصلت بتفكيرك ياصاح ؟

مازال تركـــي صامتا.. و مازلت أضغط برأس قلمي على الورقة و كأني أتخيل نفسي أضغط بقلمي على رأس تركي بعنف لأجبره على الحديث و أن يقطع جدار الصمت الذي بناه حول نفسه..

ياترى مابالك يا تركـــــي ؟.. أمن خطب ما ؟..

هل تعبت من رحلتك مع الأصدقاء و في صدرك تقول: كفى!!

لا أريد البقاء أكثر في ربوع أفغانستان؟..

أصدقكم القول !!.. لم يعجبني هدوء براكين الآخر .. وددت لو يجبره على الحديث

كما كان يفعل من قبل عندما ينال ما يريد بيده!! لكن..

شيء مـــــــا يحصل...

ووجه براكين قد شحب..!!!

و عينا تركـــــي غارقة بالدموع..!!

ماذا تراك قلت لبراكين يا تركي؟..

هل سنعلم...!!

نوماً هنيئاً أيها الأصمعي..

السيف البتار..

الفارس...

أوبس!!

صاحب العربة أيضاً..!!

الحلقة الخامسة: الاشارة الثانيـــــــــــــــة!!

مازلنـــــــا في مشهد ما إقتطعته من حلقتي الرابعـــــة، مازلنا في ليل ذلك اليوم.. حيث تركي !!.. صامتـــــاً.. و كأنه مصغ و غير مصـــــــغ.. عابثاً بغصن إحدى الاشجار يحرق ما تبقى من رماد الأغصان الأخرى و حجارة قد دثّرها السواد ... لينظر إليه براكين مندهشاً و على رأسه ألف علامة إستفهام تدور و تدور حول رأسه الذي بدأ بحكه مستغرباً من صمت تركي الغريب

-براكين: هل أنت على مايرام يا تركي؟.. مابالك غائبا هكذا عن الواقع؟.. أين وصلت بتفكيرك ياصاح؟

مازال تركـــي صامتا.. و مازلت أضغط برأس قلمي على الورقة و كأني أتخيل نفسي أضغط بقلمي على رأس تركي بعنف لأجبره على الحديث و أن يقطع جدار الصمت الذي بناه حول نفسه..

براكين الغضب يتفرس في وجه تركي، يحاول الغوص في أعماقه ليلمس الحقيقة، و يمسك العلة بين أصابعه ليقلبها و يرى الخلل الذي فيها، لكن.. باب موصد في أعماق تركي.. يحاول براكين فتحه.. يحاول و يحاول.. لكن تركي لا يستجيب!!

تنهيدة طويلة من تركـــي .. يتبعها بصوت وقد بح فجأة:

-تركي (بهم و ضيق): أتعرف يا براكين.. طوال حياتي عشت وحيداً.. فأنا يتيم الأبوين .. لا أب و لا أم يحنوان علي.

براكين و قد إعتدل في جلسته وقد وضع وجهه على كفه رغبة للتركيز أكثر .. فيكمل تركي و دمعة تتلألأ في عينيه:

-تركي (أتسمعون صوت بكاء ما في صوته؟): عشت وحيداً منذ فتحت عيني على هذه الدنيا... و قد رماني أخوتي الكبار لملجأ أيتام ليتخلصوا من عبء تربية طفل رضيع، إلى أن مرت السنون في ذلك المكان الأشبه السجن، ليتك تستطيع أن تدخله و لو ليوم واحد يابراكين ، مكان يفتقر للمربيين الأفاضل، يفتقر للتجهيزات ، لكل شيء أتساءل حقا أين تذهب كل تلك التبرعات التي يتبرع فيها الناس للجمعيات الخيرية ؟ هل هذه هي مصداقية الجمعيات الخيرية في وطننا العربي .

يصمت براكين .. يود أن ينطق بشيء ما .. لكن ماذا عساه يقول ؟.. يردف تركي و تنهيدة أخرى تحمل آلام العالم في قلبه:

-تركي: بودي أن أطلق ضحكة ما لحظة يأتينا زوار للملجأ ..أتذكر وجه مديرة الملجأ عندما ترتسم تلك الابتسامة على وجهها.. و نقف نحن الأطفال في خط طويل و كل قد تأنق و استعد ليستقبل الزوار كما تزعم مديرتنا الكريهة.. اني أراها بين هذه النار .. وأتذكر عينيها الخبيثتين تحت نظارتها غبية الشكل، و تلك التجاعيد التي ملأت وجهها و يديها، كنت الوحيد الذي يعلم بأنها تستخدم إبر البوتكس لتحصل على بشرة شابة على الدوام، لكن هيهات أن يخدع تركي.!

يبتســـــم براكين.. و يصمت تركي قليلاً و كأنه يضغط على نفسه و على ذاكرته ليسترجع تلك الذكريات التي رماها في صندوق مغلق في قلبه.. فيكمل حديثه:

-تركي: كنت و أصدقائي نظن بأن الزوار قد جاؤوا ليختاروا منا من يودون تبنيه خاصة بأننا نبلغ العاشرة من العمر، فكان الزوار يطوفون حولنا و ينظرون إلينا، لكن .. شيئين أثارا إستغرابي يابراكين..

-براكين: ماهمـــــا ؟

-تركي (بامتعاض): كان الزوار جميعهم من الرجال فقط ؟ لم أشاهد أي امرأة من بينهم ، ربما لأنهن منقبات و ممنوع على النسوة في بلدنا الإختلاط، لكن تستطيع أن تحضر الزوجة برفقة زوجها، لكن الزوار الذين قدموا في ذلك اليوم كانوا فقط رجالا، و من كبار رجال السياسة و الإقتصاد ، هذا ما لفت إنتباهي !!و الأمر الآخر هو لمس أحد الرجال لأحد أصدقائي بطريقة غريبة ، حيث طلب منه أن الدوران حول نفسه، وأخذ يلمس وجهه و شعره، لم أفهم لم كل هذا.

إشتعلت نيرانٌ مـــــــا في قلب براكين...و كأنه قد إكتشف السر في هم و ضيق تركي....

-تركي (منكسا رأسه للأرض و دمعـــة حارة قد سقطت في حضنه :(كنا ننهض فزعين في الملجأ كل يوم على صوت صراخ أحد أصدقائنا ، بالرغم من أن أحدنا يختفي كل ليلة فيأخذونه للطابق الأرضي، إلا أننا نكاد نسمع صوت صراخه يصم أذانـــا و يهز أعمدة الملجأ و كأن السقف سينهار على رؤوسنا ، و ذلك يحصل كل شهر مهرجان، حيث يتوافد السياح للبلاد.. و لا يجد هؤلاء الأوغاد ضالتهم إلا الأطفال أمثالنا ، أتتخيل ذلك يا براكين ؟ أي حقارة هذه .. و أية أمانة هي التي تدعيها تلك الملاجأ و التي تحتضن الآلاف من الأطفال و مثل ما يحصل في ملجئنا يحصل في مراكز الأحداث ، فأي جيل عربي صالح يطمح إليهم قوادنا العرب ؟ أخبرني يا براكين..

-براكين: هي تلك النفوس المريضة يا تركي ، التناقض هو النهج الذي يسير عليه نحن العرب فنحن نصلي.. نصوم و نقوم بكل العبادات لكنها لم تردعنا عن المعاصي ،و ماهذا إلا دليل على أن قيامنا بتلك العبادات لم يكن إلا لسببين.. أولهما الرياء و العياذ بالله، و الثاني هو القيام بها كنوع من العادة التي إكتسبناها من أهلنا لكننا نأديها من دون تعمق و حب و صدق .. هذا هو جوابي

لك يا تركـــي .. والمجتمع السياسي فاااااااااااااسد فاااااااااااسد ، حتى وصل الأمر بأن الجنود الذي نرسلهم ليرابطوا في يوم إحتلال الكويت كانوا يستعينون بالنسوة ليمتعوهم هناك ، أستغفر الله العظيـــــم .. نعيب على الأمريكان و هم في العراق و ما يفعلونه بنساءنا ..و العيب فينا.

-تركي: لم أطل البقاء هناك.. قد هربت ليلة أخذهم لصديقي الحميم .. و لم أتحمل صوت صراخه الذي قطع قلبي ...فهربت ... نعم هربت، لا تسألني كيف؟ لكني هربت بعد عراك مع كلاب الحراسة المتوحشة .. التي تفرست في لحمي.. و خدشتني بأظافرها.. لكني هربت ووجدت نفسي أجري و أجري في تلك الطرقات .. لا أدري إلى أين ؟ لكن لأهرب من واقعي .. من ماضي.. لا أريده، لاأريده .. و لم أجد نفسي اليوم التالي إلا في غرفة نوم جميلة .. يدخلها نور الشمس الذي لم أتمتع به يوما ، لأرفع عيني لتلتقي بعيني رجل مسن لمست فيه حناناً افتقدته ليقول لي:

-أي بني .. إعتبر منزلي منزلك .. و اعتبرني أبا لك ،رعاني هذا الرجل المسن حتى كبرت و اشتد عودي .. وكان للرجل نفوذ كبير ساعدني في ما بعد أن أدخل في حروب و جولات في المحاكم لأرفع دعوى على إخوتي و أسترد حقي من ميراث أبي و فوقه تعويض للأضرار النفسية ...و بعدها .. مات عني ذلك الأب الذي أحببتهن،و مللت العيش وحيدا في قصره .. و فضلت أن أرحل .. ماذا سيقول الناس عني ؟ هو قد أوصى لي بجزء من ثروته .. أخذتها و بعت بعضا من أملاكه لأستثمرها في بناء مساجد و مساعدة محتاجين تأكدت بنفسي شخصيا من وصول المعونة إليهم..

-براكين: رحلت ؟

-تركي: أجل .. سافرت بعيدا عن تلك البلاد القذرة .. و عدت فيما بعد .. و بدأت في أعمال تجارة و ماشابه .. إلى أن التقيت بكم على حدود أفغانستان!

-براكين (رافعاً حاجبه الأيسر): و إلى أين رحلت يا تركي ؟

-ألن تذهبـــا للنوم ؟ نهضت لأتوضأ لصلاة الفجر .. فأراكم للآن تتحدثان.

-براكين (ضاحكا): سرقنا الوقت يا حمزة .. توضأ أنت .. و سأتوضأ بعدك .. سأصلي الفجر و أنام قليلاً إستعدادا لرحلتنا.

-حمزة (مبتسما): أقســـــم بأنك لن تنهض يا براكين ، أنت صديقي ..و أعرفك جيدا..

يضحك براكين و حمزة .. و يحاول تركي رسمـــــ إبتسامة ما .. لكنه يفضل أن يقوم من مكانه ليترك الصديقين يتحدثان.

تبدأ رحلة رجالنا الخمســـــة نحو قندهار، فنوجه كاميرتنا إلى وجه صاحب العربة الذي يضرب بسوطه البغل المسكين الذي يكاد لسانه يلتف على عنقه، و في الخلف يجلس رجالنا الخمـــــسة يخططون سير رحلتهم هذه ،السيـــــف يضع خارطة لأفغانستان أمامه، و يجلس البقية بشكل حلقة دائرية يتابعون ما يقول:

-السيف (مشيرا بغصن شجرة على الخارطة): هنا.. لحظة أن نصل لقندهار سنبدأ خطتنا الأولى، فهي المقر الرئيسي للمجاهدين هناك كما أعلم، و أعرف منهم شخصـــاً يستطيع أن يساعدنا.

-براكين الغضب: تقصد مجاهدي طالبـــــــان، أصحيح ؟

-السيف (ضاحكا): يالدقتـــــــك المتناهية يا صاحبي.. أجل .. مجاهدي طالبان.. أليس هدفكما أنت و حمزة أن تذهبا للجهاد ؟

-حمزة: لا .. لم نقصد أن نجاهد هكذا من دون هدف ... بل لننضم لصفوف المجاهدين و نتعلم منهم لنحارب الأمريكان.. فان حاربناهم هنا كان بها .. و إن أرسلنـــــــا للعراق فكان بها، نعرف أنا و براكين عدونا جيداً.

-الفارس (مقاطعاً): لكنهم هنـــا يحاربون من أجل افغانستان .. أي أنهم يحاربون أمريكا و القوى المعارضة لطالبان و الجيش الباكستاني..

-براكين الغضب: جئت طالباً الشهادة إما في أفغانستان أو في العراق أو في أي بلدٍ يحارب فيه ديني .. لكني أفضل أن أبدأ من هنا.. أتعلم فأعلم.. هل أنت معي في ذلك ياحمزة ؟

-حمزة (يومـــئ بالايجـــــاب): بكل تأكيد يا براكين .. أنا معك حتى النهايـــــة يا صاحبي..

تفرج شفتا براكين الغضب عن إبتسامة إرتياح .. بينما تركي صامت و الكل يتحدث ليقطع صمته الفارس

-الفارس (مندهشاً): مابك يا تركي؟.. لم أعهد بأنك هادئ هكذا .. أمن خطبٍ ما ؟

-السيف: لم نبدأ للآن بمناقشة أوضاعنا ياتركي.. فقط بدأناها بأنني سأرشد براكين و حمزة للمكان الذي يودان الذهاب اليه ..وعندمـــــا أضمن إستقرارنا في قندهار .. سنشد الرحال لكابول .. محطة الحروب العرقية هناك . حيث أن المجتمع أكثر إنفتاحاً هناك .. و ستكون نقطة البداية لتحقيق أهدافنا أنا و أنت و الفارس .. مارأيك؟

-تركي (بهدوء): كما تريدون..

-حمزة: مابك ؟ لم تكن هكذا البارحة .، ماذا جرى لك ياصاح.

-السيف: ربما إشتاق لحبيبة القلب..

-الفارس (مازحـــــاً): آه نعم ذات العينين السوداوين..

يضحك الجميـــــع لتقصفهم ضحكة براكين العاليـــــة و الصاخبة .. لتتحرك شفتي تركي فجأة فيقول بحزم:

تركي: آه نعم !! حبيبتي هي حبيبة براكين السابقة التي تركها مؤخراً.

أوه لا.. ليتك يا تركي ما مزحت بهذه الطريقة .. أحس بصمت رهيب .. تتبادل فيه نظرات حائرة بين الفارس و حمزة و السيف .. لتتجمع على عيني براكين و الذي إنتفخت وجنتاه فجأة و إحمرتا .. و أخذ ينتفض بعصبية .. ليمسك تركي و يخنقه بين يديه الكبيرتين:

-براكين: ويلٌ لك!

-تركي: كفى !!! ستقتلني أيها المتوحش!!

-براكين: سأريك كيف تتطاول على عِرض براكين الغضب !! استعد..

لكمة قوية تطيح بتركي أسفل العربة .. و ليقفز براكين من فوقها وسط صراخ حمزة و السيف و الفارس الذي يحاول التشبث فيه ليمنعه لكن من دون فائدة .. و نعود لمسلسل الدحرجة ذلك .و قتال براكين و تركي العنيف ... و محاولات أصدقائنا لايقاف النزاع بالفشل !!.. هههههههههههه ... هذا هو تركي الذي نعرفه!!

أليس كذلك؟..

ثلاث أيام أخرى .. و استمر رجالنا الخمـــــسة في ترحالهم .. يطوفون بقرىً صغيرة ليزدادوا بالمؤونة التي يحتاجون ... حتى كان ذلك اليوم الذي ودعهم فيه صاحب العربة .. حيث أشار بأن مدينة قندهار قريبة جداً ، بضع ساعات أخرى و سيصلون إليـــــها.. شكر رجالنا الخمسة صاحب العربة على تفانيه في خدمتهم و صبره عليهم و على الإحراجات التي سببها تركي و براكين الغضب .. فحمل كل منهم متاعه على ظهره ورأسه، و أكملوا رحلتهم سيراً على الأقدام .. و كانوا يريحون أجسادهم المنهكة بين الحين و الآخر .. و لكنهم يريدون الوصول لقندهار َ قبل المغيب .. ليقترح تركي عليهم:

-تركي (يلهث من التعبْ): لم لا نشتري بغالاً أو فرساً توصلنا لقندهار .. ما عدت أحتمل..

-براكين: الطريق قصيرة .. لا حاجة لنا بذلك .. ثم أنه لم يتبقى معنا شيء من النقود .. كف عن الاسراف..

-الفارس: تركي محق .. قتلنا الحر .. و أصابنا الجفاف . سأضع أمتعتي هنا .. لا يهمني كم سأدفع .. أريد بغلاً تحمل متاعي ..

-حمزة: كأني أرى قرية مـــــا هناك أسفل الهضبة .. أنا ذاهب اليها لأبحث لنا عن بغالٍ أو أحصنة.

-السيف: لا أنصحك بأن تذهب ياحمزة – يفتح السيف خارطته التي وضعها في جيبه – فأنا لا أرى أية قرية على هذه الخارطة .. و غريب أمر قرية تقع هنا على بعد كيلو مترات من قندهار ؟

-تركي: لا شأن لي .. لن أتحرك من هنا .. أريد بغلاً..
-براكين : أصمت ، دعنا نرى ما مشكلة تلك القرية..
-السيف: مممممممم .. لا أعلم ما أقول .. لكن من المخاطرة الذهاب إلى مكان لا نعلم من يعيش فيه.
-حمزة: لا أظن الأمر بهذه الخطورة يا سيف .. أنا ذاهب .. و قد وكلت الرب في أمري.. هل سيأتي معي أحد؟
-براكين الغضب: سآتـــــي معك .. ربما إحتجت لشيء..
-تركي: سأذهب معه .. لا بأس من ذلك..
-براكين (بغضب): بل سأذهب أنااااااااااااااااا!
-حمزة :أرجوكما كفا عن ذلك .. براكين .. إبقى هنا يا صاحبي .. ربما إحتاجك الآخرون .. سأذهب أنا و تركي .. أحتاج لرفقة ظريفة..
-تركي: أرأيت يا براكين ؟ لا أحد يحتمل ثقل دمك..
ينظر براكين لتركي بغضب .. لكن سرعان ما هدأت نفسه و أخذ صديقه بالأحضان:
-براكين: إعتني بنفسك يا حمزة...
-حمزة (مبتسماً): سأفعل يا براكين .. لن نتأخر .. هيا يا تركي..
-تركي: قادم..
-الفارس: كونا على حذر..
-السيف: لا تتأخرا..
ما أن إبتعد حمزة و تركي بضع خطوات حتى تبعهمـــــا براكين ليضع ذراعه على كتف حمزة و يهمس في أذنه:
-براكين: إلبس خاتمي الفضي هذا .. إن حصل مكروه أرسله مع أحدهم و سأعرف ما جرى لك!
-حمزة : بكل تأكيد ياصديقي .. إلى اللقاء..
-براكين: إلى اللقاء..
يبتعد حمزة و تركي تدريجيـــــاً وسط نظرات براكين و التي لن تفارق طيفهما حتى إختفيا عن مستوى نظره .. ليدخل أصابعه إلى داخل معطفه .. فيسحبها بهدوء و يحتضنها بعينه و قلبه و روحه:
-لا أريد أن أفقده كمـــــا فقدتك ، إحمهِ يارب..
ياترى .. فقدت من يا براكين ؟.. و متى ؟.. و لم تقول ذلك !! سيعود حمزة بكل تأكيد .. فهو ليس بالليِّن و لا بالسهل !!.. ذكي و لمـــــــــاح .. له بنيةٌ قويةٌ .. ترى مالذي أخافكَ
فجأة يا براكينْ ؟.. هل سنعلم ؟.
انتظروني في الحلقة السادسة..

المَشهـــــد الثـــــالث

تأنيب ضَمير

يطول الإنتظار برجالنا الثلاثة، و السيـــف يمشي ذهاباً و إياباً .. و الفارس يقرأ في كتاب الله.. و براكين.. وبراكينٌ يجلس على إحدى تلك الصخور يحتضن وجهه بين كفيه و دمعة ساخنة يحاول أن يخفيها عن أصدقائه . يقترب السيف من صديقيه و يفترش الأرض و يجلس من غير أن ينبس بكلمة، و كأنه ينتظر من الفارس الذي سرعان ما حملق بوجه صاحبه، و براكين الذي يوزع نظراته بينه بين الفارس بأن يحاولا الدخول لأغوار صدره و إنتزاع ذلك العذاب الذي يعصر قلبه عصراً، فيصرخ:

-السيف (صارخاً و حرقة ما في صوته): ليتني منعتهما ، أي غباءٍ هذا ؟ كيف لي أن أرسلهما هكذا و من دون وعي لجبهة قتال ، ماأدراني بأنها جبهة قتال بين مجاهدي قندهار و المعارضة ، ما أدراني ما أدراني!!!

يلطم السيف وجنتيه بقوة و جنون فيمسك الفارس يديه و يحاول تهدءته و دمعة أخرى تدحرجت على خده الممتلئ بالغبار والرمل:

-الفارس: ماأدراك وما أدرانا ؟ هو القدر الذي جعل تلك القافلة أن تمر بنا، فنتبادل أطراف الحديث

لنعرف حقيقة تلك القرية التي ما كانت إلا جبهة قتال ، لا تلم نفسك هو قدرهما و لا نملك الا أن ندعوا لهما..

ينتفض براكين الغضب و يقف ليصيح هو الآخر:

-براكين الغضب (ونيران تشتعل في مقلتيه): ندعوا لهما ؟ يارجل بالله عليك هل هذا هو الحل برأيك ؟ إن كانت جبهة قتال سنذهب و نقاتل معهم.. هم يحاربون تلك المعارضة الموالية للجيش الأميركي و الباكستاني.. تريد تلك المعارضة كسر شوكة طالبان ، سنقاتل معهم و نخوض تلك المعركة، و حتماً سيكون حمزة هناك و تركي و سنقاتل معاً و ربما نستشهد معاً..

عينا الفارس تنتقل بين عيني براكين و السيف:

-الفارس (بذعر): لكن يا براكين لا قدرة لي على خوض أي قتال،جئت للبحث عن أخي، أتريدني أن أموت قبل أن أجده و أعود لعائلتي ؟ من سيعيلهم ؟

-براكين الغضب: ياصاح ما هذا الكلام الذي تتفوه به ؟ يا أخي في الله يعينهم الله، و لكل أجل كتاب..و لكل روح يوم و ستقبض فيه ، ألم تعلم بأن خالداً بن الوليد قد خاض معارك كثيرة و تمنى الشهادة في سبيل الله، و قد جرح جروحاً خطيرة في معاركه لكنه لم يمت إلا في فراشه ؟..

الفارس .. صامتاً.. و السيف منكساً رأسه.. يخفي دموعه.. ليردف براكين:

-براكين الغضب: حمزة أخي و صديقي و حبيبي الغالي ، لن أتركه يقع بين أيدي أعداء الدين، لكن مادام قد ذهب للجبهة، فإحساسٌ قوي لدي يخبرني بأنه سينضم لصفوف المجاهدين، و سنلتقي مرة أخرى، قد عاهدني على ذلك و أنا متأكدٌ بأنني سألقاه قريباً ، و أتمنى ذلك في ساحة قتال..

-السيف (بحرقة): كم أحببتهما يا براكين ، لله درهما ما أغلاهما على قلبي ، قد إعتبرتهما شقيقين لي ، و بأني مسؤول عنهما، فكيف لي أن لا أتأكد من حقيقة تلك القرية ؟ ماأغباني ماأغباني..

-براكين الغضب: كف عن لطم وجهك بكفيك كالنساء ، بل إنك تشبه أبناء العاهرات من الرافضة ، كف عن ذلك و تصرف كالرجال ، الواقع يقول بأن حمزة و تركي قد ذهبا إلى جبهة قتال ،و أنا أقول بأننا علينا تأخير موعد ذهابنا لقندهار، فهنا أناس قد يحتاجون لمساعدة مـــــا..

-الفارس: لكن يابراكين لا خبرة لنا في فنون الجهاد في هذه البلاد و لقد تركت معسكر قواتنا قبل أن أذهب في دورة تدريبية على فنون القتال في الجبال..

براكين الغضب (مبتسماً): لا تقلق ، معك تلميذٌ من نوع آخر..

يتبادل الفارس و السيف النظرات فيما بينهما فيقولان:

-هل لك خبرة ما من قبل يابراكين ؟

يضحك براكين الغضب .. و ما أحلى ضحكته و إبتسامتـــه عندما يتمتع بمزاج هادئ، لتعود ملامحه لشراستها المعهودة، فيشد على عينيه اليسرى قائلاً:

-براكين الغضب: إستعدا الآن فقد بدأت أخيراً أولى المعارك.

الحلقة السادسة: و بدأت أخيـــــراً!!

يصل أصدقاؤنا لتلك القرية الصغيرة جداً وقت الغروب، تقع تلك القرية في أسفل ذيل أحد الجبال.. ممتدة..و تبدو عليها آثار معارك ما نظراً لآثار جثث ملقاةٍ هنا و هناك.. و أسلحة قديمة صدأة، يقترب رجالنا الثلاثة براكين و السيف و الفارس و قد إرتسمت على وجه كل منهم تساؤلات من نوع ما، وكأن كلاً منهم يحادث نفســه في تلك اللحظات..

يصل الرجال أخيراً، و يسمون بربٍ رحمـــــنْ لحظة وطئهم للقرية، تبدو هادئة ، و آثار الخراب واضحة جداً جداً ، مازال هناك أطفال يلعبون في إحدى الساحات، و رجالٌ يشحذون أسلحتهم و ذخيرتهم ، و نساءٌ يغطين أجسادهن من قمة الرأس إلى أخمص أرجلهن – عذراً لكن هل هذا لباسٌ شرعي ؟-

-براكين الغضب: إحتفظ بتساؤلاتك الآن، نريد أن نجدهما أولاً.

-السيف: لكن يابراكين إني أتساءل حقاً ، كيف للمرأة تنظر هكذا ، أعتقد بأن الأفغان يبالغون في تشددهم نوعاً ما.. ربما أكتب عن حرية المرأة فيـــــ..

-براكين الغضب (بغضب): إن تفوهت بالمزيد صدقني سأرميك هنا ، أصمت.

-السيف: سأصمت .. سأصمت أنتم دائماً هكذا أيها العرب ، تمنعون حرية الفكر و الابداع.

مازال البحث جارياً عن حمزة و تركي .. و لم يترك أصدقاؤنا شخصاً إلاوسألوه عن حمزة و تركي .. ترى أين ذهبتما ؟ هل إبتلعتكما الأرض يسند براكين الغضب ظهره لشجرة أظن قد قتلها الحر لفقدانها لنضارتها و أوراقها، و السيف و الفارس يقفان و يرقبان لعب الصغار..

-الفارس: لا أمل . لن نجدهما..

-السيف: كيف ذلك في قرية صغيرة كهذه ؟

-براكين الغضب: أمرهم غريب رجال هذه القرية ! كيف لم يلحظوا وجود غرباء كحمزة و تركي ، أيعقل أن جيش المعارضة قد أسرهم لديه ؟ لا أصدق

و لا أريد تصديق ذلك أبداً..

-الفارس (صائحاً و مشيراً بإصبعه) : هيييي أنظرا ، أليـــــس هذا بعربي ؟

-براكين و السيف: أين ؟

-الفارس: هناك ، ربما ساعدنا في العثور عليهما لاسيما بأنه عربي و العربي يحب الخير لأخيه العربي هيا بنا ، تحركا. يوجد أمل في مكان ما .. هيا...

ينهض براكين الغضب و السيف من فورهما .. و يتبعان الفارس الذي تبع الرجل العربي و الذي دخل لمقهى صغير جداً.. جلس الرجل العربي على طاولة صغيرة .. و لحق به رجالنا ليحدثه الفارس:

-الفارس: عذراً.. هل أنت عربـــــيْ ؟

-الرجل العربي (مندهشـــاً): أجل .. أنا عربيْ من الوطن العربي.. تبدون عرباً أيضاً.

-براكين الغضب: أجل.. نحن من الجزيرة العربية.. جئنا نبحث عن أخوين لنا هنا، لكن بدا لنا أن لا أحد قد شاهدهما.

-الرجل العربي (يحتسي كأساً من الشاي الأفغاني): لا أعتقد بأن أحداً ما سيساعدكم بشيء.. الكل مشغول بمعركة الغد.

-السيف (و قد سحب كرسياً خشبياً قديماً و جلس): أية معركة يا أخي في الله ؟

-الرجل العربي: تعتبر هذه القرية جبهة للدفاع عن قندهار، وأكثر المجاهدين فيها من مجاهدي طالبان، و نحن نحارب هنا الجيش المعارض و المتحالف مع أمريكا و التي قامت بإمدادهم بالجنود و الذخيرة.

-براكين الغضب: و هل تم التحضير الكامل بالعتاد و بالخطط اللازمة ؟

الرجل العربي: إعذروني يا أخوتي في الله .. إني لا أعرف من تكونون و ماسبب مجيئكم إلى هنا ، أعذروني لا أستطيع إعطاء أية معلومات أخرى.

براكين الغضب: أنا أخوك براكين الغضب.. و هذين أخويك السيف و الفارس .. جئنا لنقف في صفوف المجاهدين، و لنجد أصدقاءنا..

الرجل العربي (صامتـــــاً..... : (

براكين الغضب: نريد الإنضمام إليكم.. هل تقبل بنا ؟

يحتسي الرجل العربي آخر قطرات الشاي و يعيد الكأس للطاولة.. مستعداً ليغادر .. فيشد على معطفه العسكري.. فيبتسم و يهم بالوقوف . ليمسك براكين الغضب ذراعه بقوة:

براكين الغضب: ليس من أخلاق الإسلام و لا المجاهدين أن تدير ظهرك لمسلم آخر عندما يتحدث إليك.

يلتفت الرجل العربي إلى براكين الغضب و الذي لمح إشتعال نارٍ في عينيه ، فسحب ذراعه بهدوء:

-الرجل العربي: شدني كلامك و قوة في يدك يا أخي .. أحس بصدقٍ في صوتك .. و قوة إيمان و رغبة و تصميم في عينيك ..

-السيف(مبتسمـــــاً) : هل هذا يعني بأننا نستطيع الإنضـــــمام إليكم ؟

-الفارس:و سنقاتل في صفوف المجاهدين ؟

-الرجل العربي (مربتاً على كتف براكين الغضب) : مادمتم متحمسين لذلك .. و بينكم الليث.. أسدٌ من أسود الاسلام .. فلا مانع لديْ.

يصمت براكين لبرهـــــة .. و يشد على عينيه مشيراً بإصبعه ناحية الرجل العربيْ بدهشة:

-براكين الغضب :كيف عرفت بذلك ؟.. كيف عرفت بلقبي ؟

-الرجل العربي: هل أنستك معارك الشيشان أخوتك هناك أيها الليث ؟ ألم تتعرف إليْ ؟.. أدعى الشهبندرْ.. هل غيرت مني

السنين الكثير لهذه الدرجة.

-براكين الغضب(يصيح بأعلى صوته حتى أفزعَ الجالسين :(الشهبندرْ ، الشهبندرْ ، ياصاحبي العزيز .. إلي.. تعال إلي لأحضنك و أشتم رائحة صداقتنا و ذكرياتنا معاً..

يضم براكين الغضب الشهبندر بعنف .. فتتعانق أرواحهمـــــا و صحبتهما..

و كأنما تجدد ما مضى من ذكريات و حكايات .. فتنهمر الدموع...

دموع الفرحة و اللقـــــاء الغير متوقع

هناك.... في منزل صغير متآكل من الخارج . لكن تفوح منه رائحة الوقار و الإيمان من الداخل.. يجلس الشهبندرْ وبراكين الغضب و السيف و الفارس يرتشفون الشاي.. الشهبندرْ رجلٌ عريض نوعاً ما، له شعرٌ يصل إلى كتفه.. لا يرتدي البدلة القندهارية أو الأفغانية، بل يرتدي لباساً عسكرياً كالذي يرتديه أخوتنا العرب و المجاهدين في البوسنة و الشيشان.

بالرغـــــم من قوته و قدرته البدنية، إلا أن ذلك لم يخفي إمتلاءاً في وجنتيه، و ضوءاً مشعاً من عينيه، و عينيه الخضراوين تخبر الكثير الكثيـــــر عن شخصه الكريم .. و خفة روحه و مرحه.. إنشغل الشهبندرْ و الليـــــث بالحديث، عن ذكرياتهما معاً في الشيشان و البوسنة ، و استعلم براكين الغضب عن إخوته من العرب في المستشفيات هناك، و عن أحوال البلاد.. السيف و الفارس.. مستمعان غير مصدقينْ لما يجري و لا لمَ يسمعانه..

بدأت الخيوط تنكشف يا براكين الغضب...

أم نسميك بالليث من الآن ؟..

عن أي شيشانٍ و بوسنةٍ تتحدثان ؟..

ومن هذا الشهبندرْ الغريب ؟.. و من أي بلدٍ عربي هو ؟.

و هل يروقكما الوضع يا فارس و سيف ؟..

لا أظن ذلك من نظراتكما و صمتكما..

مازلنا في أراضي أفغانستان .. قريباً من قندهار..

نبحث عن حمزة و تركي المختفيان

لكن

مع ظهور شهبندرِ هذا الزمان

ماذا سيحصل؟

ترقبوا ذلك في حلقتـــــي السابعة....!!

صوت شحذ رشـــــاش ما .. فيمسك صاحبه فوهته بيده و يقرب الرشاش من قلبه..فيشد على عينيه اليمنـــــى و بغضب يحدث نفسهْ:

-سنشل صفوفكم .. و نندس بين جنودكـــم .. و سندحركم دحراً..ونرجعكم لقعركم خائبيـــــــــــــنَ خارين ... زلزل الله صفوفكم..

و بث الرعب في قلوبكم .. اللهم أنصرنا نحن عبادك الراغبين ..راغبين بجناتك و بفردوسك العظيـــــــــــــم

أنصرنا يا رب العباد .. و ذلل لنا كل السبل.....

صمـــــــــــــــــــــتْ!! صمت لثوانٍ فقط ... يتبعه صوت خافت لنفس الشخص:

-ترى هل سأموت قبل أن أراك يا صاحبي ؟.. هل سأموت قبل أن أصيح بأعلـــــى صوتي معك الله أكبر بوجه الأعداء يابراكين .. هل ستذرف

عيناك الدموع إن رأيت جثتي ؟..

الحلقة السابعة: ليلة في الحراسة!!

نحن الآن عند جبهة من جبهات قندهار الدفاعيـــــة .. في منطقة قريبة من سفح الجبل .. هناك .. يقف أميـــــــر الجبهة، الشهبندر، براكين الغضب، الفارس و السيف، و مجاهدين آخرين يستمعون إلى توجيهات أميرهم ، و المجاهدين من خلفهم في حركة و دأب ذهاباً و إياباً يشحذون أسلحتهم و كلٌ يأخذ موقعه..و تكبير يصدعُ في كل مكان: الله أكبر الله أكبر ، و حوافر الخيول تدك بالأرض دكاً وكأنها تشحذ النفوس بالعزيمة و القوة .. و الدبابات على قلة تجهيزاتها إلا أنها في تحرك و تأهب

-الأمير (مشيراً بإصبعه على خريطةٍ غارقة بالرمال) : أريد منك يابراكين أن تحرس في هذا الخندق و تكون مسؤولاً عن هذه القطعة بالذات ، خذ معك السيف .. و..

-السيف (مقاطعاً بحماس): أخيراً ، دورٌ بطولي يكفيني لأكتب رواية "يوم في الجبهة" !! هههههههه

-الفارس (غاضباً :(شششششششش .. أصمت لا وقت لنا لتعليقاتك الصحافية الآن..

-براكين الغضب) هامساً في أذن السيف): إن لم تصمت يا سيف .. وربي لأكتب رواية بعنوان " مقتل أحدهم" إهدأ ، تخلصت من إزعاج تركي و الآن جاء دورك.

-السيف (متأففاً :(سأصمت ، سأصمت .. أعدكم .. لكني تحمست قليلاً .. ما الخطأ في ذلك.

نظرات حقد و غضب من براكين الغضب و الفارس يرمقان بها السيف الذي أبعد عينيه عنهما و نظر ليمينه و كأنه يراقب سير إستعداد المجاهدين – بينما خوفٌ بين طيات ضلوعه من أن يهجم عليه براكين و الفارس .. ماأجمل ذلك الجو المشحون بالايمان و التأهب . فتسمع أصوات الأقدام التي تحفر عميقاً في الأرض .. و تلك المعاول التي ترتفع للأعلـــــى و تنهد هداً على الأرض بقوة .. فتحفر عميقاً عميقا..

لا أعلم إن كانت لكم رؤية واضحة عن جبهات القتال .. جبهة القتال تختلف عنها في البوسنة و الشيشان .. و أفغانستان و العراق .. ففي البوسنة و الشيشان الأراضي خضراء ضاحكة .. متدللة بإنسياب الأنهار و الينابيع و العيون .. بينما في أفغانستان .. هي مليئة بالغبار و الرمل حيث أنك تستنشقه فيتغير لون جلدك منه ، خصوصاً جبهات جلال أباد و قندهار..

نعود لجبهتنا .. الجبهه هي عبارة عن خنادق محفورة بالأرض على شكل غرف صغيره تتسع لثلاث أو أربع أشخاص يوجد بين كل خندقين خندق أرضي يسمى بالإرتباطي أو الترانشيه ، يسمح للحارس بأن يتحرك يمينا وشمالا ليحرس الثغر، يحدد الأمير شكل الخط ويوزع الخنادق وكل مجموعه تحفر خندقها وتتولى حراسة منطقتها،ومن كل خندق شخص يذهب مع الأمير إلى الترصد، أي النزول إلى المنطقة الفاصله بين المجاهدين والعدو وجمع المعلومات وتحديد مواقع خنادق العدو على الخريطه ومن ثم توصيل خط بينهم وهكذا يتبين خط العدو، والعدو كذلك يقوم بالمثل ، وقد يتقابل الإثنان فتدور معارك خفيفه بينهما أو يكون أسر ،التموين يأتي غالبا من القرى الخلفيه أو خنادق التموين على خيول أو بِغال يتم حملها، أما الوقت فيتوزع بين قراءة القرآن والذكر والحراسه والترصد وخدمة المجاهدين .....

براكين الغضب و السيف في أحد الخنادق، و بدا السرور على وجه براكين و هو يقرأ في كتاب الله ليقاطعه السيف:

-السيف: أتدري يابراكين ؟ طالمـــــا كنت أدعوا الله أن أشارك في معارك حقيقية ، صحيح بأنني صحافي وأحارب بقلمي و لساني .. لكني لمـــْ أجد الدور الذي يرضيْ خاطري بعد إلا اليوم.

-براكين الغضب) يمسحُ على لحيته وكأنه شيخ دين): أخي في الله سيف.. ما أسعدني بأن يتحقق حلمك هذا.. و ماأسعدني أن أكون معك ها هنا .. نقاتل العدو لنعلي كلمة الله و ليخسأ المشركون..

-السيف (بشيء من الضيق): براكين .. هل تعتقد أن حمزةً و تركي بخير؟ للآن لمـْ نجدهما حتى بين صفوف المجاهدين ،و قد قلت بأننا قد نلتقيهمْ بينهم في ساحة قتالْ.

-براكين الغضب: أجلْ .. و مازلت على أمل أن ألقاهماْ .. ربما همـْ مع المجموعة الأخرى من المجاهدينْ .. فكما فهمت من الشهبندرْ، فنحن عبارةٌ عن ثلاثِ مجموعاتٍ، و ربما إنضم حمزةٌ و تركي لأحدهما.

-السيف: آمل ذلك يا براكينْ.. فوالله قد إشتاقت القلوب لهذين العزيزينْ .. إشتقت لشقاوة تركي و كرمـــْ وطيب حمزة.. لله دره من صاحب يا براكين .. كمْ أحسدك على صديق كهذا.. هل تعرفه منذ مدةٍ طويلة ؟

-براكين الغضب: أجل ... فأنا وحمزة صديقين منذ الصغر .. ووالدته ووالدتي صديقتين، و كانت والدته تحضره لمنزلنا و تخرج مع والدتي للتسوق، كمـْ كنت أكره وجوده في المنزلْ.. فهو يكبرني بخمس سنين تقريباً .. و كنت أنا ملفوفاً بقطعة القماش .. و هو يتسلى باللعب بمتاعـــي و التنزه كما يحلو له في أنحاء المنزلْ ، كم أردت تحطيـــــمْ رأسه لولا هذه اللفافة ..

-السيف) ضاحكاً): ههههههههه .. ويحكْ!! شرس منذ المهد!!! .. هههههههههههه .. أتخيل منظر وجهك و الذي إصطبغ بحمرة قاتمة ههههههههههه...

-براكين الغضب: هههههه .. دعني أخبرك عندمـــــا كنت في الثانية .. و كنت أشرب من رضاعة الحليب عندما جاء حمزةٌ و..

:

:

:

:

:

:

:

:

!!!!ااه!!!!

:

:

:

:

:

صيحةٌ شقت هدوء الليل .. قادمةٌ من الخندق المجاور للخندق الذي يجلس فيه براكين الغضب و تركي، ليقوما على إثرها و بسرعة من فورهما ليتفقدا مصدر الصيحة .. يحاول براكين التسلق ليخرج .. ليثب من فوقه السيف و مجاهدين آخرين ويتسلقون برشاقة و كأن براكين هو السلم .. ههههه .. لا وقت لتفتح عينيك دهشةً يا براكين هيا تسلق واذهب للخندق المجاور..

هناك .. عند الخندق الآخر .. ينزل السيف و براكين و المجاهدين يقفون ليحرسا الخندق من الأعلى.. و ماكان هذا الخندق إلا الخندق الذي يحرس فيه الفارس:

-براكين الغضب (بذعر): أنت من أصدر هذه الصيحة أيها الفارس؟.. تكلم مابك ؟

أصوات ضحكٍ من مجاهدين أفغانيين يناوبان مع الفارس و الذي أخذ يتأوه ألماً.. ليجيب أحدهما:

-المجاهد (ضاحكاً): لمـــْ يحصل شي يا أخي في الله ... فمن شدة التعب و الضجر .. تحمس زميلي المناوب للنوم .. و بما أنه طويل القامة . فقد مد رجليه و بقوة على بطن أخي الفارس ، والله قد حصل ذلك من دون قصد ، أنت تعلمْ كم هو ضيقٌ

المكان هنا..

صمتٌ لوهلة . تتبعه ضحكات من الجميـــــع..ْ وسط تهديدات الفارس لهم بالذبح إن لم يكفوا عن السخرية به..

يعود براكين و السيف و المجاهدين إلى الخندق مرة أخرى .. و ها قد جاء وقت النوم .. و كانت المناوبة على المجاهدين ... يحاول براكين الغضب مد رجليه قليلاً .. ليطلق تنهيدة راحة .. و ما أن يهم حتى ينقلب على جنبه حتى يصرخ به السيف:

-السيف :براااااااااااااااااكين إني نائم هنا ، ماذا تظن بأنك فاعل ؟

-براكين الغضب: عذراً لـــــمْ أقصد ، أردت أن أتمدد قليلاً..

-السيف: يكفيني ضيق المكان .. و الحر .. اللهم أأجرنا فيما نحن فيه يارب.

-براكين الغضب :اللهم آمين .. صدقت في ذلك يا سيف .. يرتاح الناس في منازلهم و نحن هنا .. و ما أجمله من ضيق و تعب إن كان لله عزوجلْ .. ما أجملها من لحظات و أنت في ثغرٍ من ثغور الاسلام مرابطاً..

لحظات .. ويغط السيف في نومـــٍ عميق .. ليفتح براكين الغضب عينيه و يدخل أصابعه بمعطفه كعادته كل يوم ،

و لحظة و دقيقة ..فتعانقها أصابعه .. ويهمسْ برقة:

-تصبحين على خير...

ما إن إنتصف الليل .. و أظلمت السماءْ .. حتى سمع براكين الغضبْ و السيف صوتاً يناديهم.. بل إذا بيدٍ تحاول إيقاظهما و هما في نومـــٍ عميق:

-الشهبندرْ: براكين.. السيف .. إنهضا بسرعة ... الأمير يريد أن يتحدث إليكما .. هيا إنهضا

-السيف (بكسلْ): ماذا يجري ؟

-براكين الغضب منتفضاً: هل بدأت المعركة ؟ أين الرجال أين هم..

-الشهبندرْ (مبتمساً :(يا ليثْ إهدأ .. لم تبدأ المعركة بعدْ و لكنها على وشك أن تبدأ .. قبل ذلك يريد الأمير أن يتحدث إليكما..

-براكين الغضب (يشد على عينه اليسرى): إني قادمـــــْ..

تحت سفح الجبل والذي تلون بألوان النيران المشتعلة .. يقف الأمير ذو البدلة القندهارية البيضاء، و بعمامته و سلاحه في يده، و معه إثنين من المجاهدين .. فيتقدم منه براكين الغضب و السيف و الشهبندرْ:

-الأمير :حياكما الله يا أخوتي في الله .. أرجوكما أن تجلسا .. و تحتسيا قليلاً من الشاي..

-براكين الغضب: دام فضلك أيها الأميرْ .. جئناك و قلوبناْ شغوفةً بما تريد..

-السيف: نحن في خدمة إسلامنـــــاْ .. و سنقوم بخدمتكم أيضاً..

يبتسمْ الأمير و يجلس على الأرض ليجلس من بعده براكين الغضب و السيف و الشهبندرْ و رجلٌ آخر..

-الأمير (بحزم و جدية): أعرفكـــــماْ بعبدالرحمن .. يدي الأخرى بعد الشهبندرْ في عملياتنا الجهادية.. ماذا لديك يا عبدالرحمن ؟

-عبدالرحمن (يمسحْ على ذقنه): في الواقع يا أميرنا .. بعد مراقبتنا المكثفة للعدو .. أتوقع أن يتحرك وقت الفجر .. ووقت أذان الفجر تحديداً ليقينهمـْ بأننا سننشغل بصلاتنا.. هذا ما وصلني من عميلنا هناك..

-الأميـــــرْ: سحقاً لهـــــمـْ .. يظنون بأنهمـْ سينالوا منا .. ويلهمـْ ...ويلٌ لأمك يامن تستهين بالمسلمينْ .. لن ندعهمـْ يقتربون من قندهار .. و لا غير قندهارْ .. ألمْ يتعلم هؤلاء الأمريكان من هزيمة الروس على أيدينا ؟

-الشهبندرْ: بل أذاقهـــــمـــْ ليثنا الكثير عام ١٩٩٢م.. أتذكر تلك الأيام أيهاْ الليث؟

يبتســـــمـْ براكين الغضب .. و كأنه قد إحمر خجلاً .. أكثرت بمديحك لبراكين الغضب ياشهبندرْ و أخجلته.. J ..

-الأميرْ: إليـــــــــكمْ بالخطة .. أريد زرع قذائف هاون و بي إم المُشركة .. و هكذا أضمن أول مفاجئة للعدو لحظة بدء المعركة..

-براكين الغضب: بل مفاجعة نفجعهـــــا بهمـــْ..

-الأميرْ: أجل.. و على الأبطال الثلاثة أن ينزلوا لساحة القتال و يزرعوا تلك القذائف..

-براكين الغضب (متحمساً): صدقت و الله يا أميرنا .. أبطالٌ بحق!!

-الأمير (مربتاً على كتف براكين الغضب): الأبطال همـــْ أنت يا براكين و السيف و الفارسْ.

تجحظ عينا براكين الغضب من هول المفاجأة .. و يسعل من على إثرها السيف الذي كاد أن يختنق لولا رحمة الله عليه و تلاحق إخوته له بالماء ، و ياله من ماء حاااااااااااااار و كأنه إختزل حرارة النهار كله فيه..

نعود لخندقنا .. حيث يجلس براكين الغضب وخده على كفه .. و السيف يكثر من الصلاة .. فيسجد

و يركع .. و الفارس يترحـــم على أيامــْ عمله في معسكر بلده في باكستان..

-الفارس: ويلنا يابراكين ، لا خبرة لنا بهذه التكتيكات ، أنا طبيب و لست بجندي .. أتقن التصويب و فنون القتال .. لا النزول للساحة و زرع القذائف و الألغام ، نحن هالكون لا محالة يابراكينْ..

براكين ساهـــــمْ سارحٌ في عالمـــــٍ آخر .. و الفارس يتحدث و يتحدث .. لينضـــــمْ إليه السيف:

-السيف:لا تقلق أيها الفارسْ .. لقد قمت بالصلاة من كل قلبي حتى يوفقنا الله في مسعانا، الأمير يعتبرنا من خيرة رجاله و يثق بنا لذا .. لن نخذله أبداً.. !

-الفارس (بخبث): هل قمت بالصلاة لذلك أم خوفاً من الموت ؟

-السيف (ضاحكاً): هههههه .. أتريد الصدق؟.. الإثنين معاً .. ربمـــا لأنها معركتي الأولـــــى .. لأنقل صورة حقيقية لما يعانيه المجاهدون ، علي أن أكون بقلب الحدث .. إن كتب الله لي عمراً .. سأعود لبلدي بعد أن ينتهي الجهاد .. و سأكتب كل مارأيت و سمعت..

-الفارس: أما أنا لن أتوقف.. بالرغم من أني قد شددت الرحال لأجد أخي .. إلا أنني وجدت حلاوةً في ما أفعله .. أن أقاتل في سبيل الله مع إخوتي المجاهدين...

-السيف: براكين ؟.. مابالك صامتاً هكذا ؟ هل أرهبتك المهـــــمة الجديدة ؟ إستعد ياصاحْ ، سنتناول عشاءنا و من ثم سنذهب لنأدي المهمة ، الكل يعتمد علينا..

-الفارس: أنا متحمسٌ جداً .. و ماذا عنك يابراكين ؟

مازال براكين صامتاً .. كعادته عندما يتعمق في أمرٍ ما .. فيشد على عينيه اليمنى لتدخل لأسبار صدره أكثر فأكثر .. و يقومـــــْ بربط صور ما و مواقف ليكتشف شيئاً ما .. مامدى مصداقية ما نقله ذلك العميل إلى الأميرْ؟... و من يكون هذا العميلْ؟.. الموضوع عاديٌ جداً ..عميل يخدم المجاهدين .. يختلط بالجنود .. و يقوم بنقل المعلومات لهمــْ .. لكن الأجانب لا يثقون بأي غريب مهما كان ،وما ان يخدمهمْ حتى يقتلونه على الفورْ ، من هذا الواثق؟..

على الأغلب هو من ذلك النوع الجريء ..و الذي له قدرة هائلة على الإختلاط بكافة أنواع الناس .. و لديه قدرة على أن يحببهم لنفسهْ ..فيطمس على أعينهمْ و ينومهمْ مغناطيسياً .. لكن لم؟ .ماهو هدفه بالضبط؟..

أيعقل؟

يقوم براكين الغضب وسط دهشة السيف و الفارس .. و يقوم بصلاة ركعتين لله..

و يطيل السجود .. و يزيد الركعات لتصل لثمانية..

و من ثم ينزع عمامته القندهاري..

و بدلته القندهارية..

و يرتدي فوق ملابسه البدلة العسكرية الخضراء كالتي يرتديها الشهبندرْ .. و يضع على خصره المتفجرات

و كل ما يحتاجه من رصاص و يرتدي قبعته و التي كتب عليها

)الليث.. من أسود الاسلامْ..(

ينظر إليه الفارس و السيف .. بنظرات دهشة و عدم تصديق:

-السيف:ظننت الشهبندرْ يهذي .. يظنك بشخص مشابه لليث الذي يناديك به ، هل حقاً أنت من المجاهدين في الشيشان ؟.. و خضت معارك كثيرةً مع الروس الملاحدة هناك؟

-الفارس: لذلك لم ترعبك فكرة خوض معركة .. لك خبرة في هذا المجال إذا ؟

-براكين الغضب (و هو يتناول مايحتاجه من أسلحة و ذخيرة): أجل .. و هذه بدلتي .. إحتفظ بها الشهبندرْ عندما غادرت الشيشان لمحبته لي .. و ها أنا أسترجعها .. و أقاتل بين صفوف المجاهدين الأفغان ببدلتي العسكرية..

-السيف: لله درك يا براكين ..و كل تلك الأيام التي قضيناها معاً ظننتك شخصاً بسيطاً .. لا علم له و لا خبرة في الجهاد.

-براكين الغضب: إن الجهاد في الشيشان يختلف عن الجهاد في أفغانستان .. أحسست بأن روحي قد تاهت لحظة إعلان أميرنا بإنتهاء الجهاد هناك .. أحببت المرابطة في الثغور .. و لكمــْ أشعر بغبطة و تلذذ كلما طعنت أحداً من الروس .. ثأراً لشرفنا و نساءنا ..و ها أنا الآن أعود لتلك الأيامــْ ..و أجمل مافيها أني إلتقيت بكمْ .. و أحببتكمْ .. و شاركتكمْ . اللقمة و كسرة الخبز و قسوة الحياة والترحال .. و ها نحن الآن سنقاتل .. سنقف بوجه العدو..

-الفارس: يارفاق .. إن كتب الله لي عمراً معكم .. فسأبقى الفارس الذي عرفتموه .. سأبقى حافظاً للعهد الذي قطعناه على أنفسنا و أقسمنا عليه .. أما إن إستشهدتْ . فـــــ

-السيف: فسيكون لقاؤنا في الجنة بإذن الله أيها الفارس .. كل يبعث و رائحة مسك تنبعث من الدمــْ الذي يغطي جسده..

تدمعْ عينا الفارس .. و تتبعها دمعات من عيني السيف .. ليقترب براكين الغضب منهما .. و يحتضنهما .. فيبكي الفارس:

-براكين الغضب: لا تبكي الدنيا يافارس .. إنها دموع فرح أليس كذلك؟

-السيف: سأشتاق إليكما يا فارس و براكين .. إن إستشهدت أرجوكما بلغا محبتي لحمزة و تركي .. و قولا لهما بأنني أحببتهما في الله..

تنتهي تلك اللحظات التي أبكتني و أنا الكاتبة لهذا المشهد .. ليقف براكين الغضب على فوهة الخندق ... مودعاً للقرية بنظرة من عينيه .. و أصابعه لا تفارقها أبداً .. و هي مختبأة في جيب معطفه الداخلي.. و السيف يسحب سلاحه و قذائف الهاون .. و الفارس متسمراً في مكانه و كأن صاعقةً قد صعقتهْ ..فيضع براكين الغضب يده على كتفه و يهزه يعنف:

-براكين الغضب: هيي مابك ؟ هل أنت بخير ؟

الفارس صامتْ .. جامدٌ في مكانـــــهْ .. فملأ الرعب جنبات براكين و الذي وضع سلاحه على الأرض

و أخذ يهز الفارس بكلتا يديه بعنف:

-براكين الغضب (صائحاً): أجبنيْ هل أنت بخير أيها الفارس ؟

تتحرك عينا الفارسْ .. و تعود الحياة لجسده من جديد .. فيقترب السيف وذعرٌ ما في عينيه:

السيف: يا أخي قد أخفتنا .. هل أنت بخير؟

الفارس (و دمعة تريد أن تسيل): يارفاق .. إني بخير .. لكني قد لمحت إمرأة من أجمل ما رأيت .. تلوح لي من بعيد..

يصمت السيف و براكين الغضب .. و يتبادلان النظرات فيما بينها .. ليضم براكين الغضب صديقه الفارس لصدره بقوة ليبكي هو الآخر

و يضمهم السيف و يبكي رجالنا الثلاثة.. !!

ترى .. ماينتظركـــمْ يا مجاهدي الاسلام..

ماذا ينتظركم ْ ياأسود الاسلامْ..

نحن في إنتظار ..ْ

في إنتظارْ..

و قلوبنا معكمـــــْ..

ودعواتنا لكمـْ..

إنتظروني في حلقتي الثامنة ..

الحلقة الثامنة: الله أكبـــــــرْ!!

الساعة: الثالثة مساءاً

المكان: جنوب قندهارْ

يمشي براكين الغضب ْ بكل عزة و هيبة، ومن خلفه الفارس و السيف، كلٌ يحمل سلاحه بيدهُ، و قذائف الهاون التي يحتاجون إليهاْ، أراني أرى أسوداً تمشي على الأرض، و شررٌ يتطاير من عينيها، تود لو تغرس مخالبها بلحمـِ العدو و تمزقه إرباً إربا... براكين الغضب، السيف و الفارسْ، يشقون طريقهمــْ بين صفوف المجاهدينْ الذي بقوا مستيقظين ْ وينظمونْ الصفوف فيما بينهمــْ، والأميرْ و الشهبندرْ و عبدالرحمنْ يقفانْ ووراءهمــْ خلفية للمجاهدينْ الذي يتصايحون فيما بينهمــْ و يهتفون:

الله أكبرْ

الله أكبرْ

و نيرانٌ مشتعلةٌ، تشعُ ألسنتها في ذلك الليلْ، و تضيء الوجوه التي إختلطت بملامح الجدية و الرهبة، هو يومهــمــْ الأول، و قد أمضوا كل تلك الأسابيع في المرابطة هنا، و خاضوا حروباً بسيطة مع الجيش المعارضْ لطالبان و القاعدة، و همــْ هنا ليحموا قندهارْ، و يوقفوا أي تقدمــْ للعدوْ، لكن .. الخوف كل الخوف من المداد الذي أمد به الجيش المعارضْ، ألا و هم الجيش الأمريكي و قوات التحالفْ بطياراتهمْ ، و دباباتهمــْ و أعدادهمْ الكبيرة، هنا تكمن الرهبة برغــمــْ تفاؤل الأميرْ بالنصرْ .. و الله أكبر..

و العزة لله و للمسلمينْ

العزة لله و للمسلمينْ

:

:

:

يقترب براكين الغضبْ من الأميرْ و الشهبدرْ المشغولين بالخطط العسكرية التي أعداها:

-براكين الغضب: أيها الأميرْ.

-الأميرْ (مندهشا): مابك يا براكينْ ؟ .. و إلى أين أنتمْ ذاهبون في هذا الوقت ؟ موعدكمْ قبيل الفجرْ.

-الشهبندرْ (يتمتم في نفسهْ مبتسماً):" ها قد عدت أيها الليث .. أسدٌ من أسود الاسلامْ"

-الفارسْ: إننا ذاهبون لنزرع قذائف الهاونْ.

-السيف: لقد قمنا بتغيير الخطة .. نتوقع أن يهاجمنا العدو قبل الفجرْ ياأميرنا.

-الأميرْ (يضرب على جبينه دهشةً): و ما الذي أثبت لكمــْ صحة ذلك؟

تبادلْ نظرات بين أبطالنا الثلاثة، و يغمز على إثرها براكين الغضب للسيف و الفارس و الذين أومآ برأسهما و ابتسما. ليضع كلٌ منهما سلاحه على ظهره و يتقدما براكين الغضبْ، الذي سرعان ما أدار ظهره للأميرْ و أردف:

-براكين الغضب: ثق بنا ، ما عليك فعله هو أن تشحذ الهممــْ .. و تستعدوا لبدء معركة بعد ساعة على حد أقصى..

-الأمير (بجزع): لكن يا أخوتي في الله، لا نستطيع أن نبدأ المعركة قبل أن تعودا إلينا.

-السيف (بجدية): لا تقلق بشأننا .. سننضمــْ اليكمْ.. إنتظروا إشارة بدء المعركة منا.

-الفارس: و ما أن تروها حتى تبدئوا بالهجومـــ ..و متناسين وجودنا..

-الشهبندرْ (يمسح على لحيتهْ): بم تخطط أيها الليثْ ؟

-براكين الغضبْ (غموضٌ يعانق إبتسامته): بعد التفكيرْ .. وشيءٍ من التعمق.. إكتشفت بأن العدو أذكى مما نتصورْ..

-الأميرْ: و كيف ذلك ؟

-براكينْ الغضب: يطولُ شرحُ ذلك .. – يرفع رشاشه للأعلى و يقومْ بسحب الأقسام لتصدرْ دوياً .. - فيردف و لمعانٌ في عينيهْ:

-براكينْ الغضبْ: لكنْ .. صدقوني .. لست ببراكين الذي يخدعُ بسهولة..

يلتفت إليه السيف و الفارس ، ليسبقه السيف في مقاطعة براكين الغضبْ:

-السيفْ: خدعة من ؟.. من حاول خداعك يا براكينْ ؟

-براكين الغضب ْ (يزمجرْ): فلنذهب ْ ... أراكمْ في ساحة المعركة..

يقترب الشهبندرْ من براكين الغضب مبتسماً و يضع يده على كتفه:

-الشهبندرْ: متأكدٌ من أني سأراك يا ليث .. العزة لله و رسوله و لكل المسلمينْ.

يصرخ براكينْ الغضب و هو يلوح بذراعيه للأعلى و يزأر كالأسدْ:

الله أكبرْ

الله أكبرْ

و صوت واحد كالرعدْ يشق عباب الظلامــْ .. ليلتف جميع المجاهدينْ حول صاحبنا و يرددون معهْ:

الله أكبرْ الله أكبرْ

و الشهبندرْ يصفق عالياً. و الأميرْ و نظرات خوفٍ في عينيهْ .. و كأنه يساءلْ:

-هل ستعودونْ ؟

هناك.. قريباً من قمة المجاهدينْ .. يتسلق رجالنا الثلاثة يحاولون الوصول للقمةّ، و بدا التعب و الإنهاك على السيف الذي لمــْ يتعود على ذلك بعدْ، فيشد على يده براكين الغضب، و يشد من أزره الفارسْ، ليكمل الصعودْ و هو يزداد حماساً .. عشنا معاً.. و تشاركنا في كل شيءْ .. في لقمتنا .. شرابنا.. أتذكرون لياليـنا الرائعة؟.. أتذكرون مناجزاتنا .. و الآنْ .. نقاتل معاً .. إخوة .. بالرغـــــمْ من أننا لسنا من بلد واحد.. إلا أننا هنا .. و مع هؤلاء الأفغان .. نقاتل بعد أن ذابت جميع الفوارق بين أصابعنا .. هذا ما يدعوا إليه الاسلام .. التكافلْ .. التعاونْ ... و الثقة ببعضناْ البعضْ..

يصلُ رجالنا الثلاثة إلى قمة المجاهدينْ على سفح الجبل المقابلة للعدو.. و يصافحون الحراس ْ المناوبين في ذلك الوقتْ .. و يطلبون منهمــْ أن يكونوا دعمهمْ الخلفي في حالة ظهر أي جندي من الأعداءْ .. وهكذا .. تبدأ عملية النزول من جديد.. يحاول براكين الغضب الإعتماد على ضوء القمرْ في تلك الليلة .. و على حاسة السمع القوية لديه ليتحرى طريقه.. فيضع قدمه التي إلتحفت بذلك الحذاء العسكري على الحصوات الصغيرة .. و يتحسس طريقه بها ... و كذا يفعل السيف و الفارس .. لكن بأحذيتهم الأفغانية الأقل صلابة من حذاء براكين الغضب .. وصلوا للأسفل .. و ها هم يرون معسكر العدو من بعيدْ ..مضاءً بمصابيحَ و نارٍ قد أشعلوها في المنتصفْ..

-السيف: يالهذه الحراسة المشددة ، كيف لنا أن ننتصر عليهمْ ، أنظرا إلى معداتهمْ.

-الفارس: شششششششششش .. إعملْ بصمتْ .. علينا بالتركيزْ بعملنا .. لا تشتت أنتباهنا..

-براكين الغضبْ: يا سيفْ إحذرْ ، لا تقم بلفها هكذا .. ستفجرنا هكذا.

-السيف: كيف ذلك ؟ لقد علمني الشهبندر أن ألفها هكذا.

-الفارسْ: لا وقت نضيعه في العراك هنا .. فلننتهي من ذلك .. و نرجع للقمة لنعطيهمْ إشارة الهجومْ..

-السيف: و لم نهجم قبلهمْ ؟
براكين الغضب: لن نهجمْ .. بل سنكون على أتمــْ الاستعداد .. ما إن يبدأ العدوْ بالزحف نحونا .. حتى ينفجر هذا الحقلُ كله .. و بعدها.. نعطي إشارة الهجومــْ .. و نحاول نحن الدخول للمعسكرْ.

-السيف (صارخاً)! ماااااااااااااااااااااذا ؟

-براكين الغضب و الفارسْ: ششششششششششششششش

-السيف (هامساً): ماذا ؟ ندخل لمعسكرهم ، هل جننتْ ؟ هل أصابك مسْ ؟

-براكين الغضبْ: لحظة إلتهاءْ الجنود بالمعركة .. سنحاول الدخول للمعسكرْ .. ومحاولة تخريب ما نجده هناكْ ، لا تخف ليس الأمريكان بأغبياءْ ليقصفونا بالطائرات في منطقة جبلية كهذه..

-السيف: لا أعلمْ يا براكينْ .. لكن .. هذا هو الجنون بعينه ، لنكملْ الآن .. أعطني القذيفة التالية يا فارسْ..

ينهي أبطالنا زرع قذائف هاون و بي إم .. المشرّكة .. ليوصلوها بالأسلاك الكهربائية و يمدوا تلك الأسلاك بكل حذر مرة أخرى إلى القمة ..ووضعوا طرفي السلك و البطاريات ..
يكفي أن يتمـــْ وضع السلك بالبطارية
ليتفجر الحقل كاملاً .. وتضيء السماءْ وكأنها نهاااااااااااااارْ..

و ها قد بدأ براكين بالعد التنازلـــــي وكأنه يعرف وقت تحرك العدو .. لـــــــ

:

:

:

:

هل أتابعْ أمـــْ يكفيكمْ ذلك لليومْ؟..

انتظروني في المشهدْ الرابعْ ..

و ها قد بدأ براكين بالعد التنازلـــــي وكأنه يعرف وقت تحرك العدو .. لـــيسمعْ أصوات خطوات أقدامـــٍ قادمة من أسفلْ سفح الجبلْ ليهمسْ:

-براكين الغضبْ :ويحـــــهمـْ لقدْ بدأ زحفهـــمـْ الآنْ.

-السيفْ: سحقاً لهمـْ .. هيا يابراكين لنوقفهمـْ .. كما توقعت تماماً ياصاحبي، فقد بدئوا الزحفْ مبكراً..

-الفارسْ: هذا يعتبر الغشْ بعينهْ ، لعنة الله عليهمْ ، أنا ذاهبْ.

-السيف (ممسكاً لذراع الفارسْ): إلى أين أنتْ ذاهب ؟

-الفارسْ: لأعرقلهمــْ قبل إشارة الهجومْ ، عددهمــْ ليس بكثيرْ. . أستطيع أن ألهيهمْ قليلاً..

براكين الغضبْ: المصيبة بأنه ليس الوقت المناسب لبدءْ الهجومْ ، قد جهزت هذه المتفجراتْ لجلب الدبابات إلى هنا..

-السيف (بجدية): أتفكرْ بم أفكر به يا براكينْ ؟

-براكين الغضب (شاداً على عينه اليسرى):أجلْ فلنذهبْ.

-الفارسْ: ماذا عني ؟

-براكين الغضبْ: إبق هنا أيها الفارس .. لحظة أن ترى الدبابات و الجنودْ قد إقتربوا من الحقلْ .. ماعليك إلا توصيل الأسلاك بالبطارية .. فينفجر بهمْ الحقلْ . على الأقلْ نزلزلهمْ في البداية ، و هذه هي إشارتنا.

-السيف (نازلاً): سأتقدمكْ يابراكينْ..

-الفارسْ: وماذا عن الدخول لمعسكرهمْ ؟

-براكين الغضبْ :إنضمْ أنت لجبهة الشهبندرْ .. و أنا والسيف سنتسللْ إلى هناك..

-الفارس (متسائلاً :(ماهدفك من ذلك يابراكينْ ؟

-براكين الغضبْ (مبتسماً): ستكتشفْ ذلك لاحقاً .. و الآنْ .. أراك .. لا إله الا الله..

-الفارسْ (ونظرة تائهةٌ في عينيهْ): محمدٌ رسول الله..

براكينْ الغضب و السيف ينزلان بهدوء وخفة لأسفل الجبلْ .. محاولينْ التخفي بعيداً عن الجنود الأربعة متشحينْ برداء الليلْ... يختبئ براكينْ و السيف وراء شجرة خضراء:

-براكين الغضب (هامساً من بين أغصان الشجرة): سأجهزْ على أحدهمْ . و عليك بالآخرْ

-السيف (وعينيه لا تفارق الجنود): وماذا عن الجنديين الباقيين ؟

-براكينْ الغضبْ: لا تقلق سيرتعدان و يعودا إلى المعسكرْ .... و سيأتي الجيش بأكمله ْ غاضباً ثائراً. و بعدها..

-السيف (بخبث): خخخخخخ.. سيفجرهمــْ الفارسْ ، الأغبياءْ.

-براكين الغضبْ: ها هم يقتربونْ .. واحدْ ... إثنانْ .. ثلاثةٌ .. الاآآآآآآآآآآآآآآآن.
يقفز براكين الغضب على أحد الجنود و يطرحه أرضاً ..فيعالجهُ بضرباتٍ مبرحةٍ.. بينما السيف قد إستل خنجرهُ وغرسه ببطن أحد الجنودْ الذي أخذ يصرخ ويصرخْ . رفيقاه قد رميا أسلحتمــْ وولوا هرباً:

-أحد الجنود Hurry up Run Run:

-السيفْ (يضحكْ): ثكلتكمــْ أمهاتكمْ ياأبناءْ الكلابْ ، هاهاهاهاهاهاها ..أخفناهمــْ يا براكينْ .. كما خططنا لها يا براكينْ...

-براكينْ الغضبْ: لنعدْ الآن لقمة المجاهدينْ وننتظر مجيــئــــ..

ضوء ساااااااااااااااااطعْ وأصوات قصفٍ وتفجيرات في كل مكانْ .. قد بدأ الهجومْ مبكراً..

-السيفْ (مذعوراً متشبثاً بملابسِ براكينْ): براكينْ لقد أتت الدباباتْ ، فلنهربْ.

-براكين الغضبْ: بلْ سأنتظرْ..

-السيفْ :براااااااااااااااااكينْ .

المَشهـــــد الرابـــــع

مَعركتُنـــا الأولـــى

أيقظ هدوء الليل أصوات التفجيرات و القصفْ التي تقوم بها الطائرات الأميركية قريباً من قمة المجاهدينْ ..و قصفٌ متتابعْ للدبابات ناحية الجبلْ تود أكل كل شيء وإحراقهْ.. و الجنودُ في تقدمْ و تقدمــْ نحو الجبل ..و خلف ذلك الجبلْ ينتظر جيش المجاهدينْ .. كلٌ حاملٌ لسلاحهِ متأهبٌ لإشارة بدءْ الهجومْ.. ينتظر ذلك الجيشْ .. بجميع جبهاته الثلاثة بما فيها جبهة الأميرْ و الشهبندرْ..

ينتظرونُ إشارة أبطالنا ليبدئوا بسحق العدوْ..

مازالت الدبابات تقصفْ .. و تحرق كل شيءٍ أمامها .. فقلبتْ ليلَ ذلك اليومــْ إلى نهارْ .. والنيران تتصاعدْ.. تتصاعدُ بغضبْ وحنقْ.. وكأهنها تكيلُ باللعناتْ .. و الأدخنة في تسابقْ .. من يصلْ للسماء أولاً .. والأرضُ تبكي برياحها .. التي حملت رمادَ أشجارها وبعثرتها في الهواءْ...تقترب الدبابات .. تقترب ُأكثر فأكثر .. تدهسْ كل أخضر و يابسْ ..و الطائراتُ توقفتْ عن القصف تمهيداً للسماحْ للجنودْ بأن يزحفوا أكثر ْ فأكثرْ..

و الكلُ يهتفْ:

- America… America.. *** Muslims**

فالمجاهدون في الضفة الأخرى من الجبلْ .. و سيقومون بقتلهمــْ واحداً تلوَ الآخرْ ..و سيقومون بسجنهــمْ و تعذيهمْ حتى الموتْ لـــــ!!...

:

:

ضوءٌ مشعٌ في قلبِ السماءْ .. و إنفجارٌ عظيـــــمــٌ هز أركان الأرض.. و زلزل لها الجبال ..و تطايرٌ لتلك الكتل الثقيلة .. و أجسادٌ تتطاير هنا و هناكْ..

و تهليلٌ من فوق قمة المجاهدينْ تهتفْ:

الله أكبرْ الله أكبرْ

:

:

:

:

يصلُ صوت ذلك الانفجار للجبهاتْ الثلاثة .. تلك هي الإشارة .. تلك هي إشارة مجاهدينا:

-الأميرْ (صائحاً): الله أكبرْ سندحرهمــْ اليومــ و نذيقهمــوْ الويلْ .. تقدموا يا أسود الاسلامْ..

يتقدمــْ المجاهدينْ .. أسود الاسلام،،ْ . بخطوات ثابتة و قويةٌ.. تسبقهــمْ الرغبة بالشهادة ..وكسب رضوان الله تعالى عنهــمــْ .. تتحرك الجبهة الثانية و الثالثة وفق الخطة الموضوعة .. يصلُ المجاهدين للحقل المتفجرْ .. و يلقون تلك النظرة الشرسة على ذلك الدمار الذي سببته القذائف ..و ما أن تلتفت الجموعْ الفزعة من المفاجئة جهة الجبل .. حتى يصرخْ الجنودْ و يحاول المصابْ ..و الأعرجْ .. أن يقوم من فوره و يجري .. و الآخرين الذين أتوا لنجدة من بقي حيا أخذوا يتدافعون فيم بينهمــْ كالمعز الضائعْ .. كلٌ يبحث النجاة ْ النجاة ..

تنزل أفواج المجاهدين و صراخٌ من بين صفوفهمــْ ..كلٌ حمل سلاحه و أخذ رصاص الرشاشات يتطاير من فوهة الرشاشات و المسدسات ..و ها أنا أرى مجاهدي الجبهة الثانية قد باغتوا الجنود من جانب الحقلْ . .و أشقاءهم من الجبهة الثالثة قد إنضموا إليهمــْ من الجهة المقابلة لهمــْ.. ليتمــْ تتطويق الجنود المصدومينْ ..فيصب مجاهدي الاسلامْ جام غضبهمــْ فيهمــْ ليثأروا منهمْ ويشربوا من دمائهمْ ثأراً وغضباً ..فينقضوا عليهــمْ كطائرٍ جارحْ ...و يمزقوهمْ إرباً

إذا بهذا المجاهدْ يغرس خنجرهُ ببطن هذا الأمريكي .. فيتفجرُ الدمــْ من عينيه و فمه..و آخر يغرق جندياً آخر في بحر من دمائه بعد أن أشبع جسده برصاصات رشاشه . .و آخر ..يسحق جندياً بدبابته مكبراً مهللاً .. لتصبح تلك الليلة مذبحة .. مذبحة لكل من تسول له نفسهُ بأن يعتدي على المسلمين و على أعراض المسلمينْ..

أيظنون بأن دمائنا رخيصة .. و أننا صامتون عن تدنيسهــمْ لشرفنا. .

الله أكبرْ

الله أكبرْ ياقرائي الله أكبرْ

تدور المعركة و تشتدْ بدخول فوج آخر من جنودْ القوات الأميركية و التحالفْ .. و قوات المعارضة ..الذين بالرغـــمْ من كثرة عددهمــْ .. إلا أنهم يخرون من أول ضربة من المجاهدينْ ..و منهم من هرب و منهم يقاتلُ و لا يقاتلْ خشية من قوة إيمان المجاهدينْ و قتالهمْ العنيف و القويْ ..و إجادتهمْ لتطويقهمْ بطريقة مباغتة هزت الصفوفْ .. و معها . .لا يملك الجنودْ إلا التراجعْ ..و لكن ماذا ؟
هيهاااااات أن ينظروا للوراء ، قد حاصرتهمْ جموع المجاهدينْ .. و نظرة إلى أعينهمْ .. تكفي لأن يترحمْ المرءْ على نفسهْ .. و ما هي دقائق حتى أجهز الأسود على البقية المتبقية من الجنودْ ..سحقوهمْ سحقاً وسط مباركة القمرْ و تصفيق الريح التي هاجتْ وغضبتْ لحظة بدء زحف هؤلاء الأنجاسْ....

:

:

لكنْ.. مهلاً...

أين أبطالنا ؟ و أين ذهبوا ؟ .. قد رأيت براكين الغضبْ .. و السيف .. يقاتلون بين الصفوفْ . فيغرسون خناجرهمــْ ببطون الجنودِ و يقتلعون أكبادهمــْ من بطونهمــْ و يرمونها أرضاً.. قد رأيت السيف يقاتلُ ببسالة ..و براكين الغضب بثورانهِ و غضبه يرعشُ الجنود خوفاً منه .. و ماهي لحظات حتى يجهز عليهــمْ..

:

:

:

لكن الآن أين هما ؟

أخذ المجاهدين يكبرون .. يكبرون ويكبرون..

و أراهم يحملون الأمير و الشهبندرْ على الأكتاف .. و أرى أمراء الجبهات الأخرى يصفقون فرحاً و يطلقون الرصاص إحتفالاً بهذا السحق و الإنتصار العظيــمْ:

-الأميرْ: كل الفضل لله ثمَّ لبراكين و السيف و الفارس .. لولا سرعتهمْ و إبلاغهم لنا بأن نستعدْ .. لما إنتصرنا في المعركة...

-الشهبندرْ: إنه الليث أيها الأميرْ .. إسألني عنه أعرفه معرفة الأم لطفلها .. لكن .. لكن أين هو؟

-عبدالرحمنْ : قد نسيناهمْ وسط فرحنا بالنصرْ..

-الأميرْ: لم ننتصر بعد ، بل ألحقنا خسائر جمة في صفوفهمْ .. و لن أعطيهم الفرصة ليعودوا أدراجهمْ ..لم تنتهي المعركة .. أيها الشهبندرْ .. أعطي الإشارة الثانية لنبدأ بالخطة الثانية ونسلخ معسكر العدو سلخاً ونمحوه عن خارطة البلادْ..

-الشهبندرْ: أمركْ...

الحلقة التاسعة:المتمـــــــــردْ!!!

الوقتْ: أثناء المعركة بعد خروج جيش الأمريكانْ و المعارضْ للمعركة

هناك.. في مكانٍ قريبٍ من معسكر العدوْ .. براكينْ الغضب يزحف على بطنهِ و من خلفهِ السيفْ .. ومنْ ثم يلوحُ صاحبنا بيدهِ للسيف من الخلفِ للأمام وكأنهُ يقولُ له إتبعنيْ . فيقوم من فورهِ و يتبعه الفارسْ .. يستمران بالإقتراب من المخيمْ .. مخيمْ خلا من الجنودْ تقريباً و الحراسة ضعيفة جداً نتيجة الصدمة التي تلقوها فاستعانوا حتى بالحراس ليسدوا النقصْ في الصفوفْ ..

يقفْ براكينْ ملصقاً ظهرهُ لأحدْ الخيام ومرخياً ذراعيه للأسفلْ و كأنه يقومــُ بتمويهٍ ما و السيفُ يكثرمن النظر يمنة و يسرة خشية أن يباغتهمــْ أحدْ الجنودْ .. فيهمسْ براكينْ:

-براكينْ الغضبْ : إليك ما سنقومُ بهِ الآن ، سنبحثْ عن الأسرى المحتجزينْ في المعسكر.. نطلقُ سراحهمْ و نثير الفوضى هنا بإشعالْ النيران لنشغلْ الجنودْ الموجودينْ هنا.. و من ثم سأضع أنا القذائف المتبقية معي لأنسف المعسكرْ قبل إنتهاء المعركة و عودة بقية الجنودْ.

-السيف: يبدوا لـــــي عملاً خطراً يا براكينْ . كيف لي أن أعرف أي هذه المخيمات سجناً و أيها غرفُ نومْ ؟

-براكينْ الغضب: لا توجدْ غرف نومــٍ هنا ، كف عن السخرية و ابدأ العملْ أرجوك لا تتأخرْ .. سألقاك في الساحة بعد الإنتهاء من المهمة..

-السيف (مندهشاً) :و إلى أين أنتَ ذاهبْ يابراكينْ ؟

-براكينْ الغضب (ممسكاً لرشاشهِ مصدراً ضجيجاً بمقبضهْ): لدي حسابٌ قديمــْ و أريدُ أن أصفيهِ مع أحدهمــْ.

-السيفْ: حساب ؟ أي حساب ؟ و كيف حصل ذلك و مع منْ ؟

-براكين الغضب: توقف عن أسئلتك الصحفية و هيا للعملْ هيااااااااااااااااااااااا..

-السيفْ: حسنٌ .. أنا ذاهبْ.. ذاهب لأقومــْ بالجنون الذي بدأتهُ معكْ..

يفترقُ الرفيقانْ .. كلٌ يتحذرُ في خطواتهْ خشية أن يسمعَ الجنودْ أصوات خطواتهمْ و يتعرضوا لهمـْ . للوهلة الأولى يبدوا المعسكرُخالياً من الجنودْ .. فقط تلك النارْ التي تتراقصْ في وسط المعسكرْ و التي إنعكسَ ظل ألسنتها على الخيامْ القريبة منهاْ .. السيفُ يبحث هنا .. و يبحث هناكْ .. يركضُ تارة ..و يقفز تارة أخرى و يزحفْ .. – و كأننا أمامْ فيلمْ رامبوا – .. يفتحُ أبواب الخيامـْ بخفة و هدوءْ خشية أن يجد أياً من الجنودِ في الداخلْ .. يا إلهي!! أتعلمـــــون بأن المعسكرْ يحتوي على ٥٠٠٠ آلاف خيمة ، هذا فقط لجيش الإحتلال و التحالف . من دون خيامْ الجيش المعارضْ...

-السيفْ (متأففاً): يالهذا العملْ الشاقْ ؟ لـــــمْ أقطع كل هذه المسافة من الخليج لأواجه كل ذلكْ ؟ الحر يقتلني، يقتلني ، أين أولائك الأسرى ؟.. ربما كان أصدقائي مأسورينْ من قبل هؤلاء الأنجاسْ ..ربمـــــا همْ محتجزونْ في هذه الخيمة.. لأفتحهاْ و أرى .. و..

:

:

نعودُ لبراكين الغضبْ.. لليثناْ .. أراهُ يجولُ و يصولُ بين الخيامْ .. من غير بأسٍ أو خوفْ و ما إن يظهر في وجهه أي جندي .. حتى يسارع في مباغتته بسرعة .. فيضربه بمؤخرة رشاشه . ليسقط سلاحه..و من ثم يمسك بجسدِ الجنديْ و يدور به في الهواءْ و يرميـــــه دائخاً على الأرضْ ، .. ليخنقهُ بين يديه .. و يكسر عنقه كي لا يصدر أي صوتٍ قد يكون بمثابةِ إنذارٍ لأي جنديْ بالمعسكرْ.

:

:

:

:

يقتربُ براكينْ الغضبْ .. و يفتح المخيماتْ .. ياإلهي في معظمهاْ هي خالية ، هل يعقل أن يكون جميع الجنود في ساحة المعركة الآنْ ؟ .. مهلاً. أصواتٌ قادمة من هذه الخيمة .. لاااااااا . يوجدْ وراءها سجنٌ حديدي .. أرى أناساً بزيهمْ الأفغاني.. نساءاً و أطفالاً يبكونْ .. و شيوخاً قد نال منهمْ العمرْ و لحظات الألمْ .. متراصين في مكانٍ ضيق و مظلمْ و قذرْ..

يقترب براكينْ من السجن .. و اذا الأسرى يقفون و يهتفون لبراكينْ بلغتهمْ الأفغانية و كأنهمْ يستنجدونْ .. فيصيح أحدهمْ ممن يتقن العربية:

-إحترسْ خلفكْ..

يلتفتُ براكين خلفهُ ليركله أحدُ الجنود و يطرحهُ أرضاً مغرقاً براكين باللعناتْ .. فيمسكُ براكين الجنديْ من ساقه و يطرحهُ أرضاً ..فيثب عليه بكل قوتهِ و يدمي وجهه و رأسه بلكمات يده القوية .. فيفرغ رصاصات مسدس العدوْ نفسه في رأسهْ .. و من ثم يقف و يبصق على جثة الجنديْ:

-براكين الغضبْ: لعنة الله عليكْ.

يقتربُ براكين من باب السجن و الأسرى يهتفونْ و يهتفونْ .. و رجلٌ من بينهمْ يوجه براكينْ و يخبره عن كيفية كسر هذا النوع من الأقفالْ .. ليركلهُ براكين و يحاول تحطيمه بعظمة يده و برشاشه.. فيضرب بقوة .. يضرب و يضرب و يضربْ.. فيكسرُ القفل..و تخرج تلك الجموعُ المجنونة... تهتف الله أكبرْ .. الله أكبرْ.

-براكينْ الغضب (صائحاً): من هنا .. إذهبوا من هنا .. من هذا الطريقْ كيلا لا تلتقوا بالجيشْ العائدْ من أرض المعركة..

و الجموعُ مازالت تركضْ .. وبراكين الغضب يحك رأسه مندهشاً.. هل فهمت هذه الجموع ما أعنيهْ..

يقترب الأسيرْ من براكينْ الغضب.. فيربتُ على كتفه قائلاً:

-الأسيرْ (مبتسماً): لا تقلق ، لقد فهموا ما وجب عليهمْ فعلهْ .. أشكرك على تحريرك لنا أيها البطلْ .. قد طالَ إنتظارنا في هذه القذارة..

-براكين الغضب: لا تشكرني .. هذا واجبي .. أيوجد سجنٌ آخر هنا ؟

-الأسيرْ: يوجدُ سجنٌ آخر في الجانب الآخرْ من المعسكرْ..

-براكين الغضب (محدثاً نفسهْ) : " تلك الجهة التي قصدها السيفْ !! آمل بأنه لم يواجهَ أية مشاكلْ.. "

-الأسيرْ: .. و من أنت أيها البطلْ ؟

-براكين الغضب: أسدٌ من أسود الاسلام.. و الآن هيا إلحق ببقية الأسرى ..,لدي عملٌ هنا..

-الأسيرْ (محدقاً ببراكينْ): مممممم.. لابد بأنك براكينْ الغضبْ أليس كذلك؟

-براكين الغضب (مصدوماً): كيفْ ؟ كيف عرفت إسمي يارجل ؟

-الأسيرْ (مبتسماً):لست بغريبٍ عنا يابراكينْ .. بطولاتك أنت و خطاب و القطري و التركي و كل أخوتكم العرب قد وصلت إلينا ..لكني عرفتك شخصياً من شخصٍ ما تعرفهْ..

-براكين الغضب (على إستعجالْ): ومن يكون هذا الشخصْ ؟

-الأسيرْ: أسيرٌ أسره جنودُ الإحتلال بالأمسْ لا أعرف قصته .. لكنهُ عربيْ أصيلْ . بدوي اللهجة .. لمْ تفارقهُ إبتسامته أبداً رغم التعذيب الذي أذاقه إياه هؤلاء المحتلينْ.

-براكين الغضب (هاتفاً): الأصمعي ، إنه الأصمعي إنه صديقي.. أين هو ؟ ماذا حصل له ؟

-الأسيرْ: إهدأ .. لقد كان بطلاً حقاً .. أدخل لخيمة التعذيب لحظة وصوله ... قد سمعت أنه قد أغاظ الجنرالات و رفع لديهم الضغط ببروده فكان غير آبه.

-براكين الغضب (وحزنٌ في عينيه):و أين هو الآن يا رجل؟

-الأسير: لقد أحضروه إلينا .. منهكاً متعباً .. جسده مثكلٌ بالجروح و الدماء.. لكن كلمة لا أنساها قالها: سيأتي براكين الغضب .. سيأتي ..رجلٌ في ملامحه غضب و إعصار.. و عينيه تنطق بشراسة ليقتلع جلودكمْ بمخالبه ..و من ثم أخذه الجنود .. . أعتقد بأنهُ قد تم نقله إلى كابولْ..

-براكين الغضب: صاحبي .. صاحبي الغاااااااااااااااااااااااااااااالي .. آآآآآآه يا قلبي آآآآآآآآه .. سحقاً لأولائك الأوغادْ .. ليتني أعلم بمن وشا بصاحبيْ .. ليتني..

-الأسيرْ: أنا أاعرفه ، هو عميلٌ للقوات الأميركية .. سمعت بأنه قد عمل في الإستخبارات الروسية من قبل .. واشترك مع قوات الروس والصرب في حربهم على الشيشان و البوسنة و الهرسكْ..

-براكينْ الغضبْ (و لمعـــانْ في عينيه): أتعلمْ أين هو الآن ؟.

:

:

:

:

-هاااااااا أنا ذا خلفك يا براكينْ الغضبْ..

-براكين الغضب (مبتسماً دون أن يلتفت للخلفْ): مرحباً بك يا تركي .. ها قد إلتقينا من جديد يا صديقي.

يلتفت براكين الغضب للخلفْ .. و ينظر إلى تركي الواقف ببذلة عسكرية بحتة .. و بشكلٍ مختلف .. قد رمى بدلته القندهارية

الصفراء .. و تخلى عن نعليه .. و ارتدى هذا الزي العسكري .. و قد حلق ذقنه.. و ارتدى قبعةً عليها علم الاتحاد السوفييتي .. فيحدق من تحت قبعته في عيني براكين الغضبْ الغاضبتين و المشتعلتين بألسنة اللهبْ و الثأرْ..

-براكين الغضبْ (شاداً على عينه اليسرى): قد عدت لأصفي حسابي معك يا تركيْ.. !!

-تركي: هههههههههههههههه .. و كنت أنتظر عودتكْ يا براكين الغضبْ . و على فكرة لست بتركي.

نادني بالمتمردْ..

أيعقلْ ؟ هل هذا تركي ؟ تركي الذي أحببنا ظرافتهُ و خفة دمهْ...

تركي الذي أبكانا معهُ وهطلت لأجله الدموعُ..

و تألم القلب لهْ ؟

ويحنا .. ها هو تركي يشرعُ مسدساً بوجه براكينْ..

ألقاكمْ في حلقتي العاشرةْ..

الحلقة العاشرةْ: إشتقت لشيشانَ قلبيْ!!

لكـــــــــمـْ أن تتخيلوا تلك المواجهة بين الصديقينْ كماْ قرأناْ من قبلْ ..السماء ملبدةٌ بالغيومـْ تبكي عيناها من الأدخنة المتصاعدةِ من قصفِ الصواريخ و الدباباتْ و إنتحارْ المتفجراتْ ..تحت تلك السماءْ المظلمةْ .. و في مكانٍ ما في معسكر جيش الإحتلالْ الأميركي .. يقفُ براكينْ الغضبْ وقفة قوة و عدم بأسٍ و خوفْ .. و أمامهُ يقفُ تركي مدججاً بأسلحته و بذلتهِ التي كشفت لنا بدايةَ حقيقيةٍ ماْ .. ها هو يقف مصوباً مسدسهُ تجاهَ صاحبنا الغير مهتمْ أصلاً .. و يقفُ الأسيرْ إلى جانبهِ و شررٌ ما يتطايرُ في عينيهْ .. نعودُ لحظاتٍ للخلفْ .... و كنا عندما صاحَ تركي قائلاً:

-هاااااااا أنا ذا خلفك يا براكينْ الغضبْ..

-براكين الغضب (مبتسماً دون أن يلتفت للخلفْ): مرحباً بك يا تركي .. ها قد إلتقينا من جديد ياصديقي.

يلتفت براكين الغضب للخلفْ .. و ينظر إلى تركي الواقف ببذلة عسكرية بحتة .. و بشكلٍ مختلف .. قد رمى بدلته القندهارية الصفراء .. و تخلى عن نعليه .. و ارتدى هذا الزي العسكري ..و قد حلق ذقنه.. و ارتدى قبعةً عليها علم الإتحاد السوفييتي .. فيحدق من تحت قبعته في عيني براكين الغضبْ الغاضبتين و المشتعلتين بألسنة اللهبْ و الثأرْ..

-براكين الغضبْ (شاداً على عينه اليسرى): قد عدت لأصفي حسابي معك يا تركيْ..

-تركي: هههههههههههههههه .. و كنت أنتظر عودتكْ يا براكين الغضبْ . و على فكرة لست بتركي.

نادني بالمتمردْ..

-براكين الغضبْ (بضحكته الساخرة): اوه حقاً متمردْ ، لمـــْ أتوقعَ أنك تملك الشجاعةَ يوماً ما لتصبحَ متمرداً .. على الأرجحْ بأنك تختفى كالجرذ تحت هذه البزة القذرة.

صوتُ إطلاقٍ للنارْ شق قلب السماءْ.

لمـْ يتبعهُ الا إبتسامة خبيثةٌ من المتمردْ .. و إبتسامة ساخرة من براكينْ الغضبْ

المَشهـــــد الخـــامِـــس

أين أنـــت ؟

ترقدُ على سريرهاْ كجثةٍ هامدةْ .. حيث فقدت خدودهاْ نضارتها..

و اكتسى وجهها بمسحة حزنْ و ضيقْ وكأن الدمـْ قد سحب من شرايين و أوردة وجههاْ..

عيناها تنظرُ للسقفْ .. و دمعٌ قد جف في مقلةِ العينْ .. و لسانٌ يهمسْ..

يهمسُ بصوتٍ خافتٍ مبحوحْ وسط بكاء الأمـْ و الأخواتْ..

و أبٍ يضرب الجدار بكلتا يديهِ حسرةً و أسا .. و كلمات و كأنها تئنْ .. تعصر القلب ألماً و حزناً

-أين أنتْ؟... أين أنتْ ؟

همسٌ سرعان ما تحول لهستيريا و ضرباتٌ قويةٌ على السرير تطيحُ بأنابيبْ الجلوكوزْ و إرتفاع للصوتِ فصياحْ.. و تدافعٌ للأطباءْ و الممرضاتْ.. و نحيب أمـــٍ

منهارة و صراخ أبٍ متألمـْ..

عودةٌ لساحاتِ أحد المعارك في أفغانستانْ ... و في معسكر جيشْ الاحتلالْ بالتحديدْ..

-المتمردْ: أتعرفُ يا براكينْ ؟.. أكثر ما يعجبني فيكْ سخريتك التي تذيب الجليدَ قهراً .. إني لأدهشُ من رجلٍ لا يخشى الموتْ في حين أنهُ يواجهُ الموتْ!

-الأسيرْ: و هل تتوقعُ أن يخشاهُ براكينْ الغضب ؟

-المتمردْ (بسخرية): لا .. لا أتوقعُ أن يخشاه براكينْ الغضبْ .. لكن على الأقلْ أن ترتعشَ عيناهْ.. لكني لا أرى أيةَ رعشةٍ أو رهبة..

-براكينْ الغضبْ: تركي ليس هذا وقت ذكر الفضائلْ .. جئتُ لأصفي حساباً خاصاً معكْ .. و أحببت أن أكون وحدي لأني المعنيْ بالموضوعْ..

يلتفتُ براكينْ الغضبْ جهة الأسيرْ ... مناولاً إياهُ مسدساً:

-براكين الغضبْ: الطريقُ من هناكْ يا صاحْ .. إتبعْ هذا الطريقْ .. أريد أن تتركني وحدي مع صديقي العزيزْ تركي..

لحظتها أحس الأسيرُ بأن يترك براكين الغضب و تركي وحدهماْ..

فأومأ بالإيجابْ.. و ترك العنان لقدمهْ لتلحق بالأسرى..

-المتمردْ: براكين الغضبْ .. أعلمْ بأنك ذكيْ جداً و بأنك لا تخدعُ بسهولة .. لكن عندما أحسستُ بذلك .. آثرت أن أغير إستراتيجيتي معكْ.. فقصدت أن

أفتعل دور المتعبْ .. و رافقت الأصمعيْ .. هروباً منك .. و لأبعد أغلى ما لديكْ عنكْ.

-براكين الغضبْ (ساخراً): يارجلْ ، من قال لك بأني أملك إحساساً ؟ أنا أسدٌ لا أفكر بأمي و أبي وقت الجهادْ ، أتخلى عن كل شيءْ من أجل المولى عز

وجلْ.. و قد أخطأت تقديرْ الأمورْ..

-المتمردْ :ربما أخطأت بذلك يا براكينْ ... و اكتشفت فداحة تلك الغلطة .. لكن كان علي أن أفعل ذلكْ..

-براكينْ الغضب: أعلمْ .. لم تكنْ إلا جاسوساً إندس بين صفوفنا يا تركيْ ، كنت بالأحرى عميلاً يريد إلتقاط كل صغيرةٍ و كبيرة .. يعملُ للأجانب مقابلَ

إمتيازاتٍ رخيصة..

-المتمرد (غاضباً): و ماذا فعلتم لنا أيها العربْ ؟ بالله عليك يا براكينْ .. لمَ تظلمني هكذا وحدك تعلم بقصة حياتي .. و بمعاناتي .... وحدك تألمت لألمي و أنا رجلٌ لم تسقط دمعتي أمام أحدٍ من قبلْ ، كرهت نفسي و الدنيا كلهاْ.. و لم أجد هويتي ...كيف ندعي بأننا مسلمونُ و في نفس الوقت نَعملُ لحساب أعدائنا .. أرجوك يا براكين الغضب .. لا تخدعني و تخدعْ نفسكْ

.. هذا حال الدنيا..

-براكينْ الغضبْ: هذا ليس بحالٍ يا تركي.. بل هي الخيانة لله و رسولهِ.. دعك من حكامـــِ دولنا العربية.. و أنظر لنفسكْ .. لا يغير الله مابقومـــٍ حتى يغيروا ما بأنفسهمـْ..ان كنت أنت تتبع هواك .. و أنا أتبع هوايْ .و الكل تائهٌ ضائعْ .. هل تتوقع من الله أن لا يغضب من ذلكْ ، الضياعْ و الألمـْ الذي تعيشُ فيهْ نابعٌ من ضعف إيمانكْ .. و عدم إيمانك بالقضاءْ و القدرْ .. و عدم ثقتك بالله .. و هو عذابٍ من الله لك .. و سيزدادُ يوماً بعد يومـْ..

-المتمردْ: كف عن نصائحك الدينية يا براكينْ.. قد سئمت منها .. ماذا فعلَ الله لـــي يابراكين ؟ لا أعرف من همـْ.. والدايْ ، تعرضتْ لأفعالْ شنيعة .. تهت و ضعت في تلك الطرقاتْ..

-براكينْ الغضبْ (مقاطعاً): و قد عوضك الله بأن أرسل لك من يعطيك الحب و الحنانْ .. و يطعمك و يسقيك .. لكنك جاحدْ .. جاحدٌ لكل شيءْ.. فضلت الرحيلْ .. أيام الحرب.. و التحقت بالقوات الخاصة بروسيا.. و أصبحت عميلاً هناكْ ..حالك من حال باقي الخونة من العربْ الذين خانوا الدين و الوطنْ..

-المتمردْ (صامتاً.. ... .. : (

-براكين الغضب (ساخراً): ثق بأني قد كشفتك لحظة قلت لي بأنك رحلتْ .. و لم تجبني .. أتذكرْ؟.. و عندما رافقت الأصمعي .. كانت تساورني الشكوكْ.. لكني فضلتْ الصمتْ .. و عندما كنا نستعد للمعركة مع المجاهدينْ.. وصلنا تقريرٌ من عميلٍ ماْ في معسكرْ العدوْ يخبرنا عن الوقت المتوقع لهجومـــِ العدوْ.. و من غير العميلْ المزدوْج يستطيعُ عملَ ذلكْ..

-المتمردْ (جاحظاً بعينيهْ): ويحكْ.

-براكين الغضبْ: أجلْ.. عميلٌ مزدوجْ ..لاااااااااااااا بل دعني أكملْ.. أتذكر ذلك اليوم الذي تشاجرنا فيهْ ياتركي ؟ ..عندما وقعنا من على العربة و سقطنا أتذكر جيش المسلحينْ ذاك ؟ أعلـــمـْ بأنها لم تكنْ سوى مسرحية منكْ لتكشفَ ما تريد منا نحن الأربعة ، إكتشفت بأن السيف يتقن عدة لغات منها الأفغانية .. و إكتشفت صلابة الأصمعيْ .. و إكتشفت قوتي أنا الذهنية و الجسدية.. و إكتشفت هدوء الفارسْ.. كنت تبحث عن شيءٍ ما يا تركيْ.. تبحث عن عميلٍ جديدْ .. تختاره من بيننا و من بعدها ستجهزُ على البقية..

يصفقُ تركي بكلتا يديهِ عالياً .. و صفقاتهُ تشتدْ و تشتدْ .. و براكين الغضب ْ لا يحرك ساكناً .. ليبادر تركي بالحديثْ قائلاً:

-المتمردْ : بحياتي لمْ أصادف شخصاً بذكاءك و قوتكْ يا براكين الغضبْ.. مذ عرفتك و أنا من أشد المعجبين بكْ.. و كنت الأقرب لنفسي من مجموعتنا .. أجلْ.. أنا عميلٌ مزدوجْ.. و إنضممت إليكمْ لأمسك أيةَ معلوماتٍ عن طالبان و تنظيم القاعدة.. و تلك كانت مسرحية .. لأختبر كل واحدٍ منكمـْ.. أردت عميلاً خطيراً لا قوياً.. ليسَ بهينٍ و شديداً ... و يشرفني أن أقول لكْ : وجدت كل ما أبحث عنه فيكْ.. لكنك للأسف بعيد عن ذلكْ. و قلبك معلقٌ بالدينْ و تفاهات الجهادْ..

-براكين الغضبْ: التفاهةُ هي ما تبحث عنهْ الآنْ ... أتبحث عن مجدٍ غير مجدِ اللهْ ؟ إسمح لي بأنك إنسانٌ غير سويْ يا تركيْ..

-المتمردْ (بغضبْ): أدعـــــــــى بالمتمردْ ، متمرداً على القوانين و الأنظمة و المجتمعْ..

-براكين الغضب: بل متمرداً على دين الله ورسوله و مصيركْ القتلْ لأنك رددت عن دين اللهْ..

-المتمردْ : أبعدَ ما سمعتهُ منيْ يا براكينْ مازلت على موقفك العدائيْ معيْ .. دعك مني.. فكر بالإمتيازات التي ستحصلُ عليها يا ذكيْ .. نقودٌ بالملايينْ .. و نساءْ.. و ماأدراك ما النساءْ.. تشيرُ على التي تريدها بإصبعك فقطْ .. الفِلل و القصورْ.. ألا تريد هذه الحياة يا براكينْ ؟ ألا تريد أن تعيش الترف بدل حياتكْ القاسية ؟

-براكينْ الغضبْ: بل إني إشتريت حب الله و رسولهْ .. و إشتريت جنة الخلودْ و حور العينْ.. ..

-المتمردْ :سحقا ً لك و لكلامكْ هذا ، أحرقتني يا رجلْ ، أحرقتنيْ.

-براكين الغضبْ :لنختصر الموضوع يا تركي .. جئت لتقتلني و جئت لأقتلكْ .. هدفي هو قتلك لأنك من المنافقين و المرتدينْ .. لكن ما هدفك من قتلي؟

-المتمردْ (ووميضٌ مشع في عينيهْ): بصراحة كان علي قتلكْ يومـــ تلك المسرحية .. فخالفت الهدف المرسومـْ من قبل منظمتنا ... و فضلت أن أضع هدفي الشخصي أولاً و الذي جعلني أقاتلُ من أجلْ هذه المهمة..

-براكينْ الغضب: أها ، إذًا ليس السيف و لاالفارس و لا الأصمعيْ بل أنا.

-المتمردْ: آثرت منظمتنا أن نقتلك و لكن بأسلوبٍ حضاريٍ جداً .. كنا نتتبع أخبارك لحظة عودتك للخليجْ .. و عندما قررت العودة إلى هنا ..تطوعت للمهمة من أجل عملي أولاً. و من أجلِ نفسي ثانياً.

-براكين الغضب: أفهـــــم رغبتهم بقتلي .. لأني و أمثالي من المجاهدين نمثل تهديداً كبيراً .. لكن لم هدفك شَخصيْ ؟ ماذا فعلت لك يا تركي؟

-المتمردْ (ينظر لأعماق عيني براكينْ وحاجباه يعانقان السماء): جئت لأقتلك من أجل ثأرٍ قديمـْ..

-براكينْ الغضبْ (مندهشاً): ثأرُ ماذا ؟

-المتمردْ: ثأرٌ من أيامـــ شيشانِ قلبك ْ .أتذكر؟.. ما أعرفه عنك بأن لك ذاكرةٌ قوية..

-براكين الغضب: خضت حروباً عديدةً هناك ..ماذا فعلت لك يا تركي ؟

-المتمرد: جئت أثأر لموت أخي.

-براكينْ الغضب: أخْ ؟ أي أخْ ؟ أخبرتني بأن إخوتك قد تخلوا عنك.

-المتمردْ: هههههههههههههههه .. نسيت بأن أخبرك بأن لي أخاً يكبرني بتسع سنينْ.. يسأل عني بين الحين و الآخرْ .. و لم يخبرني عن طبيعة عمله إلا عندما صممت على الرحيل و أن أرحل إلى روسيا ، و هناك دخلت في صفوف القوات الخاصة ... و كنت في فترة الدراسة و التدريب أيام حرب الشيشان .. و كنتُ في المعسكر لحظة تلك العملية الإستشهادية التي قمتمْ بهاْ .. و كتب الله لي عمراً لأقف اليوم أمامك و آخذ بثأر أخيْ.

-براكينْ الغضبْ (مندهشاً): و من هو أخوك ؟

-المتمردْ (و بكاءٌ في نبرة صوته): أخي كان جنرالاً في معسكر القوات الخاصة التابعة للجيش الروسي .. كان يدعى بعمارْ ..

لحظة صمتٍ تحولـــ فيها براكين الغضب لأخرس .. حيث صدمهُ الموقف . و دهش منهْ ، أيعقلْ ؟ أيعقل أن بأن يحصل ذلك لهْ ؟

إنقلب صديقه إلى خائنْ

و هو مطاردٌ من قبل القوات الخاصة كمطلوب و مجرمْ..

و هو قاتلٌ لشقيق صديقهْ..

أيعقلُ ذلكْ . خواطرُ و تساؤلات إمتزجت و ثارت بقلب براكينْ الغضبْ...

ليغمض عينيهِ هنيهةً و ليعود لأيامـــــٍ فارقها بقلبٍ كسيرْ .. لمكانٍ عشق عبير رائحتهْ..

و طيبة أهلهْ .. حيث الطبيعة الخضراءْ .. و الأنهار و الثلوجْ في فصل الشتاءْ..

إشتاق للرفقة الطيبة هناكْ .. أحباء قلبهْ..

خطاب و القطري و شاملْ و أبو الوليدْ و باقي أسود الاسلام..

ما أحلى تلك الأيـــامـْ .. إشتقت لها يا براكين أليس كذلك ؟..

إشتقت لشيشانْ قلبكْ..

المشهـــــد السادس

الثأر على الطريقة الجهادية

آخذكـــمـْ بعيداً عن جو المعركة و أدخنةِ النيرانْ ..إلـــــى مكانٍ أبعدَ بقليلْ ...حيث الثلوجْ التي غطت المكانْ .. و مع ذلك نرى الطبيعة تقاومـْ هذا البياضْ ... فترى الحياة تدبُ في زهرة حمراءَ نبتتْ بين تلك الصخورْ .. و أغصانَ شجرٍ أعلنت العصيانْ و أبت إلا أن تكون خضراءْ . .ها همـْ الاطفالُ يخرجون بزلاجاتهمـْ خارجَ منازلهـــمـْ

.أطفالٌ مساكين لم تسمح لهمـْ الظروف بأن يمتلكوا لعبةً ماْ ..ما إستطاعوا إمتلاكهُ هو تلك الدبابات القديمة و التي يخلفها الجيش الروسيْ .. يلهونَ بها ويضمدونْ جراح الألمـــْ .. يلهونَ بهاْ و يواسوا طفولهتـــمْ التي عاشت بين طيات لك الحرب المدمرةْ..

في إحدى تلك القرى الشيشانيةِ الهادئةْ .. مر أحدُ الجنرالاتْ القذرينْ ومعه دزينة جندٍ و دباباتْ.. ليبثوا الرعب في قلوب الضعفاءْ و المساكينْ ..فاقتحموا إحدى المنازلَ عنوة بعد أن ذابت كل مشاعر الإنسانيةِ فيهمـْ ..وإذا بالمنزلِ عجوزٌ و زوجهاْ الكهلْ و حفيدتهم الصغيرة ...و التي على صغر سنها ترى الوقار و الضياءَ يشعُ من وجههاْ .. يحتضن وجههاْ الناعمـْ حجابٌ إسلاميْ..

يدخلُ الخبيث حيث يجلسُ المساكين الثلاثةْ . . الصغيرة بين أحضان جديهاْ الفزعينْ .. و الجنودُ ينتشرون في أنحاء الغرفة بأسلحتهم المدججة ... فينقضُ الحقيرُ على الصغيرةِ و يشدها شداً من مقدمة رأسها و الفتاة تشد على حجابها كيلا يسقط عن رأسها ْ .. و لم تشفعْ توسلات العجوزين الذين يبكيانْ و يحاولان سحب حفيدتهما الصغيرة و إعادتها لأحضانهما ..و لم تشفع توسلات الصغيرة و دموعها بأن يرحمها ذلك العلجْ .. ليسحبها بقوة و عنف فيسقط العجوزان على الأرض يلطمانْ على وجههما..و أخذها المفترس و دخل بها لأحد الغرف ليهتك العرضْ .. و يسقط الشرف وسط صيحات و صرخاتْ هزت جدران المنزلْ

و لم يكتفِ المجرمـْ بذلكْ .. . بل أمر الجنود بأن يفرغوا رصاصاتهم

في جسد العجوزينْ فلم يرحموا كهولتهماْ..

سحب الصغيرةِ بدمائها و دموعهاْ و جرجرها من شعرهاْ على الأرض وسط ضحكات الجنود و أخرجها للخارجْ و رماها على الطريقْ.. ليشير لإحدى الدبابات لتتحرك عجلاتها و تدهس جسد الفتاة ذهاباً و إياباً .. لتبكي الأشجار تلك المذبحة .. و تولول الريحْ و تهب بقوة معلنة الغضب و السخطْ

فتصل الأخبارْ لأسود الإسلامــ بشيشان القلبْ .. خطاب و براكين الغضبْ و الشهبندرْ و شاملْ و القطريْ و الوليدْ و آخرينْ .. ليقسموا على الثأر و لكن على الطريقة الجهادية ..خاصة بأن الثأر طبيعة في البشر ..لكن الإسلام جاء وروضَ تلك الطبيعة لتثور و تغضب عندما تنتهك محارمــ المسلمينْ .. و هذا ما أدعوه بـــ : الثأر على الطريقة الجهادية..

أرسلَ أسودنا رسالة للروس مطالبين بأن يسلموا ذلك الجنرال لهم أو بأنهمــ سيقوموا بقتل الأسرى الخمسة الذين يحتجزونهمْ لديهمْ .. و أعطوهم مهلة يومـــٍ واحد .. و لم يقم الروس بفعل شيءْ.. وما كان من أسودنا إلا أن يعطوا لشقيق الفتاةِ سيفاً فيفصل رأس كل أسيرٍ عن جسدهْ .. فأعاد براكينْ الغضب طلب تسليمْ الجنرال مرةً أخرى.. و أمهل الروسْ مدة نصف يومــ .. وهدد و توعد بأن الروس سيرون الجحيمــ بعينه إن لم يتم تسليـــــمْ الجنرالْ..

لم يقم الروس بالرد على أسود الإسلامــ .. و حبسوا الأنفاسْ لعلمهمــ بقوة أسودنا و مدى قوتهمــ .. لكن إنقضت المدة .. و أطلق براكين الغضبْ إشارته .. و إذا بتلك الشاحنةِ المحملة بالمتفجراتْ تدخل على أكبر تحصينْ لمعسكر القوات الخاصة الروسية (الآمون).. و سط دهشة الجنودْ و فزعهم .. لينقلب ذلك الليل لنهارْ .. و يدب ذلك الإنفجارْ الكبيرْ في المعكسرْ .. و الجثث تتطاير في جميع الأنحاءْ..

ليدفع الروس ثمن قتل ٣ أشخاص من المسلمين .. مقابل أكثر من ٢٠٠٠ روسي..

ليعم التكبيرْ و التهليل ربوع الشيشانْ .. إحتفاءً بتلك العملية الإستشهادية البطولية..

و لم يكفِ ذلك أبطالنا .. بل دخلوا المعسكر و قاموا بقتل البقية من الجنود هناك .. في مقدمتهمــ براكين الغضب الذي كان يزمجر كالأسد في أرجاء المعسكر.. ليعرفوا فقط من همــ المسلمينْ .. و بأن لا يظنوا بأن دماءْهم رخيصة .. بل هم أعزاء و لهمْ كرامة .. أحرار و أنفسهمْ أبية .. هناْ .. فتح براكين الغضبْ عينيهْ ... ليعود لواقعه .. بمواجهة المتمردْ الذي بدأت علامات السأم و الضيق على وجهه و فكه الذي قلبهُ غيظاً من هدوء براكين الغضب و برودهْ .. يقطع براكين الغضب ذلك الهدوءْ بصوته العالي قائلاً:

-براكين الغضب (و عينيه تنطق غضباً): دعني أحزر ... أحد الجنود الذين قمت بقتلهم في المعسكر كان شقيقك..

-المتمرد (و عينيه تحدقان ببراكين الغضب بحقد): أجل .. قتلتهْ .. قتلت شقيقي عمارْ يا براكينْ.

-براكين الغضب: و ما يدريني بأنه شقيقٌ لكْ .. حاله من حال الروس القذرين مادام قدمــ الولاء لهم.. و تناسا أصوله العربية و المسلمة .. هذا إن كان يعرف القبلة و كيفية الصلاة.

-المتمرد: لا تهزأ يا براكينْ ، شقيقي يعتبر من أكفأ الجنود في القوات الخاصة .. و قد أرسلت لقتلك أنت بالذات .. لكني رأفت بك و قلت خسارة بأن يفقد العالـــمْ شخصاً بمميزاتكْ .. لكني رأيت جهلك بالأمور و تعلقك بالجهادْ و سخافتهْ .. فأوقفت ذلك .. و أدعيت بأنني قد أضعتك .. لأصفي حسابي الشخصيْ معكْ.

صوت مسدسٍ يوشكُ على أن يفرغ رصاصاته في رأسْ أحدٍ ما .. تتبعهُ زفراتٌ حارة و سريعة:

-المتمردْ: أعلمــْ بأني بكل أسف سأقتلك .. و سيخسر العالم قائداً عظيماً مثلكْ.. و سأخسر أنا صديقاً رائعاً مثلكْ إستمتعت برفقته كل تلك الأسابيعْ..

-براكين الغضب (يضعُ سلاحه على الأرض و يرفع ذراعيه لتوازي أذنه): أطلق النار علي إذاً ، شرفٌ لي بأن أموت شهيداً .. أمنيتي و حلمي بأن أموت شهيداً .. أرجوك .. أطلق النارْ ... أطلقه..

-المتمردْ (و المسدس يتراقص بين أصابعهْ): أقسم بأنك مجنونْ ، مجنونْ.

ماهي لحظات كالبرق يهم فيه براكين الغضب منقضاً كنسرٍ جارح على المتمردْ .. و طلقات النار تتطاير بقلب السمـــــــاءْ .. و هتافٌ من بعيد:

-الجيش قادمـــْ ... الجيشْ قادمــْ .. إنجوا بحياتكمــْ..

و تكبيرٌ من بعيدٍ ..قرب قمة المجاهدينْ .. و صياحٌ و صرخات .. وهتاف من أعماق الحناجرْ..

الله أكبرْ .. الله أكبرْ

ترى . ماذا حدثْ ؟ مالذي جرى للأحداث ؟

ألقاكمـــْ في الجزءْ الحادي عشرْ

المشهـــــد السابـــع

لاااااا يا بَـــــراكيـــــــن

ماهي لحظات كالبرق يهم فيها براكين الغضب منقضاً كنسرٍ جارح على المتمردْ .. و أخذا بالدوران و طلقات النار تتطاير بقلب السمـــــــاءْ .. و هتافٌ من بعيد:

-الجيش قادمـــْ ... الجيشْ قادمــْ .. إنجوا بحياتكمــْ..

و تكبيرٌ من بعيدٍ ..قرب قمة المجاهدينْ..

و صياحٌ و صرخات .. وهتاف من أعماق الحناجرْ..

الله أكبرْ .. الله أكبرْ

لكنْ...مازال براكين الغضب و المتمردْ يتقاذفان اللكمات و الشتائمــْ و كأنهمـــا لا يسمعان صوت التحذير..ليعيدا إكسير النشاط اليومـــــــي أيامـــ الصداقة و الصفوة عندما كانا يتعاركان دائماً .. يحاول المتمرد أن يفلت من يدي براكين الغضب و الذي يحاول خنق المتمرد بيديه و المتمرد يحاول أن يبعدهما عنهْ.. حتى لاحت فجوة أملٍ مكنته من ركل براكينَ بعيداً ليسقط على الأرضْ.. فيرمي المتمرد نفسه بالقرب من مسدسه ليبعده براكين الغضب برجله و ينقض مجددا على المتمرد الذي إصفر و إزرق و السيف يصيح من بعيدْ:

-السيف (صائحاً): الجيش قادمـــ أيها الغبيان ... الجيش قادمـــــ..

مازالا يتعاركان و السيف يحاول تهدأتهما و شرح مدى الخطر المحتملْ إن لـــــمـْ يختبئا .. و هما غير مستمعينْ ..و أثارا تلك الزوابع الرملية تحت أرجلهماْ ... السيف يلتفت يمنةً و يسرةً مذعوراً... يصرخُ بهما تارةً و يتوسلهماْ تارةً أخرى ...حتى أنه حاول أن يبعد براكين الغضب عن المتمرد لكن براكين أبى إلا أن يقتل المتمرد و تكون الليلة ليلة مقتلهْ..

صوت إنفجارِ شق عباب السمـــاءْ ... وأنارها .. تتابعها الطلقات .. جمد على إثرها الأصدقاء الثلاثة يبحثون بأعينهمـْ المليئة بالتراب و الدماءْ عن مصدر ذلك الإنفجارْ ...لحظتها ...غافل المتمردْ براكين و السيف و سلمـــــ رجليهْ للريحْ ليصرخ براكينْ الغضب والسيف يحاول أن يثنيهْ عن اللحـــــاق بالمتمردْ:

-أيها الجباااااااااااااااااانْ عد الى هنا وقاتلْ كالرجالْ.

-السيف (يصرخ ببراكينْ الغضبْ): إهدأ يا براكين و دعهْ ، الجيش عائدٌ للمعسكر بعد هزيمته على أيدي المجاهدينْ ..وأظن بأن الجبهات الثلاثة هي من تطلق تلك الطلقات على الجيشْ المهزومْ...فنلكمل الخطة التالية و نفجر المعسكر بما تبقى معنا من متفجراتْ ، هل زرعت ما يكفي في المعسكرْ ؟

-براكين الغضبْ (مسحُ بظهر كفه شفتيه المدمتينْ): سأفجرها الآنْ.

-السيفْ (بذعرْ): أي جنونٍ هذا يا براكينْ ؟ ستفجرنا معها علينا أن نبتعد من هنا

-براكين الغضب (يسحبْ الأسلاك رويداً من جهاز التفجيرْ عن بعد): أجلْ.. لقد وضعت المتفجرات قبل أن أطلق سراح الأسرى.. ها هو الجيشْ ،إني أراهمـــْ ، لن أدعهم يعودون لمعسكرهمـــْ ، سأفجرهمـــ الآن.

-السيف (يحاول الإمساك بالجهازْ و إنتزاعه من بين يدي براكين :(براااااااااااااااااااااااكين لا تقمـــ بحماقة كهذه ، براااااااااااكين توقفْ.

-براكين الغضب (شاداً على عينه اليسرى و لمعانٌ في عينيهْ): الله أكبرْ . النصر لله و رسولهْ.

-السيفْ (بهستيريا): لاااااااااااااااااااااااا لا أريدُ الموت هكذااااااااااا.

-براكين الغضب (يرفع ذراعيه و إصبعهُ على زرْ التفجيرْ): مرحباً بالموت في سبيل الله..

أنوارٌ أضاءت تلك الليلة الرهيبة.. و الأدخنة تتصاعدُ لتعانق السماءْ .. و أصواتُ تكبيرٍ و تهليل تصدحُ بكل مكانْ ..و أشلاءٌ تبعثرتْ .. و قلوبٌ فزعتْ .. و أجسادٌ خرت ساجدة تسأل الله النجاة .. و نيرانٌ مشتعلة .. تأكلُ الأخضر و اليابس من دون أيةِ رحمة ..ليتبعَ ذلك صمتٌ رهيبْ .. و سحب الليل تزيحُ ستارها عن قمرٍ جديدْ .. و ميلادٍ جديدْ...

الحلقة الحادية عشر: تشايْ تشايْ!!

-آتني بالشايْ أقصد بالتشاي من دون سكرْ..

يجلسُ بهدوءٍ بزاويةٍ منعزلة في المقهـــــــى الشبهْ مدمر.. قد دمرت الحملة العسكرية التي شنتها القوات الأمريكية كل شيءٍ تقريباً في مدينة كابول التي شهدت حروباً متتالية على حقباتٍ منتظمة ..تحلمـــ أرجاؤها بأن تتنفس الصعداءْ .. و تشتهي الحرية و الاستقلالْ..

لكن هيهات ثمـــــ هيهاتْ

برغـــــمـــــ تواتر الأحداث عليها .. و صب جامـــ غضب القوات الأميركية غضبها على هذه المدينة بعد أحداثْ ألـــــ١١ من سبتمبر ... إلا أن أهل المدينة تمسكوا بالحياة ... و بالعيش على أرضهمـــــ .. و حاولوا إعادة الروح إليها من جديد .. فاستمرت الحياة .. و أصبح الشعبُ أكثر تفتحاً من ذي قبل خاصةً بعد سقوط طالبانْ . و انتشرت المعازف و المدارس . خاصة المسرحية و الأدبية و التي تعتبر من المحرمات عند حركة طالبانْ .. و خلعت النسوة النقاب ..و أظهر البعض منهنْ وجوههن بعد التعصب الشديد و الإلتزامـــ الذي فرضتها طالبان عليهنْ..

يحتضن كأس الشايْ أو التشايْ – بالأفغانية – الساخنْ بين أصابعه المتشققة و المثخنة بجراح قديمة بهدوئه المعهود .. يرفع الكأس لشفتيهْ .. و عيناهُ تنظران في اللاشيْ .. وكأنهُ لا يسمع كل ذلك الإزعاج الذي يصدرُه مرتادو القهوة .. و لا أصواتَ تصادمـــِ كؤوس البيرة التي رأت النورَ بعد الإنهيارْ .. و هذيانْ من أخذته سكرة الحشيشْ و الكوكايينْ .. أغلق أذنيه عن الكلْ ... و أبعد عينيهْ .. و أخذ ينظرُ من زاويتهِ لتلك الشمس التـــــي تغربُ بشموخْ .. و رفع الكأس لتلامس شفتيهِ.. و ارتشف أول شرفةٍ بصعوبة .. أطلق صرخة صامتة و أغلق عينيهْ .. و انسكبت بعض القطرات الحارقة على لحيتهِ الكثيفة و التي لامسها بعضُ الشيبْ .. و أرجع الكأس بسرعةٍ للطاولة... ووضع أصابعه على شفتيه وأخذ يلامس لسانهُ المحروق ..قد أحرقهُ الكأسْ.. و آلمهْ .. فأعادهُ لوعيهِ ولواقعهْ .. و للمقهـــــى الذي إمتلأ بالروادْ و لغتهـــمـــْ الغير مفهومة .. حيث أن أجانباً ذوي بشرةٍ بيضاءْ قد إنضموا لمجموعةٍ من الأفغانْ .. و من وجوههمـــْ تظن بأنهمْ أطباءْ .. و هم فعلاً أطباءْ . أتوا مع قوات الإغاثةْ لإغاثةِ الأسرْ المنكوبة – طبعاً هذه القوات هي حملات تبشيرية بالأساسْ..-

يعودُ و يمسكُ بالكأسِ مرةً أخرى .. و يرتشفُ الشاي بعد أن بردُ قليلاً .. و يعيدهُ مجدداً على الطاولة .. و يرقب غروب الشمسْ مرةً أخرى..
ليغمض عينيه بقوة.. و أصابعه يده تضغطُ على يده اليسرى .. لتلامس خاتماً أقســـــمـــ أن لا يخلعهُ من إصبعهْ حتى الممات ..

فتهمسُ شفتيه و دمعةٌ حارقةٌ يحاول أن يخرسها:

-إشتقت اليك يا صاحبيْ ، إشتقتُ إليكمـــْ يا أصحابي .. أيشرقُ يومٌ جديدْ و نلتقي..

يخرجُ من المقهـــــى و الضحكاتُ تملأ المكانْ .. وكأن الكل قد إتفق على أن يتناسوا مصابهـــْم... و يفتحوا الباب للسعادة و الفرحْ مجدداً .. إلا هو .. يضعُ يديهِ في جيبهِ ليدفأهما من البرد القارسْ، و يلف على عنقهِ قطعةً من القماشْ الأفغاني الثقيلْ، و يمشي ببطء و من دون هدفْ معينْ ..تتوقف أقدامـــهُ فجأة.. و يداهُ مازالتا في جيب معطفهْ.. و عينيه ترمقان شيئاً ما من فوق تلك اللفافةْ.. لينتقلَ المشهدْ لكابينة هاتفْ مهترئةٍ نوعاً ماْ..

ينظرُ إليهاْ و رعشةٌ تسري في جسدهْ ... يغمضُ عينيهْ و كأنه يريد منعَ نفسهِ عن التفكير بشيءٍ ماْ .. لكنْ .. لا ... لن يفعلها .. سيتابعُ المسيرْ .. و يتجاوزْ الكابينة.. ليقفَ هنيهةً .. و ما إن يلتفت برأسهِ قليلاً ليرى ذلك العجوز المتكأ على عصاه يقف في الكابينة ذاتها و يبدو من أنهُ يحدث شخصاً عزيزاً عليهْ، و إلا لما قهرتْ دموعهُ الحارة البردْ القارسْ .. يبتسمـْ ..و يتابعهُ سيره و أنفاسهُ الحارة تثير الجو الباردْ و تتكثف مكونةً تلك الأدخنةْ..

صوتُ مفتاح يدخلُ في قفلٍ قديـــــمـْ ... على إثره تنتفضُ فتاةٌ كانت تقرأ في كتاب اللهْ .. و رجلٌ يشير بأصابعه على وجهه بشكلٍ دائري و كأنه يقول لها حجابكْ ... فيفتحُ الباب و يقومـــــ رب المنزلْ على كبر عمرهِ ليحيي الزائرْ:

-السلام عليكمْ.. أين كنت كل هذا الوقتْ ، ظننت بأن أحد الجنود قد أمسكوا بكْ.

يمسكُ معطفهُ بيده و يرفعه للوراءْ .. و يقوم بطيهِ ووضعه على حافةِ الكرسيْ و يجلسْ:

-مبتسماً: شعرت بضيقٍ في صدري.. فخرجت من بعد صلاةِ العصر للآنْ..

أحدهمْ يطرق طرقاتٍ خفيفة على باب غرفة الجلوسْ القديمة و الصغيرة، فيشيرُ الرجلُ العجوز بيده:

-الرجل العجوزْ: أدخلي يا زينبْ إنه شقيقك حمزة.

تدخلُ زينب بخجلْ، بقامتها الصغيرة، و خدودها الحمرْ وعينيها الخضراوينْ، و تضع صينية الشاي على الطاولة، و تهمُ بالانصرافْ ليوقفها والدهاْ:

-الرجل العجوزْ: مابالك يابنيتي؟. أمازلت تخجلين من شقيقك الأكبرْ حمزة ، تعالي و اجلسي معنا بدل أن تجلسي وحيدة..

-زينب (تنظر لأسفل بخجل و أصابعها متشابكة و ترتجفْ): لدي أعمالٌ أقومـــ بها يا أبي..

ينظرُ حمزة بخجل إلى وجه الفتاة التي بدأ جسدها الصغيرْ يرتعشْ .. و لحظة تلاقـــــي أعينهماْ ..وضعت زينب يدها على شفتيها و استدارت للخلف على عجلْ و اختفتْ وسط ضحكات أبيها العجوزْ:

-الرجل العجوزْ (مقهقهاً :(هههههههههههه .. لقد إصطدكما أيها الشقيينْ .. أتتبادلان الاعجاب أمامي؟..

-الأصمعيْ (بخجلْ): لاااااااااااا .. لم أقصدْ ، لكن زينب تخجلُ مني .. و ربما أزعجها وجودي معكمـْ..

-الرجل العجوزْ: لا تقل ذلك يا بنيْ ، على العكس أسعدنا وجودك معنا.. بعد وفاة زوجتي و إستشهاد إبني ظلت إبنتي وحيدة.. و طيلة فترة سجني كنت أدعوا الله أن لا يحصل لها أي مكروهْ .. و الحمدلله .. عوضني الله بإبن و صديق أثق بهْ .. لولا ثقتي بك يا حمزة ما أحضرتك لبيتي...

-الأصمعي (ينظر للأسفل خجلاً.....: (

-الرجل العجوزْ) مربتاً على كتف حمزة و هو يضحك): ثم أني أبٌ متفتح .. و لامانع لي بأن أشهدْ ولادة قصة حب في بيتي .. هههههههههه .. أتقبل بالزواج من فتاةٍ والدها خليجي و أمها أفغانية ؟.. لن أجد أفضل منك زوجاً لإبنتي خاصةً بأن إبنتي معجبةٌ بكْ..

-الأصمعي (يرفعُ رأسه لأعلى لتهتز خصلةُ شعره على جبينه المتعرق و نظرة دهشة من عينيهْ): زواجْ.

-الرجل العجوز: أريد لإبنتي زوجاً صالحاً .. طيباً و حنونا.. بطلاً و قوياً مثلك يا حمزة.. كنت معك .. في السجنْ .. و ذقنا العذاب .. و رأيتك كمْ قاومتْ..و كنت كالأسدْ تزمجرُ فيهمْ.. و لم ترضخ لأي شيء.. فيجزيك الله الحرية على صبركْ .. و أنا أحببتك في الله .. و استضفتك في منزلي.. و ساعدتني في عملي كاسكافي بسيطْ .. و تحملت مرارة العيش معي .. و لم أرى منك إلا كل خيرْ و بسمةٍ لمــْ تفارق شفتيكْ..

-الأصمعيْ (مازال تحت تأثير الصدمة):لكنـــي....

-الرجل العجوز: لا أجبرك على شيءٍ يا حمزة .. هي مجردُ دعوة .. و لك أن تقبل أو ترفض .. و إن رفضت .. سأزوجها أحداً من أبناء عمها في الخليجْ..

يحاول حمزة أن يبعدَ عينيه عن الرجل العجوز .. لتصطدمــ عينيه بعينين خضراوين تختلسان النظر من وراء الباب .. ما أن عانقت عينيه حتى أغلقت الباب بهدوء و بسرعة .. ليبتسمــْ حمزة .. و يمد يده ليضغط بقوة على يد العجوزْ:

-الأصمعي (مبتسماً): أشكر لك دعوتك الطيبة هذه .. و أسأل الله أن يرزقك كل خيرْ .. و حديثك عني فخرٌ لـــــي ووسامــ أعتز بهْ ... يا صديقي العزيزْ..

يبتسمــْ الرجلُ العجوزْ .. و يضع كأس الشاي الخاص بحمزة بالصينية .. و يرفعها من على الطاولة و يتجه ناحية الباب المغلقْ فيدير المقبضْ و يلتفت جهة حمزة:

-الرجل العجوز (مبتسماً): تصبح على خير يا حمزة.

-الأصمعيْ) و ابتسامه لا تفارقهُ): تصبح على خير.

يغلق الرجل العجوز الباب .. و يجلس حمزة وحيداً .. ليأخذ غطاءاً موضوعاً على الكنبة المتقطعة و المرقعة.. و يفترش الأرض بها . و يهيء فراشه و يضع مخدةً و يلتحف بمعطفه الذي لم يغطي باقي ساقيه الطويلتينْ .. و أخذ ينظر للسقفْ ... و يعود لعالـــــــمــْه الآخرْ ... لشهورٍ مضتْ...

/

\

/

\

/

\

/

\

وقتها كان مع رفاقه الأربعةَ متجهينْ الـــــى قندهارْ .. و نال منهم التعب تحت تلك الشمسْ الحارقةْ..

-تركي (يلهث من التعبْ): لم لا نشتري بغالاً أو فرساً توصلنا لقندهار؟ ما عدت أحتمل..

-براكين: الطريق قصيرة .. لا حاجة لنا بذلك .. ثم أنه لم يتبقى معنا شيء من النقود ، كف عن الإسراف.

-الفارس: تركي محق .. قتلنا الحر .. و أصابنا الجفاف . سأضع أمتعتي هنا .. لا يهمني كم سأدفع .. أريد بغلاً تحمل متاعي ..

-حمزة: كأني أرى قرية مـــــا هناك أسفل الهضبة .. أنا ذاهب إليها لأبحث لنا عن بغالٍ أو أحصنة.

السيف: لا أنصحك بأن تذهب ياحمزة - يفتح السيف خارطته التي وضعها في جيبه – فأنا لا أرى أية قرية على هذه الخارطة و غريب أمر قرية تقع هنا على

بعد كيلو مترات من قندهار.

-تركي: لا شأن لي ، لن أتحرك من هنا أريد بغلاً.

-براكين : أصمت ، دعنا نرى ما مشكلة تلك القرية..

-السيف: مممممممم .. لا أعلم ما أقول .. لكن من المخاطرة الذهاب إلى مكان لا نعلم من يعيش فيه.

-حمزة: لا أظن الأمر بهذه الخطورة يا سيف .. أنا ذاهب .. و قد وكلت الرب في أمري.. هل سيأتي معي أحد ؟

-براكين الغضب: سآتـــــي معك .. ربما إحتجت لشيء..

-تركي: سأذهب معه .. لا بأس من ذلك..

-براكين (بغضب: بل سأذهب أناااااااااااااااا.

-حمزة : أرجوكما كفا عن ذلك .. براكين .. إبقى هنا يا صاحبي .. ربما إحتاجك الآخرون .. سأذهب أنا و تركي .. أحتاج لرفقة ظريفة..

-تركي: أرأيت يا براكين ؟ لا أحد يحتمل ثقل دمك.

ينظر براكين لتركي بغضب .. لكن سرعان ما هدأت نفسه و أخذ صديقه بالأحضان:

-براكين: إعتني بنفسك يا حمزة.

-حمزة) مبتسماً): سأفعل يا براكين .. لن نتأخر .. هيا يا تركي..

-تركي: قادم.

-الفارس: كونا على حذر.

-السيف: لا تتأخرا.

ما أن إبتعد حمزة و تركي بضع خطوات حتى تبعهمـــــا براكين ليضع ذراعه على كتف حمزة و يهمس في أذنه:

-براكين: إلبس خاتمي الفضي هذا .. إن حصل مكروه أرسله مع أحدهم و سأعرف ما جرى لك.

-حمزة : بكل تأكيد ياصديقي .. إلى اللقاء.

-براكين: إلى اللقاء.

-

بعدها... إبتعد حمزةٌ و تركـــــي عن مكان أصدقائهم بمئات الكيلو متراتْ .. ووصلا لتلك القريةِ و اشترا ٣ بغالٍ و بعض المؤونة.. و عندما جلسا في أحد المقاهي سمعا أحد رواد المقهى يتحدث عن معركةٍ قريبة بين المجاهدين و القوات الأمريكية و الجيش المعارضْ ، فانضما إليهمـْ ليعرفا أكثر عن هذه الموضوعْ.

لحظتها أخبر حمزةٌ تركي عن رغبته في الإنضمـــــام

لصفوف المجاهدينْ و بأنه سيدعو براكين و الفارس و السيف للمشاركة، لكن تركي قابله بالرفض و بعدمـْ رغبته بتعريض حياته للخطر، حتى ذكَّره حمزة بالعهد الذي قطعه كل واحدٍ منهم لمساعدة الآخر في تحقيق هدفه، و الجهاد هدف براكين الغضب و حمزة حتى وافق تركي ولكن على مضضْ.. صوت شحذ رشـــــاش ما .. فيمسك صاحبه فوهته بيده و يقرب الرشاش من قلبه.. فيشد على عينيه اليمنـــــى و بغضب يحدث نفسهْ:

-سنشل صفوفكم .. و نندس بين جنودكـــم .. و سندحركم دحراً.. ونرجعكم لقعركم خائبيـــــــــــــنَ خاسرين ... زلزل الله صفوفكم..

و بث الرعب في قلوبكم .. اللهم أنصرنا نحن عبادك الراغبين .. راغبين بجناتك و بفردوسك العظيـــــــــــــم...

أنصرنا يا رب العباد .. و ذلل لنا كل السبل..

صمـــــــــــــــــــــــتْ !! صمت لثوانٍ فقط ... يتبعه صوت خافت لنفس الشخص:

-ترى هل سأموت قبل أن أراك يا صاحبي؟ هل سأموت قبل أن أصيح بأعلـــــى صوتي معك الله أكبر بوجه الأعداء يابراكين .. هل ستذرف

عيناك الدموع ان رأيت جثتي؟.. (آخر مقطع من الحلقة السادسة(

ما إن يخرج حمزةٌ و تركي على ظهر البغال من القرية حتى تستوقفهمـْ شاحنة عسكرية و تقطع عليهمْ الطريق و يخرج منها خمس جنودٍ مدججين بالسلاحْ:

- hands up

-حمزة (بدهشة): من أنتمْ و كيف أتيتم إلـــى هنا ؟

تساؤلاتٍ وعلامات إستفهامـــ كثيرة تحلق فوق رأس حمزة .. و يلتفت جهة تركي الهاااااااااااااادئ .. و يبادرهُ بالسؤالْ:

-حمزة: ترى كيف عرف هؤلاء الجنود بوجودنا هنا بالذات ؟ و لمـــــ أتوا إلى هنا ؟ على حسب علمي أقل مسافة تبعد عنا وفيها معسكر تابع للجيش تبعد ٥٠ كيلوا متراً تبعاً لخريطة السيفْ .. هناك شيءٌ ما يحيرني..

سحب أحد الجنود حمزة من على ظهر البغل ولكمه بقوة أوقعتهُ أرضاً و أدمت شفتيهْ .. ليتبعهُ صوت تركي موجهاً كلامهُ للجنودْ:

تركي Through him in the jail:

-حمزة (بين أيدي الجنودْ مندهشاً): لم فعلت ذلك ؟ مالذي يجري هنا يا تركيْ ؟ ماعلاقتك بهؤلاء الجنود ؟

يقترب أحد الجنود من تركي و بين يديه بذلةٌ عسكرية، و نظرات ساخرةٌ من عيني تركي لحمزة المنصدمـْ..تركي يرفعُ بذراعيه للأعلى القطعة العلوية من بدلته القندهارية التي إصطبغت بصفرةٍ و بقع رملية رطبة، وأخذ يرتدي البذلة العسكرية و الصدمـــة أخرست كل مقاومة لدي حمزة، و لمـــــا إرتدى قبعته و في مقدمتها علـــــمْ الإتحاد السوفييتي... عقد حاجبيهْ بغضبْ .. و اختفت ملامح البراءة من على وجهه و عبس لأول مرة.. يقترب تركي من حمزة الذي يحاول الإفلات من قبضة الجنود، ووضع يديه للخلف و عقد أصابعه ، و أخذ ينظر لحمزة و هو يبتســـــمـْ...

-تركي (مبتسماً): أتدري يا حمزة إعتدت على إبتسامتك .. و لمـــــ أعتد على شراستك هذه.

يبصق حمزةٌ بوجهه تركـــــــي الذي أغمض عينيه هنيهةً و كأنه يحميهما، و فتحهما بغضب و إحمرت عيناه ليسدد ضربة قوية لوجه حمزة .. فيصرخ بالجنود:

-تركي: فلنذهب للمعسكرْ.

تبدأ رحلة العذاب لحمزة .. ألـــمـــ في صدره و ضيقةٌ إنتزعت هدوءهْ

والذي أبدله ببرودٌ أغاظ به جنرالات المعسكرْ .. يجلس حمزةٌ على كرسي الإعتراف في خيمة التعذيب ، و يديه مقيدتين للخلف.. و قد إختلط عرقه بدمائهْ من جراء الضرب و التعذيب الذي تعرض له على أيدي الجنرالات ليصرخ أحدهمـــ فيه و يشتمهُ آخر و يركله ليسقط للخلف من شدة الضربة..

يقترب تركي رويداً رويداً من رأس حمزة الذي أغرقت الدماء وجهه .. و أخذ يلهث تعباً. فينزل على ركبتيه

و يشد شعر حمزة بقوة .. و يهمس في أذنيه:

-تركي: اذا أردت حياتك يا حمزة إعترف لنا .. فقط نريد نعرف إن كان صديقك و حبيبك براكين هو الليث الذي قاتل في حرب الشيشان ، أجبني.

-حمزة (يحاول فتح عينيه المتورمتين و بإبتسامة ساخرة): قلت لك لا أعرف عما تتكلمـْ . أستطيع إخبارك عن الجبناء أمثالك و الذي يفضلون البقاء بين أفخاذ العاهرات و العيش كالحيواناتْ.

يشد تركي شعر حمزة بقوة و كأنه يكاد يقتلع من جذوره وسط صرخةٍ ضائعة بين أضلع حمزةٍ و كأنها تبحث عن متنفسٍ ما .. مازال حمزةٌ يقاومـْ بالرغم من الضرب و الركل .. و بالرغمـْ من إحضارهم لبعض الأسرى و قتلهمـْ أمام عينيهْ .. و إغتصابهم بكل وحشية لأسيرات صغيرات في السنْ و ذبحهن بطريقة بشعة بتحريك السكين ببطْء على رقابهنْ و هن يتألمنْ و يصرخنْ..

لكن حمزة..

هادئ وصابر...

محتسباً الأجر عند الله تعالـــــــى...

حتى ضاق الجنرالات ذرعاً به و سجنوه لساعات في سجن المعسكرْ .. مثخنٌ بالجراحْ .. تسيلُ منه الدماء.. فيتقدمـــــ منه أحد الأسرى ليساعده في تضميد جراحه:

-الأسيرْ) يلف ذراع حمزة بقطعة قماشٍ إقتطعها من طرف ثوبه): كان الله بعونك .. أسأل الله أن يحميكْ .. كنت بطلاً شجاعاً .. أرى الغيظ في أعينهمْ.

-حمزة (يلهث): أجلْ .. لن يأخذوا مني أي شيءْ ، لكن .. سيأتي براكين الغضب .. سيأتي ..رجلٌ في ملامحه غضب و إعصار.. و عينيه تنطق بشراسة ليقتلع جلودكمْ بمخالبه..

-الأسيرْ:براكينْ الغضبْ ؟

-حمزة (متألماً يتحسس ذراعه المجروحة): آآآآآآآه .. أجل.. ألمـْ تسمع بأسود الاسلام خطاب و شامل وأبى الوليد و غيرهم ؟... هو أسدٌ مثلهمـْ .. و لدي إحساسٌ بأنه سيتواجهُ معاهم قريباً..

-الأسيرْ: أتدري؟ ..ربما يكون مع جيش المجاهدين الآنْ ، كنت معهمـْ قبل أيامْ قبل أن يلقى القبض علي بعد وشايةٍ كريهة..

-حمزة (مبتسماً): أأنت من المجاهدين ؟

-الأسيرْ (بحماسْ): أجلْ ، لقد قصدت المجيء إلى باكستان تحت ذريعة زيارتي لشقيقي وعائلته.. وغافلته و هربت إلى أفغانستان لأنضم مع صفوف المجاهدينْ ... أنا طالبٌ جامعي كنت أدرس طب الأسنان بولاية فلوريدا.. لكن إعتداءات الكفرة علينا جعلت الدماء تغلـــــي في عروقي .. لذا أنا هنا..

-حمزة (متسائلاً): هل .. هل شقيقك يعمل طبيباً في القوات المسلحة التابعة لبلدكْ ؟

-الأسيرْ (و عينيه جاحظتينْ :(أجل .. شقيقي يدعى راشدْ.. أتعرفهْ ؟

دمعةً ساخنةً تدحرجت على خد حمزة .. و الذي سرعان ما حكى للأسير قصته مع أصدقائه و بداية تعارفهمــْ حتى جرت الدموع في مقلتي الأسيرْ ليصرخْ:

-الأسيرْ: شقيقي جاء و خاطر بحياته ليبحث عني ، آآآآآآه كم إشتقت اليه .. أسعد الله قلبك ياأخي في الله كما أسعدت قلبي..

أخذ الإثنان يبكيانْ حتـــــى جاء أحد الجنود وأشار للحارس بأن يفتح قفل السجن .. و أخبر حمزة بأن يستعد لأنه سيتمــْ نقله لسجن كابولْ..

فقامــ حمزةٌ من مكانهْ ... و نظرات حزنٍ في عيني الأسيرْ

-الأسيرْ: أشكرك .. بشرك الله بالجنة .. لكن ما إسمك يا أخي ؟

-حمزة) مبتسماً و الجندي يقيدُ يديه بالأصفاد): أدعى بالأصمعي.. لا تقلق يا أخي في الله .. أحس بنصرٍ عظيمْ وْ قريبٍ من الله تعالى .. أكثر الدعاء و تضرع لله..

-الأسيرْ: أتمنـــــى ذلك ... بإذن الله تعالـــــى..

و غاب حمزة... و بدأت رحلة عذابٍ أخرى حتى وصل إلى سجن القوات الأمريكية في كابولْ .. و تعرض لكل أنواع الضرب و التعذيب و الإهانة .. لكنه كان قوياً.. يشد من أزر الأسرى هناكْ . .و يذكرهمــ بأجر الله تعالـــــى وجناتهْ..

و هناك تعرف على والد زينب .. و لما فقد الجنود الأمل بأن يعترف لهمــْ حمزة .. أخلوا سبيله مع عددٍ من الأسر ى و كان من ضمنهمْ والد زينب الذي أحبه و استضافه في منزلهْ كصديق و إبنْ.. و قد عاونه حمزةٌ على المعيشة هناك . تعلم مهنة الاسكافية .. و ها هو الآن في هذا العش الهادئ و الصغيرْ .. و كأنـــــ

/

\

/

\

/

\

/

أصواتُ قدمــٍ صغيرة تخطو بحرصْ .. لتحصل من بعدها جلبةٌ كبيرة و تتعثرُ صاحبة القدمــ بنعلي حمزة و تسقط أرضاً عند رأسهْ..

المشهـــــد الثـــامِـــــــن

مَشاعِرٌ مَفقـــــودَة

تبكي زينب بحرقة .. أخذت تبكي و تحلف بأغلظ الأيمان بأنها لمــ تقصد أن توقظ حمزة و هو يصر و يقســمــُ بأنها لم تزعجه و لم يكن نائماً بالأساسْ لولا الحياء لإحتضن يديها بين يديه و ضغط عليها برقة ليخفف خجلها و خوفها هذا:

-حمزة (و يديه تتحركان في الهواء و كأنهما تتساءلان هل يمسكان بيد زينب أم لا): صدقيني لم تزعجيني و هذا منزلك .. و أنا الضيف هنأ و لك حرية التحرك كما تريدينْ..

-زينبْ (و عينيها منتفختين من البكاءْ): سامحني. سامحني يا حمزة أرجوك.

-حمزة (مبتسماً): و على ماذا أسامحكُ يا إبنة الغالـــــــي ؟.. لا عليك .. إنسي ما حدثْ ... و لنبدأ صفحةً جديدة.

تبتســـــمــْ زينب و يضحك حمزة و يشجعها على أن تفك تلك الضحكة التي تخفيها لتطلقها زينب بكل براءة .. لحظة صمت .. و تحاول الأعين أن تبوح بأشياءٍ ما في الخاطرْ .. تقطعها زينب و هي تحاول أن لا تلتقي عينيها مرةً أخرى بعيني حمزة:

-زينب (بخجلْ) : حمزة.

-حمزة: نعـــــمـــْ.

-زينبْ (تشبك أصابعها بقوة و كأنها تبذل جهداً لتتحدثْ): هل صحيحٌ بأنك ستتزوجني ؟

-حمزة (مازال يبتسم و ينظر لعيني زينب الخجلتينْ): لمــ أقل ذلك .. والدك قدمـــــ لي هذه الدعوة .. و لم نتفق على شيءْ ..

-زينب (تنظر لعينيهْ لأول مرة): أتمنـــــى أن يحصل ذلكْ..

-حمزة) أخرسته الصدمة... .. (

-زينب (و دموعٌ تترقرق في عينيها و تضع يديها على ركبتي حمزة و كأنها طفلة): إغفر لـــــي صراحتـــي .. لكني معجبةٌ بكْ .. ووالدي أخبرني الكثير عنك . لا أريد العودة للخليج ... لا أريد الزواج بأحد أبناء عمي .. لا يهمني شيء .. يشرفني فقط أن أحمل إسمكْ..

-حمزة (يبعد يديها عن ركبتيه و يحتضنها بين يديهْ): زينب .. يا إبنة الغالـــــي .. يشرفني أن أناسب والدك .. و يشرفني أكثر أن تكون لي زوجةٌ عاقلة .. و متدينة و رائعة مثلك .. لكني لا أناسبك .. منذ دخولـــــي إلى هذا المنزل إعتبرتك أختاً صغيرةً لي .. يصعب علي أن أعتبرك غير ذلك..

-زينب (تبكي مجدداً): ما العيب فينـــــي يا حمزة ؟ لم لا أناسبك ؟

-حمزة (و إبتسامته لا تفارقهْ): لم أقصد السوءْ .. لكني أولاً لا أفكر بالزواج نهائياً .. تفكيري منصب في الجهاد في سبيل الله و في البحث عن أصدقائي الذين إفترقت عنهمـْـ..

-زينب (صامتة.. ... .. :(

-حمزة (يستنشق الهواء وكأنه يستجمع قواه من أنحاء جسدهْ): أضيفي لذلكْ .. أنا كبير في السنْ . أبلغ الخامسة و الثلاثين من عمري و أنت مازلت صغيرة و لم تبلغي العشرين بعدْ ، لا أريد أن أظلمكْ .. لا أريد .. و لم أعمل بعد .. و أحتاج وقتا لأعود و أرتب نفسي و أحدث عائلتي و و و .. على أقل تقدير أحتاج لخمس سنين أخرى لأرتب نفســـــي..

-زينب (بحرقة): لا يهمني ، تزوجني و عد لبلدك و رتب كل شيء .. سأنتظرك.

-حمزة (يربت على يديها): عزيزتي .. يا إبنة الغالي.. إعفيني من ذلك ... لا أستطيع صدقيني لا أستطيع .. أسأل الله أن يرسل لك زوجاً صالحاً أفضل مني ليسعدك..

تحتضن زينب وجهها بين يديها و تبكي بحرقة .. و حمزة يحاول تهدءتها:

-حمزة: سامحيني يا زينب .. هي مشاعر مفقودةٌ عندي منذ زمنْ.. سامحيني و إغفري لي صراحتي .. لكنها الحقيقة .. كمـــــا أن..

تغادرُ زينب غرفة الجلوس قبل أن ينهي حمزةٌ كلامه و تغلق الباب بهدوء .. لتتركه بحيرته و بآلامه التـــــي عادت إليهْ من جديدْ .. فيكسرُ الصمتْ والجمود و يسحب معطفه من على الكرسي و يخرج من المنزل .. و يمشي في تلك الليلة المظلمة و دموعٌ تحاولُ أن تذيب الجليدْ .. و صوت ضميرٍ يأنبهْ و يعاتبهْ:

سحقاً لكْ !! خسرت ملاكاً

و آخر يحاول تضميد جراحهْ..

فعلت الصوابْ .. فعلت الصواب ياحمزة

يسيرُ حمزة بخطوات قويةٍ و متسارعة .. لتقودَه قدماه لكابينة الهاتف التي مر بها من قبلْ.. و رأى قبعة الرجل العجوزْ الذي كان يتحدثْ منذ سويعات قليلة و يبدو بأنهُ قد نسيها هنا .. يدخلُ حمزةٌ للكابينة و يرفع سماعة الهاتفْ. .. و لا يحرك ساكناً .. و ما هي ثوانٍ حتى أخذت أصابعهُ تضغط أرقاماً مختلفة .. و ينتظر .. ينتظر بحرارة .. فيصلُ إليه ذلك الصوتُ الدافئْ:

-آلو .. آلو..

حمزة (بتردد) : آلو..

صرخةٌ أحرقت الأسلاك و غمرتها بالأشواق و الفرحْ:

-حبيبي ، حبيبي حمزة أين أنت ؟ لم رحلت عني هكذا من دون أن تقول وداعاً ، إني أرقد في هذا المشفى مذ مدة .. و كنت

على يقينٍ بأنك ستقومـــ بالإتصالِ بي.. حمزة عد .. عد إليْ .. أحتاجك حبيبـــــ

-

-

-

-

-

توووووووووووووووووووووووووووت توووووووووووووووت...

ينقطع الخطْ .. و تعود حالةً من الهستيريا و البكاء تضج بذلك المستشفى .. و تتبعه دموعٌ ساخنة على الطرف الآخرْ .. أتذْكرون المشهدْ الخامسْ "أين أنتْ؟ .. "حيث ترقدُ على سريرهاْ كجثةٍ هامدةْ .. حيث فقدت خدودهاْ نضارتها ؟

هي ذاتها من حدثها حمزةٌ في الهاتف للتوْ..

ما أصعب دموعك على قلبي يا حمزة ؟.. و ما أقســـى معاناتكْ ، ليتني أرى من يشتري حب الله

و رسوله و يترك الدنيا و من فيها مثلك و مثل براكينْ..

الحلقة الثانية عشرْ: أيـــــن همـــْ؟

كعادة كل صباحْ.. يجلس والد زينب في غرفة الجلوس وبيده الجريدة، و بجانبه التشاي الأحمر المر المذاق، و بجانبه يجلس حمزة منشغلاً بإصلاح مجموعةٍ من النعلْ، فيدق المسمار في هذا ، و يرتقُ ذاكْ ... و زينب في المطبخْ، تجلي الصحون و تجففها، و نظرات غضبٍ تختلسها لحمزة الذي يتظاهر بأنهُ لا يراها.. منشغلاً بما بين يديهْ،و هذا مايزيد حنقها، فتغسل الصحون بعنف، فترتطم الكؤوس ببعض، و تصدر أصواتاً عالية تبعدُ والدها عن التركيز ليصرخْ:

-والد زينب : مابك يابنيتي تصدرين كل تلك الضجة ؟

-زينب تغسل الصحن(و دمعةً تترقرقُ في عينيها): آسفة ياأبي.

وحمزةٌ صامت.. صامتٌ و باردٌ كالثلجْ.. يقلب النعل تارةً .. ويطرقهُا تارةً أخرى .. و كأنه لا يعنيه ما يحصلْ .. و لا يعنيه ما يحصلْ.. وفجأة تسقط الصحون على الأرضْ و تنكسر .. فيقوم والد زينب من فوره ويرمي الجريدة، ليتفقد إبنته..

و حمزة .. حمزة هادئ..

هادئٌ جداً..

يعود والد زينب و يجلسْ .. وقد تغيرت ملامح وجهه .. و ينظر لحمزة بنظراتٍ تائهة:

-والد زينب: لا أعلم ما بها هذه الفتاة ، حالتها تسوء يوماً عن يوم .. أراها تائهة .. حائرة .. تفقد التركيز .. مابالها ؟

مازال حمزةٌ صامتاً .. و لم يبدي أية كلمة .. و اكتفى بابتسامةٍ هادئةٍ .. أخذ لحظتها الأب يكثر الإستغفار والتسبيح ..و رفع كفيه للسماء.. و مصباحٌ يتدلى بين أصابعه الملآ بآثار الزمنْ..

و بعدها..

تناول ما يحتاج إليه من أدوات .. و ارتدى حمزةٌ معطفه .. و خرجا من المنزلْ و عينين تبكيان تنظران من وراء البابْ ..وما أن يغيب طيف الرجلينْ ، حتـــــى يغلق الباب بقوة .. أجزعت من حولهـــا الحمامـــ الذي أخذ حيزاً فوق الباب ، وبنى عشاً صغيراً سقط على الأرض وتكسرت ثلاث بيضاتٍ

صارخة.

في السوقْ .. و تحديداً بجانب شجرة غافٍ كبيرةٌ .. يفترش والد زينب و حمزةٌ الأرض ببساط الخوصْ و النعل منتناثرةٌ في كل الجهاتْ .. و بالقرب منهم سوقٌ صغيرْ ... في أغلبهِ رجالٌ يبيعون أثاثاً قديماً – والأغلب بأنه أثاث منازلهمـــ يبيعونه ليقتاتوا و يطعموا صغارهمـــ ، و آخرين يبيعون الخضر .. ومجموعةٌ برعوا في الصناعة اليدوية من أدواتٍ منزلية، أدوات صيدْ ، أسلحة خفيفة و .. و .. مخدرات لمنْ عافت نفسهُ الدنيا و مافيهاْ..

راجت موضة الحشيش و الهيروين و الكوكايين بعد الحرب التي شنتها القوات الأميركية على أفغانستان .. فالشعب يموت جوعاً .. و لا سبيل للعيش غير بيع المخدرات خاصةً بأن أراضي أفغانستان تعتبر من المصادر الكبيرة لإنتاجها، و النساء الأفغانيات من أكبر المستهلكات لتلك الأنواع الضئيلة المفعولْ كنوع من المسكنات و المهدئات من ضيق العيشْ و الحال تبعاً لآخر إحصائية عن المخدرات لهذا العامـــ..

بعد أن أنهـــــى حمزةٌ تصليح النعل الخاصة بهْ، يودعُ أبا زينب الذي دعا

له بأن يعود سالماً، يذهب لإصطبل خيولٍ قريب .. فتقف فرسٌ بيضاء على رجليها و كأنها تحيي فارسها.

ليداعبها حمزةٌ بأصابعه و يمتطيها .. و يسرعُ كالريح ليخرج من السوق متوجهاً لعمله الثاني في مكان ما خارج مدينة كابولْ ..

في تلك المنطقة التي تقع بين الهضاب و طرف أحد الجبالْ.. حيثُ يوجد مايشبه المنازل في الخارجْ .. لكنه أقرب للوكر من الداخلْ .. تجري تلك الفرس و تسابق ريح الصحراء الحاااارة ومن فوقها فارسها الذي أخذ يضرب فخذيها بساقه، فتثيرُ حوافرها زوابع رمليةٍ ذهبية تتراقصُ في السماءْ.

ما إن يقترب حمزةٌ وفرسه أكثر من ذلك الوكر، حتى يحلق أحد الصقور من قمة الجبل و يضرب بقوةٍ جناحيه و ينخفض و ينخفض ماراً برأس حمزة الذي يضرب فرسهُ بساقه اليسرى لتسرع بالجريْ ، و يصدر ذلك الصقر صيحةً عالية إلى أن يهبط على كتفِ رجلٍ طويل القامة يضع يديه على خصرهْ .. متلثماً بعمامته الأفغانية الحمراءْ .. و من خلفه رجالٌ يقفون بشكل متوازي .. وما إن يصل حمزةٌ إليهمـْ ..حتى تنطلق تلك الرصاصاتُ لتضـــيء صدر السماءْ ..و التهليل يصدحُ بالمكانْ..

يترجلُ حمزةٌ عن فرسهِ، و رجلينْ قد إقتربا منه ليأخذا فرسهُ الـــتـــي إنتصبتْ على قدميها ... و أخذتْ تزمجرُ و تنفثُ.. و قدميها العلويتينْ في الهواءْ..فيقترب حمزةٌ منها و يمسحُ على رقبتها إلى أن هدأتْ .. و الرجال يرقبونه ْ و يبتسموْن ... يسحب حمزةٌ اللجـــام و تتبخترُ فرسه وراءهْ.. فيفتح صاحب العمامة الحمراءْ ذراعيهْ ليحتضن حمزةَ الذي إحتضنه بحرارة..

-الأصمعـــــي: آسفٌ لتأخري .. لم أستطع القدومـــ بسبب بعض الظروفْ.
-صاحب العمامة الحمراءْ: لا حرجَ في ذلك أيها الأصمعي.

الفرسً تنفثُ . و تدك الأرض بحوافرهاْ .. و حمزةٌ يمسح رقبتها و يهمس ببضع كلماتٍ بأذنيها.

-صاحب العمامة الحمراء (يضع صقره على ذراعه مداعباً رأسهْ): أرى بأن العنقـــــــأء مازالت لا تحب الغربأء . و لم تتعود بعد علينا..

-الأصمعي (مبتمساً): ربمـــــا أفسدها دلالي لهـــــا .. هههههههه..

-صاحب العمامة الحمراءْ : لكنها فرسٌ لا تعوض .. لا يوجد أفضل من الفرس العربـــــــية.

-الأصمعـــــــي: قد هدأت الآنْ .. هلاَّ ذهبنا للداخلْ.. الجو باردٌ هنا.

صاحب العمامة الحمراء: حياك الله أيهـــــا الأصمعي.

في الوكـــــــرْ .. يجلس حمزةٌ و بجانبه صاحب العمامـــــة الذي إفترش خريطةً لكابول رسمها بيدهْ.. و ثلاث رجالٍ يحملونْ

السلاحْ...

-صاحب العمامـــة الحمراءْ: أعتقد بأنك تجازف بحياتكْ.. أرى بأن نرسل رسالةً إلـــى أصدقائي في قندهارْ.. و بدورهم سيتأكدون من صحة الخبر الذي وصلكْ..
-الأصمعـــــي: أنا متأكدٌ من ذلك .. أراهن بأن أصدقائـــــي على قيد الحياة.. لقد سمعت الجنود يهمسون بمعركةٍ كبيرة يطوقون بهـــا قندهارْ ليقتلوا كل مجاهدي طالبانْ.. و هدفهم الرئيسي أسامة بن لادنْ و أميرْ طالبان الملا محمد عمرْ و صاحبي براكين الغضبْ .. مما يعني بأنه على قيد الحيـــــاة..

-صاحب العمامة الحمراءْ: لا أحد يعـــلم أين أسامة و الملا محمد عمر .. ما أغبـــــى هؤلاءْ الحمقى ، كيف لأناسٍ يملكون عقل أن لا يعرفوا ماهية من يواجهونْ ؟ إنها أشبه بحربٍ تحارب فيها من لا تراهْ..

-الرجل الأولْ: أنا معـــك في ذلك سيدي .. لكن ما لعملْ ؟ إنهم يستنزفون الأرواح و الدماءْ .. و لا أحد يستطيع فعل شيءْ لقد إنهارت أفغانستانْ إنهارتْ .

يبكـــــي الرجل المسكينْ وسط محاولة تهدئة أصدقائه لهْ... ليردف الأصمعي:

-الأصمعـــــي: لا تبكي يا رجلْ .. أرجوك لا تبكي فالرجل لا يبكي .. قلبي يتقطع على دموعك..

-صاحب العمـــــامة الحمراء: نصر الله قريب.. و الفرج قريب.. و موعده في علـــمـــ الغيبْ .. أخفاه الله عنـــــا لنعملْ .. و نخلص في أعمالنا من صلاة و صوم و جهادْ ليكافئ الله من يشاء .. و هو إختبارٌ لصبر كل واحد منا ... أرجوك إمسح عنك الدموع ... أنت رجل يحارب بجيش عمرانْ .. و لا مكان للضعفاء في جيشي..

يكفكف الرجل دموعهْ.. و يمدُ الأصمعي بكأسٍ من الماء إليهْ، فيشربها بهدوء و بصعوبة لغصةٍ علقت بحلقهْ .. فيقطع عمراناً الصمت موزعاً نظره على الرجال الأربعة:

-عمرانْ: أبناء العاهرات من الشيعة و الخونة يأيدون الجيش المعارض .. و باكستان تحاول كسب ود الشعب الأفغاني ..و الكل يضرب من جهة .. لذا علينا أن نواجهه بلا كلل و توقف و تخاذلْ .. جيشي يحارب في جبهة كابولْ .. و طالبان تحارب في جبهة قندهار .. و إن إنضمت إلينا باقي الجبهات المأيدة لنا و لحرية أفغانستان، فبتحالفنا جميعاً سندحر جيوش الأعداء، و نُرجع الأمريكان لديارهمـــ خائبينْ، و نحرر أفغانستانْ .. مارأيكم يا أصحاب؟..

-الأصمعي) يمسح على لحيته): للآن طالبان معنا ... تبقت جبهة الجنوب و الشمال لنلم شمل أفغانستان.. هل أرسلت رسولاً من عندنا للجبهتين يا عبدالجبارْ؟..

-عبدالجبار: أجل.. أرسلت رسولين لا واحداً .. و أنتظر عودتهما بعد أسبوعين تقريباً لطول الرحلة . و أتمنى أن يبشرانا بموافقة الجبهتين على التحالف معنا ... و سلام مسؤول عن الرسائل و محتواها..

-سلام: أجل .. لقد تأكدت من صحة الطباعة .. و سلامة اللغة .. فهمـــ أفغان .. و في الشمال هم من البشتون .. ووجب علينا مراعاة ذلك..

صمتٌ يرتشف فيه الرجال الشاي ليقاطعهم الرجل الأول صاحب الدموع:

-الرجل الأول : لم لا تساعدنا الدول العربية على الأقل نحن نعاني من ضعف الصفوف .. و من الصراعات القبلية على أرضنا .. لم أرى دولةً وقفت معنا حتى الآن أو أمدتنا بالقوات غير تأييدهم لطالبان في الأخبار فقط.

تبادل للنظرات بين عمران و الأصمعي و عبد الجبار و سلام .. ليصرخ فيهم:

-أين همـــــ أخوتنا المسلمون ؟ أين هم ؟

-عمران (يطبطب على كتفه): أتفهمـــــ مشاعرك يا وائل .. خاصةً بأنك قد أتيت من بلدٍ محتل و عانيت من المحتلين هناك.

-وائل: لمـــــ أترك وطني هكذا إلا لسأمي من الوضع المؤسف هناك . نموت من الجوع ، ،و نأكل أوراق الشجر لنسد جوعنا .. و الأموال تصرفُ على ترفيه الرؤساء فقط ، و الدول العربية لا تكترث لا تكترث.

-الأصمعي.. ... .. :

-وائل (يحتضن وجهه بين يديه): خمسين عاماً نعاني من الإحتلال الاسرائيلي و ما من حل ، و لا أريد لأفغانستان ذلك . لا أريد...

-عبدالجبار : أروع شيء في أفغانستان و الشيشان و غيرها من الثغور هو إنضمامكم إلينا أيها العرب .. ما أروع أن أكون في جبهة الحرب و إلى جانبي شاميٌ و خليجي وباكستاني يجمعنا الدين .. والهدف الواحدْ .. أنا أفغانيٌ و فخورٌ بكمـــــ..

-الأصمعي: و أنا كذلك .. فخورٌ لأني أقاتل مع أخوةٍ يجمعني بهمـــ الدين قبل الدمـــــ..

-عمران: إذا .. نصل لخاتمة ليلتنا هذه .. أقف عند إصرارك أيها الأصمعي على الرحيل .. و أفضل أن ترحل الليلة و بأسرع وقت ممكن لتصل لقندهار سالماً قبل تلك الحرب المعلنة على قندهار و تنضمـــ لجبهة المقاتلين هناك لتمثلنا رسمياً و تعثر على أصدقائك .. أما أنا .. علي تأمين جبهة دفاعية في كابول قبل أن ألحق بكمـــ بعد يومين لأنضمـــــ لصفوف طالبان و ندعمهـــم في حربهم مع القوات الأمريكية ..و إلى أن يصلنا الرد من جبهة الجنوب و الشمال، سنوحد الصفوف بالتعاون مع قادة طالبان لنتفق على الخطوة الساحقة لنسحق بها هؤلاء الكلابْ..

-الأصمعي : ألا ترى بأن مغادرتي لكابول مبكرة جداً ؟

-عبدالجبار : ما نعرفه بأن القوات تستعد لتهاجم قندهار .. و لا نعلمـــ بمدة الحصار .. لذا عليك أن تسرع أيها الأصمعي .. و سأرسل معك عدداً من الجند لتشاركوا طالبان في معركتها..

-وائل: أتمنـــــــــى أن ننتصر عليهمـــ و نسحقهمـــ كما سحقهمـــــ جيش جنوب قندهار.

-عمران: أجل .. لقد سررنا لذلك النصر العظيمـــ هناك .. و هذه هي البداية فقط.

-الأصمعي: خسارة القوات الأمريكية هناك هي مازادت حنقهمـــ . فطلبوا الإمداد من قواتهمـــ في كابول.

-سلام : أجل .. كانت هزيمة كبيرة و خسارة عظيمة للأرواح لهمـــــ .. قد كنت أسيراً في ذلك المعسكر يا أصمعي .. أليس كذلك؟.

-الأصمعي: أجل .. أسِرتْ .. لمـــــ أتوقع بأنها جبهة قتال.. ذهبت هناك لأشتري البغال لي و لأصحاب لأننا كنا متوجهين لقندهار حتى داهمني الجنود و إعتقلوني..

يصمت الأصمعي حمزة .. و الأعين تنظر إليه تترقب أن يستمر في الحديث .. حتى يغيب الأصمعي عن الواقع للحظات .. و

تعود ذاكرته للوراء .. لذلك اليومـــ المشؤومـــــ ... حيث يجلس مقيداً على كرسي التعذيب .. و المتمردْ يمشي ذهاباً و إياباً .. و الغضب يتملكه .. و الأصمعي ينظر إليه بعينيه المتورمتين ، و أنفه و فمه الذين تسيل منهمـــــا الدماء .. يرمق المتمرد الأصمعي بنظرات غضب فيبادره الأصمعي بابتسامة إنتشلها من كفن آلامه ليعالجه المتمرد بلكمة على وجهه ليسقط على الأرض من شدة الإعياء .. فيصرخ فيه:

-المتمرد (يمسك الأصمعي من تلابيبه): لم لا تعترف و تكفينا شر إبتسامتك هذه فقط إعترف بذلك.

-الأصمعي (يتحدث بصعوبة :(لا أعلم عما تتحدث .. و لا أملك ما تريد ، أنا نفسي لا أعلم من هو براكين!

-المتمرد (بغضب): بل تعلم ، أنه هو الليث ، ليث الشيشان أنا متأكد ، لم نحضر إلـــــى هنا لتقول لي لا أعلم يا حمزة ، دعك من هذه النخوة يا صاح

وأخبرني بالحقيقة لأتركك في حالك.

-الأصمعي: لا أعلمـــــ..

-المتمرد: بل تعلمـــ.

-الأصمعي : من هي تلك العاهرة التـــــي حولتك لحيوانٍ هكذا.

-المتمرد: كف عن إهاناتك هذه.

-الأصمعي :صدقني .. جئت لهدفٍ واحد .. ألا و هو الشهادة في سبيل الله .. و قتلكم لـــــي سيسهل علي ذلك .. فهيا .. إغضب يا متمرد و اقتلني أرجوك.

-المتمرد (يصرخ :(ياااااااااالهي ، ستقتلني بكلامك هذا سحقاً لك .. (و لكمة على وجه الأصمعي ..(سحقاً و تباً لك..

يقف المتمرد على قدميه و الأصمعي يحرك جسمه لليمين ليتخذ وضعية النومـــ على الظهر .. ينظر للسقف.. متألماً .. و المتمرد يغلي و يغلي .. فينظر إليه الأصمعي:

-الأصمعي: لم يا تركي ؟

-المتمرد :لست بتركي أنا المتمرد..

-الأصمعي: لم خنت أصحابك و دينك و بلدك ؟

-المتمرد: كمـــ أحس بالضعف أمام برودك و قوتك هذه .. إلي بالسوط يا رجال..

و يشبع المتمرد بالأصمعـــــي ضرباً بالعصـــــا .. و ينضمـــ إليه جمعٌ من الجنود ليتناوبوا على ضرب المسكين الذي خارت قواه .. و غاب عن الوعـــــي ليجد نفسه في السجن مع الأسرى .. حيث قابل شقيق الفارس..

-أين سرحت أيهـــــا الأصمعي ؟

صوتٌ أيقظ حواس حمزة .. و أرجعه لأرض الواقع .. لينظر في تلك الوجوه النقية .. تبتسمـــ له ليبادلهمـــ بإبتسامته المعتادة .. فيتناول عمامته .. و يلفها على رأسه و يقف:

-الأصمعي: أنتظر أن ألقـــــى بجنودك أمامـــ بوابة المدينة فجراً .. عمران أنتظرك يا صاحبي في قندهار .. لنحارب معاً في صف الأحرار .. و الآن .. أستودعكمـــ الله..

يقف الرجال .. و يحتضنون الأصمعـــــي .. و لمـــــ يستطع وائل منع نفسه من البكاء .. و الأصمعـــــي يحاول تهدأته .. و ما أن يخرج الأصمعـــــي حتى تجري العنقـــــاء ناحيته كعاشقةٍ تترقب ظهور عشيقها .. ليمتطيها الأصمعـــــي بخفة ... و يرفع كفه للأعلـــــى ناحية الرجال الذين لوحوا له بأياديهمـــ .... و صاح بأعلى صوته:

-الله أكبـــــــــــــــــــر

فيردد الجمع من ورائه الله أكبـــــــــــــــر ... فتدك العنقاء الأرض بحوافرها مجدداً..

و تقف على قدميها الخلفيتينْ .. و كأنها تودع ذلك الجمع .. و من ثمـــ تطلق العنان لقدميها

لتسابق ريح الصحراء من جديدْ...

يضع المفتاح في القفلْ بكل هدوءْ .. و يحركهُ لليمين بكل حرصْ.. و يدخل يده ليرفع قطعة الحطب الصغيرة عن القفل الداخلي .. و يفتح الباب على مصراعيه و يدخل .. يقف و ظهره على الباب .. و يمسح العرق عن جبينه و كأنـــــما يشكر الله بأنه لمـــ يوقظ أحداً من نومه.. فترجع إبتسامته ... و يفتح عينيه ..و يمشي خطواتٍ صغيرة ناحية طاولة الطعـــــامـــــ القديمـــــة بغرفة الجلوس .. و يخلع معطفهُ و يضعه على الكرسي .. و يجلس ليفتح حبال حذائه المليء بالرمل .. فيرفع الحذاء و يقلبه ليخرج الرمل منه .. فتعانق عينه لحظتها عينيها الخضراوينْ الغاضبتينْ..

تعود عيني حمزةٌ لحذائه الآخر .. فيقلبه ليفرغهُ من الرمل .. و مازالت ترمقه بتلك النظرات و سط هدوئه و بروده .. فتوجه إليه حديثها:

-زينب: قد قتلني صمتك يا حمزة ، أقسمـــ بأنه قتلني.

-حمزة (ينفض الغبار عن ملابسه و يرتب حاجياته على الطاولة... .. :(

-زينب: ما خطبك ؟ لم أنت صامتٌ هكذا ؟ .. لم لا تحس بـــــي ؟ إني مغرمةٌ بك يا رجلْ.

-

مازال حمزةٌ يرتب حاجياته ..و قد رفع عينيه لزينب .. و أعادهمـــــا لما بين يديه من نعلٍ و أدوات ليوضبهمـــ على الطاولة .. و زينب تحترق . و تحترق.. و تقترب من حمزة و تشده من تلابيبه وسط دهشة حمزة الذي صدمته جرأة زينب:

-زينب : إني أحبك يا رجل أحبك .. و أريدك زوجاً لي.

-حمزة (يحاول إبعاد يديها عنه): ويحك يا فتاة هل جننتي ؟ إخفضي صوتك ستوقظين أباك و الجيران.

-زينب (و دموعها تنهمر): والدي ليس بالمنزل.. و لا يهمني أن يسمع الجيران .. يهمني أن تحس بي .. أن تحس بي يا حمزة..

-حمزة (يبعد يديها عنه): يا فتاة يزعجني ما آل إليه حالك .. قد صارحتك بما في قلبي .. لا أكن لك إلا مشاعر أخوة .. ووالدك عزيز علي و لا أقدر أن

أتلاعب بمشاعرك من أجل إرضاء مخلوق..

-زينب: لا يهمني . تزوجني .. تزوجني..

-حمزة (بحزم): هل أصابك الجنون ؟ .. كيف أتتك الجرأة لتطلبي مني الزواج .. عودي لوعيك و فكري بعقلك .. هل ما تفعلينه من الدين في شيء..

-زينب: لا أريد . ما أعرفه بأني متيمةٌ بك.

-حمزة: و الله توقعت أن يحصل هذا .. و أن تتعلقي بشخصٍ غريب ..و قد أصررت على والدك بأن أعيش وحدي .. إلا أنه أصر على أن أعيش معكما .. أرجوك .. إن كانت لي مكانةٌ في قلبك أن تذهبي قبل أن يصل والدك .. و يظن فيك و فيني كل سوء .. أتوسل إليك يا زينب..

-زينب : لن أذهب حتى تعدني بأن تتزوجني.

-حمزة (بغضب): أرجوك إذهبي من هنا قبل أن أفقد أعصابي . . و احتفظي بما تبقت لك من كرامة على الأقل أمامي.

-زينب) تبكي وتمسكه من تلابيبه مرةً أخرى): لاااااااااااااا .. لاااااااااا .. أحبك .. أحبك يا حمزة.

لأول مرة يعبس حمزة .. و تتحول ملامحه الهادئة لوحشٍ كاسر .. و ينظر لزينب الخائفة بغضب و حنق .. و يمسكها من يديها و يبعدها عنه بعنف .. و يسير بها للخلف . و يرغمها على الجلوس .. و يحضر كرسياً و يجلس قبالتها .. و يخاطبها بكل غضب وسط ذعرها:

-حمزة (غاضباً): إسمعي يا فتاة .. أنا وهبت نفسي لله وحده عزوجل . . و أريد جناته و الحور العين .. و لا تهمني الدنيا و لا نساءها .. و اعلمـــــي .. و هذا سرٌ أبوح به لك فقط .. أن لـــــي خطيبةٌ عقدت عليها القرآن .. و خيَّرتها بعدها بأن أسرحها بإحسان لأنني لا أريد إكمال هذا الزواج و بأني أريد أن أجاهد في سبيل .. بكت الدماء لا الدموع .. و لمـــ تحرك فيني شعرةً و لا أي شعور .. و لحظتها أحسست بأني أقسى مخلوقٍ في هذا الكون .. لكني عند ربي و ديني أتحجر .. أتحجرْ .. فهربت من الزواج .. و تركت الديار و الأهل .. لآتي هنا لأقاتل في سبيل الله .. لا لأن تردعني امرأة و تمنعني عنهْ..

توقفت الدموع فجأة عن الإنهمار.. و زينب تنظر بتعجب و دهشة لحمزة .. و لمـــ تصدق ما ترى و تسمع .. فيردف حمزة:

-حمزة: فلن تقدري أنت و لا هذا الكون على ردعـــــي عن ما أريد .. و غداً صباحاً سأرحل عن كابول .. لأقاتل في جبهةٍ أخرى .. و بعدها لن تريني .. و لن أعود أبداً لأبعد عنك و عني كل ألمـــ .. أفهمتي..

تحاول زينبْ أن تغالبَ دموعها .. و فجأة تعود ملامح حمزة الرقيقة و الهادئة تدريجياً ... ويعود لوعيه و يكتشف مدى

القسوة التي عامل بها زينب التي تورمت عيناها و خديها .. فتهمس زينب:

-زينب: لن أتركك..

-حمزة (بدهشة) : ماذا..

-زينب : لن تذهب .. ستبقـــــى هنا..

-حمزة (ضاحكاً) : صدقيني لن تستطيعـــــي منعي.

-زينب (تعقد حاجبيها) : إن أصررت على رفضك لي . سأدَّعي بأنك حاولت إغتصابي.

-حمزة (يصرخ): أستغفر الله ، أستغفر الله و أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ألا تفكرين بسمعتك ألا تفكرين بصدمة أبيك بي ؟ والدك رجلٌ طيب .. و لا يستحق منك ذلك . و عيبٌ عليك بأن تكذبي و تطعني بي هكذا..

-زينب :سأفعل ، حتى لا ترحل.

-حمزة : إستعيذي بالله و لا ترتكبي حماقةً كهذه..

صوتُ مفتاح ما في قفل الباب .. و زينب ترمي بنفسها بحضن حمزة و تصرخ طالبةً النجدة .. و حمزة يحاول إبعادها عنهْ .. و الوالد ينظر غير مصدقٍ لعينيه .. و زينب تصرخ و تصرخ و تبكي .. و تبعد حمزة المصدومـــ و تجري ناحية والدها و ترمي نفسها بحضنه صارخة

-والدي .. والدي أنجدني ، حاول هذا الوغد إغتصابي..

و صمت آخر .. لكن قاتل . ينظر حمزة لوالد زينب و قد عجز لسانه عن النطق .. و الوالد ينظر لحمزة غير مصدق لمـــ يسمع و قد رأى كل شيءْ .. فمن يصدق يا ترى ؟ أذنه أم عينيه.

عثرةٌ أخرى في وجهك يا أصمعـــــي ... تقف بينك و بين ذهابك لقندهار .. هل كتب عليك أن تعاني ؟.. و أن يعاني أي مجاهدٌ في الاسلام ؟..

أيها المجاهدينْ .. أي بلاء يحل بكمـــ .. و أية قوة عزيمة و صبرٍ تحملون..

الحلقة الثالثة عشر: لا الـــــه الا اللهْ!!

تجري ناحية والدها و ترمي نفسها بحضنه صارخة

-والدي .. والدي أنجدني ، حاول هذا الوغد إغتصابي..

و صمت آخر .. لكن قاتل . ينظر حمزة لوالد زينب و قد عجز لسانه عن النطق .. و الوالد ينظر لحمزة غير مصدق لمـــ يسمع و قد رأى كل شيءْ .. فمن يصدق يا ترى ؟.. أذنه أم عينيه . .وشيطانٌ بثوب امرأةٍ يبتسمـــــ بخبثٍ.. في حين أن والد زينب يرتجفْ ..يرتجف و يرتجف و ترتعش ذراعاه ..و زينب تفتح عينيها مندهشة .. فتبعد وجهها عن حضن والدها حتى تتلقى صفعةً على وجهها تطيحُ بها على الأرض بقوة .. فتصيح زينب بوالدها و هي تتحس وجهها المُحمَّر بأصابعها الصغيرة

-زينب (تبكي :(لماذا ياوالدي ؟ ماذا فعلتْ ؟

-والد زينب (بغضب): إغربي عن وجهـــي يا ناقصة العقلْ ، إغربي عن وجهي ولا أريد رؤيتكْ.

-الأصمعي (يضع يده على كتف والد زينب محاولاً تهدأته): أرجوك يا أبا زينـــــ..

-والد زينب (يصرخ بوجه الأصمعي): إخرسْ أنت.

تعقد الدهشة لسان الأصمعي الذي أخذ يتراجعُ بخطواته للوراء يحتضن وجهه بكفه و كأن دواراً قد أصابه .. و سحب كرسياً و جلس عليه.. و زينبْ مازالت على الأرض جامدة مصدومة من تصرف والدها معها .. فرفعت بيدها رأسها و سحبت حجابها للأمام و ساوته على عنقها .. و قامت و هي تسحب ساقيها و دموعها لا تتوقف .. و تغادر غرفة الجلوس و تغلق الباب من خلفها .. ما أن تغلق زينب الباب .. حتى يخر والدها على كرسي وراءهْ .. فيدخل في دوامة صياح و بكاء أذهلت الأصمعيْ .. فكيف لرجلٍ كبير في السنْ و لديه فتاةٌ كالقمرْ .. أن يحتضن وجهه هكذا ويبكي كالأطفالْ ؟

يقترب الأصمعي بهدوء من الرجل المسكينْ،و يجلس على ركبتيه و يواجهه بعينين دامعتينْ، و ما أن تلتقي عيني والد زينب بالأصمعي حتـــــى يأخذه بأحضانه بقوة ، فيشد الأصمعي و يضمه بقوة، و يبكي الرجلينْ معاً. يهدأ والد زينب قليلاً و يبعد الأصمعي عنه، و يضع بلطف كفه على وجهه و يحدِّثه بصوت مبحوحْ....

-والد زينب: سامحني . سامحني يا حمزة . إغفر لإبنتي وقاحتها و صغر عقلها . و إغفر لرجلٍ عجوز مثلي الإهانة التي تعرضت لها..

-الأصمعي (يمسك كف والد زينب مقبلاً إياها): لا يا أبا زينب أنا المخطئ.. ليتني ماجئت إلى هنا .. ليتني .. ليتني يا أبا زينبْ .. (و يبكي الأصمعي بحرقة..(

-والد زينب: أنا المخطئ .. أنا .. أنا الذي زينت فكرة ذلك الزواج لدى إبنتي عندما كنت أمتدحك أمامها .. ظننتها عاقلة .. لا مجنونةً هكذا .. أقسمـــــ بأني سأكسر عظامها لأنها تعدت عليك...

-الأصمعي: لا يا أبا زينب .. لا تفعل هذا .. أرجوك .. من أجلي .. من أجلي فقط..

-والد زينب (مبعداً كف الأصمعي): فلنخرج من هنا يا حمزة .. أكاد أختنق..

-الأصمعي (يقف على ساقيه و يعاون والد زينب على النهوض): هيا أرجوك .. إهدأ .. إهدأ قليلاً..

يخرج الرجلينْ من غرفة الجلوسْ، و عينين باكيتينْ تنظران من خلف بابٍ ما، تدير ظهرها للباب مستندةً إليهْ، فترفع يديها للأعلـــــى مناجيةً اللهْ:

-زينب (و دموعها تنهمر): سامحني يا الله .. إغفر لي جنوني . قد لعب الشيطان بي و كدت أظلمـــ هذا البريء لرغبةٍ شيطانية بي.. إلهـــــي سامحني و اغفر لي..

في الخارجْ .. قريباً من اصطبلْ الخيولْ، يقف الأصمعي بجانب العنقاءْ، يمسح على رقبتها ووالد زينب ينظر إليه و صمتٌ

يفترشُ رأسهْ .. ينظر الأصمعي إلى والد زينب المنهار تماماً، فيدغدغ العنقاء التي بدأت تزمجرُ و تنفث و كأنها تضحك، و تركها متجهاً ليجلس على الأرض بجانب والد زينب، وأخذ ينظر إليه و هو يبتسمـــــ:

-الأصمعي: لم هذا الحزنْ ؟.. ألم نتفق أن ننســـــى ماحدثْ ؟

-والد زينب (ينفثُ هواءً حاراً من رئتيهْ): لا تعلمــ كيف كان وقع الأمر عليْ .. لو لم أكن أعرف طباعك و حسن أخلاقك لما تركتك حياً .. كدت لأقتلك بالرشاش الذي كان معي يا حمزة ، كنت سأرتكب مجزرةً اليومـــــ و السبب جنون إبنتي...

-الأصمعي: ليتك فعلتْ!

-والد زينب (يفتح فاهه مندهشاً): ماذا ؟ ماذا قلتْ ؟

-الأصمـــعي (بهدوءْ): تمنيت لو قتلتني .. و لا أن تمتد كفك لجسد إبنتكْ .. أزعجني موقفك معها

-والد زينب (بحَمَقْ): هذا جزاء من يتهمــ الناس ظلماً .. الله يحبك يا حمزة .. و إلا لم تصرفت هذا التصرف ...كما أني متأكدٌ من صدقكْ..

-الأصمعي (ينظر إلى عيني والد زينب و دموعٌ يصارعها): أحقاً تراني كذلك يا أبا زينب ؟ قلمَّا سمعت أحداً يمتدحني بحياتي بالرغمـــــ ما أفعله للناسْ..

-والد زينب: أجل يا حمزة .. أنت رجلٌ شهمــ و طيب ذا أخلاقٍ عالية .. و لا يستطيع حتى عدوك أذيتك لأن الله يحميك..

-الأصمعي (يرفع يديه للسماءْ :(لا إلـــــــــــه إلا الله .. وحده لا شريك له .. إلهي أشكرك .. أشكرك على ما أسمع الآنْ..

-والد وينبْ : أتذكر عندما حدثتني عن معاناتك أنت و صحبك حتى تصلوا لقندهارْ ؟ و كمــ عانيتمـــــ .. و معاناتك أنت بالأسر.. والعذاب الذي تذوقته

في ذلك المعسكر على يدي الكلاب الكفرة ، و أحدهمــ كان صديقاً لكْ..

-الأصمعي (و لمعانٌ في عينيه): أجل .. أذكر كل ذلك يا أبا زينبْ.

-والد زينبْ (يعتدل في جلستهْ): و نقلك إلى هنا و لقاؤنا.. كل هذه الأحداثْ تخبرني بأن الله يحميك .. يحميك يا أصمعي .. و لن يحمي الله إلا المؤمن الطاهرْ .. ذا النية النقية . و أراهن بأنك فعلت الكثير من الخير في حياتكْ .. و ربك يجازيك بها..

-الأصمعي: أرغب بشهادةٍ في سبيل الله يا أبا زينبْ .. لكني أريدها مع أصدقائي .. خاصةً صديقي الغالي براكينْ الغضبْ..

-والد زينبْ.. .. .. .. :

-الأصمعي (يتنفسُ بصعوبة قبل أن يكمل حديثهْ و كأنه ينتزعه إنتزاعاً): تعاهدنا نحن الأربعة .. تعاهدنا أن نساند بعضنا حتى نحقق أهدافَ بعضْ .. و هذا ما أريدهْ .. هدفنا أن نصل لقندهارْ ونبدأ من هناكْ .. لكن العثرات هي التي صافحت وجوهنا.. لذا أنا ذاهبٌ لقندهار فجر هذا اليومـــْ.

-والد زينب (جزعاً): اليومْ ؟ إلى قندهار ، كيف ذلك ؟ كيف ذلك ياحمزة ؟ و بهذه السرعة...

-الأصمعي (يهدئ العجوز المصدومْ): إهدأ .. إهدأ يا أبا زينب كيلا يسمعك أحدْ .. أجلْ ..أنا ذاهبٌ لقندهارْ فجر هذا اليومـــ .. لا تسألني عن السبب و كيفية تدبير ذلك .. لكني أعدك بأني سأراسلك من هناك يا أبا زينبْ .. أرجوك .. لا تمنعني . إتفقنا أن تستضيفني حتى أشفى من جراحي و أوهمــ الجنود بأني مت من جراحيْ .. والآن لاحت لي الفرصة بأن أغادرْ..

-والد زينبْ (دموعٌ على لحيته البيضاءْ.. .. .. (

-الأصمعي: أرجوك لا تبكي . . تحرقني دموعك أيها الغالي.. لا وقت لدي الآنْ ... علي أن أغادر قبل بزوغ الفجرْ يا أبا زينبْ..

-والد زينبْ : حفظك الرب يا أصمعي .. حفظك الربْ .. (يبكي بحرقة ....(ويلٌ لي .. سأشتاق إليك..

-الأصمعي (يقبل رأس والد زينبْ): حفظك الرب أنت و إبنتك زينب .. كنت أرغب بأن أودعها .. لكن أظن بأنه من الأفضلْ بأن أغادر هكذا..

-ولد زينب : خذ هذا المال يا أصمعي قد تحتاجهْ..

-الأصمعي :لاااااااااااا .. لا يا أبا زينبْ .. دعه لك و لإبنتكْ .. سأتدبر أمري..

يقترب الأصمعي من العنقاءْ و يمتطيها، و والد زينبْ ينظر إليه و قلبهُ يخفق و يخفق و دموعهُ لا تتوقف .. فيلوحُ له الأصمعي ... و يضرب بساقه العنقاءْ التي وقفت على قدميها الخلفيتينْ و إنطلقت تسابق الريح وتسابق دموع الأصمعي.. ووالد زينبْ .. يضعُ يده على قلبهْ و كأنما يتمنى إقتلاعهُ من شدة حزنهِ على فراق الأصمعي و بهذه السرعة..

-والد زينبْ: حفظك الله يا أصمعي .. حفظك اللهْ..

تجري العنقاءْ و تعانق شوارع كابولَ لآخر مرة .. و الأصمعي من فوقها يحاول حفظ صور هذه المدينة المدمرة بعينيهْ ..و يشتمُ رائحة رمالها لآخر مرة.. و قبل أن يبزغ الفجرْ، يصل الأصمعي لمنطقة ما بعيداً عن كابولْ .. ليلوح له من بعيدْ فرساناً على خيلهمـــــ.. يصل إليهمـ الأصمعي و يترجل من فرسه ليلقي عليهمـــــ السلامـ .. و منادٍ ينادي من بعيدٍ و يكبر و كأنه يدعوهمـــــ للصلاة .. فيقف الفرسان جنباً إلى جنب متراصي الصفوف ...و يصلون صلاة الفجرْ ... و من بعدها..

يمتطون ظهور الفرس و ينطلقونْ في غياهبِ تلك الصحراءْ..

متوجهين إليها .. إلـــــى قندهارْ..

المشهـــــد التاســـع

اااااااااه

جمعٌ غفيرٌ حول ذلك السريرْ الصغير و الذي إستلقـــــى عليه ذلك الجريحْ .. جراحٌ مثخنة و غائرة على ذراعيهْ .. و حروقٌ متناثرة .. و دماءٌ إمتزجت بليلِ شعرهِ الداكنْ .. و الأطباءْ و المشايخ يخرجون و يدخلونْ .. يمسكُ بذراعه و يمسح على الجروح بهدوءْ:

-ستعيشْ .. ستعيشُ ياصديقي ستعيشْ... (و نوبة بكاء تقطع قلبي معها..(

يدخلٌ شيخٌ كبير بالسنْ قصيرُ القامةِ متكئاً على عصاه و من خلفه رجالٌ يرتدون حلة القتالْ، فيقترب من رأس

المستلقي على السرير و صديقهُ ينظر إليه بحزن و يكاد يبكي فينظر له بغضبْ:

-الشيخْ : مالك تبكي يا غلامْ ؟

-بدهشة إمتزجت باستهزاءْ : صاحبي يموت . لذا أبكي يا شيخنا ..أتريد أن أرقص مثلاً ؟

تختلط الأصوات في الغرفة الضيقة التي تحتضر من ذلك الإزدحـــــــام ليتحدث الشيخُ بحدة و يشير بعصاه ليد صاحب المستلقي و ليزيحها بعيداً:

-الشيخْ (بصوتٍ مبحوحْ): قم من فورك يا غلامْ.

-و لكنْ.

-الشيخْ)يصرخْ): قمْ.

يقومـــ المفزوع من فوره و يقف مذعوراً من هذا الشيخ المتشببْ .. و الذي إقترب من المستلقي و أخذ يحدق فيه من تحت نظارتهِ القديمة، فأردفْ:

-الشيخْ : سيعيشْ .. هذا مجرد دلال زائدْ ، كيف لمصاب أن يبقى طريح الفراش كل تلك الأسابيعْ

-و لكنهُ أصيب في المعـــ.. – و على عجلْ– ثم إنه لا يتحرك و لا يجيبْ ، مات ، ماااااااات صاحبي .. (و يبكي متأثراً)

أخذ الشيخْ يحدق بالمصاب مرةً أخرى . و ابتسمـــــ إبتسامةً دهش لها الجميع فصاحْ:

-الشيخْ: انه حيْ.

-الناسْ :حقاًااااااااااااااااااا.

-الشيخْ: أجل ... أتريدون الدليلْ ؟

-الناسْ: أجلْ..

يرفعُ الشيخُ ذراعهُ للأعلـــــى و يهوي بقوةٍ على ساق المصابْ و الذي إحتقنت وجنتاهْ و الكل يترقب شفتيه المضمومتينْ بقوة

ليفتحهما بصرخةٍ عالية (آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآهْ)دفعت بالشيخ للخلف بقوة ليقع

بأحضان الجمعْ، و صاحبه يهللْ و يتراقص بمكانهْ:

-حي ْ حي إنه على قيد الحياةْ .. براكين الغضب على قيدْ الحياةْ.

-هاك يا براكينْ إشرب الماءْ .. جسدك أصيب بالجفافْ..

-براكينْ الغضبْ :عجوزٌ و هرمٌ أيضاً سحقاً له قد آلمني !! آآآآآآآآه لاااااااا لا تلمس ساقي .. إنها تؤلمني..

-آسف .. أعذرني .. من فرحتي بك لا أعلم أي جزءٍ ألمس من جسدك لأسندك فتشرب الماءْ..

-براكينْ الغضبْ: يكفي يا سيفْ .. لا أريدُ المزيدْ من الماءْ .. كرهت نفسي .. أرغب بخنقه بين يدي و أكسر عظامهْ .. كم أنا غاااااااااااااااااااااااضبْ.

-السيفْ: لالا أرجوك .. لا تغضبْ .. المسكين أراد المساعدة.. و أنت أعجبك دور المصاب الذي نسوق له الدلالْ .. يا عمي كف عن هذا .. لقد عرف هذا العجوز بأنك نصأب و كاذبْ.

-براكينْ الغضبْ) ينتفض في فراشهْ): أود لو أوسعك ضربا أنت الآخرْ..

-السيفْ: لن أهابك ما دمت لا تستطيع الوقوفْ على قدميكْ .. بالرغـــم من هذه الاصاباتْ و الحروقْ . إلا أني متأكدٌ من أنك لا تستطيع الحراك..

-براكين الغضبْ: ولدْ ، أصمتْ..

-السيفْ (يفتح ذراعيهْ): إلي بلكمةٍ قوية أيها الليثْ .. هيا..

براكين الغضب تحمر عينيه و الأدخنة تخرجُ من أذنيهْ و رأسهْ .. و السيف يضحكْ و يحاول إثارتهْ..

-السيف (بسخرية يقرِّب وجهه من براكين): إلي بصفعةٍ تدغدغْ وجهي يا براكينوْ..

و ماهي لحظاتٌ حتى يطير السيفُ للأعلـــى و يسقط بقوة على حافة الجدارْ .. ليقفز براكينُ من سريره و ينقض على السيف المصدومْ .. و يوسعهُ من ذلك الضرب المبرحْ .. والسيف يصرخ و يصرخ و يستنجد بالجمع بالخارج و براكين .. – ههه – مستمرٌ بعملية الضربْ .. حتى ما إن أحس بخطواتٍ تقتربُ من باب الغرفةْ. حتى يترك السيف الذي إزرق و إحمر و إصفر و يعود لسريره و يلتحف ... و ما أن يُفتح الباب حتـــى يتأوهْ براكين .. و يصرخ ألماً:

-آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه .. آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه يا رجلي..

الرجالُ ينظرون إلى براكين الغضبْ .. و يلتفتون إلى السيف الذي أمسك رقبته بيده و هو يصيح فيهم:

-السيفْ: رأيتهْ ، رأيته المحتال ، لقد مثل علينا دور المصابْ ، لقد قام بضربي.

لحظة صمت . فتُدار الرؤوس لبراكين و الذي يصرخُ بشدة و يمسك ساقه و يتأوهْ .. فيديرون رؤوسهمـــــ مرةً أخرى للسيف الذي يقسمــــــ أغلظ الأيمان بأنه صادقٌ في كلامهْ .. و تعود الرؤوس مرةً أخرى إلى نحيب براكين المتألمـْ !! فتعود ولكن بأعينٍ غاضبة تتفرس بوجه السيف الذي أخذ يتمتم بغضبْ:

-السيفْ: ويحك يا براكين ، ماينجيني الآنْ من غضب الأفغانْ ؟

*

*

ظلامـــــٌ دامسْ .. وسحبٌ دخانية .. خلفت وراءها السيف الذي نام على بطنهْ ممسكاً رأسهْ... يتأوه من شدة الضربْ المبرح الذي تعرض له على أيدي الأفغانْ بسبب كذبهْ .. و براكين هناك .. على سرير المرضْ – و المزعومـْ طبعاً– يصفق فرحاً..

لم يا براكينْ؟.. لم كل ذلك .. و ماذنب السيفْ المسكينْ..

صدق العجوز الذي كشف زيف مرضكْ..

هههههه..

لكنْ..

أين الأصمعيْ ؟..

أمازال في الصحراءْ؟

أتمنـــــى أن يصل قندهارَ سالماً هذه المرة

الحلقة الرابعة عشرْ :قندهـــــارْ!!

حصارٌ بغيضْ مارسته قوات الإحتلالْ و طوقت به قندهارْ العطشـــــى .. و التي تقطر دمـــــ الوليدْ .. و دمـــــ الشهيدْ في المناوشات اليومية دفاعاً عنها .. قوات الإحتلال تود الوصول لقندهارْ و النيل من أفراد طالبانٍ كلهمـــــْ .. ويود قادتهمـــ الإمساك بالملا عمر، و بن لادنْ و ببراكين الغضبْ و الذين طاردوه طويلاً في الشيشانْ – حيث أرعب الروسْ هناكْ – .. و المتطوعون من الجيش الخاص الروسي يرغبون برأسه وجعلوا منه مطلوباً وجب على قوات الإحتلالْ الإمساك بهْ..

أتودون معرفة كيفية حصار قندهارْ ؟.. بسيطة..

أتذكرون القرية الصغيرة و التي تعد جبهة قتال ضد قوات الإحتلال و الجيش المعارضْ ؟

هي جبهةٌ تحمـــــي قندهارْ بين جبلين عظيمينْ كيلا تصل القوات المحتلة إليهمـــْ . ..و هي الممر الوحيد و الأسلمـــــ للمسافرين و التجارْ .. و لأن الجيش يقبعُ جالساً هناك .. صعَّب ذلك حركة الذهاب و الإيابْ ..و لمـــــ تحتضن قندهارُ غير أجساد الشهداءِ الملطخة بالدماءْ من تلك الجبهة .. و الإمدادات البسيطة .. لكن هل ستصمدُ تلك الجبهة طويلاً ؟ و قندهارْ . . هل ستصمدُ أيضاً ؟

** *** **

بعد صلاة العشاءْ ... يجلسُ براكين الغضب و السيف متقابلينْ كعادتهمـــــا و كؤوس التشايْ موضوعةٌ في صينيةٍ من حديد وسط الحِصرْ – أو الحصيرْ.. - براكين يرتشفُ التشاي و شفتيهِ تصدران تلك الأصواتِ التي قطعت أحبال أفكار السيفْ الذي أخذ يقلّبُ كفيهِ حسرةً و غضباً .. و براكينْ . يرتشف التشاي و يستلذ في كل رشفة ليعاجله السيفْ قائلاً:

-السيفْ (منزعجاً): يا براكين أرجوك ، أتوسل لك بأن تكف عن ذلك ، أريد التركيز بكتابة مقالي .. علي إرسالهُ للجريدة الليلة الرجال ينتظرونني..

-براكينْ الغضب (مبتسمـــــاً): أردت مشاكستك فحسبْ .. – يمد إصبعهُ للورقة التي يكتب فيها السيفْ – أرني هذه .. لأي صحيفةٍ تكتب يا سيفْ ؟

-السيفْ (يجمعُ أوراقه و يرتبها أمامهْ): لصحيفة الطالبْ .. فهي الصحيفة الوحيدة باللغة العربية .. أضف إلى ذلك بأني أرسلُ نسخاً للصحف العربية و الخليجية أيضاً..

-براكين الغضبْ: أها .. و أراك متحمسٌ لذلك مذ أتينا إلى هنا..

-السيف : أحاول الإتصال بالقنوات الفضائية بأوروبا لكني غير محظوظ في هذه المكالمات .. يكفيني بأني أستطيع الإتصال بالخليج على الأقلْ..

*

*

*

صمتٌ و هدووووووووءْ للحظاتْ .. يقطعهُ السيفْ..

-السيف :كمـــــ إشتقت إليه يا براكينْ..

-براكين الغضبْ (يضيف مزيداً من التشايْ من كأسٍ آخر): أتدري .. إشتقتُ لشوارع وطني ... و رائحة الأشجارْ و تراب الصحراء .. عندما يشتد بي الضيق .. و تتكالب علي همومـــ الدنيا. أرمي بنفسي على هضاب الصحراء لأتنفس الحرية و لو للحظاتْ..

-السيفْ: إشتقت لأطباق أمي .. المالحْ و المجبوسْ و و و و .. رائحة المالحْ بأنفي أكاد أشتمها يا براكينْ..

-براكينْ الغضبْ (يقهقهْ): ذلك لأنكْ جائعٌ يا صاحبي..

-السيفْ: على ذكر الطعامـــْ .. أين الشهبندرْ ؟ أين عشاؤنا ؟

-براكين الغضبْ: إني أرى طيفهُ من بعيدْ .. دعني أزيح هذه الكؤوس و أرتب من المكان ليتسنى له أن يجلسْ..

يقترب الشهبندرْ من الحصر و يلوح بيده للأعلـــــى:

-الشهبندرْ: السلامـــــ عليكم و رحمة الله و بركاتهْ..

-براكين الغضب و السيف:و عليكمـــــْ السلامـــــ و رحمة الله و بركاتهْ..
يجلسُ الشهبندر و يضع الأكياس التي بيده على الأرض . و يدخل يده بأحد الأكياسْ و يخرج منه علب بلاستيكية واحداً تلو الآخرْ:

-الشهبندرْ: الطباخ كان بالصلاة .. لذا تأخر بتسخين الطعامـــ .. هاكمـــــ . . كلوا بالعافية عليكمـــ..

-السيف (يفتح فاهه غير مصدقْ): مجبوسْ ، مجبوس يا براكين ، إنه مجبوسْ.

-براكين الغضبْ: لكنه أفغانيْ ، إحذر من الأفغاني.

-السيف (يشمر عن ساعديهْ): المهم بأنه مجبوسْ.

و ينقض السيفُ بنهمـــــ على صحن الأرز و براكين و الشهبندر يتبادلان إبتسامةً

مـــــا حتى وقف السيف على قدميه و أخذ يقفز هنا و هناك كالكنغرْ و أخذ يصيحْ : الماءْ الماءْ...

و براكين و الشهبندرْ قتلهما الضحكْ على صاحبهمـــــا.. فاستلقى براكينُ على ظهره يضحك و يضحك

و الدموعٌ من عيني الشهبندر تنهمرْ.. و السيفْ إختفى فجأة..

-ويحكما يا براكين و الشهبندرْ -

بعد ذلك العشاء الفاخرْ .. و إتهامات السيف لبراكين و الشهبندرْ بالخداعْ .. أخذ الثلاثة يتسامرونْ تحت سحر ذلك القمرْ و هواءٌ شقيٌ يداعبُ وجوههمـــْ:

-الشهبندرْ: أفتقدُ الفارسْ في هذه اللحظة..

-السيفْ.. ... .. :

-براكين الغضبْ: رحمةُ الله عليهْ..

-الشهبندرْ : من كان يعلمـــــ بأن ذلك اليومـــ هو يومه ؟

-براكين الغضبْ: ما قتلني أكثر و أحرق قلبي أن الأسير الذي حدثتهُ هو شقيقه الذي يبحث عنهْ ..و طريقة إستشهاده أحرقت قلبي حزناً .. لكن . . لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيمـــْ .. رحمةُ الله عليهْ..

-الشهبندرْ: أجلْ . فعندما عاد جيش الإحتلال للمعسكر .. كان الأسرى يتدافعون ليصلوا إلينا .. و الفارس مازال على قمة المجاهدين .. و ما إن رأى شقيقه في الأسفل ... حتى نادى عليهْ ، و الآخر بكى و أخذ يصرخ كالمجنون يجري تجاه القمة و قد حاولت منعه و ثنيهْ .. و تخيلا الموقف .. لحظة لقاء الشقيقينْ .. أحدهما ما تركت حجارةٌ ساقه إلا و نقشت عليها بدمه لحظة نزوله من القمة .. و الآخرْ يجري بين تلك الصفوف ليحتضن أخاه .. و ما إن وصل الفارس للأرض حتى إندفع ناحيته شقيقه لينفجر فيهما ذلك الحقل الملغمْ .. و تتطاير جثتهما في الهواءْ..

يتوقفُ الشهبندرْ عن الحديثْ .. و عينا براكين معلقةٌ في السماءْ .. و السيفْ يضغطُ برأس قلمهِ على الورقْ و كأنه يغالب مشاعراً مـــــا في نفسهْ..

الشهبندرْ (منكساً الرأسْ): تجمدت قدماي ْلهول المنظرْ.. و بكت عيناي و أنا ألملمـــ أطرافهما .. فيدٌ من هنا .. و رجلٌ هناك

.. ليختلط علي الأمر و أبكي صديقاً عرفته لسويعاتْ فقطْ..

يمسحُ السيف دمعةً ... و براكين يحاول التماسكْ و يده بداخل معطفهْ و كأنها تستنجدُ بذلك الاطارْ..

لكن السيف لم يستطع الصمود أكثرْ .. فلملم الأوراق على عجل و استأذن أصدقاءه

و إتجه ناحية باب المنزل و أغلقه بقوة..

و لم يسمع براكين و الشهبندرْ بعد ذلك إلا صوت بكاءٍ و صوتٍ مخنوقْ..

-الشهبندرْ: أتفهمـُ مشاعرهْ .. فلقد أحب الفارس كثيراً..

-براكينْ الغضب: لقد عشنا نحن الخمسة أجمل أيامنـــــا بصحراء أفغانستانْ .. و تعلقنا ببعضْ..

-الشهبندرْ (عاقداً لحاجبيهْ): هل تركـــــي هو الخامسْ ؟

-براكين الغضبْ: برغمـــــ ما حصل فإني لا أنكر بأني أحببتهْ.. فأنا معجبٌ بعقليتهْ و ذكائه و قوة ملاحظتهْ ... لكني لا أنكر أيضاً كرهي له لأنه من أعداء الإسلامـــ و المسلمينْ..

-الشهبندرْ: على فكرة .. إننا نتوقعُ إنسحاباً من جبهة قندهار لضعف الإمكانات و الموارِدْ..

-براكين الغضبْ (يعتدلُ في جلستهْ): و كيف ذلك يا شهبندرْ ؟

-الشهبندرْ :تلقينا رسالةً من أمير الجبهة هناك تفيد بأنهمـــــ سينضمون إلى طالبانْ لندافع جميعاً عن قندهارْ .. لكن خطوة أولـــــى وجب علينا فيها التحرك بسرعة و نقل الأطفال و العجائز لقندهارْ ... و من ثمـــــ نعد العدة لإخلاء المدينة في حال إعلان الحربْ...

-براكين الغضبْ: لكن يا شهبندرْ .. نريد الإنضمـــــام نحن أيضاً ، للآن لم أقابل أياً من قادة طالبان ، فقط قادة الجبهات أين البقية ؟

-الشهبندرْ :هههه .. يا براكينْ .. قوات الإحتلال تعتقد بوجود الملا عمر و بن لادن بقندهار.. و همـــــ ليسوا هناك.

-براكينْ الغضبْ: حقاً ، تعلم بأن هدفي هو أن أنخرط بصفوف طالبان و أحارب معهمـْ .. أريد أن أقابلهمـــ يا شهبندرْ..

-الشهبندرْ: لا سلطة لي و لك هنا يا براكين .. فنحن لسنا بالشيشانْ .. ما أعرفه من معلوماتْ نقلها لي أحد قادة الجبهات ليس إلا .. وقد أخبرهم أمير جبهة قندهار بأمرنا .. فلم يمانعوا بإنضمامنا إليهم.. لكن إشترطوا أن يقابلونا و يتأكدوا من نياتنا ..و من بعدها سيقومون بتدريبنا...

-براكين الغضبْ: متحمسٌ أنا لأدخل بمعركة أدحر بها المتمرد و أعوانهْ.

-الشهبندرْ: براكينْ هدفك هو إعلاء كلمة الله ، دعك من رغباتك الشخصية.

-براكين الغضبْ: غلبني الشيطان بلحظة غضبْ ، آسفْ...

-الشهبندرْ: لقد تحدثنا كثيراً اليومـــــْ..سأتركك الآنْ .. و أراك غداً صباحاً بإذن الله .. إستعد للمقابلة.

-براكين الغضبْ : هههههههههه .. و كأنها مقابلة عملْ.

-الشهبندرْ (يقومـــ من مكانهْ و ينتعل نِعالهْ :(السلامـــ عليكمـــ..

-براكين الغضب (ملوحاً): و عليكمـْ السلامـــ و رحمة الله و بركاتهْ..

يقومـــ براكين الغضب و ينفض الحِصر من الرمال العالقة به و يلفه و يضعهُ على كرسي خشبيْ .. ثم يأخذ صينية التشاي و يفتح باب المنزلْ و يدخلْ .. بعد المعركة التي دارت بين جبهة قندهار و قوات الإحتلالْ ذاك اليومـْ .. و بعد الإنتصار الساحق للمجاهدينْ .. عاد العدو لمعسكرهِ مهزوماً و مذعوراً و تعاظم هول تلك المفاجأة عندما فجر براكين الغضب و السيف المعسكر ... فذاع صيت تلك المعركة بآسيا و الخليج و أوروبا .. حيث بثت الإذاعات العربية و الأجنبية ذلك الخبر العاجلْ .. و أعتبر نصراً عظيماً للاسلامـــــ و المسلمينْ .. لكن تلك الجبهة بدأت تضعفْ مع الأيامـــْ . و إنتشرت الأمراض بصفوف المجاهدين ْ.. فأخذ قادة طالبان بإرسال المجاهدين لتلك الجبهة .. فقل عدد المجاهدين بمدينة قندهارْ .. فاضطر أمير الجبهة بأن يرسل الشهبندرْ و براكين و السيف وعدداً من رجالهإلى قندهارْ.. خاصةً بأن براكين كان يصرُ على رأسه بأن ينضم لطالبان ْ .و هناك .. في قندهارْ..

كان عالمـــٌ أخر من الناسْ.. حيث كان الشعب يعيش على حرفيات طالبانية بحتة..

و لم يقابل أصدقاؤنا الثلاثة أياً من القادة حيث أنهم إعتذروا عدة مرات من مقابلتهم ..و ما كان بينهم و بين القادة إلا شخصٌ يعرفه الشهبندرْ .. وهو بدوره مرسال غرامـــــ بين الطرفين كما يقالْ..و إستمر الحالْ هكذا .. ووفَّر صديق الشهبندرْ منزلاً له ..لكنه تنازل عنه لصديقيهْ ..و قرر أن يكون ضيفاً عنده خاصةً بأنه أعزبْ..

فعاش براكين الغضب و السيفْ و الشهبندرْ على إنتظارْ .. و مرض براكينْ الغضبْ .. و إشتد عليه المرضْ خاصة بأنه لم يشفى من جراح المعركة..

و ليس بالمدينة أطباءٌ غير بعض القادة من قادة طالبانْ وجبهاتها .. حيث أن الشعبْ يثق بقدراتهمـْ و خبراتهمـْ أكثر من الأطباء العاديينْ..

و أغلب الأطباءْ بجبهة قندهارْ يعالجون الجرحى هناكْ .. و كان أحد قادة طالبان ذلك الشيخْ المتشببْ..

و لحظة أن عرف براكين بأن هذا الشيخ هو أحدهمـْ...

حتى طار من الفرحْ .. و قرر أن يتظاهر بالمرضْ حتى يراهُ كل يومـــ

ويكحل عينيهْ بحضورهْ... هو والمجاهدين الأبطال من خلفهْ .. و مادام قائدٌ واحد يتردد على براكينْ..

فهذا يعني بأن القادة كلهمـــــ سيأتونْ!! .. وذلك كان سر تظاهر براكين الغضبْ بالمرض .. ويابخت اللي يعالجك يابراكينْ - ...

المشهـد العـاشِـر

خبـر عَـاجِلْ

تجلسُ تلك العائلة حول صينية الأرزْ، الأب يتوسطُ الصينية ، والزوجة تحتضنُ طفلةً رضيعة ، و ثلاثُ أطفالٍ يتشاجرونْ على علبة الزبادي وسط تأففاتْ الأب الذي شاب شعر رأسهِ من إزعاجهم ليصرخَ فيهمــْ:

-الزوجْ (بغضب و لقماتُ الأرز تتساقط من شفتيهْ :(شششششششششششششش قلت لكم شششششششش ، إهدئوا و إلا قمت بضربكم جميعاً.

-الزوجة) و هي تهز الطفلة الرضيعة لكي تنامــْ): ياأبا ماجدْ إهدأ قليلاً ، مازالوا أطفالا.

-الزوجْ: كيف لي أن أهدأ ؟ هؤلاء شياطين و ليسوا بأطفالْ ، أين زعيمة العصابة تلك ؟ لم أرها.

-الزوجة (بشيءْ من الضيق): أوووفْ ، أرجوك لا تذكرني بها ، إنها شقية و عنيدة ، إنها بغرفة نومــ الأطفال ترفض أن تتناول الطعامْ.

-الزوج: و منذ متى و هي على هذه الحالْ ؟

-الزوجة: منذ أيامــ يا أبا ماجد ، و لا أعلم كيف أتصرف معها ، أعدها إلى أهلها أو منزل جدها.

-الزوجْ (و هو يمضغُ قطعة اللحمــْ): و لكنك تعلمين بأن لا أحد لها هنا و هي في عهدتنا.

-الزوجة: بصراحة لم يعجبني الوضعْ منذ البداية .. و مصروف المنزل بالكاد يكفي أفواه أبناءك . إذهب إليها و تصرفْ.

-الزوجْ: سأذهب إليها و أرى مشكلتها..

يدخل الزوج لغرفة الأطفال .. و يرى الطفلة الصغيرة ذات الضفيرتينْ السوداوينْ تحتضنُ لعبة ما .متقوقعة على إحدى الأسرة و عيناها متورمتينْ و دموعٌ خدشت خدودها الصغيرة .. فينظر إليها بحقد و كأنها نكبةٌ حلت عليهْ .. تعالجهُ بعينين شرستينْ...

-الزوج: تعالي و كلي غداءك مع إخوتك..

-الطفلة (تشد على لعبتها و تصرخ فيه): ليسوا إخوتي ...ولا إخوة لي.

يقتربُ منها الزوج و يشدها من ملابسها فتحتضن لعبتها بقوة فيصرخ فيها:

-الزوج: ستأتين و إلا إستخدمت معك العنف .. مللنا من دلالك وعنادك أيتها الغبية.

-الطفلة (بدموع و صوت خرج من غياهب قلبها): لا أريد ، أنتم لا تعاملونني جيداً ، أريد بابا أعدني إلى بابا.

-الزوجْ: بابا لا يريدك و رماك هنا كي لا يراك.

-الطفلة (تنظر إليه برعبْ): أنت تكذب بابا يحبني ، أريد بابا خذني إلى بابا واااااااااااااااااااااااااااااااااااااءْ. .أريد باااابااااااااااااااا....

تدخل الزوجة و بحضنها الرضيعة فتصرخ في زوجها:

-الزوجة: لن ينفع معها أسلوب الدلال أبداً .. فهي عنيدةٌ كوالدها - فتتناول العصا– خذ و اضربها بهذه.

فيشد الزوج الطفلة التي أخذت تبكي و تصرخ .. وشدها من شعرها حتى إنفكت عقدةُ إحدى ضفائرها .. و قام بضربها من دون رحمة و هي تستنجد: بابااااااااااا بابااااااااا أريد بابااااا..

و يأتي الأطفال و ينظرون إلى والدهمــْ الذي إنهال على الطفلة المسكينة بالضرب المبرح و كأنه يشفي غليله من أطفاله بها.

)(**)(

ينهض من نومه مفزوعاً و كأن وحشاً إقتلع قلبه من مكانهْ .. فأخذ يلتف يمنةً و يسرة..

فأخذ يذكر الله و يمسح على وجهه و يبصقُ على يسارهْ ثلاثاً و يستعيذ بالله من الشيطان الرجيمــْ:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيمـــ .. أعوذ بالله .. ماهذا الحلم المفزعْ ، أعوذ بالله..

يقومــُ من مكانه و يتجه إلى الحمام ليغسل قطرات الرعب التي أغرقت جسده كلهْ .. و أخذ المنشفة و أخذ يجفف وجهه ... و ما إن سمع صوت المؤذنْ حتى أخذ يتوضأ و يحسن في الوضوءْ. و جفف وجهه و ارتدى بدلةً نظيفة .. و ما إن خرج من الحمام حتى أتاهُ صوته الحزينْ:

-براكينْ أنا جاهزْ.... فلنذهب إلى المسجدْ لصلاة الفجرْ.

فوجٌ من المصلين يخرجون من منازلهمــْ .. من كبيرهم إلى صغيرهمْ .. يتجهون لأداءْ صلاة الفجرْ و قلوبهمــْ خاشعة و أيديهم مرفوعة تحمد الله

على كتابة عمرٍ جديدٍ لهمــْ..

الحلقة الخامسة عشرْ: أنا وطالبانْ!!

في المسجدْ .. و بعد أن أنهى المصلونُ الصلاة .. قعد بعض المصلين يسبحون و يقرؤون القرآنْ.. و آخرين يجلسون حول إمامـــ المسجدْ كحلقة علم يسألونهُ في أمور الدينْ ... و هو أيضاً .. يجلسُ و بيده مصباحٌ .. يكثر التسبيح و ذكر الله..

يقترب السيف من براكينَ و يهمسُ في أذنهْ:

-السيفْ :براكينْ .. سأخرج من المسجدْ..

-براكينْ (مندهشاً): لكن يا سيف ليس من عادتك أن تترك المسجد بهذه السرعة.

-السيفْ: لا بأس لكني أحس بألمـــٍ بصدري....

-براكين الغضب (و نظرة حزنٍ بعينيه): سلامتك يا صاحبي .. سأنهي الأذكار و التسبيح و أقرأ شيئاً من كتاب الله ومن ثم سأخرجْ..

-السيف :السلام عليكمْ..

-براكين الغضبْ: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاتهْ..

ما إن تشرقَ شمس قندهارْ المجروحة ..حتى ترا النشاط يدُّب بأنحائها و كأنها تحاول أن تلملم أحزانها كلها..

فهنا الإسكافي .. و هنا الذي يقدمـــ دروساً دينية للصغارْ .. و هناك الذين يأتون بالحطبْ .. و آخرينَ يبيعون الخضارْ..

و مجموعةٌ منكوبة تبيع أثاث منزلها لتسد الأفواه الصغيرة الجائعة ... و هكذا ... يمشي براكينُ الغضب في تلك الساحات و ينظر لحال الناسْ..

و مدى الأســـــى الذي سببه الحصار لأهل قندهارَ و أفغانستان خاصة..

-براكين الغضب (متمتماً): مسكينةٌ أنتي يا أراضي الإسلامـــ..

يعودُ براكين لمنزلهْ .. وما إن فتح الباب حتى تدافعَ عليه مجموعةٌ من الصغار يريدون الخروجْ..

و من ورائهم السيف الذي صاح بهم:

-السيف: اليوم فقط ، فقط لأنكم حفظتم جيداً...

-براكين الغضب (ينظر للأطفال الذين يجرون ثم يلتفت للسيف :(مالذي يجري هنا ؟

-السيف (يلملمُ المصاحفَ ويضعها على جنبْ): لقد أكمل الأطفال حفظ جزء عـــــمّ فأعطيتهم من عندي مكافأة بإنصرافهم مبكراً..

-براكين الغضبْ: أرى بأنك تقضي وقت فراغك بشيءٍ مميزْ...

-السيف: تحفيظ القرآن و تعليمه للأطفالْ شيءٌ ممتعْ .. وأنا سعيدٌ بهْ..

-براكين الغضبْ: و لم لا تعلم الرجال و النساءْ أيضاً ؟

-السيفْ: هل جننت ؟ نحن في قندهار .. وممنوعٌ إختلاط النساء بالرجال .. ناهيك بأن المرأة تمنع من الخروج لمنزلها .. و تمنع من أن تتعلم أي علمٍ غير الدينْ

و عليها أن تتعلمه في منزلها فقط و على يدي أحد محارمها فقطْ.

-براكين الغضبْ: لا أرى مانعاً من أن تتعلم المرأة .. غير علوم دينها .. أرى تشدداً غير محمودٍ من هذه الناحية و ظلمٌ للمرأة..

-السيف: هذه وجهةُ نظرك .. و لكلٍ وجهة نظرٍ معينة . فلا تتعب نفسك بالتفكيرْ.

-براكين الغضب: مابالك لا تنظر إليّ و أنا أحدثكْ . أترك عنك هذه الأوراقْ..

-السيف: براكينْ .. أريد أن أكتب مقالي بهدوءْ.

-براكين الغضب (يجلس قبالة السيفْ): لم أقصد إزعاجك . لكن ساءني بأنني أحدثك و أنت لا تنظر إليْ.

-السيفْ (مستطرداً): متى سنقابلُ قادة طالبانْ؟

-براكين الغضبْ: وعدني الشهبندرْ خيراً اليوم ، إني أنتظره .. قال لي بأنهم سيقابلوننا و إن قبلوا أن ننضم لصفوفهم سيقومون بتدريبنا لنستعد لمعركةٍ قريبة جداً..

-السيفْ: معركةٌ لإسقاط قندهارْ.

-براكينْ الغضبْ: قوات الإحتلال تريد النيل من طالبان و قادتها .. و قد طلبوا الملا عمر و بن لادن بالأسماءْ..

يصمت براكين ثم يردفْ:

-براكين الغضبْ: و طلبوني أنا أيضا.

-السيفْ (مذعوراً): أنت ؟ لم يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ :لأن القوات الروسية الخاصة أبلغت قوات الإحتلال بأني من أكبر قادة المجاهدينْ في الشيشانْ..

-السيفْ (يصرخْ): هل هذا يعني أنها قد تكون المعركة الأخيرة و قد أفقدك فيها أنت الآخرْ.

-براكين الغضبْ (يضع يدهُ على كتف السيف يحاول تهدأتهْ): أرجوك إهدأ .. إهدأ .. لم أقل ذلك

-السيفْ (بهستيرياً :(لاااااااااااااااا لاااااااااا .. لست أنت الآخرْ .. تباً لهذه الأرضْ .. و تباً لكل شيءْ . .لاأريد أن أفقد إنساناً

آخرْ .. لاااااااااااااااااا..

-براكين الغضب (يحاول أن يمسك يدي السيفْ المتوترتينْ): أرجوك إهدأ . ما بالك يا سيفْ ؟ لن يحصل لنا إلا ما كتبهُ الله لنا .. إهدأ..

-السيفْ (يقاومُ براكينْ بشدة): لاااااااااااااااااا أقول لك لاااااااااااااااااا لاااااااااااااااااااااا..

فجأة .. يرتعشُ جسدُ السيفْ بقوة أخافت براكين الذي كان يحاول أن يمسك السيفْ .. و جسد السيفْ يرتعش و يرتعشْ بقوة و براكين يمسكه بقوة و يستعيذُ بالله من الشيطانْ الرجيم والسيفْ يشهقْ و يشهقْ .. حتى يجري براكين كالمجنونْ خارج المنزل و يصرخ بالمارينْ:

-أريد رجلَ دييييييييييييييينْ ، رجل دين... صديقي مريض.

:

:

:

:

مازال جسدُ السيف يرتعشْ و عينيهِ قد تخالفتا للخلفْ و بدأ جسدهُ بالتصلبْ ، و براكين الغضبْ يمسكُ به ، و يحاولُ قراءة بعض الآيات الكريمة

عليه علهُ يهدأ لكن من دون فائدة، فيتمتمْ براكينْ بنفسهْ:

-اللهم إرحمهْ .. إرحمهْ و خفف عنهْ..

وماهي لحظاتْ حتى يدخل شيخُ دينٍ و معه الشهبندرْ و أفغانيْ مسلحْ:

ليشير الشهبندرْ بيده للأفغاني و يحركها للأمام و الخلف و كأنما يقول له إلى

الخارجْ فيخرجَ الأفغانيْ و يغلق من خلفه البابْ .. يجلسُ الشيخْ بجنب السيفْ ليقوم براكينُ و يزيحُ له المكانْ فيهمس بأذن الشهبندرْ:

-براكين الغضبْ: الحمدلله وصلتمـــ ... شكراً للهْ . كنت أصيح في الناس ليغيثوني..

-الشهبندرْ: الحمدلله بأن خادمـــ صديقي كان في السوقْ ، فسمع الناسْ تتحدث عنك،و بأنك تريد رجل دينٍ للسيفْ

فأتى للمنزل مسرعاً و أخبرنا حيث كنا بالمجلسْ ، فأسرع صديقي جزاه الله كل خير بطلب شيخ دينْ، و جئنا على عجلٍ

كما ترى.

كان الشيخُ يقرأ آياتِ اللهِ على السيفِ ويمسح ببطن يده على جبينهْ ولكن السيفْ... شهقاتهُ تزدادُ مراراً ... و يتعرق بشدة..

و براكين الشهبندرْ يمسكان به كيلا يتحركْ.. مرت دقائقَ هي الأصعب لبراكينْ الغضبْ و الشهبندرْ..كان براكين يمسحُ العرق عن وجه السيف بقطعة إزار

كانت موضوعة بجانبهْ.. و الشهبندرْ يمسك ساقيْ السيفْ كيل لا يركل أحدهمْ.. وبعد ساعاتْ .. تعودُ عينيْ السيف لحالهما..

و يكف جسدهُ عن الارتعاشْ .... و يهدأ.. فيُشير الشيخْ بأن يدعاه لوحده مع السيفْ..

فيغطي براكين الغضبْ جسد صديقهْ بالغطاءْ..

و يخرج هو والشهبندرْ

من الغرفة..

يجلسُ براكينْ الغضبْ و الشهبندرْ بغرفة الجلوسْ الصغيرة، و براكينُ يحتضنُ وجهه بين يديهْ:

-الشهبندرْ: تماسك يا براكينْ .. سيكونُ بخيرْ..

-براكين الغضبْ: لا أعلم ما حصلَ لهْ .. منذ أمس و أنا أرى مسحة ضيق على وجههْ..

و لم أتوقع أن تتدهور نفسيته إلى هذا الحدْ ، أتظنه أنه مسٌ من الجان ياشهبندرْ ؟

-الشهبندرْ: تعوذ من الشيطان يا براكين و لننتظر شيخ الدينْ..

-براكينْ الغضبْ (يصرخْ): لن أهدأ ، ما أدرانا بخبرة هذا العجوزْ.

-الشهبندرْ (هامساً بأذنيْ براكينْ): و إن قلت لك بأنه أحد قادة طالبانْ .. أرسلهُ الملا عمر إليكم.. هل ستغيرُ رأيك يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ (يفتح عينيهْ و يهمسُ هو الآخرْ): حقاً ؟

-الشهبندرْ (مبتسماً :(أجلْ.

-براكينْ الغضبْ (وبسمةً تضيءُ وجههْ): سأصمتُ إذاً.

:

:

يخرجُ الشيخْ من غرفةِ السيفْ و يواري من خلفهِ البابْ .. و يهرول جهته براكين الغضب و من خلفه الشهبندرْ:

-براكينْ الغضبْ: يا شيخنا أخبرني ... مابه صديقي؟

-الشيخْ: اهدأ يا بنيْ .. إنه بخيرْ .. و الحمدلله بأنها حالة بسيطة من مس الشيطانْ

-براكين الغضبْ و الشهبندرْ :حقاً ؟

-الشيخْ: أجلْ .. لقد أزلتها بإذن الله تعالى لأنها بسيطةٌ جداً. و هي ناتجة من حالة السيف النفسية و التي غلَّبت الشيطان ليدخل من خلالها إليهْ .. و الحمدلله هو بخيرْ..

-براكين الغضب (يمسح على وجههْ): الحمدلله .. الحمدلله على كل حالْ..

-الشهبندرْ: هل يوجد إحتمالٌ من أن تعود إليه الحالة مرةً أخرى ياشيخنا ؟

-الشيخْ (يضعُ يده على لحيتهْ): لا أظن يا بنيْ .. لكنها قد تعود بسوء حالته النفسية .. عليكم معرفة سبب ضيقة نفسه تلك و التي أراها قد أثرت سلباً عليهْ..

-براكين الغضبْ: ما أعرفه بأن حالتهُ قد ثارت أول مرة عندما كنا نتحدث عن صديقٍ لنا إستشهد في معركة جبهة قندهارْ .. و من بعدها لازمه الوجوم و الضيقْ .. حتى ما إن ذكرتـــــــ..

-الشيخْ (يلف العباءة الأفغانية على ذراعهْ): عليكم البحث عن الأسباب جزاكم الله خيرْ.. و الآن .. السلام عليكم و رحمة الله و بركاتهْ..

-براكين الغضب (يمسك يد الشيخ الذي ذُعر :(إلى أين يا شيخنا .. أرجوك إجلسْ و اشرب التشايْ معنا.

الشيخُ ينظر للشهبندرْ بذعر و ذراعه بين يدي براكينْ.. فيقترب الشهبندرْ منهم و يحاول إبعاد يد براكين عن الشيخْ:

-الشهبندرْ: يا شيخنا إعذر صديقي و أعذرني .. فقد أفشيت سرك إليهْ و هو يرغب بمقابلة قادة طالبانْ..

-الشيخْ (مبتسماً): أرى رغبةً قوية بعينيكْ يا بنيْ .. و أعتذر بالنيابة عن طالبان كلها لأننا جعلناك تنتظر .. و ما إنتظارك كان إلا لأسبابٍ أمنية فقطْ . .. و بدوري سأحقق حلمك هذا و سأخبر الملا عمر لتعجيل مقابلتنا لكْ..

-براكين الغضبْ (يصرخ فرحاً): حقاً ؟ .. حقاً يا شيخنا ؟ – يقبل يدي الشيخْ الذي يحاول إبعادها عنه– أشكركْ .. أشكرك من كل قلبي..

-الشهبندرْ : هل ننتظر أخباراً جديدة منكم يا شيخنا ؟

-الشيخْ: أجل يا بنيْ . ..و الآنْ.. في حفظ الله تعالى .. السلام عليكم و رحمة الله و بركاتهْ..

-براكين الغضبْ و الشهبندرْ: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاتهْ. ..

يدخلُ براكين الغضبْ لغرفة السيفْ و الشهبندرْ من ورائهْ .. و يجلسُ بالقرب من السيف الذي بدى الهدوءْ على محياهْ و هو مغمض العينينْ..

فيقترب منهُ براكينْ الغضبْ و يجلسُ بقرب السريرْ المنخفضْ و يمسكُ بيدهْ:

-براكينْ الغضبْ: خطاك الشرْ يا صديقي .. خطاكَ الشرْ...

-الشهبندرْ (يخفضُ رأسهُ لأذن براكينْ الغضبْ): دعهُ يرتاح يا براكينْ .. سنطمئن عليهِ في وقتٍ آخرْ..

-براكينْ الغضبْ (يعيدُ يدَ السيفْ لجنبهْ): حسناً..

يخرجُ براكين الغضبْ و الشهبندرْ .. و يواري براكينُ الباب

و هو ينظر بعينيهِ الحزينتينْ إلى طيفِ السيفْ كأمٍ حنونٍ تطمئنُ على أبنائها..

يلتفتُ براكينُ الغضبْ إلى الشهبندرْ:

-إذهب إلى المنزلْ و ارتحْ يا شهبندرْ .. و أنا في إنتظار أية أخبارٍ جديدة..

-الشهبندرْ: لا بأس عليهْ ..طهورٌ باذن اللهْ .. سأذهبُ الآنْ و سأمر بوقتٍ آخر لأطمئن على السيفْ..

-براكينْ الغضب: أتعبناكَ معنا يا شهبندرْ..

-الشهبندرْ (مربتاً على كتفِ براكينْ الغضبْ): لا تقل ذلك .. نحن أصدقاءْ في السراءِ و الضراءْ.. سأذهبُ الآنْ ... السلام عليكمْ..

-براكين الغضبْ (مودعاً الشهبندرْ إلى باب المنزلْ): و عليكمْ السلامـــــ و رحمةُ اللهِ و بركاتهْ..

يغيبُ الشهبندرْ بين جمع الناسْ..

و يغلقُ براكينْ الغضبْ البابْ و يقفلهُ بالمفتاحْ و كأنه يخشى من شيءْ مـــــــــــا.و يذلفُ لغرفتهِ و يفك عمامة رأسهِ و يرميها على الأرضْ..

و يخلعُ نعليهْ و يرمي بنفسهِ على فراشهِ الذي إحتضنَ كيانهُ و روحهْ... فينظرَ للسقفْ و كأنهُ يبحثُ عن عينين تعانقانِ عينيهْ ..

علها تبعثُ السكينة بنفسهْ .. فيُدخلَ يده بداخلِ معطفهْ .. و يخرجُ ذلك الإطارْ ..و لمعانٌ بعينيهْ و بسمةٌ على ثغرهِ..

:

:

و هدووووووووووعْ بعثَ نسيمهُ في الغرفة .. لتتعانق جفونُ براكين الغضبْ .. و تهدأ ملامحهُ الثائرة..

و يرتخي الجسدْ .. فتسقطُ ذراعهُ اليسرى لأسفلْ .. و يدهُ الأخرى تخبئها بين أصابعهْ..

:

:

طرقاتٌ قوية على البابْ أفزعت الأسدَ النائمْ ..و مازالت الطرقات تطبلُ و تصفقُ وجه البابْ ..و الأسدُ يضرب

ببطنِ يده وجهه ليوقظ حواسهْ و يتأكد من أن ذلك الطرق حقيقة .. يقومــُ براكينُ الغضب ُ من على سريرهِ و ينتعلُ نعليهْ..

و يتوجهُ بخطواتٍ متثاقلة نحوَ البابْ .. فيديرُ المفتاحَ ليفتح البابْ و يظهر من خلفهِ رجلٌ ضئيلُ البنية .. و ذا سمارةٍ تنطقُ بروح أفغانية بحتة:

-الرجلْ: السلام عليكمْ

-براكين الغضبْ: و عليكمْ السلامــْ

-الرجلْ: أنا رسولٌ من قبل الشهبندرْ أرسلني لأخبرك بأن تأتي لمنزله حالاً..

-براكينْ الغضبْ: حقاً؟.. ألم يخبرك لم ؟

-الرجلْ: لا ..فقط قال لي :قل لهُ وصلت الأخبار...

-

لحظاتٌ حتى إختفى براكينُ و عاد مسرعاً و بيدهِ عمامتهُ و بضعة أشياءْ كنعلين جديدينْ و مصباحْ..

و أزاح الرجل عن عتبة البابْ و أقفل البابْ .. و صرخ فيهْ:

-براكين الغضبْ: خذني لبيت سيدكْ .. أسرعْ.

و الرجل المسكينْ ينتفضْ .. و يمشي بسرعة و براكينُ الغضبْ يسير بخطواتٍ سريعة و هو يرفعُ ذراعيهِ للأعلى يعدلُ من عمامتهْ .. و يخفضها على جنبيهْ ليسوي من بدلتهْ .. و الناسْ تنظرْ .. لبراكينْ الغضبْ .. لبطل جبهة قندهارْ ... و الكل يدعوا الله بأن يرفع مقامهْ .. و بأن يرزقه الخيرْ لما فعله لدينهْ و لأفغانستانْ .. لكن أحداً لم يتجرأ ليقترب منه كما يفعل الناس و يقتربون من معجبيهمــْ .. ليس لأنهم يعرفون عن تواضع براكينْ و كرهه للشهرة.. بل لخوفٍ من عينيهِ الحادتينْ..

-حتى قلمي أخذ يرتعدُ خوفاً من نظراتك يا براكينْ-

يصلُ براكين الغضبْ و الرجلْ الأفغاني لمنزل صديق الشهبندرْ و الذي خرج من منزلهُ فاتحاً ذراعيهِ ليحتضنَ براكين الغضبْ

مرحباً بهْ و من خلفه الشهبندرْ بزيه العسكري مبتسماً...

يجلسُ الرجال الثلاثة، و طبعاً لا تخلوا الجلسة من صينية التشايْ، و يبدأ رجل المنزل بالحديثْ:

-إسمي مصعبْ .. و أنا أحد قادة جبهات طالبانْ إنضممتُ إليهم بعد أحداث ١١ من سبتمبرْ..

-براكين الغضبْ (يرتشفُ التشايْ): تشرفت بك يا مصعبْ .. قد أخبرني عنك الشهبندرْ كثيراً .. أشكرك على تأمينك لنا منزلاً نعيشُ فيهْ..

-مصعبْ: هذا من دواعي سروري.. لم تشأ الظروف بأن نلتقي قبل الآنْ بسبب معركة جبهة قندهار ظروف مرضكْ..

تبادلُ إبتساماتٍ بين براكين الغضبْ و الشهبندرْ .. ليردفَ مصعب قائلاً:

-إلا أنني سعيدٌ بأن أقابلكْ الآنْ و أستضيفك بمنزليْ ... و أعتذر عما حصل لصديقكْ... أدعوا الله أن يشفيهْ..

-براكينْ الغضبْ: بإذن اللهْ تعالـــــى . أشكرك من قلبي على هذا التعاطف .. – صمتْ – من لهجتك أستطيع التأكيد بأنك شاميْ يا مصعب،أليس كذلكْ ؟

-مصعبْ (مقهقهـــاً): ماأذكاك يابراكين ؟.. من أين أتيت بدقة الملاحظة هذه مع أني أحدثك باللغة العربية الفصحى ؟

-براكين الغضبْ (يضع التشايْ و يرتخي بجلستهْ): هههههههه .. من عشرتي الطويلة لكم يا أهل الشامْ .. و لحظات لا أنساها أمضيتها معكمْ ... و علومٌ تعلمتها منكمْ..

-الشهبندرْ: قد أخبرتك بأيام الشيشان يا مصعبْ .. كنا أخوةً في الحلوة و المرة .. فكان بيننا الشيشاني و الباكستاني و الخليجي و الشامي .. و حتى مجموعةٌ من الأجانب قد دخلوا الإسلام إنضموا إلينا للدفاع عن تلك الأرضْ .. و عشرتنا معهم لم تكن قصيرة بل إمتدت لبضعة سنينْ ..فلا تستغرب على الليثْ ذلك.

-مصعبْ: أخبرني الشهبندرْ عنك الكثير و أن بطولاتكم هناك و كيف دحرت معسكراً كاملاً للقوات الخاصة الروسية .. و على حد علمي بأنك مطلوبٌ لديهمْ..

-براكينْ الغضبْ: مضى على الموضوع عدة سنين .. فيها عدتُ للخليجْ و اليوم أعود لألبي نداءَ الدين

-و الأراضي المغتصبة .. فكما تعلم عملية السفر صعبة هذه الأيامـــ على المجاهدينْ..

-مصعبْ: أصعبُ ما يواجهه المجاهدين الغربة .. لكن وجود الأخوة من كل ناحية من العالم متكاتفين مع بعضهمْ البعضْ يخفف مشاعر الحنينْ للوطنْ.. كم أود العودة للوطنْ .. و بأن أضم أبنائي لصدري .. صمتٌ قطعهُ مصعبْ بسؤاله لبراكينْ الغضبْ:

-و أنت يا براكينْ .. ألم تحن للوطنْ ؟

-براكين الغضب :أجلْ .. بي شوقٌ و حنين للأرض..

-مصعبْ: هل لديك أبناءٌ يا براكينْ أو أسرةٌ تشتاق إليها ؟

:

-براكين الغضبْ(و لمعانٌ بعينيهْ :(لا .. أنا يتيمـــٌ يا مصعبْ .. و لا أبناء لديْ.

إذا لمن ذهبت في الخليج يا براكينْ ؟..

و لمن تشتاقُ و تحن يا براكينْ .. أود معرفة عدة إجاباتْ

و بنفسي فضولٌ يقتلني و يقتل هذا القلم الذي أكتب بهْ..

صمتٌ آخر يقطعهُ الشهبندرْ:

-أرجوك يا مصعبْ .. أخبرنا بمستجدات الأمورْ الآنْ و دعونا من أحاديثِ الحزنِ تلكْ ، متى ستأخذنا لنقابل قادة طالبانْ ؟

الحلقة السادسة عشرْ: المفاجعــةْ!!

نعودُ لمنزلِ مصعبْ حيث يجلسُ هو و براكينُ الغضبِ و الشهبندرْ يتناولون أطراف الحديـــــثْ ليقطع الشهبندرْ صمتاً ما:

-أرجوك يا مصعبْ .. أخبرنا بمستجدات الأمورْ الآنْ و دعونا من أحاديثِ الحزنِ تلكْ ، متى ستأخذنا لنقابل قادة طالبانْ ؟

-مصعبْ: هذا ما سأحدثكمْ فيهْ الآنْ .. دعوني أخبركمْ عن طالبانْ أولاً لأني أرى رغبة عارمة بعيني براكين الغضبْ ليعرف أكثر عنا أليس كذلك ؟

-براكين الغضبْ (مهللاً): أجلْ أرجوكْ..

-مصعب (مردفاً): و من ثم سأقومـــ بشرح ما نحن مقدمون عليهْ لترسموا صورة كاملة للموقفْ، و لتعرفوا موقعكم بالضبطْ بين صفوف طالبانْ وما أن تغرب الشمسُ حتى نخرجَ من قندهارْ لآخذكم لمقرنا السريْ.

-براكين الغضبْ (مندهشاً): مقراً سرياً ؟ أولسنا في قندهار و عليكم فيها الأمانْ ؟

-الشهبندرْ: ولم تظن بأن قوات الإحتلال ترغب بضرب قندهارْ يابراكين؟. الأغبياء يظنون أن قادة طالبان يمرحون في المدينة .. تكتيكهم هذا كتكتيكنا أيامـــــ الشيشانْ ألا تذكرْ ؟

-براكين الغضبْ (يعبثُ بلحيتهْ): أجلْ أذكرْ .. حسنٌ يا مصعبْ .. فهمنا المقصودْ.. أرجوك تابعْ يا مصعبْ...

-مصعبْ (يعتدل في جلستهْ): كما تريدْ .. براكينْ الغضبْ .. و الشهبندرْ .. يسرني أن تنضموا لصفوف طالبانْ و أن تحاربوا معنا الكفرة و أعداء الاسلامـــ . .بالنسبة لصداقتي بالشهبندرْ يابراكينْ فهي قديمة .. لكن ذهابه للشيشانْ و مجيئي لأفغانستانْ

أبعدنا عن بعضْ ..و بعد إنتهاء حرب الشيشانْ الأولى أرسلت بطلبه ليكون لنا عوناً في حربنا هذهْ ..وكنتَ قد عدت للخليجْ على حد علمي كما أخبرني الشهبندرْ..وشاء القدرْ أن يجمعكما معاً مرةً أخرى بجبهة قندهارْ.

-براكينْ الغضبْ: عندما إنتهى الجهادُ بالشيشانْ في تلك الفترة و عدت للخليجْ ظننت بأني لن أرى الشهبندرْ وباقي أخوتي في الله مرةً أخرى..

-الشهبندرْ) مربتاً على كتف البراكينْ): لي الشرفْ بأن ألتقيكَ مرةً أخرى أيها الليثْ...

-براكينْ مبتسماً (يمسكُ ظهر كف الشهبندرْ بقوة و هو مبتسمْ): و أنا أيضاً يا أخيْ..

-مصعبْ: بعد مقدمة التعارفِ تلكْ نعودْ لواقعنا الحاليْ .. كخطوةٍ لحماية قندهارْ ..كانت هناك جبهة قندهارْ الدفاعية و التي خضتم فيها معركتم الأولى هنا و كتب الله لنا فيها النصر بإذنهْ..

يبتلعُ مصعب ريقهُ و يستنشق الهواءْ و يفرغه من رأتيهْ و براكينْ الغضب و الشهبندرْ ينظرانِ إليهْ ... و يكمل حديثهْ:

-مصعبْ: لكن الأمور لا تبقى على حالها كما تعلمونْ . . و علينا سحب المجاهدين من هناك ،و قبلها إفراغ قندهار و الجبهة الدفاعية من المدنيين لأقل خسائر ممكنة في الأرواحْ..

-الشهبندرْ: متى ستتم عملية الإفراغ تلكْ يا مصعبْ ؟

-مصعب: ستتم بإذن الله لحظة إعلان الطوارئ و هي قريبة جداً .. سيعلنها أمير طالبانْ ..سأقوم بشرح الخطة الحاليَّة لكن قبل ذلك سأخبر براكين عن طالبانْ..

-براكين الغضب: أنا أنتظرْ .. تفضلْ..

مصعبْ: طالبان هي الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية" الذين كانوا يدرسون في باكستان وعُرفوا باسم "طالبان" ....وهي كلمة أفغانية معناها الطلبة ..نشأت حركة طالبان يا براكينْ في منتصف عام ١٩٩٤ بولاية قندهار جنوبي أفغانستان، ثم ظهرت إعلاميا في أكتوبر ١٩٩٤ حينما هبت لنجدة قافلة باكستانية متجهة إلى آسيا الوسطى عبر الأراضي الأفغانية– وكانت مجموعات أفغانية مسلحة أوقفتها..... وسرعان ما سيطرت الحركة على الولايات الجنوبية وزحفت على كابول في مارس ١٩٩٥، غير أنها بقيت خلف أبوابها حتى ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦ حينما دخلتها بعد إنسحاب قوات مسعود منها. وإستمرت الحركة في زحفها نحو الشمال، غير أنها تكبدت خسائر كبيرة، أهمها تلك التي منيت بها في مدينة مزار شريف في أغسطس ١٩٩٧.

-براكين الغضبْ: جميلٌ جداً .. لكن لم قامت حركة طالبان بالأساسْ ؟ أعني هل للحركة أهدافٌ معينة ؟

-مصعبْ) مبتسماً): يبدوا بأنك لم تشاهد التلفازْ و تقرأ الجرائد لتتعرف على طالبانْ يا براكينْ.

-برايكن الغضبْ (مقهقهاً): بلا لكنـــــي كنت أحلم بأن أنضم إليهمـــْ و هذه فرصتي لأغرقك بأسئلتيْ..

-مصعبْ (ضاحكاً): كما تريد يا براكينْ .. لنعدْ.. لطالبان عدة أهدافٍ و هي: إقامة حكومة إسلامية على نهج الخلافة، وإختيار

العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب الهامة في الدولة، والتركيز على حجاب المرأة وإلزامها به، فضلا عن قمع الجرائم الأخلاقية، وإعداد جيش مدرب لحفظ الدولة الإسلامية من الإعتداءات الخارجية، وتعيين هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء الدولة، وأسلمة الاقتصاد بما في ذلك جمع الزكاة والعشر وغيرهما وصرفها في المشاريع الإسلامية.

-الشهبندرْ: أخبره عن القيادة يا مصعبْ..

-مصعبْ: القيادة تتمثل في ملا محمد عمر "أمير المؤمنين"، الذي إختارته طالبان أميراً لها في أغسطس ١٩٩٤، وهو في أواخر الثلاثينيات من عمره، وهو من المجاهدين السابقين ضد الإحتلال السوفيتي.

-براكين الغضبْ: إشتقت لشيشانْ قلبيْ عندما ذكرت الإحتلال السوفييتيْ .. و صورةٌ مرتْ أمام براكينْ لحظة تذكر صورة علم الإتحادْ السوفييتي على قبعة المتمردْ لحظة تواجها، فاختفت إبتسامتهْ لتصير ملامحهُ شرسة كما عرفناهُ من ذي قبلْ... -

-الشهبندرْ (يقطعُ أفكارَ براكينْ): ششششْ . دعه يكملْ..

-مصعبْ: لكنه فقد إحدى عينيه في الجهاد، ولم يكمل دراسته حتى الآن، وهو يدير أمور دولة أفغانستان وحركة طالبان من ولاية قندهار جنوب البلاد، أما بقية الهرم القيادي ستتعرفُ عليهم عندما ستقابلهمْ اليوم باذن اللهْ..

-براكين الغضبْ: جيدْ .. لأني أحس بضياع ما ْ من الآنْ..

-الشهبندرْ: هههههههههههههههه...

-مصعبْ: أية أسئلةٍ أخرى يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ: أجلْ .. أخبرني عن علاقة طالبان بالدول المجاروة..

-مصعبْ: آآآآآهٍ من هذه العلاقة يا براكينْ . .تتسم علاقة طالبانْ بإيران بالتوتر الشديد بسبب إتباع إيران المذهب الشيعي، وقيامها بتسليحْ ودعم المعارضة الأفغانية الموجودة في شمال أفغانستانْ... وتحاول طالبان أن تحد من تحركات إيران ضدها بكل الطرقْ الممكنةْ، بالتهديد والزيارات وإرسالِ الوفود وغيرها .وقد تعكر جو العلاقاتِ بين إيرانْ وباكستانْ بسبب سياستهما المختلفة تجاه حركة طالبان...

-براكين الغضبْ: و هل هذا ينطبق على الهند و روسيا أيضاً ؟

-مصعبْ (يقرب التشاي لشفتيهْ وعينيهِ معلقتين بعينيْ براكينْ):الهند و روسيا تدعمان معارضي طالبان بالعتاد العسكري من الأسلحة والمساعدات اللوجستية، كما هيأت بعض دول آسيا الوسطى قواعد عسكرية في داخلها لبعض القادة المعروفين في المعارضة. وكل تلك الدول الداعمة تخاف من نفوذ حركة طالبان والإسلام المتشدد. و لكني أستطيع القول بأن طالبان لا تخفي عداءها لهذه الدول.

-براكين الغضبْ :مممممممـــــْ .. و ماذا عن باكستانْ ؟.. على حد علمي بأنها صديقةٌ لطالبانْ.

-مصعبْ: تنظر طالبان إلى باكستان، على أنها أقرب الدول منها وأكثرها صداقة ومساعدة...

-الشهبندرْ: لكن يظهر أن باكستان لم تدرس حتى الآن النفسية الأفغانية بدقة، فهي تحاول دائما أن تكون لها السيطرة الكاملة على من يحكم أفغانستان؛ أليس كذلكْ ؟

-مصعبْ: أجلْ ..الأمر الذي أدى إلى إشتباكات مسلحة بينهما في منطقة طورخمْ أكثر من مرة يا شهبندرْ، إلى جانب بعض المناطق في ولاية باكتيا وخوست التي أقامت فيها باكستانْ مراكزها العسكرية داخل الأراضي الأفغانية.

يسترخيْ براكين الغضبْ و يحرك ذراعيهِ للخلف و يضعُ كل ثقلهُ عليهما، و ينظرُ للأعلى ثم يخفضهما ليوجه كلامه للشهبندرْ ومصعبْ:

-براكينْ الغضبْ: بعد هذا الشرحْ يا مصعبْ .. ماهو توجهُ القادة للمعركة القادمة ؟

-مصعبْ (يضعُ التشايْ جانباً): قادة طالبانْ يريدون خوض هذه المعركة بالاتحادِ مع أفغانستان كلها .. تعبنا من طلبِ النجدة من الأمم الاسلامية و خاصة الشرقْ الأوسط لتدعمنا في حربنا هذهْ .. و لم يدعمونا الا بالغذاءْ .. و لم يمدوا أيديهمـــْ لنا بالسلاحْ .. نحن نريد السلاحْ .. نريدُ جنوداً يحاربونَ معناْ..

-براكينْ الغضبْ: أذكر بأن الفارسْ رحمهُ الله كان طبيباً في القوات المسلحة لبلادهِ بباكستانْ .. ألم يمدوا يد العونِ لكمْ ؟..

-مصعبْ: هههه ... لا تضحكنيْ يا براكينْ .. حقيقة لا أعلم لم همـــْ هناكْ .. – صمتٌ ومن ثمَّ يردفُ مصعبْ– لذا نأملْ من جبهات الشمالِ و الجنوب أن تنضم إلينا .. و كذا جبهة الشرق و التي نخصُ بها مجاهدينا في كابولْ .. فريقٌ منهم سينضمُ الينا قريباً اليومـــــ أو يومـــــ غدْ أرسلهم أمير جبهتمـــْ عمرانْ ليساندونا في حالة قيام الحرب قبل وصولهم مع مجاهديهِ إلينا..

-الشهبندرْ: و لم سيتأخرُ عنهمْ هكذا ؟

-مصعبْ: عليه أن يأمنْ جبهة دفاعية في كابول لتحفظ الأمن هناك تحسباً لأي فوضى تسفرُ عن قصفْ أو تحرشات لقواتِ الاحتلالْ هناكْ ... سينضمُ إلينا قريباً هو الآخرْ .. هذا ماقرأهُ أميرنا في الخطابْ المرسل من قبلهْ.. و قد وكلنا إليهِ بأن يرسلَ إليهم طلب الإنضمامْ ... و نحن ننتظر الرد منهمـــــْ قريباً..

-براكين الغضبْ (ينظرُ للخارج عبر النافذة الصغيرة): الشمسُ بدأتْ تغيبْ .. هيا فلنذهبْ .. أنا متشوقٌ لمقابلة القادة...

-مصعبْ: رويدك يا براكينْ .. سنصلي المغربْ و سنخرجُ على ظهور الجيادْ لنضمن وصولنا للمقرْ قبل منتصف الليلْ..

-الشهبندرْ (يقومـــُ من مكانهْ): سأتقدمكما اذاً و أتوضأ لنذهب للمسجدْ...

يبتسمـــُ كلاً من مصعب و براكينُ الغضبْ للشهبندرْ..

ثم يأخذُ مصعبٌ التشايْ و يرتشفهْ، و ينظر لبراكين الذي هدأ للحظاتْ و تسبحُ في الفضاءْ:

-مصعبْ (ينظر لبراكينَ بدهشة): مابالك أخي براكينْ ؟.. هل من خطبٍ ماْ ؟

تعودُ عينا براكين الغضبْ من حالة السرحان لتنظرا إلى مصعبْ بشيءٍ من الضياعْ:

-براكين الغضبْ (يمسحُ جبينهْ و يضعُ بطن كفهِ على عينيهْ): لا يا مصعبْ .. لا شيءْ .. مجرد حالةِ هدوءْ.

-مصعبْ: أتشكو من شيءٍ يا براكينْ ؟.. أعني هل تؤلمك عيناكْ ؟

-براكين الغضبْ: لا.. مجردُ ألمــٍ برأسي إمتد لعينيْ ليس إلا .. – يمسحُ وجهه و تعود ملامحهُ لحالتها الطبيعية– مصعبْ (و راحةً لامستْ عضلاتِ وجههْ): الحمدللهْ ..ظننتُ بأن مكروهاً أصابكْ..

-براكينْ الغضبْ:لا لا .. مجرد ألمـــــ سيزولُ بعد فترة قصيرةْ..

-مصعبْ: حدثنيْ عن صديقك السيفْ .. يا ترى هلْ هو بخيرْ ؟

-براكينْ الغضبْ (و قبضةً إعتصرتْ قلبهْ): إنهُ بخيرْ.. تركتهُ نائماً .. إن سمحتَ لي سأعودُ لمنزلي ريثما تصليانِ أنت و الشهبندرْ .. سأطمئنُّ على السيف و سألقاكمــْ في مكانٍ ماْ..

-مصعبْ: مع أني لا أرى ضرورةً لذلك يا براكينْ إلا إني لنْ أمنعكْ .. لكن لدي إقتراحٌ إن أحببت سماعهُ أيها الحبيبْ..

-براكينْ الغضبْ: تفضلْ يا مصعبْ أرجوكْ..

-مصعبْ: ساءني مرض السيفْ المفاجئْ .. ظننتُ بأنهُ سيذهب معنا ليقابلَ القادةْ .. لكن قدر الله وما شاءْ فعلْ .. لكنْ من باب الإطمئنانْ كما قلتْ.. هل تريدُ أن أطلب من خادمي أن يجالسَ السيفْ و يرعاهْ ريثماْ نعودْ ؟

-براكينْ الغضبْ (و القبضة تزدادْ و تشتدْ بصدرهْ): لا بأسْ من ذلكْ .. – متمتماً: أحسُ بأنه علي أن أخرج الآنْ لا أعلمــُ لمَ – لكني أصر بأن أذهب أولاً .. و دعْ خادمكَ يجلسُ مع السيفْ..

-مصعبْ: إتفقنا إذاً ..اذهب الآن و تفقد صاحبكْ ..و صلْ المغربْ .. سنمر عليك أنا و الشهبندرْ باذن اللهْ و سنصطحبكْ..

-براكينْ الغضبْ: بإذن اللهْ .. – يقومــُ من مكانِهْ – السلامــُ عليكمْ و رحمةُ الله و بركاتهْ..

-مصعبْ: و عليكمــْ السلامــ و رحمةُ اللهِ و بركاتهْ..

يتقدمــُ براكينَ الغضبْ بضعةَ خطواتٍ من من البابْ حتى يصيحَ به الشهبندرْ:

-الشهبندرْ: إلى أينَ يا براكينْ ؟ ..ألن تصلي معنا المغرب في المسجدْ ؟

-براكينْ الغضبْ (يضعُ بطن كفهِ على صدرهْ): أنا ذاهبٌ لمنزلي لأتفقد السيفْ .. سأصلي هناكْ.. إلحق بي أنت و مصعبْ..

-الشهبندرْ (يحك رأسهُ باصبعهِ الأيسرْ): كما تشاءْ .. إحترسْ..

يخرجُ براكينْ على عجلْ من دونِ أن يودع الشهبندرْ..و يسيرُ بخطواتٍ سريعة .. و ساقيهِ تتعاقبانِ بسرعة و كأنهما في سباقٍ لكنْ رمليْ

لما يثيرهُ نعلُ براكينْ من زوابعَ رملية .. لكن تزدادُ القبضةُ بصدرِ براكينْ الغضبْ الذي بدأت ساقاهُ ترتخيانْ لكنهُ يقاومــْ و يقاومـــــْ .. و القبضة تزدادْ:

-إستر يا ربْ .. إسترْ يا ربْ!!! ...

الوقتْ .. مغيبُ الشمسْ .. و المساجدْ إكتظتْ بالمصلّينْ .. و براكينْ يمشي في تلك الطرقاتْ الخالية و يدٌ على صدرهِ

و الأخرى تحاولُ رفع ساقهِ ليستمر في المسيرْ .. صورٌ كثيرة تمرُّ بمخيلة براكينْ الغضبْ .. و تدغدغُ عينيهِ لكنْ بألمــْ..

حيثُ هو واقفٌ وسط ذلك المعسكرْ.. وقصفٌ متواصلٌ للصواريخْ .. جثثٌ متناثرة في كل مكانْ ..و رائحةٌ عفنة خلفتها أدخنة الصواريخ

و القنابلْ و دماءٌ تنضحُ لاهثة من الجثثْ.. ودماءٌ تغطي يديهْ ... يديهْ!!!

تتوقفُ خطواتُ براكينَ فجأةْ .. فيرفعُ يدهُ للأعلى .. و يشتمــُ رائحة الدمـــ فيها..

فاذا هي قطراتُ دماءٍ تغطيهاْ.. فينظر بذعرْ.. من أين أتت كل تلك الدماءْ!!

فيقلبُ كفهُ .. ليرى نبعَ الدمـــ ذاكْ .. و يتحسسُ كفه بإصبعهْ..

ليلمسَ اصبعهُ قطعة حديدْ .. و ما كانتْ إلا رصاصةً

إنغرستْ بظهرِ كفهْ بغدرْ !! لحظتها يصرخ براكينْ الغضبْ.. ويحس بالألمــــْ المحتبسْ:

-آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآهْ.

لتتلفتَّ عيناهُ كطفلٍ تائهْ .. هنا و هناكْ .. و يضغطُ باصبعه على الجرحْ علهُ يوقفُ تدفق المزيدْ

من الدماءْ.. يبحثُ عن مصدرِ هذه الرصاصة بعينيهْ... رصاصةٌ لم يحس ْ بهاْ لحظة إنغراسها بلحمهْ ... ليلمحَ طيفَ رجلٍ

مسلحْ..

يقفُ ببنطالٍ عسكري و بيدهِ بندقية كالتي يستخدمها القنَّاصونْ.. يقف فوق منزلٍ متآكلْ .. ليختفي ما إن رآهُ براكينْ.. و يصرخَ به براكينْ

و يجري خلفهْ .. و يتناسى آلامــ صدرهْ .. و ساقيهْ و يدهْ .. و يجري بكل قوة ليلحق بذلك الطيفْ .. ويدهشَ من رشاقته... حيث أخذ يقفزُ بين المنازلْ بخفة ْ..

لتخذُلهُ رشاقتهُ عند المنزلِ الأخيرْ .. فيسقطْ ... و يرتطمــ بسقف أحد المنازلْ المنخفضْ..

و يتدحرج إلى أن تحتضنهُ الرمالْ .. و يصرخُ متألماً و هو يمسكُ بساقهِ وكأنها كُسرتْ..و براكين يجري.

و يجري..

بأقصى طاقة..

ليهمـــــ و ينقضَّ عليهْ .. و يمسكه من تلابيبهْ..

و يزيحَ عن وجهه قناعاً يرتديه ليخفي هويتهْ .. و يرميْه بالهواءْ...

و الرجل ينظرُ لبراكين بخوفْ ..و براكين يحدقُ فيهْ بشراسة .. و يحدقُ في قسماتِ وجهه

و كأنهُ يبحثُ عن شيءٍ ما .. و الرجل يرتعشْ..

يرتعشُ بين يدي براكين القوية .. فيزأر فيهْ بكل غضبِ الدنيا:

-لم أطلقت علي الرصاصْ أجبني ؟

-الرجلْ: أ أ أ..

-براكين الغضبْ (بغضب يلتهم الرجل بعينيهْ و يجرهُ بقوة أكثرْ لوجهه): قلت لك لم أطلقت الرصاصْ ؟ هل أردت قتليْ ؟ من أرسلكْ ؟ – و يهزُّهُ بعنفْ – هيا تكلمْ!!

-الرجلْ: أرجوك لا تقتلني .. أنا لم أقم بذلك إلا تنفيذاً للأوامرْ...

-براكين الغضب: أراك تتحدثُ العربية أيها الروسيْ.

-الرجلْ (يفتحُ مقلتيهْ بقوة غير مصدقْ لما يسمعْ.. .. :(

-براكين الغضبْ) باستهزاءْ): هل أرسلك الجنرالْ .. أعني المتمردْ ؟

-الرجلْ: صدقني أجبرتُ على هذا .. لقد هددوا بقتلِ عائلتي إن لم أقمــ بقتلكْ..

-براكينْ الغضب) يرخي قبضتهُ قليلاً): تقتلُني؟

-الرجلْ : صدقني .. ما أقولهُ لك هو الحقيقة .. أرجوك لا تقتلني .. أني أعيلُ عائلة كبيرة .. – و دموعٌ تتدحرج على وجه الرجلْ.. -

-براكين الغضبْ: مهما يكنْ .. أنت عدوٌ من أعداءْ الإسلامـــ .. وجب علي قتلكْ.

-الرجلْ (متوسلاً): أرجوك .. ما دمت مسلماً .. إذاً فأنت تملك رحمةً ما بقلبكْ .. سأعترف بكل شيءْ . لكن أرجوك لا تقتلني .. و لن أعود لعملي الدنيءِ هذا .. أتوسلكْ..

يبعدُ براكينُ يديه عن الرجلْ الذي أخذ يلهثْ و يتنفسْ بصعوبة .. ليردفْ:

-قبل ذلك ْ.. أريدُ أن أقول بأنك لستَ الوحيدْ..

-براكين الغضبْ (بدهشة): ماذا تقصدْ ؟

-الرجلْ (يضعُ يدهُ على ساقِهِ و يشيرُ جهة منزلِ براكينْ): هناكَ مجموعةٌ إنسلت اليومـــ بقندهارْ . أرجوك ساعدهْ..

:

:

0السيفْ ٠ السيف وحيداً بالمنزلْ ٠

يجري براكينُ بسرعة الريحْ .. و الناس يخرجون من المسجدْ و ينظرون لبراكينْ و يتساءلونْ:

-مالذي يحدثْ ؟

يصلُ براكينُ الغضبْ لمنزلهْ بعدَ صراع مع ساقهِ التي بدأت تخورُ لحظةً بلحظة..

ليقفْ مذهولاً .... و قدماهُ لم تعودا تحملانهِ مجدداً .. فيجثي على ركبتيْه و يديه ... ودموعٌ تودُ أن تعانقْ الأرضْ...

و أدخنةٌ تتصاعدْ للسمـــــــاءْ . و نارٌ مندلعة .. تخرجُ ألسنتها من النوافذْ التي تصرخ و تستنجدْ ..نارٌ أحرقتْ الأرضْ .. لتفتحَ جرحاً آخرْ فيها . و براكينْ!!

مازال على الأرضْ .. مازالْ..

يتدافعُ الأفغانْ لمنزل براكينْ .. و في أيديهمـــ أوعيةٌ بها ماءْ..

يحاولون إطفاءْ الحريقْ الذي إندلعْ .. و النارْ . آهٍ منهاْ .. آهٍ من النارْ التي لا تشبعُ من شرب الدماءْ..

تدورُ الدنيا ببراكينْ..

الذي شلَّتهُ المفاجأة و الصدمة على حد سواءْ..

و ما عاد يرى إلا ألسنة النارْ ، و نارٌ تحترقُ بقلبهْ .. لتعودَ صورُ المعسكرْ مرة أخرى..

و صور معركة جبهة قندهارْ .. فتارةٌ تقفزُ لعينه صورتهُ هو و السيفْ و الفارس على قمة جبل المجاهدين ْ..

و تارةٌ صورٌ أخرى له و للسيف يتسللان لمعسكر الإحتلالْ .. و صورٌ أخرى للقائهِ بالمتمردْ .. و الإنفجارْ..

:

:

أصواتُ صراخ النسوة .. و الرجالْ يتكاتفون لإخمادِ الحريق .. و بكاءِ الأطفال الذين إحتموا بأحضانِ أمهاتهمـــْ..

و براكينْ . يتذكرُ لحظة إستشهادْ الفارسْ..

الفارسْ..

الصديق و الصاحبْ .. الرجلْ الرابع بالمجموعة..

و قد إستشهدْ .. و سلمـــ الروح للإلهْ..

:

ضرباتٌ على كتفِ براكين الغضبْ لتوقظهُ من صدمتهْ ... لينظر براكينُ لتلك العينينْ..

ويشتمــ رائحة صحراء الخليجْ فيهْ .. ليحبسَ صرخةً على ما هو فيه ْ..

أيبكي صديقهُ الذي يحترقْ .. أم يبكي صاحبهُ و حبيبهُ الذي

ظهر فجأة

-الأصمعي (يحتضنُ صديقهُ بحرارة):أنت حيْ ، حيٌّ ترزق يا براكينْ.

-براكينْ الغضبْ (و عينيهِ تودان البكاءْ محتضناً الأصمعي بقوة): حمزة ، حمزة صديقي..

-الأصمعي) يقبلُ رأس براكين الغضبْ): حمداً لله يا براكينْ ... حمداً للهْ ... قد إستجابَ اللهُ دعائيْ لأراكْ ..لقد وصلتُ لتوي لقندهارْ و رأيتُ الناس يتدافعون إلى هناْ..

-براكين الغضبْ (يحتضنُ الأصمعي لصدره بقوة): آآآآآآآآآآهٍ يا حمزة على هكذا فراقْ .. آهٍ منهْ..

-الأصمعي (يبعدُ براكين عن صدرهْ): أيْ براكينْ لقائي بكْ أنساني هذا الحريقْ . مالذي يجري هناْ ؟

-براكين الغضبْ) منتفضاً): السيفْ ، نسيتُ أمر السيفْ ، تعال يا حمزة لنساعد السيفْ .. إنهُ بالداخل يحترقْ.

-الأصمعي (يفتح فاههُ بدهشةً): السيفْ البتارْ ... السيف البتار بالداخلْ ، لكن كيفْ ؟

-براكين الغضبْ (ممسكاً بيد الأصمعيْ :(سأشرحُ فيما بعدْ .. تعال الآنْ علينا إخمادُ الحريق و إخراج السيفِ من الداخلْ.

-الأصمعي (يلوحُ للمجاهدين الذين من خلفهِ أي الحقوني): حسناً يا براكينْ .. فلنسرعْ يا صاحبيْ.

تكتظُ الأرضُ بتلك الأقدامــْ .. و الكلُ يتعاونُ من أجل إخمادِ هذا الحريقْ الرهيبْ .. براكينُ الغضبْ على رأسهمــْ يتناولُ أوعية الماءْ في نهاية الخطْ الممتدْ من بئرٍ قريبٍ من المنزلْ يتبادلُ حملهُ الأفغانْ في خطٍ متواصلْ إلى المنزلْ المحترقْ .. و خطوطٌ أخرى تمتد من ذلك البئرْ في نهاية إحداها الأصمعيْ .. و النيران لا تنطفئْ لا تنطفئْ..

-براكين الغضبْ (يمسكُ بإناءِ الماءْ و يرفعُ ذراعيهِ للأعلى و يصب الماء على نفسهْ): أنا ذاهبٌ للداخلْ..

-الأصمعي: ويحك ، النيرانُ في كل مكانْ .. دعها تخمدُ قليلاً..

-براكين الغضبْ: لا وقت لدي يا أصمعي – يتوجهُ صوب باب المنزلْ – سأدخلْ..

-الأصمعيْ (يمسكُ براكينَ من ذراعهْ :(لا تكن مجنوناً يا براكينْ ، النارُ في كل مكانْ..

-براكينْ الغضبْ) يبعدُ يد الأصمعيْ): لن أترك صديقي للموت هكذا بتسيبٍ منيْ..

-الأصمعي) يتشبثُ بذراع براكينْ): لن تقومـــ بحماقةٍ كهذهْ يابراكينْ..لن أدعكْ...

لن يتوقف براكينْ الغضبْ ... و قد أبعد يد الأصمعي عنهُ وبقوة و دخلَ وسط تلك النيرااااااااانْ .. و الأصمعي ينظرُ برعبْ ، و يضربُ ساقهُ ليتأكدْ بأن ما يحصلُ أمامهُ حقيقيْ٠ و الأفغانُ يتصايحونْ ٠ ينادونَ على من تملَّكهُ عنادُ الأرضْ و هو غيرُ مستمعْ .. أفغانيٌّ يسرعُ الخطا من بعيدْ يصرخ كالمجنونِ في الأصمعي و من معهُ ممن يعاونُ في إخمادِ هذا الحريقْ:

-قندهارْ تشتعلْ ، قندهارْ تشتعلْ.

و ما إن يلتفتَ الأصمعيٌّ و ينظرُ حولهُ حتى يرى النيرانَ تبتلعُ المنازلَ

بنهمـــ ، و كأن قندهارَ تحولتْ للجحيمـــ ، فهلْ تكونُ هذه بداية النهاية يا دمعةً في العالمْ المفقودْ..

هل تكونُ هذهِ هي أحداثُ الوداع يا براكينْ ، كاد حلمكَ أن يتحقق و تلتقي بالقادة .. لكن عقبةً كهذه حطمت كل التوقعاتْ..

ولم تكتملْ فرحتي بظهور الأصمعيْ .. و دمعةً أخرى ستسقطْ على السيفْ .. فمتى يا ترى سيتوقفُ سيلُ الدموع و العقباتِ هذا ..؟

المشهد الحادي عَشر

فِداك الأرواح يا قنـدهـار

نظرةٌ عمودية من فوق مدينة قندهارْ تكفي لتأكد كلامـــ الأفغانيْ الذي أخذ يصيحُ بالناسْ قائلاً بأن قندهارْ تحترقْ .. فالنارُ تحاصرُ قندهارْ .. وتلتفُ ألسنة النار بالمنزلِ تلوَ الآخرْ .. و الأفغانياتُ يتصايحنَ و يخرجنَ أطفالهن و ما خفَّ وزنهُ .. وأزواجهنَّ يحاولونَ إطفاءَ الحريق بما لديهمـــ من أدواتٍ بسيطة .. أرى دباباتٍ تتقدمـــ و تتوزعُ على أطرافِ المدينة و في فوهةِ كلٍّ منها سطلُ ماءٍ كبيرٍ معلقْ .. ينزلُ على الأرضْ .. فيتدافعُ الأفغانُ ليقوموا بسكبهِ على النيرانْ الغادرةْ .و ينتشرُ قادةُ و مجاهدي طالبانْ في المدينة ... ليعاونوا أهلها على تلك الفاجعة . .. أفغانيةٌ تبكي أولادها الذين أحرقتهمـــ النارُ و همـــ نائمونْ .. و أفغانيٌّ إمتدت آثار الزمن لجسدهِ يجلسُ متقوقعاً تحت إحدى الأشجارْ.. يحتضنُ وجههُ بيدهِ باكياً قندهارْ...

بكتكِ القلوبُ يا قندهارْ

بكتكِ و فدتكِ الأرواحُ يا قندهارْ

)(**)(

)(

بعيداً عن النيرانْ و نواحِ الأفغانياتْ و فزعِ الأطفالْ .. نطلُّ بإحدى نوافذ منزلٍ بأرضِ الخليجْ .. و ندخلُ بكاميرتنا للداخلْ لنرى الزوج الغاضبْ .. و زوجتهُ التي تضمـــ رضيعتها لصدرها .. و أطفالٌ يلعبون الكرة بجانبِ غرفة المجلسْ

-الزوجْ: لقد مللت من مسلسلاتكِ هذه .. – يتناولُ الريموت كنترولْ – سأنتقلُ لقناةٍ آخرى..

-الزوجة (تصرخ فيهْ): إنتظر لحظة إنها الحلقة الأخيرة .. أريد أن أعرف مصيرَ المرأة العجوزْ..

-الزوجْ (يلتفتُ إليها بسخرية ثم يعيدُ عينيهِ لشاشة التلفازْ): هه .. سيكونُ مصيرها مثلكُ زوجة غبية و جاهلة لا تعرفُ كيف تسعد زوجها...

-الزوجة (بغضبْ): ماذا تقصدْ ؟

-الزوجْ: ليتني تزوجتُ من أراها باسمة دائماً لا عابسة .. لا ترتدي إلا هذه الملابسُ المتهالكة و تصرخُ بأطفالها ليلَ نهارْ.

-الزوجة: أنا الغبية التي تزوجتك و تنازلتُ عن أهلي و مالي من أجل رجلٍ مثلكْ.

-الزوجْ: إصمتي إصمتيْ .. نشف حلقي من سخافاتكْ .. بلقيسْ ، بلقيسْ أيتها الغبية.

-الزوجة (يتعانقُ حاجباها الرفيعان بقوة): أنظر كيف تتجاهلكُ تلك الحمقاءْ.

-الزوجْ (يصيحُ بقوة هزَّت أركانَ المنزلْ :(بلقيييييييييييييسْ ، اللعنة عليكِ تعالي إلى هنا أو آتي اليكِ و أحطمـــ عظامكْ.

تقتربُ الصغيرةُ ذات الضفيرتين و إحدى الضفائر شبهُ منسلة الشعرْ ، تحتضنُ لعبتها بين ذراعيها و تقفُ عند حافة البابْ ..و تنظرُ بعينين متورمتينْ للزوجْ الذي إستشاط غضباً:

-الزوجْ: ألا تسمعينَ و أنا أنادي عليكْ أيتها الغبية ؟

-بلقيسْ (تنظرُ بغضبْ.. ... .. :(

-الزوجة: مالك لا تردين ؟.. هل أنت صمَّاءُ أم ماذا ؟

-بلقيسْ (تغالبُ دمعة بمقلتيها و قد إحتقن خداها... .. :(

-الزوجْ: دعك منها .. بلقيسْ .. أحضري لي كوبَ ماءْ..
-بلقيسْ (و نظرة حادة من عينها اليسرى): لاْ.

-الزوج : أتعصين أوامري أيتها الغبيةْ ؟

-بلقيسْ (تبكي و تضربُ بقدميها الأرضْ و تصرخُ فيهْ :(لست خادمتكْ .. لديك زوجة ويجب عليها خدمتكْ..

-الزوجة (تفتحُ فاهها غير مصدقة): ويحك من فتاةْ – تلتفتُ لزوجها و ترتعشُ بغضبْ – قلت لك .. قلت لك بأن طويلة اللسانِ هذهْ لن ينفع معها إلا الضربْ و تنكيسِ الرأسْ..

يقفُ الزوجْ بغضبْ و يقذفُ بلقيسَ بالريموت كنترولْ ليلطمَ خدها الأيسرْ ... فتصرخُ بألمــْ:

-الزوجْ: بلقيسْ أحضري لي الماءْ فوراً.

-بلقيسْ (تصرخُ فيهْ و تحتضنُ لعبتها بقوة و تقفزُ عدة قفزاتٍ مكانها :(لاااااااااااااا.. لا أريد ... لست خادمة .. أريد باااااااابااااااااااااا .. وااااااااااااااااااااااااءْ ... خذني إلى باااااااباااااااا...

-الزوجْ) بحمقْ): أيتها العنيدة سأحطمــُ عظامكْ .. تعالي إلى هنا..

تجري بلقيسٌ و يجري و راءها الزوج كثورٍ هائجْ ... فتختبئُ الصغيرة تحت السريرْ ليسحبها بعنفْ من ساقيها و هي تبكي و يضربهاُ ضرباً مبرحاً و يرمي بها بكل زاوية من الغرفة .. و الأطفالْ ينظرون من خلفِ البابْ بخوفْ و رهبة .. ليوقف صوت الزوجةِ تلك المأساةْ:

-دعك من عديمة الفائدة تعال يا ماجدْ ، إستمع إلى الأخبارْ.

يتركُ ماجدْ الصغيرة المتحطمة ... و التي أغرقت نفسها بدموعها .. و نظرتْ إليهِ بشراسة ليلطمها بظهر كفهِ على وجههاْ .. ثم يذلفُ بسرعة لغرفة المجلسْ .. و يتناولُ الريموت كنترولْ من الأرضْ و يجلسُ بقرب زوجتهْ:

-ماجدْ: ماذا يحدثْ ؟ ماذا قالوا ؟

-الزوجة: إنهم يتحدثونَ عن القصف الأمريكي لمدينة قندهارْ .. لقد أعلنوا عن حريق إشتعلَ بقندهارْ قبل قصف قندهارْ.

-ماجدْ : ويلٌ لهمــْ .. كفرة و حيواناتْ ، كيف يقاتلون عُزَّلْ ؟ ماذا يوجد بقندهارْ ليقصفوهاْ ؟

-الزوجةْ (وخوفٌ يملؤُ عينيها): ليت الأفغانْ هناك فقطْ .. هناك عربٌ أفغانْ و خليجيون أيضاً يا ماجدْ..

-ماجدْ... .. ... :

-الزوجة: ماجدْ .. أتعتقدُ بأنهُ بخيرْ ؟.. قد إنقطعتْ أخبارهُ عنا منذ سافرْ..

-ماجدْ : لا أعلمْ يا نورة .. لكني أتمنى أن يكونَ بخيرْ .. بالرغمــ مما فعلتهُ إبنتهْ .. إلا أنهُ رجلٌ طيبْ..

صمتٌ ... يتبعهُ صمتْ .. ليقطعهُ ماجدْ:

-أتمنـــــى فعلاً بأن يكون بخيرْ..

الحلقة السابعة عشرْ: الجحيـمْ!!

نعودُ لمدينة قندهارْ .. و التي لا نرى فيها غير سحب الدخانْ الناتج عن الحريقْ .. و الغبارْ الممزوجْ بهْ .. و الذي أغرقَ الناس به فباتوا كأشباح رمادية تمشي و تولولُ في الطرقاتْ على غير هدىً...

و لنعدُ لبضعة لحظاتٍ فاتتْ .. حيث تكتظُ الأرضُ بتلك الأقدامـْ .. و الكلُ يتعاونُ من أجل إخمادِ الحريقْ الرهيبْ .. براكينُ الغضبْ على رأسهمـْ يتناولُ أوعية الماءْ في نهاية الخطْ الممتدْ من بئرٍ قريبٍ من المنزلْ يتبادلُ حملهُ الأفغانْ في خطٍ متواصلْ إلى المنزلْ المحترقْ .. و خطوطٌ أخرى تمتد من ذلك البئرْ في نهاية إحداها الأصمعيْ .. و النيران ، لا تنطفئْ لا تنطفئْ.

-براكين الغضبْ) يمسكُ باناءِ الماءْ و يرفعُ ذراعيهِ للأعلى و يصب الماء على نفسهْ): أنا ذاهبٌ للداخلْ..

-الأصمعي: ويحك النيرانُ في كل مكانْ .. دعها تخمدُ قليلاً..

-براكين الغضبْ: لا وقت لدي يا أصمعي – يتوجهُ صوب باب المنزلْ – سأدخلْ..

-الأصمعيْ (يمسكُ براكينَ من ذراعهْ): لا تصبِح مجنوناً يا براكينْ النارُ في كل مكانْ.

-براكينْ الغضبْ (يبعدُ يد الأصمعيْ): لن أترك صديقي للموت هكذا بتسببٍ منيْ.

-الأصمعي (يتشبثُ بذراع براكينْ): لن تقومـــ بحماقةٍ كهذهْ يابراكينْ..لن أدعكْ...

لن يتوقف براكينْ الغضبْ ... و قد أبعد يد الأصمعي عنهُ وبقوة و دخلَ وسط تلك النيرااااااااانْ!!!

و الأصمعي ينظرُ برعبْ ، و يضربُ ساقهُ ليتأكدْ بأن ما يحصلُ أمامهُ حقيقيْ، و الأفغانُ يتصايحونْ ،

ينادونَ على من تملَّكهُ عنادُ الأرضْ و هو غيرُ مصغٍ..

أفغانيٌّ يسرعُ الخطا من بعيدْ يصرخ كالمجنونِ في الأصمعي و من معهُ ممن يعاونُ في إخمادِ هذا الحريقْ:

-قندهارْ تشتعلْ ، قندهارْ تشتعلْ.

و ما إن يلتفتَ الأصمعيٌّ و ينظرُ حولهُ حتى يرى النيرانَ تبتلعُ المنازلَ بنهمـْ و كأن قندهارَ تحولتْ لجحيمـْ!!

ما إن سمع الأفغانْ الذين معَ الأصمعي هذا الكلامــْ .. حتى خروا على الأرض ْ و كأن قوة ما سحبتهمــْ ليجثوا على ركبهمــْ .. و أخذ البعض منهم ينثر التراب في السماءْ .. و آخرين يكيلون باللعناتْ للدنياْ ولليومــِ الذي ولدوا فيهْ .. و الأصمعي .. غاااااااضبْ ... غاااااااااضبْ .. لتشتعل عيناهُ فيصرخ فيهم:

-الأصمعي (يحدثهم بغضب بالأفغانية): أين قوتكم يا رجالْ ؟ أي هي قوتكمْ و قوة إيمانكمْ ؟ هل فقدتم الأمل لأن قندهارْ تحترقْ و تحولت للجحيمْ .. أبهذه المعنوياتْ تقابلون أيَّ مصابْ لكمْ ؟

-أفغانيْ (يتحدث و هو يبكي): لا مال لدينا يا أخي .. و لا طعام مثل البشر .. و لا منازل واسعة .. و نعيش على فتات اليوم .. و إن إحترقت قندهار فأين نذهبْ .. – يحتضن وجهه بين يديهْ و يبكي.. -

-أفغاني آخرْ (يضعُ كفه على كتف رفيقهْ): يا أخي أنا لا عمل لي
..و أعيل عائلة كبيرة .. و منزلي بعيد . و أراهن بأن النار قد إبتلعتهْ.. فكيف سأعيش غداً ؟.. و ماذا سيكون مصيري الموت أفضل ْ لي ْ..

و أخذ الأفغان يثرثرون على رأس الأصمعي الذي بدأت وجنتيه تتورمان ليتفجر فيهمْ:

-الأصمعي: لأنكم تفكرون في الدنيا و حياتكم فيها؛ أصابكم ذلك الخنوع..

ينظر إليه الأفغانْ بدهشة.. ليردف:

-الأصمعي: أنا تركت وطني و أهلي و عانيتُ من الأسر و عذابه و الصعاب من أجل أن أكون معكم هنا .. لكي أحارب معكمــ .. ليس لأجل أن تشكروني . بل لأجل الله سبحانه و تعالـــــى.

-أفغانيٌ يتقدم من بينهم : أتيت من الخليج لتحارب معنا ؟..

-الأصمعي: أجل .. أتيت من الخليج ... لكي أحارب معكم و أشد على أيديكم فهل تكافئونني بهذا التخبطْ .. إصحوا يا رجالْ .. تبا للدنيا .. فعلا تبا للدنيا .. و تحت هذه النيران أقولْ: فلنقف صفاً واحداً و نحاول إخماد النيران على قدر استطاعتنا .. و لنكن واحدْ .. واحدٌ للواحد .. و الواحد هو رب العالمينْ .. و اشتروا جناته .. بشهادة أو صبرٍ على هذا الضيمْ .. يتبادلُ الأفغانُ النظراتْ .... ليرفع سطل الماء و يوجهه لألسنة النارْ:

-الأصمعي: لا تقفوا هكذا و ارفعوا الأسطل معي لنخمد ألسنة الشيطان هذه .. هيا .. تستطيعون ذلك إن تعاونا فيما بيننا . – إبتسامةٌ على محياهْ – .. هيا يا أصحابْ ماذا تنتظرونْ ؟

تعودُ الحياة لوجوهِ الأفغانْ .. و أخذَ الدمــ يجري بعروقهم من جديدْ .. و علاماتٌ من الرضا على وجوههمــْ ..ليعودوا لتلك الصفوف الطويلة .. و أخذوا يتبادلون الأسطل بين أذرعهم و ليخمدوا النارْ .. و أخذت كل مجموعة مقابلة لمنازل مبانٍ محترقة تفعل الشيءْ ذاتهْ .. فاتحدت القلوبْ ..و إتحد الهدفْ...

مهلاً !! لم ينتهي المشهدْ عند ذلك .. لندخلُ بين تلك الألسنة لمنزل براكينْ .. بابٌ محترقْ .. و ألسنة النارْ تتوهجْ و تجري كالمجنونة و تحرق كل زاوية بالسقفْ و الأرض ْ.. و كأنها أرواحٌ شريرة كتلك التي تسكن تلك المنازل المهجورة ...فتسبحُ بكل أرجاءِ الغرفة لتزرع الرعب بالقلوبْ .. كل شيءٍ يحترقْ .. و الأدخنة في كل مكانْ . .ها هو براكينْ .. يحاولُ أن يجتازَ كل ذلكْ ... و كفهُ على عينه اليمنى عله يحميها من الأدخنة المتصاعدة: ...

-براكينْ الغضبْ: سيفْ ، سيفْ أين أنتْ ؟ كحْ .. كحْ كحْ..

يقتربُ لغرفة السيفْ .. ليلقي نظرةً فيها حتى تسقط خشبةٌ من فوق باب الغرفة .. محترقة . و قد قفز براكين للخلف كي يتفادى سقوطها على أصابع قدميهْ .. و من فوق النارْ التي تتراقص ُ طربا بأرجاءِ الغرفةً .. يحاولُ براكين أن يتفقد السيف بعينهِ التي أعمتها الأدخنة... و أخذ ينادي:

-براكينْ: سيفْ ، سيف هل أنت هناكْ ؟ كحْ كحْ ... سيفْ..

صوتٌ ينادي براكين من الخلفْ:

-براااااااااااااكين براااااااااكين أين أنتْ ؟.. فلنخرجْ من هنا يا براكينْ .. .. المنزل يتهاوى للأسفلْ..

-براكين الغضبْ (يلتفتُ للخلفْ و في عينيهِ حزن عميقْ):لا ياحمزة .. دعني ... أريد أن أخرج السيف من هنا..

-الأصمعي (يجر براكين الغضب من ذراعهْ): فلنخرج يا براكينْ .. المنزل يحترق .. ستموت محترقاً..

-براكين الغضبْ: كيف أخرج و صديقي بالداخلْ ، ستأكله النارْ ، النار يا حمزة ْ..

-الأصمعي (يجرهُ بقوة): الآنْ .. ستخرج معي و إلا متنا معاً....

:

:

السقفُ يتساقطْ .. و الأصمعي يمسك براكين الذي مسهُ نوعٌ من خيبة الأملْ من ذراعه .. فيحاولان تفادي الحطام المحترق على الأرضْ .. و أقدامهما تلامسان لسعات من النارْ ... لينسل السقف قليلاً .. و ما إن ينظر براكين للأعلى حتى يصرخ بالأصمعي:

-براكين الغضبْ : حمزة إحترسْ..

وما إن يلتفت حمزة للأعلى حتى يتهاوى السقفْ من الأعلـــــى .. و يقوم براكينُ بدفع الأصمعيْ .. ويتفتت السقف قطعاً متناثرة على الأرضْ .. و تزداد النيرانْ .. و يزدادُ لهيبها و لهيب قلبيْ معها..

:

:

في الخارجْ .. يقفُ الأفغانْ بانتظار الأصمعي و براكينْ .. ليردد أحد المجاهدين مع من كان مع الأصمعي:

المجاهدْ :أتمنى أن يكونا على قيدِ الحياة....

يأتي رجالٌ من بعيدْ .. ليقتربوا من الأفغانْ و المجاهدينْ على عجلْ.،ليصرخ فيهم أحدهم:

-أنا القائدُ مصعبْ ... كيف حالكم هنا ؟

-أحد المجاهدينْ : نحاول إخماد النيران في هذه المنطقة و قد بدأت تنطفئْ..

-مصعبْ (ينظر لمنزل براكين المحترقْ): من بالداخلْ ؟

-أفغاني: بالداخلْ براكينْ و شخصٌ ما...

-أحد المجاهدين: معه الأصمعي .. نحن من جيش عمرانْ .. أتينا و تفاجأنا بالحريق الذي إندلعْ..

-مصعبْ (يلتفتُ للخلفْ): يا شهبندرْ إطلب من رجالنا أن يحضروا شاحنة الإطفاءْ فوراً ... يجب أن نساعدهما .. بسرعة..

-الشهبندرْ: فوراً..

يشيرُ الشهبندرْ على الرجالِ الذين يقفون خلفهْ .. وكأنهم عرفوا مبتغاهْ.. . و ماهي الا ثوانٍ حتى تقدمت شاحنة الاطفاءْ .. و أفغاني فوقها يسحب خرطوماً موصلاً بحافظة ماءٍ كبيرة ... و يوجهه تجاه منزل براكينْ .. و أخذ يغرقه بالماءْ .. بدأت النيران تستلمـــ ... رويداً رويداً..

و مصعبْ ينفخُ معبراً عن إرتياحهْ..

-الشهبندرْ : الحمدلله أن الأمورُ تحت السيطرة..

-مصعبْ : لقد إنقسم القادة على مناطق المدينة كلها ... لا تقلق .. بإذن الله سنخمد الحريقْ .. مع هذه الشاحنات الموزعة على المدينة بشكلٍ منسقْ .. سننال من الحريق قبل أن يتفاقمْ أكثرْ..

الشهبندرْ (بحزنْ) : ماذا بعد ذلك يا مصعبْ..

مصعبْ (يعقد حاجبيهْ): أصدر الملا عمر أمر إخلاء وسط المدينة ...حيثُ يظنُ بأن الحريق مدبرٌ من قوات الإحتلالْ..

-الشهبندرْ (و نظراتُ قلقٍ من عينيهْ): أتظن ذلك حقاً ؟

-مصعبْ: أجلْ ..إحساسٌ يخبرني أنه قد بدأت الحربْ التي ننتظرها .. أتذكر عندما قابلنا الشيخ أسامة عند المسجدْ و أبدا بشعور عدم إرتياح لديهْ ، أظنها بداية الحربْ.

-الشهبندرْ (بقلقْ): فلنخرج الليثْ و السيف من هنا و نرتب الصفوف بأسرع وقتٍ ممكنْ و ننظم الجبهاتْ..

-مصعبْ (و ذراعيهِ متشابكان على محيط بطنهْ): أجل سنفعلُ بإذن اللهْ..

لحظاتٌ على قِصرها .. إلا أنها كانت الأطولْ لمصعبْ و الشهبندرْ و الأفغانْ . . و المجاهدينَ الذين ينتظرون قائدهمــْ الأصمعي بالخارجْ .. و عنقاءٌ تزمجرُ وكأنها تنادي فارسها من الداخلْ عله يسمعُ نواحها ... فتنتحرُ كل النيرانْ التي حاصرت منزل براكينْ .. حتى تتلاقا آذانهمــْ مع أصواتِ سعالٍ و أنفاسٍ ضاقت ذرعاً من الرمادِ و الغبارْ .. لتتوجه كل الأنظارْ لباب المنزل المحترقْ و الذي صارَ بسوادِ الليلْ .. و قلوبهمــْ تتضارب و تخفقُ بعنفْ كعروسٍ تنتظرُ عريسهاْ .. لتكشفَ الأدخنة عن رجلينْ .. و كلٌ منهم منهكْ .. ليسيرا بضعة خطواتٍ و من ثم يجثيان على ركبتيهماْ .. يحاولان التماسك و إخراج الكربون الذي ملأ رأتيهمـــا..

ليلتف عليهم كل ذلك الجمعْ .. و يقتربُ مصعبْ و الشهبندرْ منهما .. و أصواتُ الأفغان تتعالى ... و يصيحون الله أكبرْ

الله أكبرْ

مصعبْ يقتربُ من براكين و يضعُ كفهُ على كتفهْ:

-مصعبْ: حمداً لله على سلامتكمــْ يا براكينْ .. حمداً لله على سلامتكمــْ..

-براكين الغضبْ: كحْ كحْ .. كحْ..

-الشهبندرْ (يربتُ على ظهر الإصمعي الذي طاولهُ السعال أيضاً): حمداً لله على سلامتك يا أخي في اللهْ..

-الأصمعيْ: أشكـــــ .. كحْ كحْ كحْ..

يلتفتُ مصعبْ لجمع الأفغانْ:

-أيها الأفغانْ إذهبوا و تفقدوا أهاليكمــْ .. واحزموا ما خف وزنهْ و سارعوا بإخلاء المنطقة من النساء و الأطفال و العجائز ْ.. و إحتموا بمناطق النجاةْ هيااااااااااااااا..

ثم يلتفتُ لأحد رجالهْ:

-مصعبْ: عبد الرحيمــْ .. أوكلُ لك مهمة توزيعْ الفرق الصغيرة على المنطقة لتتم عملية الإفراغْ بأسرع وقتٍ ممكنْ..

-عبدالرحيمــْ: بإذن اللهْ..

ينطلقُ عبدالرحيمــْ و معهُ بعض الرجالْ لتنفيذ خطة الإخلاءْ.... و يتبعهم الأفغانْ الذين إنتشروا بكل مكانٍ و كأنهم جيوشٌ من النملْ..

-مصعبْ : لا وقت لدينا الآنْ .. هيا يا براكينْ ... ستذهبانِ معنا أنت و أخينا في اللهْ..

-براكينْ الغضبْ : لكن السيفْ ، كحْ كحْ..

-الشهبندرْ: إني لا أراهُ معكما.... وهذا يعني بأنك لم تجدْ لهُ أثراً بالداخلْ أليس كذلكْ ؟.

-الأصمعيْ: و لا أنا وجدتهْ ، و لا رأيت له أي أثرْ .. حتى أننا لم نرى أثار أية جثةٍ محترقةٍ...

-براكينْ (يقفُ على قدميهْ بتثاقلْ): فعلها ذلك المتمردْ.

-مصعبْ (يعقدُ حاجبيه بدهشة): أي متمردْ.

-الشهبندرْ: سنحلل الموضوعْ فيما بعدْ ، حالياً تأكدنا بأن السيف ليس بالمنزلْ ... فلنذهب الآنْ.

-براكين الغضبْ: إلى أينْ ؟ ألن نشارك بعملية الإخلاءْ ؟

-مصعبْ (مبتسماً): لا .. لدي ما هو أروعُ من ذلكْ ... تعال معي الآنْ ...القادة تجمعوا في المسجد الكبيرْ.. و علينا أن نكون هناك بأسرع وقتٍ ممكنْ ليتم تنظيم الصفوف ، إني أتوقعُ أن يتم قصف قندهارْ في لحظاتْ.

-الشهبندرْ: الوقت يداهمنا الآنْ هيا.

:

نظراتٌ يتبادلها براكين الغضبْ و الأصمعي الذي سرعان ما إبتسمــْ .. و ضم أصابعه الأربعة لبعضْ و رفعَ إبهامهُ

للأعلى و كأنهُ يقولْ:

-أخيراً يا براكينْ.

:

:

و ما هي لحظاتٌ حتى مزقَ صوتُ إنفجارٍ بعيدْ فرحة براكين الغضبْ و الأصمعيْ..

ليصرخَ مصعبْ فيوقظُ الأفغانْ من دهشتهمــْ:

-إنهُ القصفْ ، إنهُ القصفْ ، إحتموا من القصفْ.

-الشهبندرْ (بذعرْ): إلى المسجدْ الكبير أيها الأفغانْ ، إلى المسجدْ الكبيرْ.

من هولِ المفاجأة .. ترى الأفغان يتخبطون و هم يحاولون الفرارْ .. و الكل يصرخ و يصرخ من دون أي هدفْ .... فأصواتُ قصفِ الطائرات الأمريكية و البريطانية يتزايدْ .. و يتركزُ على أطرافِ المدينة المنكوبة .. فتحلقُ الطائراتُ كسيلٍ من الطيور الجارحة ... يسيلُ لعابها رغبةً بشرب الدماءْ .. وزلزلة الصفوف و تخويفُ الآمنينْ .. تدبُ الحركة بأوصال مدينة قندهارْ من جديدْ .. و ترى الأفغان كالمجانينْ .... يحزمون متاعهمــْ ..و آخرينَ يبحثون عن أسلحتهمــْ التي يخبئونها لأجل أي طارئْ .. و الزوجاتِ يبكين أزواجهنْ الذين سيلبون نداءَ الجهادْ ..,و الدمعةُ لم تتوقفْ عند الأفغانياتْ و الأطفالْ فحسبْ .. بل إمتدتْ للرجالْ على حدٍ سواءْ .. و عملية الإخلاءْ تتم لكن ببطءْ بسبب القصف المتواصلْ .. فتحولت السماء لسوادْ .. و حمرةٌ تنم عن غضبٍ كبيرْ..

فهل تصمدُ قندهارْ ؟

المشهد الثاني عشر

آخــر الأنبـــــــاء

بمسجد المدينة .. وتحديداً بعد أن هدأ القصفْ .. إحتشد الأفغانُ من مجاهدينْ و قادة و حتى مواطنينْ عاديينْ و في يد كلٍ منهم سلاحاً أو رشاشاً .. فالأفغان و إن كانوا لا ينضمون إلى المجاهدينْ إلا أن دماءَ القتالْ تجري بعروقهمـــ مذْ كانوا يحاربون الروسْ .. يقفُ على المنبرْ قائدُ من قادة طالبانْ .. ويقفُ على يمينهِ و شمالهِ بقية القادة و معهم يقفُ براكين و الأصمعيْ

-أراك مبتسماً يا براكينْ-

..ليخطب في ذلك الحشدْ الكبيرْ ... وسط النيران التي بدأت تخمدُ و ترجعُ لسكونهاْ...

ينهي القائدْ الخطبة القصيرة قائلاً:

-القائدْ: لذا ترونُ بأن الجهاد فرضٌ على كل مسلمـــٍ بالغْ .. و أنا أميركمــْ أسدُ اللهْ .. و آمركمــْ أن تتعاونوا مع قادتكمــْ من أجل أن نصدَّ هذا العدوانْ الذي يستهدفُ مدينتنا ... أرجوكمــْ بايعوني .. و أن تخلصوا النية لله و رسولهِ و دينهْ ... فهل أنتمْ معناْ ؟

يهتف الجمعُ بصوتٍ واحدْ .. و يكبرونَ بصوتٍ هز أرجاءَ قندهارَ كلها ... و الذي وصلَ لمعسكرٍ قريبْ من مدينة قندهارْ ...

)سنعودُ لذلك المعسكر بعد لحظاتْ.. !! (

-أسدُ اللهْ: و الآنْ .. و بعد أن عرفتمــْ ما عليكم و لكمــْ .. أقدمــُ لكمْ و بكل فخرْ رجلين تحدثت عنهمــْ أفغانستان كلها .. و قد أبلوا بلاءاً حسناً بمعركة جبهة طالبانْ .. بايعوهمــْ على الطاعة لأنهم سيقودونَ مجموعةً منكمــْ .. إقترب يا براكينْ الغضبْ ... إقترب يا أصمعيْ...

و بعد أن تم توزيعُ الأفغان و المجاهدينْ و معرفةٍ كلٍ منهمــْ القائد الذي سيتبعونهْ و الجهة التي سيرابطون فيها:

-أسد اللهْ: ألقاكمــْ إذاً شاءَ الله على أرضِ المعركة أو بجناتهْ .. الله أكبرْ..

يصرخُ الأفغانُ كلهم بصوتٍ واحدْ: الله أكبرْ ، و يتفرقُ الحشد لمجموعاتٍ..

و كل مجموعةٍ تبايعُ قائدها على السمعِ و الطاعة .. لينفض الجميعْ .. و يغادرون المسجدْ يتبعون قادتهمــْ ملبين نداءَ الجهادْ .. و ما أن يخرجوا حتى تبدأ عملياتُ القصفِ من جديدْ .. فتتفرقُ الجماعاتُ و تحاولُ الإختباء لحين الإنتهاء من القصفْ .. و لتنظيم صفوفها...

نعودُ لصدى الصوتِ الذي هز أركانَ قندهارَ و الذي وصل لذلك المعسكرْ ... يجلسُ بخيمتهِ بكل هدوءْ .. و سيجارةٌ بيمينهِ .. و سحبٌ ملؤها الحقدْ تحلقُ فوق رأسهْ .. و غضبٌ رسمــ ملامحهُ .. و صورةٌ لم تفارقْ مخيلتهُ لحظةً ... ليتذكر تلك الكلمات التي أحرقت قلبهُ كلما تحرشتْ بهْ:

0

0

الضياعْ و الألمــْ الذي تعيشُ فيهْ نابعٌ من ضعف ايمانكْ

إشتريت حب الله و رسولهْ.. و إشتريت جنة الخلودْ و حور العينْ

0

يخنقُ عنق السيجارة بأصابعهِ و التي إحترقتْ لكنهُ لم يحرك ساكناً .. فالحقد الذي يتملكهُ ألغى

جميع المشاعر لديهْ .. و أكسبتهُ خشونةً أقرب للإنسانيةً .. ليتمتمْ بعينين غاضبتينْ:

-إنها البداية يا براكينْ الغضبْ .. أقسم بأن أعذبك و أقتلك ببطءْ لتعود لرشدكَ و تصرف وجهك عن دين محمدْ.

يدخلُ أحد العساكرْ إلى خيمتهْ .. و يضرب الأرض بساقهِ و يرفعُ كفهُ ليحيي بها قائدهْ:

-العسكري (بلغتهِ الروسية): سيدي الجنرالْ .. لقد أتممنا الخطة A عملية الحريقْ .. لكن النيران إنطفأتْ بعد أن سببت خسائرَ كبيرة هناكْ ..و حالةً من عدم النظامــ تدب هناك وفقاً لتقرير عملائناْ .. هل نباشرُ بالخطة B سيدي؟..

-المتمردْ (و نوعٌ من اللامبالاة على وجههْ): لا .. إنتظروا إشارتي فقطْ .. ليس الآنْ .. الحريق كان على بغتة .. و أريدُ أن أبدأ بالضربة الثانية بنفس الإستراتيجية .. إستمروا بالقصفْ على فتراتٍ متباعدة فقطْ..

-العسكريْ: سيدي الجنرالْ .. الجيش الأمريكي و البريطاني عبر عن إستيائه لعملك الإنفرادي هذا..

-المتمردْ) بغضبْ): لا يهمني ، أنا أمثلُ روسيا و لا يهمني شيءْ ، إن أتوا ليقاتلوا معنا فليحترموا قراراتيْ..

-العسكري: سيدي .. هل ستخبرهم عن الضربة التالية ؟

-المتمردْ: مممممـــــ .. أجلْ .. لأننا سنحتاجُ لدعمهــْ لكن بعد أن أولي نفسي قائداً عاماً هنا..

-العسكري: كما تريد سيديْ..

-المتمردْ) ومسحة ساخرة على وجههْ): هل جلبت لي جمالاً أفغانياً لحفلة الليلة ؟

-العسكري (و إبتسامة خبث): أجلْ يا سيدي .. بعد أن أتممنا المهمة بنجاحْ.. إنتهزنا فرصة الفوضى العارمة و جلبنا لك ما تحب سيدي..

يرجع بالكرسي للخلفْ .. و يضعُ ساقيهِ على الطاولة:

-المتمردْ: ليس لي .. سأهديها لأحبائنا الأمريكانْ .. هههههههههههههههههههههههه

-

يضحك العسكريْ .. و يخرج من الخيمة .. في حين يسكن المتمردْ للحظاتْ .. فيمزقُ هدوءه صورتهُ التي لا تفارقهُ أبداً ليتمتمْ :

-أقسمـــ بأن أقتلك ببطءٍ يا براكينْ .. أقسم على ذلكْ..

:

:

عانقت الشمْس السماءْ عناقَ الوداعْ ... و خلت الشوارعُ المتهالكة و الأسواقُ و الساحات من البشرْ .. و إنقطع النور عنها فأحاط الظلامُ المدينة .. و عاد شعبها لإستخدام الكيروسين لإنارةٍ بسيطة .. فتحولت قندهارُ إلى مدينة مهجورة و موحشة ... و هناكْ .. بالقربِ من منزلٍ من طين يقعُ شرق قندهارْ .. تقفُ مجموعةٌ من المجاهدينَ – مجاهدينْ من طالبان و أفغانْ – و كلٌ يحملُ سلاحهُ بيدهْ .. لحظاتٌ حتى يخرجَ من المنزلِ براكينُ الغضبْ و الأصمعيْ و الشهبندرْ.. يقفُ براكين الغضبْ وسط تلك المجموعة:

-براكين الغضبْ: أيها المجاهدونْ .. أشكركمـــ على مبايعتي بأن أكون أميراً لجبهتنا .. سنقومـــ بحماية شرق قندهارْ لنعثر العدوْ .. و سنقومـــ بالرد عليهِ بغية الحيلولة دون الوصولِ للمدينة .. و سنقاتلُ كالليوثْ .. فهل أنتم معيْ ؟

يصرخُ المجاهدونْ:

الله أكبرْ

-براكينُ الغضبْ: كما بايعتموني أرجوا منكم أن تبايعوا أشقائي الشهبندرْ و الأصمعيْ لأنهما سيكونان بمثابة ذراعي اليمنى..

-أحد المجاهدينْ : لك ذلك أيها الأميرْ..

-براكين الغضبْ : و الآنْ فلنتوجه إلى المنطقة التي سنرابطُ فيها مادام القصفُ قد توقف...

تسيرُ تلك المجموعة بكل هيبة وراءَ أميرها و قائدها براكينُ الغضبْ .. و عن يمينهِ الأصمعي الذي لم تفارقهُ إبتسامتهْ .. و عن يسارهِ الشهبندرْ الذي بدا مزهواً و سعيداً ببراكين الغضبْ ..خاصةً بعد أن إختارهُ قادة طالبان ليكون أميراً من الأمراءْ .. هناك .. عند بضعة كيلو متراتْ .. يصلُ المجاهدينْ و يبدؤونَ فوراً بحفر الخنادقْ ... و كان التعاونُ و الإتحادُ ملحوظاً على هذه المجموعة .. ففيها القندهاري ، و الطالباني، و العربيْ، و الكابولي أيضاً..

و لكلٍ منهمــْ ثقافةٌ و نهجٌ مختلف في الحياةْ .. لكن جمعهمــ شيءٌ واحدْ .. و محا كل الفوارقْ .. ألا و هو الدين الاسلاميْ الذي جمع القلوب و ألّف بينها

–لله دركمــْ يا إخواني في اللهْ -

تنتهي عملية حفر الخنادقْ بنجاحْ عندما جنح الليلْ .. و عانقَ السماءْ .. لتبدأ الخطوة التالية ألا و هي توزيعُ المهمات و المجاهدين بكل خندقْ .. و الإتفاقْ على إشارات الطوارئ و الحرب إلخْ..

:

في كل خندقْ يوجد ٤ مجاهدينْ ... وواحدٌ من كل خندق يكونُ مسؤولاً عن جلب الطعام و إحتياجات إخوتهِ المجاهدين ... و في وسط الخنادقْ ... خندقٌ يجلس فيه براكين الغضبْ و الأصمعيْ و الشهبندرْ ... حيث يصر براكين على أن يشارك في الحرب .. و أن يرابط بخندقٍ ما..

نقتربُ أكثر من هذا الخندقْ ... و نستمعُ للحوار الذي يدور بينهمــْ:

-براكينُ الغضبْ: هكذا إذاً ؟ يود أن يتأكد بأنني براكين الغضب الذي حارب بالشيشانْ..

-الأصمعي: أجلْ ... كان الشك يراودهْ . مع أني متأكدٌ من أنه متأكد بأنك الشخص نفسهْ .. و كان يحترق كلما أصررت على موقفي و عدم إدلائي بأية معلوماتْ..

-براكين الغضبْ (و إبتسامةٌ أنارتْ وجههْ): حمداً لله على سلامتكْ يا صاحبي .. والله إني فقدت كل أملٍ للعثور عليكْ .. دخلت لذلك المعكسرْ .. وبت كالمجنونِ أبحثُ عنكْ .. لكني تنفست الصعداءْ عندما أخبرني شقيق الفارس رحمهما الله بأنك قد نقلت إلى كابولْ ، على الأقلْ أنت بخيرْ..

-الأصمعي: صدمتي بتركي كانت كبيرة ، لم أتوقع بأنهُ كان يخدعنا كل هذا الوقتْ.

-براكين الغضبْ: أجلْ .. فأنا على الرغم من كثرة شجاراتي معهْ .. إلا أني أحببتهْ..

-الأصمعيْ: الله يحبنا يا براكينْ .. لولا إصراري على الذهاب إلى القرية . لما إكتشفنا ما حدثْ لقتلنا تركي و نحن بطريقنا لقندهارْ بقذيفة على أقل تقديرْ..

-الشهبندرْ (محاولاً أن يغير مواضيع الأحزان هذهْ): قد أخبرني براكين الغضبْ عنك الكثيييييييير أيها الأصمعي .. من شدة حبي له .. سأوزع هذا الحب بينكما بالتساويْ..

يضحك الرجالُ الثلاثة .. فيردفُ الأصمعيْ:

-على فكرةٍ يا براكينْ الغضبْ .. لقد غيرتك الأيامــُ كثيراً..

-براكين الغضبْ: حقاً ؟.. كيفْ..

-الأصمعيْ: أولها أصبحت كثير الإبتســـــامــْ .. ففي السابق كنا نفعل المستحيل حتى تبتسمـــ من قلبكْ.

-الشهبندرْ (ضاحكاً :(بهذه معك حقْ أيها الأصمعيْ .. حتى أيام الشيشان لم يكن يبتسمــْ إلا نادراً.

-براكين الغضبْ (مازحاً): أحقد عليكما لأنكما تسخران منيْ ... لا أعلم حقاً لم بت أبتسمــْ .. ربما عندما إستشهد الفارس و شقيقهُ أثر ذلك بي .. و قلتْ .. الدنيا يومان .. فلم أعبسُ دائماً و آخذ كل شيءٍ على محمل الجد و النزالْ..

-الأصمعي : أشكر الله بأن نظرتك قد تغيرتْ .. ألم أقل لك بأنك تغيرتْ..

-براكين الغضبْ (يربتُ على رأس الأصمعي ممازحاً):و أنت كذلكْ .. فأنت كثيرُ الإبتسامــْ .. و هادئ الطبعْ .. لأول مرةٍ أراك جاداً و غاضباً عندما كنا نطفئ حريق منزلي .. و دخلت للداخل لتجرني للخارجْ..

-الأصمعيْ :هههههههههه .. أغضب إن رأيت الخطأ يا براكينْ..

-الشهبندرْ (مبتسماً... :(

-براكين الغضبْ: و أدهشتني أيما دهشة عندما أخبرتني عن معاناتك مع الأسرْ .. كم أنت صلبٌ يا صاحبي....

-الأصمعيْ: آآآآآآآآآهٍ يا براكينْ ليتك تعرف عن عذاب الأسرى هناك ... الأفغانيات صرن خادماتٍ عند الأمريكانْ..

-الشهبندرْ: عذاب أسرى الصرب أفظع من الأفغانْ يا أصمعيْ .. أسرت مرةً واحدة و رأيت العجبْ .وما تدني الرؤوسُ لها...

-براكين الغضبْ: أتساؤلُ عن الضربة الثانية...

-الأصمعيْ: تقصدُ التي ينويها المتمردْ ؟.

-براكينُ الغضبْ: أجلْ ... الحريقُ الذي أصابَ قندهارَ مدبر.. أنا متأكدْ .. قد أخبرني القناص الذي أراد قتلي بذلك.

-الشهبندر و الأصمعي: قناصْ.

-براكينُ الغضبْ: أجل .. عندما كنتُ متوجهاً إلى منزلي .. كاد القناصُ أن يقتلني لولا أن الرصاصة دخلت ليدي .. أنظرا .. ها هي.

-الشهبندرْ: و لم تخرجها للآنْ... ستتلوث يدك..

-براكين الغضبْ: صدقني .. من هول ما رأيتْ .. لم أحس بيدي إلا الآنْ..

-الأصمعيْ: سأخرجُ الرصاصة من يدكْ .. أيها الشهبندرْ .. هلاَّ سخنت لي طرف السكين هذه ؟..

-الشهبندرْ: بكل سرورْ..

يخرجُ الشهبندرْ من الخندقْ .. و الأصمعي يحدقُ بيد براكين الغضبْ:

-براكين الغضبْ: مابكْ ؟ انهُ جرحٌ بسيطْ.

-الأصمعيْ) يقلبُ يد براكين بين كفيهْ): آآآهٍ منكْ...

-براكين الغضبْ (تفرجُ شفتيهِ عن إبتسامة سرعان ما تحولت لضحكة(

-الشهبندرْ: ها هي السكينُ يا أصمعيْ..

يتناولُ الأصمعي السكين .. و عينيُ براكين الغضبْ قد جحظتا ... و ما أن يضع الأصمعي طرف السكين لتلامس جرح براكينُ الغضبْ حتى يزأرُ الليثُ بأعلى صوتهِ .. فيوقظ النائمـــ .. و يروعُ الآمنْ ... و لم تتوقفُ تلك الصرخات لعدة دقائق متتالية .. – أرى الشهبندرْ يضحكْ – .. و جمعٌ من المجاهدين أحاطوا بخندق أميرهمـــ .. و إبتسامةٌ موزعةٌ على وجوههمـــ .. هههههههههههههههههه...

المشهد الثالث عشر

الصفعة الأولى

نعودُ لقندهارْ .. و بالتحديد لشرقها .. حيث يبعدُ عنها معسكرٌ هائلْ للقوات الأميركية و البريطانية و قوات التحالفْ .. يتزعمها المتمردْ الغير آبهْ لأحدْ .. فنحلقُ بعيداً عنهمـــ .. و نصلُ لذلك الخندقْ .. لجبهة أمير المجاهدينْ .. براكين الغضبْ ...

يقفُ الأصمعي و الشهبندرْ ينظران إلى براكين الغضبْ الذي يقفُ على فوهة آخر خندقْ .. و يتأكد من دفن متفجراتٍ فيهْ بمعاونة بعض المجاهدينْ .. لينسل سؤال الأصمعي بهدوءْ:

-الأصمعي (بدهشة :(لم يا براكينْ ؟ لم أخرجتنا من الخندقْ ووضعت المتفجرات فيهْ ؟ أين سنمضي الليلْ ؟

-براكين الغضبْ (و قد غطى الرملُ ثيابهْ): أنا على علمٍ بما أقوم بهْ .. ثقْ بي يا صديقيْ..

-الشهبندرْ : لكنك لم تشرح لنا بعد أيها الليثْ عن هدفك من هذا..

يقف براكين على رجليهْ من بعد أن أمضى دقائق طويلةٍ على ركبتيهْ التي آلمتاهْ .. فيوجه نظره للمجاهدينْ:

-براكين الغضبْ (بصوتٍ عالٍ): أيها المجاهدينْ .. تعرفون ما عليكم فعلهْ .. تراجعوا الآن . . و اختبؤا بين تلك المنازلْ لكي

لا يطالكمــْ شيءْ ... و إنتظروا إشارتي الثانية..

يتفرق المجاهدين منفذين لأوامر أميرهمــْ .. و الأصمعي غاااااااااااااضبْ: ...

-الأصمعيْ: أي براكين هلا شرحت لنا ماذا يحصلْ ؟

-براكين الغضبْ: تعالا الآنْ .. علينا أن نبتعد من هنا .. أفضلُ أن نتجه لذلك الجبلْ .. قد أرسلت فرقة لترابط هناكْ..

-الشهبندرْ: أيها الليثْ مذ أصبحت أميراً أخذت تتصرف بإنفرادية .. و لثقتي بكْ .. فأنا معك..

-الأصمعي: أما أنا لا فاشرح لي فوراً..

-براكين الغضبْ (يضعُ كفه على كتف الأصمعيْ): كما تريد أيها العنيدْ .. – يبتسمــ الأصمعيْ – بما أني عشتُ أياماً مع المتمردْ .. إلا أنني أملك فراسةً تمكنني من معرفة ما يفكر بهْ..

-الأصمعي: و بم يفكر، تخرجنا من الخندقْ .. و تملؤُ كل واحدٍ منها بالمتفجرات و القذائفْ .. لتحول الخندق لحقل ألغامْ..

-الشهبندرْ (مبتسماً): قد فهمت خطتك يا براكين الغضبْ .. ما أذكاكْ .. ما أذكاكْ .. أقسم بأنها الصفعةُ الأولى.

-الأصمعيْ (محتنقاً): لم أفهم شيئاً ؟

-براكين الغضبْ (و هو يمسك الأصمعي و بيده رشاشاتهُ): أتوقعُ قصفاً آخر على قندهار .. و سيتركزُ بأطرافها .. و بما أننا نمثل جبهة شرق قندهارْ .. فسنعرقلُ كل عمليةٍ يقومون بها .. و بذلك نحمي قندهار بقدر إستطاعتنا .. و نسبب خسائر و رهبةً للمعتدين ْ.. و بها تنظم صفوف باقي الجبهاتْ .. أفهمت الآنْ ؟

-الأصمعيْ: مممممممــــْ .. فهمتْ .. لكن ماذا ستفيدنا خطة الخندق هذهْ ؟

-براكين الغضبْ (بخبثْ): إنتظر و سترى..

-الشهبندرْ (متحمساً و يضعُ سلاحهُ على كتفهْ) :لا تضيعا الوقت بالأحاديث الآنْ .. إلى قمة المجاهدين هناك.

و يجري الثلاثة متوجهين لتلك القمة ... لنعود نحن بسرعة لمعسكر قوات الاحتلالْ .. و تحديداً بوسط المعسكرْ .. حيثُ يقف المتمردْ و حمرةٌ قاتمةٌ على وجههْ .. محدثاً جنرالات الحرب للقوات الأمريكية و البريطانية بغضبْ بلغته الروسية .. ليدير لهم ظهرهْ . . و يتركهم بغضبهمْ في حين هدد أحد الجنرلات بأنه سيخبر رئيسه بالولايات الأميركية عن عدم تعاونه معهمــْ .. و المتمردْ .. – غير آبهْ بمعنى الكلمة – .. لكن .. دم المصلحة يجري بعروقهْ .. ليدير ظهره مرةً أخرى ... و يعود للجنرلات و بسمةً على محياهْ .. و يقدم إعتذاره و أسفه الشديد الناتج عن توتر الحربْ:

-المتمردْ: أقدم أسفي جنرال روبرتْ .. هل لي بمعرفة خطتكم الآن ؟

-الجنرال روبرت: القائد رامسفيلد يحثنا على على تكثيف القصف على شرق قندهار لأنها بوابتها .. فهلا طلبت من قواتك بأن تساندنا بذلكْ.

-المتمردْ: مممممــــْ .. لا بأس ْ .. أنا موافقْ.

و دهشةً سرت على وجوه الجنرالات ْ .. فهذه أول مرةٍ يوافق المتمردْ أن يقومــ بشيءٍ نابعٌ من إتفاقْ بينهم.

-المتمردْ: سأعطي جنودي إشارة التحليق الآنْ . .شرط أن أقود أنا جنودكمـــــ . – ويحرك إصبعه في الهواء – شرط ألا تمانعوا ... – بخبثْ–

يوافق الجنرلات على مضضْ ... و ينصرفون لتنظيم خططهمـْ .. و يعود المتمرد لمعسكره ضاحكاً ... فيدخلُ عليه أحد جنوده المخلصينْ:

-الجندي : سيدي الجنرال ، لم وافقت على تنفيذ الخطة B معهم ؟ ألم تقل بأننا سننفرد بها ؟

-المتمردْ (يضعُ ساقيهِ على مكتبهْ): قلت سنتعاون معهمـْ .. لا أريد خسائر بصفوفي .. لذا سأستغلهم في ذلك .. أسرع الآنْ .. و جهز الأسطول الجوي لينطلقوا الآنْ..

-الجندي : عُلم.

-المتمردْ) محدثاً نفسهْ): أقسم بأن أقتلك ببطءٍ يا براكين أقسم ، أعلم بأنك ترابط بشرق قندهار أيها الغبيْ .. سأقصفك بطائراتي و أنت الذي تعتقدُ بأني سآتيك مشياً على الأقدام .. هههههههههههههههه..

تستعدُ الطائرات الحربية للإقلاعْ .. و ما هي ثوانٍ حتى تتحرك ببطءْ .. و تتسارعُ حتى ترتفع عن الأرضْ و تحلق في السماءْ . و المتمرد و بقية الجنرالات ينظرون للطائراتْ:

-المتمردْ : سنقتلهم شر قتلة .. و نتخلص من قائدٍ عظيمْ...

-الجنرال روبرت: أي قائدْ ؟

-المتمرد: أنتم في طلب قادة طالبان و أسامة .. و أنا في طلب قائدٍ من أيام حرب الشيشانْ.

-الجنرال روبرتْ: على حسب علمي أنك داهية حربْ .. لذا نحن نعتمد عليك ْ.

-المتمردْ (بنفسهْ) " أخشى السوء في هذه العملية .. فهو عبقريْ" ..

تقتربُ الطائرات الحربية من قندهارْ .. و تنخفض مقتربةً من جبهة شرق قندهارْ .. و تصدر أجهزة نداء المعسكر بصوتِ المتمرد إشارة القصفْ .. لتنخفض الطائرات أكثرْ .. و براكين الغضب و الشهبندرْ و الأصمعي و بقية المجاهدين. . يحتمون بالقمة ..و يرقبون المشهد بحماسْ..

-براكين الغضب (محدثاً نفسهْ (اللهم أنصرنا .. اللهم أنصرنا.

ترتفعُ قذائف الطائراتْ .. و تتحدُ أهدافهم بقصف المرابطين بالخندقْ .. و تخرجُ القذائف كصقورٍ تود الإنقضاضْ .. و تضرب الأرض بقذائف متتالية .. لتغضب الأرضْ .. و تنفجر بوجه الطائراتْ وسط دهشة الطيَّارين .. و يتولد ذلك الإنفجار وتضرم النار التي أحرقت الطائرات حرقاً .. و جعلتها تتصادم في ذعرٍ و خوفْ .. و المتمردْ ينادي .. ينادي و ينادي لينقطع الإتصال بينهُ و بين الطيَّارينْ .. ليقذف بسماعاتهْ .. و يحطم جهاز الإتصالْ وسط إستغراب الجنرالات.. ليصرخْ:

-سحقاً لهمْ ، سحقاً لهم .. أكرهك يا براكينْ أكرهك .. أقسم على قتلك بسرعة لا ببطءْ أقسمْ..

:

:

:

تهليلٌ و تبادلُ التهاني بين المجاهدينْ .. تهنئُ ذكاء أميرهمــْ . . ليحتضن الشهبندر براكين الغضبْ بقو ة..

و تدمع عينا الأصمعي بفرحْ:

-الشهبندرْ (يحتضن براكين بقوة :(نجحنا يا ليثْ .. نجحنا. .

قد سببنا لهم خسائر لن ينسوها أبداً .. و هذا من فضل الله ثم بفضل ذكائك..

-براكين الغضبْ: الفضل و المنهْ لله سبحانهْ .. توقعت أن يأكلوا الطعمــْ..

-الأصمعيْ: و الآنْ بعد أن نفذت خطتكْ .. إليك بالخطة الثانية ليتذوق الصفعة الثانية لكن على يدي أنا.

مَا أجمَل التَنافِس في الله ولله

-براكين الغضبْ (ينظر للأصمعي و بريقٌ بعينيهْ): و أنا معكْ..

و الشهبندرْ ينظرُ إليهما و بقلبه يقولْ: "ربي لا تحرمني رفقة هذين الغاليين على قلبي"

فهل ستتحقق أمنيتك هذه يا شهبندرْ ؟ ماذا عن المتمردْ هل سيظل صامتاً

عن النكسة التي حصلت لهْ ؟ لا أشعر بإرتياح من الموضوعْ..

:

:

:

صوتُ إنفجارٍ قريب من قمة المجاهدينْ.. و قصفٌ يقترب منهم ... فيصيح براكين الغضب بالمجاهدينْ:

-إحتموا أيها المجاهدينْ القصف قادمٌ إلينا..

:

:

هذا ما كنتُ أخشاهْ!!..

المشهد الرابع عشر

خَبرٌ عَـاجلْ ثانِيةً

طائرةٌ أخرى تأتي .. لتتفقد الطائرات المحترقة و التي هوت متحطمة و تناثرت أشلاؤها .. لتصرخ تلك الجبهة و حريقٌ قد نشب بحلقها .. و طائرةٌ غاضبة و ساخطة على مافعله ثلةٌ من الأفغان قليلي الحيلة .. فأخذت تقصف الساحة القريبة من قمة المجاهدينْ .. و طبعاً هي تقصف من بعيد .. و لا تستطيع التخلل بين القمم كيلا ترتطم بها فتتحطمـْ .. يكفي ما تفعلهُ من زلزلة للأرضْ .. و تتساقط الحجارة فوق المجاهدينْ الذين يحاولون الإحتماءْ بعيداً عنها .. كان المجاهدين يحاولون أن يختبؤا بين الحجارة .. لكن طائرات الهيلوكوبتر لهم بالمرصاد .. فكلما حاولوا التحرك .. باغتتهم إحداها لتقوم بمسحهم عن خارطة الأرضْ .. لكن مجاهدينا .. عرباً و أفغاناً كانوا .. أملهم إما النصر أو الشهادة .. و أملهم بالله كبيرٌ و قويْ .. فيتحملون الرملَ الذي أعماهم و الذي تثيرهُ الطائراتْ .. والقصف الذي لا يتوقفُ و أدخنتهُ التي خنقتهمـْ .. و مع ذلك لم يستسلموا .. و لم يهابوا الموتْ الذي أمامهمْ .. كانوا ملتصقين بالصخورْ .. والتي جرحت الأذرع و السيقانْ .. يتحسسونَ الطريقَ بأطراف أصابعمـْ المتشققة .. هم عازمون على النجاة .. عازمونَ على قهر الأعداءْ .. و على إغاظتهمـْ..

لكن . . لم تتوقف الطائرات عند ذلك القصفِ فحسبْ .. و لم تنهـــــــي إنتقامها و لم تبدأ بخطة جنرالهمـْ الإنتقامية .. فخططهُ تنحصرُ بـــ : الدمـْ بالدمـْ !!.. لتقترب أكثرْ فتفتح أبوابها ليقوم القنَّاصون بفتح بوابل النيران عليهمـْ ... براكين الغضبْ يصرخ بآخر الصفْ و الذي جثى المجاهدون و الأفغان على ركبهمْ خشية أن تصيبهم النيرانْ .. فيحثهم على التحرك بسرعة..

لكنْ..

تعددت الأسباب و الموتُ واحدْ

و هم مجموعةٌ كبيرة .. يسيرونُ بصفٍّ طويلْ .. ووجب على البعض أن يضحي من أجل البقية .. و هذا ما حصلْ .. فأخذ منهم ممن باع الدنيا .. و إشتاق لرؤية الله بفتح ثوبه ناحية صدره و يعريه لتنغرس الرصاصاتُ بصدره ليشغلوا القناصين الأغبياءْ . .. و بينما يتلذذ القناصون بالمذابحْ .. و سيل الدماءْ .. يحاولُ إخوتهم المجاهدين الهربْ .. و أعينهم حملت ثقل منظر المذابح الحية .. و الأصمعي يحاول تهدأة من معه .. و براكين الغضبْ على ألمهِ مما يحصلْ .. إلا أنه كان يحاول تكشف الطريق الآمنْ لمجاهديهْ ... فإما أن يحتموا في القمة .. أو أن ينزلوا للأرضْ .. لكن ما العملْ ؟

فالطائرات تحاصرهم من كل جانبٍ .. ... الموت أصبح أقرب من الوريدْ..

فهل حانت اللحظة

"تباً لك يا متمردْ .. تباً لك لكني لكْ .. لكني لكْ .. و أقسمُ على دفنك بيدي هاتينْ .. أقسمْ"

بينما يسيرُ براكين الغضبْ ملاصقاً للصخورْ .. و من خلفه المجاهدين و الشهبندرْ الذي كان يمشي و مسنداً أحد المجاهدين الذي أصيب برصاصةٍ بكتفهْ ... و من بعدهِ مسافةً بسيطة .. يسيرُ الأصمعي بحذر و من خلفهِ بقية المجاهدينْ ... حتى تحدثهُ نفسهُ بشيءْ . ويخفقُ قلبهُ من جديدْ .. فيرفعُ عينيهِ للسماءْ .. لتجحظ عينيهِ من هول الصدمة .. تلك هي الطائرات النفاثة تابعةً لسلاح الجو الروسي .. تتبعها طائرات الشبحْ..

–جن المتمردْ ، قد جنْ ، أكُلُّ هذا من أجلنا ، و نحن بلا حول و قوة.. -

–يصرخُ براكينْ الغضبْ:

-إخفضوا الرؤوس أيها الصحبْ .... إخفضوا الرؤوسْ.

فيخفضُ المجاهدين و الأفغان رؤوسهمــْ .. ليظل أفغانيٌ كان يقف بآخر الصف متسمراً بمكانهْ .. و عينيهِ قد تعلقتا بمشهد الطائراتْ .. و الأصمعي يشيرُ له بكفهِ الهابطة و المرتفعة بأن يخفض رأسهْ .. إلا أن المسكين قد نسجتْ ساقيه نسيج العنكبوتْ بين الصخور .. و لم يستطع التحركْ قيد أنملة .. فتنخفض الطائرات ناحيتهُ بقوة و سرعة .... و الأصمعي و بقية المجاهدين يصرخون فيه لتسبقهم إليه الطائرات .. و أجيج الريح القوية . التي أطاحت بالرجل للأعلى و الأصمعي يمد ذراعه جهتهْ .. و المجاهدين و الأفغان يتصايحون و هم ينظرون لبشاعة المشهدْ .. حيث رمتهُ الريح على خد الجبلْ . . ليطبع بجسده بقعة كبيرة من الدماءْ .. . و من ثم يهوي جسده و يتمزقْ بين أسنان الحجارة و يسقط و يسقط و يتابع إنحداره و أشلاؤهُ تتطاير هنا و هناك .. ليستقر الجسدْ المتمزق بقاع الجبلْ..

–دمعةً تحاولْ الخروج من عيني الأصمعيْ–

و الشهبندرْ و براكين الغضبْ يدفعون بالمجاهدين و الأفغان ليفسحوا لهم الطريقْ .. فما أن تعانقُ عيني براكين الغضبْ و الشهبندرْ عيني الأصمعي .. حتى ينتفض الآخرْ .. و يحتضن الثلاثة بعضهمْ بعضاً و تتصادمُ جباههمْ المتصببة من عرق الفر و الكرْ...

-الشهبندرْ (هامساً :(تماسكوا يا إخوانْ .. تماسكواْ.

-براكينْ الغضبْ (لاهثاً): لا أعتقد بأننا سننجوا إن كنا مجموعةً كبيرة ...و بيننا من جرحَ و أصيبْ..

-الأصمعيْ) يحاول حبس مزيدٍ من الدموعْ): أرجوكم صبركم عليْ ، منظر أخي في الله قد آلامني و أفجعني أسكنه الله فسيح جناتهْ..

-الشهبندرْ (بإصرارْ): أنا مع الليثْ. فللنقسم لثلاثِ مجموعاتٍ بثلاثِ وجهاتْ .. فنضلل العدوْ .. و نحاول الوصول لبر الأمان بأكبر عددٍ ممكن من المجاهدينْ..

-براكينْ الغضبْ: حالاً ، سأقسم المجموعات فوراً .. حمزةْ .. ستأخذُ معك مجاهديكْ..

-الأصمعيْ (يفتحُ عينيهْ دهشةً): بهذه السرعة ؟

-براكين الغضبْ (يعدل من عمامتهْ و يربطها بقوة): لا وقت لدينا للنقاش يا حمزة .. هيا...

-الأصمعيْ (بعينينِ حزينتينْ): لم أحسُ بأنهُ الوداعُ الأخير يا براكينْ ؟.

-الشهبندرْ: تفاءل خيراً يا أصمعيْ .. لن يفرقكم شيءٌ بإذن اللهْ.

-براكين الغضبْ (مربتاً على كتفِ الأصمعيْ): فلنتوكل على اللهْ ... و نسألهُ النجاةْ..

فنحن على قلة عددنا و بساطة أسلحتنا .. إلا أننا ألحقنا بهم خسائر معنوية و مادية ... فابتهجْ هيا..

-الأصمعيْ (يبتسم بصعوبة.. ... . :(

-براكين الغضبْ : سأقسم المجموعاتْ الآن ْ .. – و يدفعُ بالمجاهدين على عجلْ و يبدأ بعملية التقسيمـْ-

-الشهبندرْ: هو دائمُ الإستعجالْ .. تعجبني خصلة القيادة فيهْ..

-الأصمعيْ (يضعُ ذراعيه فوق بطنهْ): و يخيفني فيهِ إندفاعهُ أحياناً.. من كان يتصور أن تتعرض جبهتنا

لقصفٍ شديد كهذا .. بعد نصر الله تعالى لنا .. وحنكتهِ .. نجونا .. الحمدلله الحمدللهْ..

-الشهبندرْ: أي أصمعيْ .. ها قد أتت الجماعاتْ..

يقتربُ براكين و هو يوجهُ المجموعاتْ لتقف بجانب قادتها:

-براكين الغضبْ: هل أطرح خطتي أم أنك تريد أن تبدأ بخطتك يا أصمعيْ ؟

-الأصمعيْ: ربمـــــا سأقوم بتأجيلها لظرفٍ آخرْ .. ربما عند عودتنا إلى قندهارْ إذا كتب الله لنا النجاةْ..

-الشهبندرْ: سأقومُ بنقل الجرحـــى و المصابينْ إلى مستشفى قندهارْ .. و سآخذ معي بعضاً من المجاهدينْ..

-براكين الغضبْ (يحركُ كفهُ إلى الأعلى و الأسفلْ بشكلٍ دائريْ): أمـــــا أنا و الأصمعي سنقومُ بلفت أنظار القناصين بعيداً عنكمْ .. و سنلحق بكم فيما بعدْ لنقدم المساعدة لإخوتنا المجاهدين بقندهارْ..

-الأصمعيْ (يشدُ على حزامٍ يضعهُ على خصرهْ): أنا ذاهبْ ..– و يشيرُ بكفه إلى مجاهديهْ ليلحقوا بهْ و كلٌ قد تحمس و إستبشر بهذه العملية-

-براكين الغضبْ (و لمعانٌ يعودُ لعينيهْ): هيـــــا أيها الأبطالْ.

-الشهبندرْ: بارك الله فيكم أيها الشجعان .. لا إله إلا اللهْ..

-براكين الغضب و الأصمعيْ و المجاهدينْ : محمدٌ رسول اللهْ..

تتفرقُ المجموعاتُ الثلاثْ .. و كلٌّ وراء قائدها ... و قد إتخذ براكين الغضب جهة اليمين و الأصمعي جهة اليسارْ .. ليلفتوا أنظار الهليكوبتراتْ و الطائراتْ بعيداً عن الشهبندرْ و من معهُ من جرحى و أفغان فزعينْ..

براكينُ الغضبْ و بيدهِ رشاشهُ .. و من خلفهِ مجاهديهْ الذي شرَّعوا الأسلحة بوجهِ الطائراتْ متحمسينْ بحماس أميرهمْ و رباطةِ جأشهْ .. فيطلقون النارْ على الهليكوبتراتْ و يحاولون إثارةَ جنونها .. و الأصمعيْ و منْ معهْ يحاولونْ إثارة باقي الطائراتِ أيضاً .. لتختلط الأمور على الطيَّارينْ و على بغتةٍ منهمْ تصطدمُ طائرتا هليكوبترْ ببعضها البعضْ وسط تكبير فريق براكينْ .. و تهليلِ فريق الأصمعيْ...

-و المتمردْ يغلي و يغلي بأعماقهْ كلما سمع خبراً عن فشلٍ و خسائر تلحقُ بهْ–

"أقسمُ على قتلك هذه المرة يا براكينْ .. أقسمْ" !!

)(**)(

)(

نعودُ إلـــــى الخليجْ .. و لمنزلِ ماجدْ بالتحديدْ .. حيثُ يجلسُ قبالة التلفازْ الموضوعْ على الأرضْ .. و من حولهِ أبناؤهْ و زوجتهُ نورة و رضيعتها .. و هيْ .. تجلسُ بعيداً بالقربِ من باب غرفة المجلسْ .. تمشطُ شعر دميتها بنوع من اللامبالاةْ..

يهمسُ ماجدْ و عينيهِ معلقتينِ بالشاشة:

-ماجدْ: شششششششش .. خبرٌ عاجلْ.

-المذيعْ: إستناداً لما بلغنا من مراسلِ الفضائية، فإنه قد وقعَ إنفجارٌ مس طائراتٍ أميركية و أخرى تابعةً لقوات التحالفْ شرق قندهارْ... حيث إحترقتْ كلياً..

-نورة (مهللة): الله أكبرْ

-ماجدْ (بغضبْ): شششششششششش ، شششششششش ، إصمتي يا إمرأة.

-نورة: سأصمتْ

-المذيعْ : و قد عزا قادة القوات هناك بأن الإنفجار كان مدبراً و ألقوا المسؤولية على مجاهدي القاعدة بالتحديدْ في حين أن جماعة طالبانْ أعلنت عن مسؤوليتها للإنفجار و بأنها متمسكةً بقندهار للنهاية..

-ماجدْ (متأففاً): كلٌ يلقي اللوم على الأخر .. أمريكا تتهم القاعدة .. و طالبان تصر على مسؤوليتها .. علينا تصديق من يا ترى ؟

-نورة: صدق ما يقوله المذيعْ طبعاً.

-ماجدْ: أنت غبيةٌ فعلاً ، ليس كل ما يقولهُ الاعلامُ صحيحْ ، ألم تقرئي كتاب

"النظرية الاعلامية" لكاتبه صاحب السعادة ؟.. إشتهرت هذه النظرية و التي كشفت النقاشات التي لحقت بهـــــا زيف الاعلامْ ، إن كان من دبر الإنفجار من القاعدة .. فأين أسامة منهمْ ؟ و إن كانوا من طالبانْ.. فمن أميرهمْ ؟ أراهنُ بأنهمْ مجاهدين و أفغان يساندون طالبانْ .. أخفوا حقيقتهم عنا..

-نورة: و لم يخفون حقيقتهم عنا يا ماجدْ ؟

-ماجد: لأن من بينهمْ عرباً و خليجيينْ .. فلا يريدون إعلان ذلك ليأخذنا الحماسَ فيتشجعُ شبابنا للذهاب إلى أفغانستان ْ و العراق و باقي الثغورْ..

-باااااااااااباااااااااااااااااا ااااا ، هذا باااااااااااباااااااااااااااا ، باااااااااااباااااااا.

كانت تلك بلقيسُ الصغيرة التي تقبضُ على دميتها بعنف بين أصابعها .. و سبابتها تشيرُ لشاشة التلفازْ لتقترب من الشاشة و تحتضنها و تقبلها:

-بلقيس (و هي تبكي): باباااااااااا .. باااباااااا تعال خذني من هنا باااااباااا

-ماجدْ (يحاول إبعادها عن الشاشة): إبتعدي عن التلفاز ْ و كفي عن هذا الهراءْ .. عن أي أبٍ تتحدثينْ ؟

و ما أن يبعدها حتـــــى يرى تسجيلاً للمجاهدين بالقمة، و بأيديهم رشاشاتهمْ ، يحاولون الإحتماء من طائراتِ الهليكوبترْ .. فتهمس نفسهُ" حقاً أنت معهمْ ؟.. كان الله بعونكْ ..و أعادك إلينا سالماً ياجاري"

و يختمُ المذيع الأخبارْ بأن الرئيس بوشْ عبر عن إستيائه لم فعله مجاهدي طالبان .. و أقسم بأن ما حصل عبارةٌ عن إعلان تحدي لأمريكا و بأنهُ سينتقمُ منهمــْ و سيبيدهمْ كالجرادْ..

فيُغْلقُ التلفازْ .. و تقوم الأم من مكانها حاملةً و تأخذ الصغار إلى غرفهمْ ليناموا .. و الأب يجري وراء بلقيس التي لم تكف عن البكاء و الصراخْ طوال الليلْ..

الحلقة الثامنة عشرْ: سنقاوم حتى النهاية!!

مازال المجاهدين في صراع مع الهليكوبترات التي بدأت أعدادها تتزايدْ ... و أخذت تتكاثر كالبكتيريا كل ثانية و دقيقة .. و براكين الغضب و الأصمعي أبداً لم يتوقفا .. و لم يتسلل الخوف لقلبيهما و أسودهْم برغم التعب و الإرهاق و مقاومتهم التي مازالت مستمرة لأكثر من عشر ساعات.. و لم يذوقوا فيها ما يرطب شفاههم .. و لا ما يسد خواء بطونهمــْ .. لكن . لذة الإنتصار .. و النيل من تلك الحشرات الطائرة .. أنساهم الجوع و العطشْ..

في خضم هذه المعركة .. كان الشهبندرْ ومن معه قد لامست أقدامه الأرضْ . .. بعد أن قام براكين الغضب و الأصمعي و من معهم بلفت أنظار الهليكوبترات بعيداً عنهم .. و ما إن وصلوا لأسفل القمة .. حتى سجد ركعتين لله حمداً و شكراً على سلامته و من معه .. و رفع يديه للأعلى داعياً الله بأن ينصرهم و ينصر جميع المجاهدين .. و من ثم .. أعطى إشارته لمن معهم ليكملوا المسير .. و ما أصعب المسيرْ ... لكن ما من مفر .. عليهم نقل الجرحى ليتم إسعافهم...

و لكي يكملوا تلك الرحلة الأخرى .. آثر الشهبندر أن يتوجه للمنازل القريبة من القمة و التي أمر براكين الغضب بعض المجاهدين بأن يرابطوا بها ريثما يعطيهم إشارته الثانية .. و هناك ... سيعاين حالهم و سيستريح هو ومجاهديه قليلاً .. و من ثم سيتوجهون إلى قندهار لنقل الجرحـــــى المنهكين..

مازالت الطائرات تقصف ... و القناصون يصوبون النار على أي جسمٍ متحرك .. حتى لو كانت صخرةٌ يتبادل رميها فريق براكين الغضب من الجهة التي يرابطون فيها مع فريق الأصمعي كنوع من تحطيم أعصابهم..

–و أراهن بأنها فكرة الأصمعي هذه المرة لا براكينْ الغضبْ -

يحتمي المجاهدين تحت بطن إحدى الصخور الكبيرة و العريضة .. ليحتموا من القصف المجنون .. و براكين يجلسُ هادئاً .. و في صدره نيرانٌ تتصاعد .. و تحترق .. ليقترب منه أحد المجاهدين الأفغان.. فليتفت إليه براكين الغضبْ:

-المجاهد: أي أميرنا ...قد أصابنا من الإرهاق الكثير.. ما العمل؟

-براكين الغضب (و عينيه معلقتين بالطائرات التي يراها تحلق بقوة و جنون و كأنها نسورٌ تبحث عن صيدها): إني أحاول التركيز و التفكير بحلٍ ما .. لأني أخشى بأن تقوم القوات بإرسال الدبابات ، و كل خوفي من أن يقوم الجنود بالصعود للقمة بحثاً عنا .. هنا لن أستطيع عمل شيءْ.

يقتربُ مجاهدٌ آخر من براكين الغضبْ و المجاهد الأفغاني.. فيشاركهم الحديثْ .. و يقترب آخرون و يجلسون متراصين مع بعضهم البعضْ .. و أصوات القصف تقتربُ منهمْ .. و الصخور مازالت تتدحرج من الأعلى .. و هم هنا .. محتمين بهذه الصخرة الكبيرة .. كيلا تراهم الطائرات.. همهمة .. و أحاديث جانبية تملؤ رأس براكين الغضبْ الذي أخذت وجنتيه تنتفخان بشدة مع زفيرهِ الحار ... و عينيه المعلقة بالأحجار الصغيرة من تحته... و التي جرحت أقدامه و شقت طرف أحد نعليهْ .. ليتكلم بصعوبة:

-براكين الغضبْ : أخوتي في الله .. قد بايعتموني على الموت و على الشهادة في سبيل الله .. و قد حاولت بذل قصارى جهدي لإلحاق الخسائر في صفوف الأعداء بتوفيق الله و بمعاونتكم .. ووصلنا الآن لم وصلنا إليه . و أعجز عن إتخاذ أي قرارٍ آخرْ..

ينظرُ المجاهدون إلى براكين الغضب بعيونٍ ضيقة نوعاً ما .. و أعينٌ أخرى تود ذرف كل آلام العالمـــــ .. ليردف براكين الغضبْ:

-إغفروا لـــي حالي .. لكن .. – يتنفسُ بصعوبة – لكن .. لا أعلم .. لا أعلم ما علي قولهْ..

يصمت المجاهدون .. وكأنهم لا يعرفون ما عليهم قوله .. و كأنهم فقدوا الأمل .. فقدوا كل أملٍ في النجاة .. ليأتيه صوتهُ الذي يحبه .. يصرخُ من بعيدْ:

-إياك و الإستلام يا صاحْ إيااااااااااك.

يلتفتُ براكين الغضب إلى يمينه و يرى الأصمعي و مجاهديه يشيرون له و من معه من بعيدْ .. والإبتسامة لا تفارقُ وجوههم ... فيتنفسُ الصعداءْ .. و تعود الحياة لوجهه و يدبُ النشاط بجسدهْ .. فيتكئ على الأرض ببطن يده .. و يقوم من فورهْ .. و يلوحُ بذراعيهِ عالياً لهم.. فيضعُ الأصمعي كفيه بالقرب من فمه ويصرخ مرةً أخرى:

-الأصمعي: لا تجعل للشيطانِ مدخلاً لنفسك .. نحن هنا من أجل الله سبحانه و تعالى .. و ليس من أجل أنفسنا.

-براكين الغضب (يضعُ كفيهِ بالقرب من فمه): صدقت يا أصمعي .. صدقت يا صاحبي..

-الأصمعي (مبتسماً :(سنعاودُ المقاومة و سنصر عليها إلى النهاية .. فإما أن نستشهد وإما أن نقتل المزيد من صفوفهم..

-براكين الغضب: بإذن الله يا أصمعي باذن الله..

يبتسمـــ الأصمعي و من معه لبراكين الغضب و من معه .. و يديرون ظهورهم لهمـــ و يغيبون عن أنظارهم..

يقفُ براكين الغضب للحظاتٍ بعد أن غاب طيفُ الأصمعي و مجاهدي عمران .. و يغلقُ عينيهِ لبرهةٍ .. وكأنهُ يريدُ التحليق بعيداً عن هذه القمة ، و عن القصف و المقاومة و الحرب اللعينة التي حلت بهذه الأرضْ ..فيأخذهُ الخيال بعيداً .. بين تلك السحب .. و الهواء البارد المنعشْ ... لينخفض بالتدريج .. لساحةٍ من الأعشاب الخضراءْ.. و أرضٍ كجنةٍ من الجناتْ .. بينابيعها و جميلِ أشجارها و أزهارها .. ليرى نفسهُ واقفاً بوسط تلك الروضة . .و تقفُ هي بعيداً عنهُ برداءٍ أبيضٍ طاهرْ .. فتلتفتُ إليهِ ببراءةٍ في عينيها .. وخصلاتُ شعرها السوداء تتطاير و تضربُ بخفة على خديها المتوردين، فتفرجُ شفتيهِ عن إبتسامةٍ .. نابعةٌ من بهجةٍ سرت بقلبهِ .. فأخذ يقتربُ منها .. وهي .. تنظرُ إليهِ و تمدُ ذراعيها إليه لتعانقهْ .. و براكين الغضبْ يُسرع الخطا .. يسرعُ ليصل إليها و يرمي هموم غربتهِ و أحزانهِ كلها .. لكن .. كلما أسرع الخطا إذا بها تبتعد .. و تطول المسافة بينهما أكثر فأكثرْ..

ينظر براكين الغضبْ لساقيه و اللتين تسيران بسرعة .. و ينظر إليها و التي مازالت تبتسم و ذراعيها تنتظرانه ليعانقها .. لكن .. هناك خطبٌ ما .. ساقيهِ تتحركان .. و ها هو يجري .. لكن مازال في مكانه .. و كأنه يجري في مكانهْ .. جنونٌ هذا أم

حلمـــ .. بئسةُ من حلمٍ إن كان هكذا .. واقعهُ مليءٌ بالدماء . بالنيران .. و حتى إن إحتاج لمتنفسٍ ما .. يكون متنفسهُ محبطٌ للأعصابْ..

-تباااااااااااااااً تباااااااااااااااً...

كان يصرخُ براكين الغضبْ ... و المجاهدين ينظرون إلى قائدهم .. الذي سرعان ما إلتفت إليهم .. و أخذ يتكلم بلهجة قوية:

-مالكم تنظرون ؟.. هيا لنعد و نكمل ما بدأناهُ معاً .. كفانا إستسلاماً لواقعنا .. فلنقاوم حتى النهاية..

0

0

0

0

يهتفُ المجاهدين مؤيدين أميرهم .. واثقين به و بكل ما يقولْ .. ليعود إلى حيث كان يجلس .. و يتناول رشاشهُ و حزامهُ المليئ بالمتفجرات .. و يعاود هو ومجاهديه المقاومة بإستبسال .. ويسقطون القناصين من الهليكوبترات .. و يهزون ثقة الطيَّارين الذي كانوا يلحون على قائدهم المتمرد بالعودة .. لكن من دون أية فائدة ،. فقد توعد المتمرد أي متخاذلٍ بالذبح لا القتلْ..

فجأة.. تتراجعُ الطائرات .. و يتوقف القصف .. و تحلق الهليكوبترات و كأنها تفر هاربة .. و المجاهدين يكبرون

و يهلّلون .. من الجهتين .. جهة براكين الغضبْ . و جهة الأصمعي .. الكل كان سعيداً بهذا الإنحساب .. إلا هما .. كان براكين الغضب من أمام الجمع الذين كان يتبادلُ التهاني يقفُ و عينيهِ تنظران إلى الأصمعي بغضبْ .. بشراسة .. و الأصمعي .. إختفت إبتسامتهْ .. و كان ينظرُ إلى براكين الغضب من ضفتهْ .. و ذراعيهْ تحتضنان خصره.. فينظر إليه كأسدٍ هصورْ .. و كأنهما يتبادلان الأفكار بالتخاطر الذهنـــــــــي..

لكن .. هل حقاً لا يصح أن يبتهج الباقونْ..

ثوانٍ .. ثوانٍ مرتْ .. حتى دوَّى إنفجارٌ عنيفٌ بضفة الأصمعي.. فأخذ مجاهدي عمران يصرخون . وبراكين الغضب يصرخُ بالأصمعي و من معهْ .. حركةٌ سريعة و متضاربة بصفوف المجاهدين .. ليداويهم إنفجارٌ أكبر قريبٌ منهم .. فيتصايح الرجالْ ... و من هم يا الله .. و براكين يصرخُ فيهم:

-إلى الأسفل .. إنسحبوا يا رجال .. تحركوا ... لأسفل تلك البقعة .. الأوغاد يودون تدمير هذه القمة ... تحركوا..

أخذ المجاهدون يتدافعون فيما بينهم .. و براكين الغضب يحاول أن ينظر من بين تلك الأدخنة و الغبار .. يبحثُ بعينيهِ عن الأصمعي و مجاهدي عمران .. لكن الدخان يمنع الرؤية عنهْ . و مجاهدٌ يدفع ببراكين الغضبْ للأمام ليتحرك .. و تتوالى الإنفجارت .. و تتوالـــــــــى .. لتمتلئ السماءُ بالدخان الأسود ، الغبار .. فيصرخ أحد الأفغانْ:

-الدباباتْ ، إنها الدباباتْ في الأسفلْ.

-براكين الغضب (بذعرْ): الرحمة ، رحمتك يا الله ، تحركوا..

ليشهدَ براكينُ الغضب بعينيهِ مذبحةٍ جديدة أمامه .. حيثُ أن طائرتين أفرغت النيران بأجسادِ المجاهدين الذين تقدموا على براكين الغضب و من معه .. ليتوقف براكين الغضب و تتصلب قدماهْ للحظة .. فيجثي على ركبيتهْ .. و من معهُ جمَّدهم ذلك المشهدْ .. و طائرةٌ كانت تحلق و تقترب منهمْ ... براكين الغضب ينظرُ إليها و في نفسه يردد " أشهد أن لا اله الا الله و أن محمدٌ رسولُ الله "

و يهمسُ لمن تبقى معهْ : " قد حانت اللحظة .. فاذكروا الله و ادعوهْ..

مجاهدٌ يبكي الموقف .. و آخر فقد القدرة على النطق من هول المنظر و الرعب الذي هو فيه ْ..

تقتربُ الطائرة منهمـْ .. و ينظرُ إليها براكين الغضب بغضب .. و قد تعانق حاجبيهِ بشراسة .. ووقف على قدميه . و أخذ ينظرُ إليها .. وهي تقترب .. ومن معهْ أخذ يقرأ ما تيسر له حفظه تلك اللحظة ..فتقترب..

و تقترب .. لتنقض عليهم .. و ما أن يرفع براكين الغضب بذراعيهِ رشاشه فيوجه الطائرة ليطلق النار عليهـــا حتى يحسُ بأنهُ إندفع بقوة للخلفْ .. و دوّى إنفجارٌ تلك اللحظة .. و تطايرت الصخور و الرمالْ و الأشجار الجافة .. و ساد ظلامٌ داااااااااااااااامسْ .. و عمَّ هدوءٌ للحظاتْ .. لكن..

أين نحنُ الآن ؟

أين ذهبت الكاميرا و اختفـــــى المشهدْ ؟

ماذا حصلْ ؟

أين أنت يا براكين الغضب ؟

ماهذا الظلام ؟

إني أسمع صوت الطائرات في الخارجْ

و أسمع أصوات الطيَّارين أيضاً

ماذا يحصلْ

0

إنقطاعٌ في البثْ..

0

0

0

هدووووووعْ .. يعقبهُ هدووعْ .. مع صوتٍ للطائرات التي تحلق من بعيد ْ. و براكين الغضبْ يتحسس جسده و الأرضْ .. و يحاول النظر في الظلام .. لكن فجأة .. يرى وجهاً قد ظهر فجأة أمامهْ .. لرجلٍ يلبسُ عمامتهْ . ووقارُ على وجههِ برغم

الإرهاق الذي على محياهْ .. و لحيته الطويلة تنم عن وقار هذا الرجل .. و نورٍ غريب يشع من محياه برغم نور الشمعة التي أضاءت المكان قليلاً .. و نورٌ آخر من عينيه برغم اللثام الذي يضعه..

فيتساءل براكين الغضبْ .. غير مستوعب للموقفْ .. فيحاول التحدثْ:

-أين أنا ؟ ما..

-الرجل: شششششششششْ .. إسترخ .. كدت تموت أيها الشاب بسبب إندفاعك .. فسحبتك للداخلْ...

ينظر براكين الغضب حولهُ .. و مازال يتعرق .. يتعرق بغزارة .. و خصلاتُ شعره قد إلتصقت بجبينهِ و رقبتهْ .... و مازال للَّحظة غير مستوعبْ .. ليهمس و هو يلهثْ:

-أين أنا ؟ أين أنااااااااا ؟

-الرجل) مبتسماً): أنت بأمانٍ هنـــــــا إطمئن أيها العربيْ .. بأمانٍ بهذا الكهفْ .. و لن يلمسك أي سوء بإذن الله ْ..

-براكين الغضبْ (بدهشة): أنت عربيٌ أيضاً .. بل خليجيْ .. من أنت ؟ .. و لم أنقذتني ؟

-الرجل (مبتسماً): من لا يعرف الليثْ .. ليثُ الشيشانْ ؟ قد نصَّبوك أميراً و أصبحت قائداً من قادة طالبان..

-براكين الغضبْ (مازال مندهشاً... ... .. :(

-الرجل: و الآن .. علينا أن نخرج من هنا .. أعرف أنا و جماعتي طريقاً سرياً عبر هذه الكهوف لنصل لأسفل القمة .. كنا في طريقنا للأسفل حينما راقبت مقاوتكمـْ و بسالتكم..

يبتسم براكين الغضبْ .. و إزدادت إضاءة الشموعْ .. فقد إقترب عدة رجالٍ من براكين الغضبْ .. و عاونوا من معه على الوقوفْ .. و مد الرجل يده لبراكين الغضب ليساعده على النهوضْ:

-الرجلْ: هـــــيا معنا الآنْ..

-براكين الغضبْ (يعقدُ حاجبيه): حسناً .. سنذهب معكمـْ..

تسيرُ المجموعة بهدوء .. و تخطت عدة ممراتٍ في ممرات الكهفْ .. كان الرجل الملثم يمشي في المقدمة .. و بيده شمعةً لتنير الطريقْ .. و من خلفه براكين الغضبْ الذي أخذ ينظرُ إلى الرجلْ غير مصدقٍ بأنه قد نجـــى ... و يريدُ أن يعرف حقيقة هذا الرجل و هذه الجماعة.. فهذه المنطقة جدباء .. و على عدد الساعات التي قضاها و المجاهدين هنا و هم يبحثون عن أيةِ بقعةٍ للإختباء .. إلا أنهم لم يكتشفوا وجود أيةَ كهوفٍ هنا ، و هذا دليلٌ على أن هؤلاء الرجال يعلمون كل ما شيءٍ عن هذه الأرض .. و هم خبراء ْ.. و ليسوا رجالاً عاديينْ .. لكن ... من همْ ؟

مازالوا في متاهات تلك الكهوف لا كهفٍ واحدْ .. و بدئوا ينخفضون أكثر فأكثر .. و أصواتُ القصفْ أخذت تبتعد .. و بضعةِ خطواتٍ أخرى .. حتى يصل الجميع للأرض .. و تلمس أقدامهم الأرض .. ليسجد المجاهدين الذين كانوا مع براكين الغضب شكراً لله .. و براكين الغضب يلتفتُ هنا و هناك .. ليباغته الرجل الملثم:

-الرجل: أتبحثُ عن أصدقائك ؟

-براكين الغضب: أجل .. أبحث عنهمـْ..

-الرجل (يشيرُ لخلف براكين الغضبْ): لم ننســـــى إنقاذهم..

يلتفتُ براكين الغضب ليسبقهُ الأصمعي و يجري نحوه و يعانقهُ بقوة .. و يتعانق مجاهدي عمران و من مع براكين الغضبْ..

-براكين الغضب (يحتضن الأصمعي بقوة و يخفي دموعه بين شعره المنسدل على كتفهْ): ظننت بأني لن أراك ثانية و بأني سأموت قبل أن أراكْ.

-الأصمعي (و دموعٌ قد إنهمرت): لن يفرقنا بيننا شيءٌ يا صاحبي إلا الموت . إلا الموتْ..

يلتفتُ براكين الغضب للرجل و جماعتهْ .. و الذين كان خلفهم مجموعةٌ من الرجال في سيارات جيب .. و مجموعةٌ من الخيول .. فيقترب الرجل من براكين الغضبْ:

-الرجل: عرفاناً منا لم قدمته لنا أيها الليثْ .. أرجوك خذ السيارتين و إستخدموهما لتقلكما حيثما تريدون..

-براكين الغضب: لكني لا أقبل أي شيءٍ من شخص ٍلا أعرفه..

-الرجل(مبتسماً من تحت اللثام): أنت تعرفنـــــي يا براكين الغضب .. صدقني..

-براكين الغضب (يبتسم بخبثْ): لا أعرفك .. أبداً أبداً..

ينزعُ الرجال اللثامـــ .. لينظر إليه براكين الغضبْ ... و الأصمعي .. و المجاهدين .. غير مصدقين ... فلا يملك براكين الغضب نفسه إلا و قد رمـــى نفسه بأحضان الرجل و أخذ يصرخْ:

-السيف البتاااااااااااااااااااااااااااااااااااااار .. السيف البتاااااااااااااااااااااااااااااااااااااار .. صاااااااااااااااااحبي .. أنت حيْ ، أنت حيْ ؟

-الأصمعي (منصدماً): السيف ، السيف بلحمهِ و دمهْ..

و يتقدمُ من خلف السيف رجلٌ ملثم ترَّجل من خلفه .. و يبدو من ملبسهْ بأنه قائد المجموعة كلها:

-الرجلْ: و أنا أمثل القاعدة . أسامة بن محمد بن لادنْ

ليتني أعلم ماهذه الصدفْ!!

ليتني أستطيع التصديقْ..!!

مالذي يحصلُ بالضبطْ..!!

علاماتُ إستفهامٍ كثيرة تدور برأســـي و أرغب بتفسيراتٍ واضحة لها...

السيفْ .. و فجأة أسامة بن لادنْ..

الحلقة التاسعة عشرْ: من جديد الــى قندهار!!

نعودُ لبضعة خطواتٍ للوراءْ .. و لتلك اللحظة .. لحظة نزع الرجل اللثـــــامْ .. وأشاحَ عن وجههْ .. لينتفضَ براكين الغضبْ بمكانهْ .. و يفتحُ الأصمعيُّ فاههُ غير مصدقْ .. ... فلا يملك براكين الغضب نفسه إلا و قد رمـــى نفسه بأحضان الرجل و أخذ يصرخْ:

-السيف البتاااااااااااااااار .. السيف البتاااااااااااااااااااااااااار .. صاااااااااااااااحبي .. أنت حيْ ؟ أنت حيْ ؟

-الأصمعي (منصدماً): السيف ، السيف بلحمهِ و دمهْ..

بينمـــــا يأخذُ العناقُ الحاااااار و الذي يحتضنُ كل الآهاتْ و الآلامــ بين الصديقينْ .. يبعدُ السيف – و الذي قد تغيرت هيأتهُ نوعاً ما – .. و اقترب من الأصمعيْ . ليحتضنهُ بعنفْ .. فتنسلُ دموعهما بهدوءْ .. فيهمسُ الأصمعي:

-السيف البتارْ: بحثنــا عنك .. و كدنا نفقد الأملْ بعودتك إلينــا سالماً.

-الأصمعيْ: شـــاءَ اللهُ أن نفترق ياصديقي .. ولمشيئته حكمة لم أعرف قيمتها إلا عندما إجتمعنا .. فيها تغيرت .. وجلدتْ ... و أيضاً تغير صاحبي براكينْ الغضبْ .. و أراك قد تغيرت و أصبحت أكثر ثقلاً .. أين هي أقلامك يا سيف؟.

-السيف البتارْ (ضاحكاً): ظننـــتُ أن للقلم قوة .. و بأن سهري على نقل الحقيقة لوسائل الاعلامـ عملٌ كبير أكتفي به بدل النزوح للساحة ... لكنْ – .. و يلتفتُ إلـى أسامة – بعد أن أنقذني هؤلاء الأحبة من قبضة قناصيْ المتمردْ .. و يومها كنتُ مريضاً أشد مرض .. و أتألم أيما ألمْ .. حمدتُ الله .. و قلتُ بأنها فرصة من الله لأغير مساري قليلاً لأكون رجلاً بحقْ .. و لا أكتفي بمــا وراء الكواليسْ .. بل علي حمل السلاحْ كالرجالْ.

-براكين الغضب و الأصمعي) منصتينْ.. .. .. :(

-أسامة من لادنْ (مبتسماً و نورٌ يشع من وجهه.. ... :(

-السيف البتارْ: تغيرت مفاهيمي قليلاً .. حملت السلاح لأول مرة بمعركة جبهة طالبان .. و كنت أخاف الموتْ. بحق .. لكن هذا الرجل الطيب شرح لــي رسالتنا هنا .. كعرب و أفغان .. و مسلمينْ .. و برغم الإحباط و الخذلان الذي يسببه لنا إعلامنا ...و دولنا ... إلا أنهُ علينا أن لا نخشــى في الله لومة لائمْ .. و الموت حقْ .. و أنا غيرُ خائفٌ منهْ .. و مستعدٌ له و مستعدٌ لأفدي الله و ديني بدمائي ... – و يلتفتُ لأسامة بن لادنْ – أليس كذلك ؟..

-أسامة بن لادنْ (يمسحُ لحيتهُ ببطن كفهْ): أجلْ..

-براكين الغضبْ (و حاجباهُ مرتفعان دهشة): قد تغيرت حقاً أيها السيفْ .. صهْ . أكادُ لا أعرفكْ.

-الأصمعيْ (ملتفتاً إلى براكين الغضبْ): كنــا خمسُ رجالْ يا براكينْ .. و الآن نحن ثلاثة .. و الشهر التــي قضيناها هنا غيَّرتنا فعلاً..

-براكين الغضب) يرفعُ يديه للسماءْ): الحمدلله .. الحمدلله..

-أسامة بن لادنْ: أنت براكين الغضب إذاً..

-براكين الغضبْ (بهدوءْ): أجل . .. أنا هو براكين الغضبْ..

ينظرُ إليهِ أسامة و إبتسامتهُ لا تفارقهْ .. ليردف براكين الغضبْ:

-براكين الغضبْ (يقتربُ من أسامة): أتسمحُ لــي بأن أقترب منك ؟

-أسامة بن لادنْ (مبتسماً): لا بأسْ .. إقترب يا أخي..

يقتربُ براكين الغضب من أسامة .. و يضعُ بطن كفه خلف عمامة أسامة..

و يقبل رأسهْ .. فينظرُ إليه أسامة بنوع من الدهشة ليقطع براكين دهشته هذهْ:

-براكين الغضبْ (و عينيه تتلألآنْ): رغبت أن أفعل ذلك منذ رأيتك في التلفاز ..وكنت أقوم الليل و أدعوا الله بأن يرزقني الشهادة .. و بأن ألقاك على أرض الواقعْ .. و الآن .. و قد رزقني الله رؤيتك .. أحببت أن أعبر عن إعجابي بكْ . و باحترامــي الكبير لشخصك و شجاعتك بمواجهة العالمـْ .. و لأني أعتبرك قدوةً لــي من بعد وفاة والدي رحمهُ اللهْ..

ينظرُ الأصمعي و السيف البتارْ إلــى براكين الغضبْ .. و أخذ المجاهدين الذين تبقوا مع براكين يذرفون الدموعْ .. و علاماتُ التأثر واضحةً على وجوهِ مجاهدي عمرانْ و بقية المجاهدين الذين كانوا مع السيف البتار و أسامة بن لادنْ .. ليقترب أسامة من براكين الغضبْ الذي كان يحاولُ السيطرة على ما خالجهُ من مشاعر حزنْ .. و ربت على كتفهْ و قالْ:

-أسامة بن لادنْ) مبتسماً): أنا الذي عليه أن يقول لك: إني معجبٌ بك أيهــا الليثْ .. و معجبٌ بشجاعتكْ .. قبل أن يخبرني السيف البتار عنكْ .. كنت أترقب أخبار المجاهدين بالشيشان و أفغانستانْ و كل مناطق العالمـْ .. و نحصــي أسماءهم بسجلاتٍ خاصة لدينا ... و كنت أبحثُ عن أخبارك .. حتــى إكتشفتُ بأن براكين الغضبْ .. و الذي نصبتهُ طالبانْ ليكون قائداً من قادتها .. هو الليثُ الذي هز أركان الشيشانْ..

-براكين الغضبْ.. .. .. :

-أسامة بن لادنْ: رحم الله والدكْ .. و أسكنهُ فسيح جناتهْ.. على رائع ما أنجبْ..

-براكين الغضبْ (ينظر إلى أسامة و دموعٌ تترقرقُ بعينيهْ.. .. .. : (

-أسامة بن لادنْ: أنا سعيدٌ بأني إلتقيتك أيهــا الليثْ .. و سعيدٌ أكثر بأني تحدثتُ اليكْ ..و مادمنا الآن في حربْ . فعلينا أن نكمل هذا المشوار حتــى النهاية..

-الأصمعي: معك حقْ ... ماذا ننتظرْ .. يجب أن نعود إلى قندهار يا براكينْ..

-السيف البتارْ: خذ السيارات يا براكينْ .. و توجهوا إلــى قندهار .. بالنسبة إليْ.. سأبقــى مع أسامـة و جماعتهْ..

-براكين الغضبْ: أتتركنــا هكذا .. ألن تعود معنا ؟

-السيف البتارْ: أحسُ بأن مكاني بينهمـْ..

-الأصمعي (مبتسماً): لك ذلك أيهــا السيفْ..

-براكين الغضبْ (مربتاً على كتف السيفْ): و لا أنا أمانعُ بذلك .. لك ذلكْ..

-أسامة بن لادنْ: سنكون على إتصالٍ أيها القائدْ .. – و يهمسْ بإذن براكينْ الغضبْ: و سأكون سعيداً إن إنضممت إلينا– ..

-براكين الغضبْ: إن كتب اللهُ لــي الحياة .. و كتب لنا لقاءً آخرْ .. ربمــا أفعلْ...

يبتسمُ أسامة بن لادنْ و السيفْ البتارْ .. و يقومُ مجاهدُ من ورائهم بإعطاءِ براكين الغضب مفاتيح السياراتْ .. و يتوجهُ أسامة و السيف البتار إلــى خيلهمْ .. و يكبرون بأعلــى صوتهمْ .. و يغيبونَ بين زوابع الرمال التــي أثارتها حوافرُ خيلهمْ .. و براكين الغضب و الأصمعيْ.. و من معهمْ . يلوحون عالياً و حياةٌ و قوة دبت بأوصالهمْ .. و كأن أحلامهم تحققتْ .. فبدءاً من حلمهم بأن يخوضوا معركة .. و بأن ينضموا لطالبانْ...

وأخيراً يلتقون بالشيخْ أسامة بن لادنْ

و كل ذلك رفع من معنوياتهمْ عالياً .. ليحركوا محركاتِ السياراتْ .. ومازالت طائراتُ العدو – الغبية نوعاً مــا – تقصف القمة من الجهة الأمامية .. و حمداً لله .. بأن الزوابع الرملية التــي تثيرها الطائرات كانت تعمل كغطاءٍ لبراكين و رفاقهْ .. و أسامة بن لادن و السيف و جماعتهمْ .. و يتوجهوا إلــى قندهارْ طبقاً لتعليمات أحد مجاهدي عمران ليرشد براكين الغضبْ للطريق الصحيحْ..

0

0

0

قبل أن يصل أبطالنا قندهارْ .. وجب عليهمْ الوقوف عند القرية التــي أمر براكين الغضبْ بعض مجاهديه للتمركز بهــا و لينتظروا إشارةً منهْ: ..

-الأصمعيْ: لماذا يا براكينْ ؟.. ألن نتوجه لقندهارْ ؟

-براكين الغضبْ (يديرُ المقود يميناً و يساراً كي لا تعيق الرمال حركة العجلاتْ): أريدُ تفقد المجاهدين الذين أرسلتهم إلــى هناكْ ..أنسيتهمْ يا حمزة ؟

-الأصمعيْ (يضعُ يدهُ على عمامتهِ كي لا تحلق في الهواءْ): كدتُ أنساهمْ ... أعوذُ بالله من الشيطان الرجيمْ..

-براكين الغضبْ (و عينيهِ ترقبان الطريقْ الوعر نوعاً ما): لا بأس يا صاحبي .. أيْ حمزة .. بما تذكرك قيادتي هذهْ ؟

-الأصمعي (ساخراً): تذكرني بإصطدامك بالعمود بالسالمية ... خخخخخخخخخخخخ..

-براكين الغضبْ (يعقدُ حاجبيهِ غضباً): كنت أقصد أيام رحلاتنا للصحراءْ .. عندما ننزوى أنا و أنت و بقية الرفاقْ .. و نقود السيارات بجنونْ فوق الهضباتْ . أتذكرْ ذلك أيها الوغدْ ؟

-الأصمعيْ :هههههههههههههههه .. أها ... هذا ما قصدتهْ ؟.. آسفْ .. تذكرت لتوي..

-براكين الغضب(يرمقُ الأصمعي بنظرةٍ ثم يعيدُ عينيهِ للطريقْ): أعلم بأنك تسخرُ منــي .. لكن لا بأسْ .. سترى أيها الوغدْ..

يضحكُ مجاهدي عمران الذين يجلسون خلف براكين الغضب و الأصمعيْ .. و السيارة الأخرى و التي تحمل بقية المجهادينْ تتبعُ سيارة براكين الغضب و الأصمعيْ و التــي يحاولُ قائدها اللحاق ببراكين لكن من دون أي فائدة

-لم كل هذه السرعة يا براكينْ ؟.. في السرعة الندامــة .. هههههههه -

يصلُ الأبطالْ للقرية .. و تتوقف محركات السيارات و يترجلوا منهـا .. ويقفُ براكين الغضبْ بعينين تائهتينْ .. و الأصمعيْ يضعُ يديه على خصرهْ..

و المجاهدين من ورائهمْ يقفون مذهولين ْ..

كان المنظرُ مذهلاً للغاية .. السماءْ تحولتْ لحمرةٍ و كأنهـا بحرٌ من الدماءْ .. إختلطت فيها ألوانٌ نارية من الأصفر و البرتقالـي و تداخل معها لون الدخان الأسودْ .. و القرية .. و كأنهـا إختفت من علـى سطح الأرضْ .. الخرابُ بكل مكانْ .. و الرماد هو الغالبْ .. لا أثر لأي حياةٍ فيها...

-براكين الغضبْ (بحزنْ): لم هذا الدمارْ .. لم ... ماذا حصلْ ؟

-أحد مجاهدي عمرانْ : أظن بأن ذلك المتمرد قد سبقنا إلى هنا ... أتمنى بأن الناس قد فروا و نجوا بحياتهمْ..

-الأصمعيْ (يجلسُ على ركبتيهِ و يأخذ التراب و يرميهِ لينسدل كشلالٍ صغير على الأرض): كل شيءٍ طالهُ الدمـار بهذه الأرضْ .. أظن بأن المتمرد ظن بأننا هنا أو بأن المجاهدين رابطوا هنا لقرب هذه المنطقة من قندهارْ...

-براكين الغضبْ: علينا التحرك بسرعة .. أظن بأن جميع المجاهدينْ .. و الأفغان من كل أنحاء أفغانستانْ يقاومون هناك بقندهارْ .. فلنتحركْ..

-الأصمعيْ: توكلنا على اللهْ... فلنذهبْ..

يعود رجالنا إلى السيارات .. و يكملون طريقهمْ إلـــى قندهارْ..

ـــرافقتكمْ السلامـــة أيها الأعزاءْ -

)(**)(

)(

ينفثُ سيجارتهُ بقوة .. و رامسفيدْ مازال يثرثر و يثرثر ..و كأن اجتماع التخطيط قد تحول إلـى درسٍ عن نظرية الإرستقراطية الأميركية ... برغم ما كان يثيرهُ هذا الجنرال الشابْ من تصرفاتٍ تغضبُ زملاءه في العملْ ، إلا أنهمْ لا يستطيعون المساس بهْ أبداً لأوامر عليا صدرتْ بعدم التعرض لهْ .. فعقلهُ الفذْ . و الإنجازات العظيمة التي قام بها بفترةٍ وجيزة تحتِّم الكل على تقديم الولاء و التنازل لهْ..

تخيلوا المشهد معيْ .. رامسفيلد يتحرك يميناً و يساراً .. يشيرُ على خارطة قندهارْ بعصاهْ .. و يركزُ على تلك الدوائر الحمراء على الخريطة لتنفيذ ضربةٍ أخرى على قندهارْ لتدمير بنيتها التحتية كلياً لتسهيل العملية على الجنود لإختراق المدينة براً .. و الكل مشدوهٌ لتلك الفكرة العبقرية – و القديمة نوعاً مـا - .. و هو .. يجلسُ بذيل المنضدة الطويلة .. واضعاً ساقيهِ فوق بعضْ على المنضدة .. و سط تهجن و غضبْ الكثير من الجنرالات و القادة الذي أبدوا إستياءهمْ العارمْ من قلة الاحترام تلكْ .. و هو ..غير مبالٍ كالعادة..

0

0

0

ينتهي رامسفيلد من عرض خطتهِ التي أبهرت الحضور و الذين قابلوا ذلك بإبتهاج واضحْ عاجلوه بتصفيقٍ حاااااارْ لهْ .. و المشكلة .. إلا هو .. إلا هو .. يدخنْ .. السيجارة تلو الأخرى .. و كأنهُ غير موجودْ أصلاً .. ليرمقهُ رامسفيلدْ بنظرةٍ حادة من على رأس المنضدة:

-رامسفيلدْ : أيها الجنرالْ .. تعلم بمدى الغيظ الذي سببتهُ لنا مؤخراً .. فنحن لا نعلم هل أنت معنا أم أنك مع نفسكْ ؟

-المتمردْ (يرفعُ رأسهُ للأعلـــى و يطلقُ الدخان للأعلـــى و يعيدُ السيجارة لشفتيهِ من جديدْ....:(

-رامسفيلدْ (و حمرةٌ واضحة على وجههْ): و المصيبة بأنك لا تصغي إلينا و لا تنفذُ أية أوامرَ تطلب منك..

و تتصرفُ بإنفراديةٍ مطلقة .. و الآنْ أطلب منك أن تتخلى عن هذه الإنفرادية و تعطينا رأيك على الأقل بالموضوعْ...

-المتمردْ (ينظرُ إليهِ و مازالت السيجارة معلقة بشفتيهْ و يرفعُ الولاعة بكفيه ليشعلها): هل تريدون رأييْ؟

-رامسفيلدْ: أجلْ .. نريد رأيك لمعرفتنا بمدى خبرتكْ..

-المتمردْ (و دخانٌ آخرْ للأعلـــى): - ببرودْ -فكرةٌ حمقـــــــاءْ للأسفْ..

/

/

/

/

/

يدبُ الغضبْ بالمجلسْ ..و ينتفضُ القادة غاضبين و ساخطينْ .. و منهم من حطم زجاج المنضدة بكفهْ .. و آخرين أخذوا يقذفون بالشتائمْ لهذا الجنرال الذي تعدى كل الحدودْ .. و رامسفيلدْ . هاااااااادئْ .. مكتفٍ بالنظر إلى هذا العبقريْ بنظره من تحت عدساتِ نظارتهْ ليردفْ:

-رامسفيلدْ : شششششششششششْ .. أرجوا الهدوءْ .. - و يهدأ المجلسْ .. - و الآنْ أيها الجنرالْ .. هلا شرحت لـــي حماقة تلك الفكرة .. و ما المفروض القيام بهْ ؟

-المتمردْ: مممممـْ .. حسنٌ .. الآن سأتحدثْ..

-القادة (علاماتُ إستفهامٍ تحلق برؤوسهمْ... :(

يقومُ المتمردْ من مكانهْ . و يتناولُ العصا من يدي رامسفيلدْ .. و يقفُ أمام الخريطة ... و يتنفسُ عميقاً:

-المتمردْ : هي خطة حمقاء لأن الحمق فيها ينبعُ من ضرب لا هدفْ.

-رامسفيلدْ: لا هدفْ ، ماذا تقصدْ ؟

يلتفتُ المتمردْ إلــى رامسفيلدْ .. و بضحكةٍ ساخرة:

-المتمردْ: إن كنتمْ تريدون النجاح للعملية عليكمْ تحديد الهدفْ .. فما هو هدفكمْ بالتحديدْ ؟

-رامسفيلدْ) بدهشة): عما تتحدث أيها الجنرال بالتأكيد هدفنا هو النيلُ من مجاهدي القاعدة و طالبانْ ، هذا هو هدفنا.

-المتمردْ (يقتربُ من رامسفيلدْ و يضرب ببطن كفه المنضدة بقوة): و هل تعتقدُ أيها الذكي بأن المجاهدين أغبياءٌ ليتمركزوا هناك ، أين قوة الملاحظة فيكمْ ؟

صمتٌ عم المجلسْ .. و أحاديثُ جانبية .. و رامسفيلدْ يحسُ بأنهُ غبيٌ تلك اللحظة .. ليتحرك المتمردْ تجاه الخارطة .. و يتكئ عليها و يقف على قدمٍ واحدة:

-المتمردْ: إن أردتم ضرب قندهار فافعلوا .. و دعوا العالم يسخر منكم .. تعلموا أن تدرسوا عقلياتهم قبل أن تقوموا بأية حركة ..

-رامسفيلد: و ماالفائدة من ذلكْ ؟

-المتمردْ: الفائدة بأنك ستتوقع حركاتهمْ بسهولة ... و هذا ما فعلتهْ ، إختلطت بهم .. و درست ماهيتهم

-و أهدافهمْ .. و من هذا المنطلق خضت حربيْ .. و ألحقت بهم خسائر معنوية أكثر منها مادية .. و ماذا ربحتْ ؟ لم يذهبوا إلى أي مكانٍ إلا ولمسوا بصماتي فيهْ .. و أقسم بأن شعور الإحباط قد أصابهمْ .. و هذا ما أريدهْ..

-أحد القادة: إذاً هي ليست حرباً بالأسلحة.

-المتمردْ: لا أيها الذكيْ .. هذا أسلوبٌ قديم . أسلوبي حضاري .. و يتمركزُ على الجانب المعنوي .. و هو بتحطيم نفسيات هؤلاء المجاهدينْ .. عبر الضغط عليهمْ .. و إبعادهم عن هدفهم ألا و هو الموت في سبيل ربهمْ .. و قلب الرأي العام و الإعلامْ .. و هكذا .. فقط تابعوا الأخبار على الشاشات العربية .. فقط لتعرفوا كيف زُوِّرت الحقائقْ هناك..

-رامسفيلدْ: نريد أسامة أيها الجنرالْ .. و نريد ذلك الليثْ ، هما يمثلان قوةً عظيمة ، نستطيعُ قتلهما بقنبلة .. قد كانت هناك فرصٌ عديدة لقتل الليثْ .. لكنك تصر على عدم المساس به فابتعدنا عنهْ..

-المتمرد (بغضبْ): انت لا تعرف هذا الرجل مثليْ .. هذا الرجل له عقلية خطيرة .. – و أخذ يمشي حول المنضدة و يديه تتحركان – و هو إن كان خسارةٌ لنا .. فلا أريد أن يكون عوناً للمسلمينْ .. أريدُ تحطيم نفسيته رويداً رويداً .. لكم أن تتصورا إستراتيجية تحطيم القائد .. فإن تهادى هو .. تهادى الجمعْ .. لا تعرفون مدى تأثير هذا الرجلْ على من حولهْ .. هم يعشقونهْ .. و يقتدون بهْ .. وقبل قتلهْ .. أريد ضرب عصفورين بحجرٍ واحدْ .. أريدُ تحطيم قلوب و نفسياتِ المجاهدين هناك برجلٍ واحدْ ، واحدْ فقطْ .. و هو ذلك الليث الذي أرهب الروسْ . و أرهبكم أنتم و أنتم لم تتعاملوا معه قطْ..

0

0

0

0

أتذكرون لحظة الإحباط التـــي أصابت براكين في القمة؟

0

0

0

-رامسفيلدْ.. ... ... :

-المتمردْ: هذه إستيراتيجيتي و أحسُ بأني على الطريق الصحيحْ .. و أرجوكمْ كفوا عن هذه الطرق القديمة في الحربْ .. و حاولوا الوصول لمستواي العالي في تصور الأمورْ .. أرجوكم ، لا تتعبوني نفسياً..

يضعُ المتمردْ العصا على المنضدة . و يديرُ ظهرهُ للقادة ليصرخ فيه رامسفيلدْ:

-رامسفيلدْ :إلـــى أين أيها الجنرالْ ؟

-المتمردْ: إلى العملْ .. فاني أضيع وقتـــي بينكمْ..

يستشيطُ أحد القادة و يرفعُ مسدسهُ ناحية المتمردْ متوعداً إياهُ بالقتل إن لم يقدم إحتراماً كاملاً لهم .. فينظرُ إليه المتمردْ بعينين بريئتينْ – بل ساخرتينْ - .. و يقتربُ منه فاتحاً ذراعيهِ .. و يرمقهُ بغضبْ:

-المتمردْ: صحيحٌ بأني لا أحس بإنتمائي للعربْ برغم دمائي العربية .. إلا أننا نشترك بخصلةٍ واحدة ألا و هي بأننا لا نخشى الموتْ.

القائد(و يديهِ ترتجفانْ.. ... .. :(

-المتمردْ: أجهز علي إن كنت تملك الشجاعة .. هيا .. تفضلْ...

-القائدْ (بدأ يتخاذل و سقط على الكرسي و هو متعرقٌ بالكاملْ :(بائسْ...

يبتسمُ المتمردْ .. و يغادرُ الخيمة ... حتى يتقاذف أعضاء المجلس الشتائمْ .. و يثيرونُ زوبعة لرامسفيلدْ حول هذا المتمردْ .... – قويْ .. أعترفْ.. - ....

يسيرُ المتمردْ بخطىً واثقة ... برشاقة و خفة .. و رأسهُ للأعلـــى .. و كل من يمر بجانبهِ يرفع قبعتهُ تحية و إجلالاً لهذا المتمردْ العظيمْ بنظرهمْ .. فيقترب العسكري المخلصْ له:

-العسكريْ : صراخكم قد وصل للخارج أيها الجنرال ... –بضحكة خبيثة–

-المتمرد: لا وقت لي لمثل هذه الترهاتْ .. أريدك أن ترسل مجموعة للخليج لتتفقد معلوماتٍ شخصية عن الليثْ .. و الأصمعيْ...

-العسكري (بتعجبْ): الأصمعيْ ، هل هو حيْ ؟

-المتمردْ :الأغبياء بكابول قد أطلقوا سراحه و هذا ما يثيرُ جنونيْ .. و أظن بأنهُ مع الليث بمكانٍ ما .. و هو من كان معه بالقمة مع بقية المجاهدين .. هذا ما رأيتهُ بالصور التي إلتقطها لـــي مصوروك الأغبياء.

-العسكري: عن أيةِ معلوماتٍ تريد أيها الجنرالْ..

-المتمردْ (بعينين ضيقتينْ): أي شيءٍ يقودني لحياتهما الشخصية ... الآن .. و فوراً .. من دون أي تباطؤْ..

-العسكري : علم يا سيدي ْ . .لكن أردت إخبارك بأنه قد وصلتنا أخبارٌ عن وجود سيارتي جيب تتجهُ ناحية قندهارْ .. و أظن أن فيها الليث و الأصمعيْ .. قد نجيا من القصف .. و مازالا على قيد الحياة.

-المتمردْ: هذا الليث لن يموت هكذا .. الحظ يحالفهُ دوماً .. لا أعلم كيفْ .. لا يهمـْ .. أرسل وراءهم طائراتٍ صغيرة...

-العسكريْ: أتريدُ قتلهما ؟

-المتمردْ (بسخرية): مممممممممـْ .. لا أود ذلك . لكن دعني أحاول قتلهما .و سأرى أي حظٍ سينقذه هذه المرة .... هاهاهاهاهاهاهاهاهاهاهاهاهاهاها ها..

0

0

0

0

حقاً ... ماذا ستفعلُ يا براكين الغضبْ أنت و الأصمعيْ ؟

قلبي معكمـــأ...

يصرخُ أحد مجاهدي عمرانْ:

-لقد إقتربنـــا من قندهارْ .. بضعة كيلومترات أخرى فقطْ..

-براكين الغضبْ (و قد خفف من سرعة سيارة الجيبْ): جيدْ .. سنصلها قبل المغربْ.. .

-الأصمعيْ (يرمقُ براكين الغضبْ): و لم تخفف من سرعة السيارة ؟.. علينا أن نستعجلْ .. الوقت يتداركنا..

-براكين الغضبْ (و قد رفع يدهُ اليسرى ليساوي العمامة و يده الأخرى ممسكةً بالمقودْ): إن كانت قندهار تبعدُ بضعة كيلومتراتٍ أخرى فلم العجلة ؟... أريد التوقف لأصلي العصرْ..

-الأصمعيْ: لا أتوقع بأنهُ وقتٌ مناسب .. ثم أنه لم يحن وقت أذان العصرْ .. أسرع .. و لا تتخاذلْ..

-براكين الغضبْ : مذ عدت و أنت تصر على السرعة في كل شيءْ.. لم تكن هكذا من قبلْ ؟

-الأصمعي (بحدة): إحساسي بخبرني بأن نسرعْ .. لا تنسى بأن هذه البقعة عاريةً من الشجر و الجبالْ .. أرجوك أسرعْ .. لحظةَ وصولنا سيحين موعد الأذانْ..

-براكين الغضبْ (ببرودْ): لا.

-الأصمعيْ :ما بك ؟ لم كل هذا العنـــــــادْ ؟

-براكين الغضبْ: لم أتعود أخذ الأوامر من أحدْ.

-أحد المجاهدينْ: أرجوكم إستعيذوا من الشيطانْ.

-الأصمعيْ :دعهْ ..لا يهمني .. فليفعل ما يشاءْ.

-براكين الغضب (ينظر إلى الأصمعي بطرف عينيه.. ... ... :(

-الأصمعي (بغضبْ): لكن صدقنـــــي لحظة وصولنا إلى قندهار .. و إنتهاء عمليتنا سأعود إلى كابولْ.

-براكين الغضبْ: يبدو أنك لم تعرف طبيعتي بعد يا حمزة ، أنا لا أهدَّدْ.

-مجاهدٌ آخرْ: إستعيذوا بالله أرجوكمْ..

-الأصمعيْ (صارخاً): حمداً لله بأنه رحمها بوفاتها على أن تعيش معكْ.

تتوقفُ السيارة فجأة ... و الأصمعي يبتلعُ ريقه و كأنهُ قد تفوهَ بشيءٍ لا يصحْ .. و مجاهدي عمران يتبادلون الأنظار فيما بينهمْ .. و براكين الغضبْ .. يغليْ ... يغلي و يغليْ ... و إصطبغ خديهِ بحمرةٍ كالدماءْ .. و أخذ يضغطُ بشدة على المقودْ إلى أن إقتلعهُ من مكانهْ.

0

0

0

0

-لا تُغضبوا براكين أرجوكمْ–

0

0

0

يلتفتُ براكين الغضبْ قليلاً ناحية الأصمعي المذهولْ .. و عيناهُ تنطقان بكل شرْ ... فيحاول الأصمعي أن يبتسمْ . و براكين

الغضبْ .. غاااااااااااضبْ: ...

-الأصمعيْ: إهدأ أرجوك .. لم أقصد أية إساءة.

-براكين الغضبْ : أستطيعُ تحمل أي شيءٍ يا حمزة .. إلا عرضيْ.

-الأصمعيْ: لكنـــــي لم أتعرض لكْ .. فقط قلـــ

-براكين الغضبْ: لا تحملني ذنب موت أحدهمْ ، لا تحملني ، الموت يأتي بغتة و لا دخل للبشر فيهْ.. و إن كان هذا هو الشيءْ الذي تود إغاظتي بهْ فانسى أمري و أمر صداقتنا..

-الأصمعيْ: براكين.. أرجوك إغفر لي .. لم أقصد .. لحظة غضبٍ فقط .. أنت تعلم مدى معزتك بقلبيْ.

-و مهما قلت أو فعلت . لا أرغب من بعده إلا مصلحتك و إبتعادك عن العنادْ ..

-براكين الغضبْ: ليس لأني أأتمنك على أسراري يجعلك هذا بأن تذكرني بها كلما سنحت لك الفرصة و كأنك تترصد إغاظتي.

-الأصمعيْ :لكني في النهاية صديقٌ لك .. و لن أرضى لك بأي إساءة .. أنا آسفٌ فعلاً.

-براكين الغضبْ... ... ... :

-الأصمعيْ (يقترب منهْ): سامحني ... سامحني براكيييييييينوأ...

-براكين الغضبْ (ينظر إلى الأصمعي محاولاً عدم الابتسام.. .. :(

-الأصمعيْ: إضحك أيهـــــا الوغدْ.

-براكين الغضبْ) ينفجر ضحكاً): تعرف نقطة ضعفي إذاً ؟ الوغد هو أنتْ..

-الأصمعيْ :هههههههههههههههههه

و يضحك مجاهدي عمران .. و يشيرون لأصدقائهم في السيارة الأخرى بأن كل شيءٍ على ما يرام .. وتنطلق السياراتُ مرةً أخرى ... تسيرُ السيارات بهدوءْ .. لا يعكر صفوها شيءْ .. فكان براكين الغضبْ يسلي من معهم بقصائدهْ .. و الباقون يستمعون إليهْ .. ليأتي دور الأصمعيْ.. فيعنّفه براكين الغضبْ على ضعف بعض الأبياتْ .. و هكذا ... إلى أن مرت دقائقُ أخرى حتى توقف براكين الغضبْ فجأة:

-الأصمعيْ: مابك يا براكين ؟. هل من خطبٍ ما ؟

-براكين الغضبْ) يضعُ كفهُ على صدره): لا أعلم .. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلقْ .. أعوذ بالله..

-الأصمعي: لا تخفني يا رجل ما المشكلة ؟ ألديك مشكلة بالتنفسْ ؟

-براكين الغضبْ (بعيني ضيقتينْ ينظر إلى السماءْ): أحس بخطرٍ قادم .. هذا الإحساس يعاودني كلمـــــا كان هناك خطبٌ ما .....

-الأصمعيْ: أي خطبْ ؟ .. أخبرني...

-أحد المجاهدينْ : هون عليك أيها الأميرْ .. هون عليكْ....

-براكين الغضبْ: علينا التحرك بسرعة..

-الأصمعي: ماذا ؟ ماذا حصل لك فجأة ؟ للحظات كنتـــ

و يضغطُ براكين الغضبْ على دواسة البنزين بقوة ْ.. مما هز السيارة بعنفْ و كاد من فيها يسقط خارجاً..

-الأصمعيْ) بغضبْ): هل أصابك الجنون لا سمح اللهْ أجبني ؟

-براكين الغضبْ (يقود كالمجنونْ) الآن تأكدتُ بأنك على حق في أن نسرعْ يا حمزة .. أنا آسف على تصرفي معكْ..

-الأصمعيْ.. .. .. .. :

-أحد المجاهدينْ (يشيرُ بسبابتهِ للسماءْ): أيها الأصمعي أنظر ، أنظر هناك ، إنهـــــا طائرات المتمردْ من جديد.

-مجاهدٌ آخرْ: سنموت لا محالة يا رجالْ!!

-الأصمعيْ (و كأن صاعقةً أصابتهْ): أحياناً أفضل أن لا أستبق بعض الأحداثْ.

-براكين الغضبْ :تمسكوا جيداً .. سأوصل السيارة لسرعتها القصوى.

-الأصمعيْ: صدقني إن نجوت الآن أقسم بأني لن أسرع إذا ما عدت للخليجْ.

0

0

0

0

تسيرُ السيارة الجيبْ الأخرى موازيةً لسرعة سيارة براكينْ الغضبْ .. و الطائراتُ المروحية تقترب أكثر فأكثر .. لتفتح بوابات الجحيم مرةً أخرى..

و يغرقُ وابل النارْ سماء الأبطالْ..

كان براكين الغضبْ يقودُ بجنونْ ...و كان يدور بسيارتهِ يمنة و يسرة تفادياً للنيرانْ التي تود منهم مذبحة لا قتلْ .. و الأصمعي يمسك المقعد بقوةْ كيلا يطير هو الآخر في الهواءْ .. و كان يحذر براكين الغضبْ في حال توجهِ طلقاتٍ جديدة ... و المجاهدين في تربصْ و تقربْ..و المروحيات كانت أسرع من السيارتينْ .. لتصيب قذيفةً كبيرة السيارة الثانية .. و تشتعلُ السيارة .. و يتصايحُ من فيـــــها .. فيلتفتُ الأصمعي للخلف و يصرخْ:

-الأصمعي: ثكلتك أمك أيها المتمردْ ، ثكلتك أمكْ.

-براكين الغضبْ (بالرغم أن الموقف حرجْ): – ببرودْ– أمه ميتة...

لحظتها لم يعرف الأصمعي ماذا عليه أن يفعلْ . هل يبكي ... أم يضحكْ ... لكنهُ عاد لمراقبة حركة المروحيات من جديدْ .. و التي ضاعفت من قذائفها و براكين الغضبْ يحاول تفاديها مرةً أخرى .. و كل قذيفة عندما تسقط على الأرض تثير الرمال و تهزُ الأرضْ هزاً .و مع ذلك .. كان براكين الغضب يردد بقلبهْ.

-اللهم إنك تعلم ما بنيتي ..و بنية من معيْ.. اللهم نسألك السلامة ... اللهم نسألك السلامة .. اللهم أغثنا .. أغثنا فانهُ لا مغيث إلا أنتْ ... إلا أنتْ..

تضاعفت القذائفْ ... و أخذ القناصون يصوبون نيرانهم على المجاهدينْ .. فأصابت أحدهم بكتفهْ ... لينتفض الأصمعي و الجميعْ .. إلا براكين الغضبْ .. الذي مازال مسيطراً على السيارة و يخشـــى أن يشرد برهةً فتنقلب به و من معهم لتلك الغلطة..

فجأة .. ينزل براكين الغضبْ عن الطريق الوعر .. و ينزل للرمالْ .. و المروحيات مكملةً مسارها ظانةً بأن تحت الزوابع الرملية سيارة الجيبْ .. لكن ما إنقشعت الرمال حتى تنبه الطيَّارون لخدعة براكين الغضبْ .. فيعودون مرةً أخرى وراء تلك الجيبْ، و براكين الغضبْ بدأ صبرهُ ينفذ:

-الأصمعي: لم تخدعهم كما يجب ، ها هم وراءنا يا براكين ، لم نزلت لهذه الطريقْ ستتباطؤ سرعتنا هكذا.

-براكين الغضبْ (و إبتسامةُ مكرْ): لا تقلقْ ، لا يريدون قتلنا.

-الأصمعي (و علامات الدهشة على وجههْ): ماذا ؟

-براكين الغضبْ : ما دمت معكم فهم لن يقدموا على شيءٍ غير تخويفنا.

-الأصمعي: و لم كل ذلك ؟ حاولوا قتلنا عدة مراتْ.

-براكين الغضبْ (بثقة :(أنظر لهذه.

-الأصمعيْ (يصرخ بهستيريا): هل جننت ؟ إننا ندووووووووور حول أنفسنا يا براكين ، ماذا تفعل أيها الغبيْ.

كانت السيارة تدور و تدور بسرعة جنونية حول نفسها .. و هذا ما سبب أعاصير رملية لا زوابعْ ... فتراجع القناصون عن التصويبْ.. فهم لا يستطيعون تحديد الهدفْ .. و أخذت المروحيات تحلق .. عاجزةً عن القيام بأي قصفٍ آخرْ.. حتـــــى ما إن هدأتْ تلك الأعاصيرْ حتـــــى قامت المروحيات برمي قذيفةٍ قرب تلك الزوابع الرملية .. ليدب إنفجارٌ عظيم و رهيـــــب هز الأرض كلها ... فانقلبت السماء الزرقاء لسوادْ .. و المتمرد ينظر بمنظارهِ من بعيدْ:

-المتمردْ: خالجنـــــــي هذا الإحساس ، تباً لك أيها الليثْ..

-العسكريْ: أيها الجنرال .. لقد قامت المروحيتين بإطلاق قذيفة على منطقة ألغام عن طريق الخطأ..

-المتمرد: بودي لو أعرف كم عدد مناطق الألغام بأفغانستانْ ، ذقت ذرعاً منها.

-العسكري: لا علم لي سيدي الجنرال.

-المتمردْ)يضع المنظار بجيبهْ): أثار إعجابي هذا الرجلْ ... ويحهْ ، بالرغم من إثارتهِ لغضبي أحياناً إلا أنني أحنو عليهْ أحياناً أخرى.

-العسكري: قد أثنيت على أخلاقهِ دائماً سيدي الجنرالْ..

-المتمردْ: لا أنكر بأني معجبٌ به .. و بأنهُ يملك شخصيةً على خشونتها و قوتها .. إلا أنها تتسم بكرم الأخلاقْ.. لكن العمل هو العملْ .. و الثأر هو الثأرْ..

يتوقفُ المتمردْ قليلاً .. ثم يردفْ:

-المتمردْ : هل من أخبارٍ جديدة عن الخليجْ ؟

-العسكري: لا سيدي الجنرالْ .. مازلت أنتظر التقرير ليصلني فأوافيك بهْ...

-المتمردْ) هامساً): ثق بأني أعد لك مفاجأةً راااااااائعة يا براكينْ الغضبْ.

ترى .. ماذا حصل لأبطالنا ؟

و هل سيصلون حقاً إلـــى قندهارْ ؟

و ماذا عن مفاجأة المتمردْ لبراكين الغضبْ ؟

الحلقة العشرينْ: وحمـــي الوطيسْ

نظرةٌ عمودية .. على سيارةِ جيبٍ بوسط تلك الصحراءْ .. و التـــــي إحتضنت برداً قارساً .. و أبطالنا بداخلها .. براكين الغضبْ .. و الأصمعي و مجاهدي عمرانْ .. و يبدو أن التعب و الوهنْ قد أصابهمـــْ .. فمنذ عدة ساعاتٍ و هم يقاتلونْ ... و يقاومونْ .. و لم ترتخ أجسادهمـــْ .. و لم تتذوق بطونهمْ أي شيءْ .. سوى أجسادهم التـــــي ذاقت من الجروح الكثير الكثيرْ ..

الأصمعي يضعُ رأسهُ على كتف براكين الغضبْ الذي كان يقاوم رغبةً عارمة للنومـــْ .. أو إغلاق عينيهِ قليلاً..لكن من معهُ أمانةً بعنقهْ ..والوقت يداهمه و لا يريدُ أن يتعرض الى أيةِ مفاجئةٍ من مفاجآت المتمردْ ..وما كانت إلا هي لتواسيهْ.. فيدخلُ كفهُ من تحت معطفهْ المهترئْ و الذي تمزق قليلاً بسبب إحتكاكهِ بالصخور..

و يعودُ و يبتسمُ و كأنهُ قد إستمد إكسير الحياة من تلك الصورة – .. بودي أن أعرف سر تلك الصورة–

يتراءى طيف مدينة قندهارْ لعيني أحد المجاهدين الذي كان نائماً في الخلفْ .. و رفع يدهُ ناحية وجههِ ليزيل طرف عمامتهُ و التي كانت تغطي وجههُ بغية حمايتهِ من أشعة الشمسْ لحظة نومه .. لكن .. ما إن رأى قندهار حتى قفز بمكانهِ فرحاً: ..

-كندهارْ ، إنهـــــا كندهارْ.

فيقفُ مجاهدي عمرانْ ... و يلوحون بأيديهمْ فرحةً و غبطـــــة على الوصول بالسلامة .. و براكين الغضبْ .. يفرجُ عن نفسٍ حارْ .. و كأنهُ يقول:

-الحمدللهْ ... الحمدللهْ..

-الأصمعيْ (بحمـــــاسْ): وصلنا أخيراً إلى قندهار يا براكينْ ... وصلنا يا صاحبيْ..

كانت قندهار مدمرةً تقريباً .. و آثارُ قصفٍ عنيف و متواصلْ ظاهرٌ للعيانْ .. و بكاءُ المنازل و المباني القديمة .. دخانٌ و دمـــــاءْ ... و الناسْ .. بدا عليهم الإرهاقْ .. و الأطفالْ يلهونَ ببقايا شظايا القنابيلْ و الصواريخْ ... و النسوةُ يتحركن ببطءْ .. و كأنهن قد تشنجن .. و خوفٌ و ترقبٌ لأي مفاجأة أخرى .. و أطفالٌ صغار يبكونْ .. يبكون الجوعَ و الخوف بأحضانِ أمهاتهمْ ... و المدينة .. و كأنهـــــا خلت من الرجال تقريباً...

كان الأصمعي ينظر لتلك المشاهدْ.. غيرُ مصدق للدمـــار الذي حل بقندهارْ: ..

-الأصمعـــــــيْ: مالذي حصلْ بغيابنا ؟ لا يوجدُ جيشٌ هنا ليقوم الأمريكان بهذا.

-براكين الغضبْ: سأتجهُ شرقاً جهة المطارْ .. سنتفقد الوضعْ..

-أحد المجاهدينْ: أتوقع أن المطار مغلقْ .. أو كأن الأمريكان قد أحكموا السيطرة عليهْ..

-براكين الغضبْ: لا نستطيع الجزمـْ .. مجردُ نظرةٍ ثم سنتجهُ لمنزل مصعبْ..

-الأصمعيْ: مصعبْ ؟.. هل هو ذلك الشخص الذي إنتظرنا في الخارج وقت الحريق الذي شب بمنزلكْ ؟

-براكين الغضبْ (و هو يديرُ المقودْ لجهة اليمينْ): أجلْ ..هو قائدٌ من قادة طالبانْ يا حمزة .. و بما أني لا أرى أياً من المجاهدينْ أو الرجال هنا .. فهذا يعني بأنهم متمركزين بمكانٍ ما ... و علينا البحث عنهم و معرفة ماذا حل بغيابنا..

-الأصمعيْ: لا تنســـــى أنهُ علينا الذهابُ إلى المستشفى .. لتفقد المصابين الذي كانوا مع الشهبندرْ..

-براكين الغضبْ: بكل تأكيدْ..

*

*

تسيرُ السيارةُ بسرعة .. و ما هـــــي إلا فترةٌ زمنية قصيرة حتـــى يصل الأسود إلـــــى مطار قندهارْ المحطم نوعاً مـــــا .. و يبدو أن مدرجاتهِ قد أصيبت بقذائف كبيرةْ: ..

-الأصمعيْ: أنظر يا براكين الغضبْ .. إني أرى دباباتٍ و جيوشاً هناك..

-براكين الغضبْ (محدقاً): يبدو أنهم قد بدؤوا التسلل إلـــــى قندهار بفترة غيابناْ...

-الأصمعي: لكني أرى مقاتلين بأرض الميدانْ .. أتراهم من طالبانْ ؟

-أحد المجاهدينْ: لا أظن .. يبدوا لـــــي أنهم من البشتونْ..

-براكين الغضبْ: سنتوجهُ لمنزل مصعبْ .. البنزينُ بدأ ينفدْ.

-الأصمعيْ :هيـــــا بنا..

يعودُ براكين الغضبْ و رفاقهُ أدراجهمـْ .. متوجهينْ لغرب قندهارْ .. لمنطقةٍ قريبة من وسطها .. حيث يعيشُ مصعبْ بحي قديمٍ هناكْ .. و ما إن وصلوا حتـــــى رأوا منزلهُ و الذي من هيئتهِ يبدوا بأنهُ قد تم إعادة بناؤهْ .. يفتح براكين الغضبْ باب السيارة .. و يقتربُ من البابْ ... و الذي كان موارياً .. ففتح الباب بهدوء ْ.. و طرق البابَ بعدةِ طرقاتٍ خفيفة .. و من خلفهِ الأصمعي ْ ..ليصرخ أحدٌ مـــا و كأنهُ رجلٌ عجوزْ من الداخلْ:

-من هناك ؟.. من هناك ؟

و المجاهدين كانوا يتحدثونَ لسكان المنزل المجاورْ .. و يسألونهمْ إن كانوا يملكون ماءً أو كسرة خبزٍ يابسة قد تسد جوعهمـْ .. في الداخلْ ... كان كل شيءٍ شبه مبللْ ... و كأن سيلاً من المياهْ قد مسهْ .. و كان خادمُ مصعبْ جالساً .. و بيدهِ صحنٌ معدنيْ .. فيه أرزٌ أبيضْ .. و يطعمُ بيدهِ طفلةً صغيرة بدا على وجهها الوجومْ: ..

-براكين الغضبْ (مبتسمـــــاً): السلامُ عليكمْ و رحمةُ الله و بركاتهْ..

-الخادمْ (مهللاً و يقفُ على رجليهْ): أيها القائد براكينْ ، أنت حيْ – و يحتضنُ براكين الغضبْ و دموعهُ أغرقت كتف براكينْ --

-براكين الغضبْ: مابك يا رجلْ ، أجل أنا حيٌ و الحمد و المنه لله سبحانه و تعالـــــى.

-الخادمْ (يكفكفُ دموعهُ بكفهِ الذي ملأتها التجاعيدْ): خلت بأنني لن أراك يا سيد براكينْ .. فبعد أن إنقطعتْ أخباركم عنا .. فقدنا الأملْ في العثور عليكمْ..

-الأصمعي: مالذي حصل هنا بالضبطْ .. أخبرنا..

-الخادمْ) يضعُ الصغيرة على ساقيه و يشيرُ لهمـــــا بالجلوسْ): لقد كنا نعانـــــي من قصفٍ متواصلْ و عنيفْ يا سيدي ْ .. حتـــــى دمرت أغلب المنازل و المباني .. و كما تريان .. منزل سيدي مصعبْ قد أعيدَ بناؤهْ..

-براكين الغضبْ (ينظرُ للصغيرة التي كانت تضعُ إصبعها المتسخْ بفمها.. ... ... :(

-الأصمعي (ينفضُ عمامتهُ من الغبار و الرملْ): و ماذا بعدْ ؟.. أين قائدك مصعب و بقية المقاتلين هنا ؟

-الخادمْ (يضم الصغيرة و يرفعها لأعلـــــى كيلا تسقط): توزع القادة على مناطق عدة من قندهار.. لكن القصف لم يدعنا ندافعُ كما يجبْ .. و بتنا ننقلُ الجرحـــــى لمستشفى قندهارْ .. و تحول عملنا من المقاومة إلى معالجة الجرحـــــى .. و قد إكتظ المستشفـــــى بهمـْ..

-الأصمعيْ: و ماذا عن القوات الموجودة بالمطارْ ؟

-الخادمْ: إنها القوات الأمريكية و قوات المعارضة القادمـــــة من مزار الشريفْ .. إندلعت حربٌ بين فصائل مختلفة بمزار الشريفْ و صارت مذابح هناك.. و كنت مع سيدي مصعبْ لحظة نزوح القوات إلى المطار .. و كنا نقاتل و نقاومـْ .. لكن

سقط بيننا الكثير من الجرحـــــى .. و ١١ منهم كانوا من القاعدة .. فاضطررنا ترك المطار و المغادرة ... و لا نعلمُ الآنْ ماذا نفعلْ..

-براكين الغضب ْ (مازال سارحاً بالصغيرة): .. .. و أين مصعب و باقي القادة و المقاتلينْ ؟

-الخادمْ: إنهم متمركزينْ بوسط قندهارْ . . و أظنكم ستجدونهمْ بالمستشفـــى لأن سيدي مصعبْ يشرفُ على علاج المصابينْ هناكْ..

-الأصمعيْ: سنذهب إليهمـْ .. هيا يا براكينْ..

-براكين الغضبْ (ينظرُ الـــى الفتاة و سرعان ما عاد لواقعهِ و قام من فورهْ): هيا..

يخرجُ براكين الغضبْ و الأصمعـــــيْ الذي نادَ على مجاهدي عمرانْ ليركبوا السيارة .. و الخادمُ يقفُ و يضعُ يدهُ على كتف الصغيرة التـــي كانت تنظرُ لبراكين الغضبْ.. و براكينْ .. يبتسمُ لها .. و يضغطُ على دواسة البنزينْ .. و ينطلقَ من جديدْ...

كان مبنى المستشفـــــى مهترئاً نوعاً ما .. و كان هناك حارسٌ واحد فقط عند الباب الرئيسي.. يحملُ رشاشًا بيدهِ و يرتدي عمامةً بيضاءْ .. و يضعُ الوشاحَ الأفغانـــــــيْ على كتفيهِ ليحتمـــــي من البردْ ... يوقفُ براكين الغضبْ السيارة بخلف المستشفـــى ... بين شجرتينِ كبيرتينْ تحجبانِ النظرْ:

-الأصمعيْ (بدهشة): و لم تخفـــــي السيارة هنا ؟ هل علينا أن نمشي دورةً كاملة حول المستشفـــى لنصل إلى الباب الرئيسيْ.

-براكين الغضبْ (و هو يحاولُ أن يغطي السيارة بالأغصانْ قدر إستطاعتهْ): أرجوك لا تعد إلى مجادلتيْ يا حمزة .. و نفذ ما آمرك بهْ .. – يضربُ بكفيهِ ليزيل ما علق بهما من غبارٍ و أوساخْ – و الآن هيا .. تحركوا..

ينظرُ مجاهدي عمرانْ إلـــــى براكين الغضبْ و إبتسامةً لا تفارقُ محياهمـْ .. و الأصمعيْ.. يتذمرْ..

–قد تعلمت التذمر يا أصمعيْ–

يقتربُ براكين الغضبْ و الأصمعيْ و مجاهدي عمرانْ من البوابة الرئيسية .. و تلك الساحة لم تخلوا من الأفغانْ .. و سيارات الإسعاف التي تنقلُ الجرحـــــى على عجلْ للداخلْ .. و ما إن يهموا بالدخولْ حتى يوقفهمْ الحارسْ:

-الحارسْ (بالأفغانية): هل أنتم جرحـــــى أم تودون زيارة جريحْ ؟

-الأصمعيْ (بالأفغانية): نحن زوار أتينا من كابولْ لزيارة أحد رفاقنا.

-الحارس (بعد تفكيرْ): تفضلوا .. جناح الجرحـــى الرجال على اليسارْ بعد قاعة الإنتظارْ.

-الأصمعيْ (ممتناً): شكراً..

-براكين الغضب) مندهشاً): و منذ متى و أنت تتقنُ الأفغانية ياحمزة ؟

-الأصمعيْ (ضاحكاً :(منذ أسرت بكابولْ ... و قضيت أياماً من أروع أيامـــِ حياتيْ.

-براكين الغضبْ: هل كنتم تقاتلون أحداً هناك ؟

-الأصمعيْ (بتنهيدة): أجلْ ..كنت بجيش عمران و كنا نشنُ بعض العملياتْ على الجيش الأمريكي و قوات المارينزْ هناكْ..

-براكين الغضبْ: رااااائعْ... أنت قائدٌ هناك .. و قائدٌ بقندهارْ..

-الأصمعيْ : ها هي قاعة الإستقبالْ .. فلنستدر لليسارْ.

يدخلُ براكين الغضبْ و الأصمعيْ و من معهمْ لجناح المصابينْ .. و الذي إكتظ حتى آخر رمقٍ منهْ بالمصابين و الجرحـــــــى .. فكان الذي بترت ساقهْ .. و الذي كان ينزفْ و الأطباء يحاولون إيقافَ نزيفهْ .. و الأطفالْ .. آهٍ من منظر الأطفالْ .. منهم من فقد عينهْ .. و آخر تعرض لشظيةٍ بظهرهْ ... وما يعصر القلبْ أطفالٌ فقدوا ذويهمْ .. أو أن ذويهم قتلوا أمامهـْ .. و يا ترى .. من لهمْ ، من لهمْ ؟

يتسمرُ براكين الغضبْ و الأصمعيْ .... لا يعرفان ما عليهما فعلهْ .. لكن الأكيد من أنهما متأثران لأقصى درجةْ:

-الأصمعيْ (هامساً :(لا أتمنـــى ذلك لأولاديْ.

-براكين الغضبْ (هامساً): لا أتمناهُ لأولادي و لا لأحدٍ أحبهْ.

صوتُ إمرأةٍ أفغانية تتألمـْ .. و تزحفُ على الأرضْ .. و تمسكُ بساق براكين الغضبْ الذي أصيب بالذعرْ ...وكانت تتوسلهْ .. و هو يحاول تهدأتها .. و لولا الخجلْ .. لأمسك يدها و أبعدها عنهْ .. إقترب الأصمعيْ .. و أخذ يدها و أبعدها عن براكين الغضبْ المصدومـْ مما رأى ... و الذي إحتضن وجهه بين يديهِ....

يقومُ أطباءٌ و طبيباتٌ بحمل المرأةِ الأفغانية بعيداً ... و الأصمعيْ يقتربُ من براكين الغضبْ:

-الأصمعيْ: هل تعرف ماذا كانت تقول لكْ ؟

-براكين الغضبْ (و خديه إصطبغا بحمرةٍ إمتزجت بالغضب و الحزنْ): لا...

-الأصمعي: كانت تتوسلك بأن تهديك شرفها .. على أن تعطيها بضعةَ قطع نقدية من أجل أن تشتري دواءً لإبنها الوحيدْ..

-براكين الغضبْ (يضعُ أصابعهُ على رأسهْ): رأسي يؤلمنيْ .. قد رأيت مناظر أبشعَ من هذهْ بالشيشانْ .. لكني أقسمُ بأني تأثرت بهذا الموقف كثيراً...

-الأصمعيْ: لا أعتقدُ بأن هذا هو الجناح الذي نريدهْ .. فلنبحث عن جناح المجاهدينْ .. هيا يا براكينْ..

-براكين الغضبْ: أين رجالك يا حمزة ؟

-الأصمعي: ربمـــــا ذهبوا ليتفقدوا أجنحة المستشفى الأخرى ... فلنذهب الآنْ..

-براكين الغضبْ: حسنٌ..

يخرجُ براكين الغضبْ و الذي بدأتْ قواهُ تضعفْ .. مما جعل الأصمعيْ يعاونهُ على السيرْ .. لكن براكين الغضبْ لم يعد قادراً على السيرْ أكثرْ .. و بدأ يرى كل شيءٍ مزدوجاً:

-الأصمعيْ: براكينْ ... أي براكينْ .. تماسكْ.

-براكين الغضبْ (و عينيهِ بدأتا تتعانقانْ.. ... .. :(

0

0

0

فجأة .. يسقطُ براكين الغضبْ وسط صراخ الأصمعـــــي و إستغاثتهِ للأطباء .. بأن يأتوا و يساعدوا صديقهُ الذي فقد الوعـــــي تماماً

–تماسك يا براكين .. تماسكْ -

0

0

0

)(**)(

)(

كانوا يتناولونْ الغداءَ كالعادة .. ماجد و نورة و أبناءهمـْ .. و كانت هي تجلسُ دائماً بالزاوية ملاصقةً للبابْ وتتناولُ غداءها لوحدها.. لكنها اليومـْ . غير موجودْة:

-ماجدْ (يمضغُ الطعامْ): أين بلقيسْ ؟

-نورة (تطعمُ صغيرتها :(لا أدري..

-ماجدْ (بغضبْ): كيف لا تدرينْ ؟ ألم تأتـــــي من المدرسة ؟

-نورة (بلا مبالاة): ماجدْ أولادك أكبر هَم بالنسبة إليْ ، و تلك المصيبة بلقيس حجر عثرةٍ بيني و بين أولادي . .. أرجوك .. أعدها إلى أيٍ من أقربائها..

-ماجدْ (بهدوءْ): لكن لا أقرباء لها يا نورة ... و قد عاهدت جاري بأن أحافظ عليها و أرعاها حتى يعودْ..

-نورة : هههه .. أرجوك لا تضحكنيْ .. مضـــى عام و أكثر و لم يعدْ ... أظنه قد ماتْ.

-ماجدْ (بغضبْ): صوني لسانك يا إمرأة ، و لا تقولي مثل هذا الكلام أمام الأولاد .. و خاصةً بلقيسْ.

-نورة (تهزُ كتفها بلا اكتراثْ): اذهب و ابحث عنها اذاً .. أنا مشغولةً بإطعام أولاديْ – و تصرخُ فيهم – كفوووووا عن هذا

الإزعاااااااااااااجْ.

-ماجدْ (يقومُ من مكانهِ): سأذهب و أرى أين هيْ...

يتجهُ ماجد صوب البابْ .. و يغيبُ لدقائقْ ليعود و هو يصرخْ بهستيريا:

-نوووووووووووورة الفتاةُ فاقدةٌ للوعي ، أظنهُ من سوء التغذية ، تعالي و ساعديني لنأخذها للمستشفى.

)(**)(

)(

يفتحُ عينيهِ ببطءْ . .. و ينظرُ للسقفِ الذي تصدع من زاويتهِ الجانبية .. فيحركُ رأسهُ ببطءٍ شديدْ، لتلتقي عينيهِ بهمْ:

-الأصمعيْ (يمسحُ على جبين براكين الغضبْ): حمداً لله على سلامتك يا صاحبي .. حمداً للهْ .. – ويدفنُ وجههُ بصدر براكين الغضبْ وهو يبكيْ... -

0

0

0

-أخبرتكمْ بأنهُ ليثٌ لا يخشى عليهْ.

0

0

0

فيلتفتُ جهة اليمينْ ليرى أحبة قلبهْ: ...

-براكين الغضبْ (و الدموعُ تود أن تترقرق بعينيهْ.. .. ... :(

-الشهبندرْ: سعيدٌ برؤيتكمْ مجدداً أيها الليثْ..

-مصعبْ: و أنا سعيدٌ بنجاتكمْ أيها الأميرْ...

ينظرُ إليهمـــــا براكين الغضبْ من تحت الأنابيب التي إتصلتْ بأنفهِ و ذراعهْ .. و الأصمعيْ ينظرُ إليهِ و حزنٌ ملأ روحهْ:

-الأصمعيْ: لم لمْ تخبرني بأنك مجهدْ ، إجهادك هذا أثر على دمك الذي ضعفْ فأصابك الجفاف الحادْ .. أشكر الله الذي ترحم بك و أنجاكْ...

-براكين الغضبْ (يحاول أن يبتسمـْ. ... :(

-الشهبندرْ: ناهيك عن الإصابات المتفرقة بجسدهِ و التي لم يداويهـــــا ..بل يكتفي بلفها بقطعةِ ثوبهْ .. أتذكر يدهُ المجروحة يا أصمعيْ؟

-الأصمعيْ : أجل أذكر .. لولا أننا عالجناه في الوقتِ المناسبْ لأصيب بالغرغرينـــــاْ .. صديقي و يخنقُ آلامهُ دائماً .. أعرفهْ ..

-براكين الغضبْ (يود خنق الإثنينْ فهو يكره النصائحْ.. .. :(

-مصعبْ (يسحبُ كرسياً و يجلسُ بالقرب من براكينْ): المهم بأنكم بخيرْ .. و نحن فخورون بمـــــا قمتم به من أجل قندهارْ .. فإشغالكم للقوات الأمريكية ساعدنا على تفريغ مناطق عدة من قندهارْ .. و إعادة الصفوف .. لكن .. كما ترونْ .. نحن محاصرون من كل جهة .. و مع الأيام نفقد المزيد من الذخائرْ..

-الأصمعيْ: لا تقل ذلك أيها القائد مصعبْ .. ثق باللهْ وحدهْ .. أسألهُ أن يرزقك الشهادة .. و النصر قريبْ .. و لا يعلمهُ الا اللهْ..

-الشهبندرْ: لكن القوات قد انتشرت بمناطق عدة بقندهار أيها الأصمعيْ.. و استولت على نصف محيط مطار قندهارْ .. و قد كثفوا القصف عليها ..و على جبال تورا بورا ظناً منهم بأن أسامة يتحصنُ هناكْ.

-براكين الغضبْ و الأصمعيْ (يتبادلان الإبتسامة فيغمزُ الأصمعي لبراكين. .. .. .. :(

-مصعبْ: لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيمْ .. أحس بغحباطٍ ما سرى بجسدي..

-الأصمعيْ: هل لأن براكين الغضب طريح الفراشْ ؟

-مصعبْ : يمثلُ براكينُ الغضبْ قوةً لا يستهانُ بها..

-الشهبندرْ: لا تقلق يامصعبْ .. سيشفى الليثْ .. أليس كذلك ؟

-براكين الغضبْ (يحدثُ نفسهْ):" أراهنُ بأن مديحك الدائم لي هو سبب سوء الحظ الذي يتبعني يا شهبندرْ"

-مصعبْ: دعونا نترك الليث ليرتاحْ ... و نتناول شيئاً من الطعام.. أراهن بأنك جائعٌ يا أصمعيْ..

-الأصمعيْ (يضعُ يديهِ على بطنهْ): أجلْ .. أكاد أموتُ من الجوعْ..

-الشهبندرْ: أيها الليثْ أنت بأمانٍ في هذهِ الغرفة .. أبعدناك عن الأجنحة الجماعية.. حاول النومْ..

-براكين الغضبْ (يومئْ بالإيجاب.. ... .. :(

يخرجُ مصعبْ .. يتبعهُ الشهبندرْ و الأصمعيْ ... و براكينْ الغضبْ يديرُ رأسهُ لتستقر عينيهِ على السقفْ مجدداً.. و يغلقُ عينيهْ .. فتعودُ الذاكرةُ به للوراءْ سنين خلتْ ... حيث كان هناكْ .... بين تلك التلال الخضراءْ .. بزيهِ العسكريْ .. مع خطابْ و الشهبندرْ ... و الأطفالُ يلعبون في المروج بأمانٍ و هم يرون هؤلاء الليوثْ في المنطقة ... يتوقفُ خطابْ .. و يضعُ يدهُ على خصرهْ:

-خطابْ: أتدري يا براكين الغضبْ .. لدي إحساسٌ بأنك ستغادرنا قريباً..

-براكين الغضبْ (مندهشاً): و لم تقول ذلك يا خطابْ ؟ لقد أحببت الحياة هنا ... و قررت العيش هنا .. و لم أنســـــى زيارة الخليج كلما تسنى ليْ..

خطابْ (مبتسماً): لم أقصد بأنك ستغادرنا إلى الخليجْ .. بل أقصدُ بأنك ستغادر الى مكانٍ آخرْ سيلمعُ إسمك فيهْ.

-براكين الغضبْ: أنا سعيدٌ هنا معكمْ .. و لا أجاهد من أجل أن يلمع إسمي يا خطابْ.

-خطابْ (يلتفتُ إلى براكينْ الغضبْ): بل أقصدُ بأنك ستصبحُ قائداً عظيماً بمكانٍ ما بعيداً عن الشيشانْ..

-براكين الغضبْ (و خوفٌ من المجهولْ من عينيهْ): أتعتقدُ ذلك حقاً ياخطاب ؟

-الشهبندرْ: و أنا أعتقدُ ذلكْ .. و أوافقُ خطابْ بإحساسهِ هذاْ..

-براكين الغضبْ (يجلسُ على صخرةٍ كبيرة): طالما تمنيتُ أن أخدم الإسلام بروحي و دميْ .. و ألبي نداءَ الجهادَ في كل مكانْ .. لكن بعيداً عن الشيشانْ كيفْ ؟

-خطابْ(يربتُ على كتفيْ براكينْ): سيصبحُ لك شأنٌ عظيمْ يا براكينْ الغضبْ .. و سترهبُ العالمْ لا الروس فقطْ ، وستصبحُ سيفاً من سيوف الإسلامــْ..

-براكين الغضبْ (مبتسماً.. .. .. :(

-خطابْ: لكن تذكرْ .. لا تفقد الأملْ ... و ضع هذهْ نصب عينيكْ : الثقة بالله .. الثقة باللهْ..

-براكين الغضبْ (مستغرباً): لكني أثق بالله يا خطابْ..

-خطابْ: أعلمْ ..لكن تعمق فيـــــها أكثر و ستفهم قصدي أيها الليثْ..

0

0

0

خطابْ ... خطابْ . كم إشتقت لصحبة أصحابي بالشيشانْ ... إشتقتُ لشيشان قلبيْ

0

0

0

0

صورةُ دماءٍ بفراش براكينْ .. و رداءٌ أبيضٍ ملطخ بالدماءْ .. يمسكُ به براكينْ .. و يبكي و يبكي كالأطفالْ

0

0

0

سحقاً سحقاً ، لعنة الله عليهمــْ لعنة الله عليهمــْ..

0

0

0

و يجدُ نفسهُ يصرخُ .. و يردد :لعنة الله عليهمــْ . لعنةُ الله عليهمْ..

و يدخلُ الغرفة رجلُ يمشي على عكازْ.. و يبدو أن رجلهُ مبتورة... يقتربُ من براكين الثائرْ .. و يضعُ يدهُ على جبين براكين الغضبْ المتعرق بشدة ... و أخذ يقرأ سورة الكرسيْ .. و بضعة آياتٍ أخرى .. و بدأت نفسُ براكين الغضبْ تهدأ .. و تهدأ .. حتى هدأ كلياً .. فيحدثهُ الرجلْ بكل هدوءْ:

-الرجلْ: هل إرتاحت نفسك الآنْ أيها الكريم ؟

-براكين الغضبْ (يلهثُ و يلهثْ.. .. .. :(

-الرجلْ: حاول أن تهدأ .. أظن بأنك مصابٌ بالحمـــــى...

-براكين الغضبْ (يتحدثُ بصعوبة واضعاً يدهُ على صدرهْ): المس.. المستش..

-الرجلْ (محاولاً أن يفهم ما يود براكين غضبْ قولهْ): ماذا تقولْ؟

-براكين الغضبْ (بصعوبة): إنهم قادمـــــ .. قادمـــ – و يصرخْ فجأة آآآآآآآآآآآآآآآآه .. صدري يؤلمني يؤلمني..

-الرجل (متوتراً :(مابالك ؟ مابالك ؟ إهدأ .. إهدأ.

و أصواتُ خطواتِ أقدامٍ تتخبطُ بأنحاء المستشفـــــى .. و إعلانِ حالة طوارئْ قصوى .. و أصواتُ أجهزة الانذار لا تكفُ عن الرنينْ .. و الأطفالُ يتصايحونْ .. و النسوة يبكين و يضربن رؤسهنْ .. و الرجالْ.. حتى المصابْ منهمــْ ..حمل سلاحهُ بيدهْ .. ولو كان عاجزاً يرقدُ على السرير أو مبتور الساقينْ...

يجري الأصمعيْ و يدخلُ غرفة براكين الغضبْ و يتحدثُ على عجل إلى الرجلْ:

-أرجوك عد إلى الجناح الذي أتيت منهُ و حاول الإعتصام هناك .. و إن وجدت سلاحاً فاحملهْ..

-الرجلْ (مندهشاً): لماذا؟.. مالذي يجري؟

-الأصمعيْ: أعلنت حالة الطوارئْ.. الطائرات تحلق قريباً من هنا .. و واضحٌ بأنـــــها تقتربُ منا .. و الدباباتُ متجهةً إلينا ... إننا في خطرْ .. هيا إذهبْ!!

-الرجلْ : فوراً..

-براكين الغضبْ (يحاول الجلوس والإتكاء على رسغيهْ): أعطنـــــي أسلحتي يا حمزة

-الأصمعيْ: إلزم مكانكْ.. لن أفارقك دقيقةً واحدة ... أنت مجهدْ..

-براكين الغضبْ: كف عن هذه الحماقة .. لستُ بضعيفٍ لينال مني المرضْ .. إني بخيرْ..

-الأصمعيْ: لا دخل لـــــي .. لا تجعلني أقيدك بالحبال يا براكين..

-براكين الغضبْ: إفعل إن كنت قادراً على منعيْ..

يدخلُ الشهبندرْ ومن ورائهْ أربعْ رجال في يد كل واحدٍ منهمْ حبلاً:

-الشهبندرْ: أعتذر منك أيها الليثْ.. لكن علينا تقييدك حتى نتأكد من سلامتك..

-براكين الغضبْ (يزمجرْ): لستُ طفلاً و لا عاجزاً.

يهجمُ عليه الرجال الستة .. و يحاولون تقييده . و براكين يقاوم ... و يصرخْ...

-ليس عدلاً ... ليس عدلاً.

-الشهبندرْ: هذا لسلامتكْ ... لا نريدك أن تتحرك..

و بعد أن أحكموا وثاقهْ.. كان براكين الغضبْ يحاول فك الحبالْ .. و تحريك السريرْ يمنةً و يسرة .. فيخرجُ الجميعُ من الغرفة .. و براكين يصرخُ و يشتمْ..

-عودوا إلى هنا أيهـــــا الأوغادْ ، سأنال منكمْ عندما أفك هذه الحبالْ.

0

0

0

تحول المستشفـــــى إلى ما يسمى بالثكنةِ العسكرية .. و توزع المقاتلون مجاهدين كانوا أم جرحـــــى .. و حتى عزلاً يحملون الحجارة بأيديهمْ ... خاصةً العرب منهم.. مصممين على المقاومـــــة .. و أن لا يسلموا أنفسهمْ.. و لن يخرجوا من ذلك المستشفـــــى .. لكن لا تمهلهم الطائراتُ وقتاً إضافياً .. و تقوم بقصف المنطقة ..و تسقطُ عدة قذائفَ على سقفِ المستشفـــى .. لتثير الذعرَ و الرعبَ بين المرضى و الأطباءْ .. و عند البوابة الرئيسية .. حيث يسبح الحارس مضطرجاً بدمائهِ على الأرضْ بعد أن أفرغ جنود الإحتلال الرصاص بجسدهْ .. أخذوا يطلقون النار على المجاهدين الذين بادلوهم بالمثلْ من وراء النوافذْ .. و أصابوا منهم ثلاث جنودٍ أمريكييْن..

بينما كان الجميعُ يقاومْ .. كان براكين الغضبْ يحاول كسر هذ القيد الذي طوق بهْ.. و يحاولُ تمزيق الحبل بحرارة الإحتكاك بين جلد ذراعيهِ و الحبالْ .. و الذي مزق أدمة جلدهِ لتسيل الدماءُ و تصطبغ بالحبلْ .. حتى يفك جانباً من الحبلْ .. و يقوم بتحرير ذراعيهِ و يفتحَ البقية.. و ما أن يقفَ على قدميهِ حتى تنفجر النافذة .. و ينبطحَ براكين الغضبْ أرضاً على بطنهِ ليحمي نفسهْ ... و تتطايرُ الشظايا بكل مكانْ .. لتمر لحظاتٌ .. يرفعُ براكينُ الغضبْ عينيهِ .. و تحدق عيناهُ بتلك الفجوة التي

أحدثتها على الأغلبْ قنبلة .. و رأى الجنودَ يتجهونَ تجاه هذه الفجوة ليدخلوا إلى المستشفـــى عبرها ... يقوم براكين الغضبْ بسرعة و يتناولُ رشاشهُ:

-لن أدعكمْ تدخلونْ .. لن أدعكمـــــْ..

و يقومـــــُ بتصويبِ النار على الجنودِ ويتبادلُ إطلاق النار معهمـْ .. ليسقط منهمْ اثنينْ .. و البقيةُ تحاولُ النيلَ من براكين الغضبْ .. قد زاد عددهمـْ .. و دخل أحدهم إلى غرفة براكينْ .. ليعاجله براكين بضربةٍ على وجههِ أسقطت خوذتهْ .. و تناول ذراعهْ و لواها لهْ .. و كان الجندي يحاول أن يضغط على الزنادْ..

ليوجه براكين فوهة الرشاشْ تجاه الجنودْ .. الذي أخذوا يطلقون النار . . لكن براكين الغضبْ.. قام و أدار الجندي لتستقر الرصاصاتِ كلها بصدرهْ .. فيتوقف الجنود عن إطلاق النارْ .. و يتوقفْ براكين الغضبْ للحظاتْ .. و ما أن يتذكر بأنهم كثرْ .. و رآهم يتحركون ناحيتهْ .. حتى رمى جثة الجندي .. و تناول رشاشهُ و متاعهُ على عجلْ .. و قبل أن يخرجْ .. إنتظر أن يدخل الجنود لغرفتهْ .. و أخرج قنبلة كانت بحزامهْ الذي بيدهْ .. ووضعها عند شفتيهْ .. وإنتشل المسمار الموضوعْ برأسها .. و رماهُ على الجنود . و خرج و أغلقْ البابْ .. و يدوي ذلك الإنفجارْ..

وأخذ يصرخُ بطبيبِ رآهْ:

-أرجوك ساعدني .. الجنود أحدثوا فجوةً هنا .. ساعدني على إقفالِ هذا البابْ .. ووضع شيءٍ ثقيلٍ هنا .. كي يأخرهم قليلاً ..

-الطبيبْ: بكل تأكيدْ..

في جناح آخرْ .. بجناح يخصُ قسم النساءْ.. كان الأصمعيْ و مصعبْ و الشهبندرْ ... و أربعُ مجاهدينَ من جنسياتٍ عربية: إثنان من غرب الجزيرة العربية، وواحدٌ من مصرْ .. و الأخيرْ من جنوب الجزيرة العربية

)و الذي كان مصاباً بقدمهْ.. .(

يتمركزون هناكْ .. و يقومون بالردِّ على الجنودْ و إطلاق النار عليهمْ من الأعلـــــــى، كان الأصمعي مفترشاً الأرض و بيده رشاشهْ، تحت النافذة،حيث ما إن تهدأ أصواتُ الطلقاتْ، حتى يقوم بسرعة و يوجهَ رشاشهُ على الأهداف المتاحة .. و يعودُ بسرعة للأسفلْ متفادياً النيرانْ .. و بقربهِ عند النافذة الأخرى .. يجلسُ مصعبْ الذي كان يشحذُ مسدسهُ.. و الشهبندرْ .. عند تلك الزاويةِ الأخرى .. يرمي الجنود بقنابلهِ اليدويةْ .. يحاولُ الأصمعيْ أن يسترخيْ .. و يستند على ذلك الجدارْ .. كان يتنفسُ بصعوبة .. و نفسهُ تحدثهْ:

-يا ترى هل براكين بخيرْ ؟ أظنهُ بأمانٍ في تلك الغرفة من المستشفـــــى .. لكن ماذا إن أصابهُ مكروهْ ؟

هنا تغير لون وجه الأصمعـــــيْ و شحبْ .. ووقف و قال بصوتٍ مذعورْ:

-ماذا لو أطلق الجنود قذيفة على غرفةِ براكينْ ، إلهي ماذا فعلنا ، سنتسبب بقتلهِ لا محالة.

-الشهبندرْ (يجلسُ على ركبتهِ اليمنى متكئاً على اليسرى يجهزُ قنبلتهُ التالية): لا تقلق .. هذا الليثْ ليس بهينْ.

-الأصمعيْ: لكننا أحكمنا عليهِ الحبالْ .. كيف سيتمكن من فكها.

و لحظاتٌ حتى يسمعُ أبطالنا طرقاتٌ قوية على باب الجناحْ .. أفزعهمـْ: ..

-مصعبْ :إنهمْ هم ، إستعدوا للقتالْ يا رجالْ.

-الشهبندرْ: أنا مستعدْ.

-الأصمعيْ: و أنا على أتم الإستعدادْ.

-المجاهدون الأربعة معاً: الله أكبر

و يقفُ الجميعُ قبالة البابْ ..و أسلحتهمْ بوجه البابْ .. حتى يقترب الشهبندرْ .. و الكل في ترقبْ .. و تقتربُ يدهُ من مقبضْ البابْ .. و الأصمعيْ يقربُ إصبعهُ من الزنادْ . ليفتح الشهبندرْ الباب بسرعة .. و ما أن يهم الجميع بإطلاق النار حتى يصرخ الطارقْ:

-ويحكم ، ويحكم ، أردتم قتلي مرة .. و الآن تريدون ذبحيْ.

لوهلة تجمد الجميعْ عندما إكتشفوا بأن الطارق ليس إلا براكين الغضبْ . فكيف إستطاع فك تلك الحبالْ .. أخفض الكل أسلحتهمـْ .. و إقترب الأصمعي و الشهبندرْ من براكين الغضبْ:

-هل حقاً فككت الحبالْ ؟

-براكين الغضبْ (ضاحكاً): لم؟ أتظنون بأنـــــي ضعيفٌ لهذه الدرجة ، قد هربت من أشهر السجون بالشيشانْ ما بالكمْ..

-الأصمعيْ و الشهبندرْ – والذي كان يمسحُ على لحيتهِ – يتبادلان النظرات.. ... ... :

و بعدها .. يضحك الجميعْ .. و يقترب مصعبْ من براكين الغضبْ:

-مصعبْ: صدق الجميع عندمـــــا لقبوك بالليثْ..

-براكين الغضبْ (بجدية): أراهن بأن الجنود تسللوا ببعض أجنحة المستشفى..و قد قاموا بتفجير جدار غرفتي ... و قتلت عدداً منهم و أقفلت الباب كي أمنعهم من الدخولْ .. لكن .. لا أظن بأني نجحت في ذلكْ..

-الشهبندرْ: لن ندعهم يصلوا إلينـــــا .. سنقاوم حتى النهاية..

-أحد المجاهدينْ: لن ينالوا منا...

-الأصمعيْ: و سنعتصمُ هنا حتى نموتْ.

-براكين الغضبْ : و أنا معكمـْ..

يكملُ أبطالنا مسيرة الجهادْ .. و أصروا و تعاهدوا على الصمودْ .. فإن تسلل الإحباط لأحدهمـْ .. كان الآخرون يحاولون رفع معنوياتهِ بتذكيره بمزايا الشهادة .. و جنات النعيمْ التي ستكون لهْ .. و بأنهُ سيكونُ من المفضلين عند الله تعالـــــــى .. و استمر إعتصامهـــمْ و مقاومتهمْ أياماً .. و أدركوا بأنهم محاصرون من كل الجوانب ..حتى إن قادةً من القوات الأفغانية المعارضة كانوا خلف باب الجناحْ .. يطلبون منهمْ الخروج و تسليم أنفسهم . لكنهم أبداً لم يستسلموا .. و هددهم قائد تلك الفرقة بأنهُ سيقوم بإقتحام الجناحْ . فاقترب براكين الغضبْ و الشهبندر من البابْ و صرخاً : لاااااااا .. لن نخرجْ..

-الشهبندرْ: إن قمتم بأيةِ حركة أخرى .. سنفجر المكانْ..

-براكين الغضبْ (بغضبْ): بل سنزرع قنابل تكفي لتفجيركم معناْ.

فيتمتم قائد الفرقة .. و يكيلُ باللعناتِ لهمــْ: ..

-القائدْ: عن أي جهادٍ تتحدثون عنهْ ، سلموا أنفسكم و كفوا عن ترهاتكم هذهْ.

-براكين الغضبْ : أيها الخائن لأفغانستان ْ و دين محمدْ . إخرس و إلا خرجتُ و قطعتُ لسانك و رميتهُ للكلاب الذين يحاصروننأ..

و يصمتُ القائدْ .. و كأن تهديد براكين الغضبْ و صوتهُ المدوي أجزعهْ .. ليضحك هو والشهبندرْ .. و يبتسم الأصمعـــــي و مصعبْ و بقية المجاهدينْ ... لكن.... إلـــــى متى هذا الصمودْ ؟ ..قد تعدا إعتصامهم ْ أسبوعاً و عدة أيامــْ .. و بدأ مخزون الطعام ينفدْ ... و المجاهد المصاب بقدمهْ كان يتألمْ ... و يتألمْ...

و ينادي ليحضورا له الطبيبْ:

-مصعبْ: لكننا لا نستطيع فتح البابْ ، إن فعلنا سيطلقون النيران علينا..

-براكين الغضبْ) يفكر... .. :(

-الأصمعيْ (يتحسس قدم الرجلْ): هل من حلٍ يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ: وجدتها .. سأخرج و أحضر الطبيبْ.

-الشهبندرْ :هل جننتْ ، سيقومون بتفريغ الرصاصات بصدركْ.

-براكين الغضبْ: لن يفعلوا .. أراهنكمْ على ذلكْ..

-مصعبْ: لكن يا براكينْ..

-براكين الغضبْ (و لمعانٌ بعينيهْ): ثقوا بـــــيْ..

يقوم براكين الغضبْ .. و يتحرك جهة البابْ و الكل ينظر إليهْ ... و يسأل الله النجاة .. فيقفُ براكين الغضبْ خلف البابْ:

-براكين الغضبْ: يا من تدعي بأنك قائد .. هل أنت هناك؟

0

0

و يأتيهُ صوتهُ الكريهْ:

-أنا هنا .. ماذا تريدْ ؟

-براكين الغضبْ (بسخرية): هل تريدُ أن أخرجْ ؟

-القائدْ :هل قررت أن تخرج أيها الليثْ ؟

-براكين الغضبْ (بخبثْ): مادمت ذكرت لقبيْ .. فأبصم بأنك تتعاون مع الجنرالْ الشابْ التابع للقوات الخاصة الروسية أليس

كذلك ؟

-القائدْ (مندهشاً): أوتعرفهْ ؟

-براكين الغضبْ يستندُ على البابْ:كان جاري في الماضيْ..

-القائدْ: كف عن التلاعب معي ْ.. و أخبرني متى ستقرر الخروج أنت و من معكْ ؟

-براكين الغضبْ: لي شرطٌ .. و بعدهُ سأحاولُ التفكير ْ..

-القائدْ: لقد رفعت الضغط ليْ..

-براكين الغضبْ (بحدة): أرسل رسالةً فورية إلى الجنرال و أكتب فيه: صديقٌ لك تحت الحصارْ.

-القائدْ: ماااااااااااذاااااا ؟

-براكين الغضبْ: نفذ ما أمرتك بهْ .. و أحذرك .. لو عرف الجنرال بأني هنا .. و أنك تهددني .. سيقوم بذبحك..

-القائد: أتسخر مني؟ سأبلغه الرسالة شفهياً لأرى ردة فعله التي تدعيها..

-براكين الغضبْ (يكتم ضحكتهْ): إذهبْ .. و عد و أخبرني بما قال لكْ..

-القائدْ: سأذهبْ و أعودْ . سترى...

-براكين الغضبْ: أنتظرك...

و ضحكاتٌ عند براكين الغضبْ .. و غضبٌ من خلف ذلك البابْ..

0

0

0

0

0

0

-أحمـــــــــــــــــــــقْ ، طراخ..

-كيف لك و لجنودي الأغبياء محاصرتهمْ ؟ كيف لكم أن تفعلوا ذلك ، أريدهم أحياءْ . لا أمواتْ.

يقف القائد و كفهُ تغطي صفعة المتمردْ:

-القائدْ: لكني لم أعرف بأنك لم تكن تريدُ أن نقتلهمــْ..

-المتمردْ (بغضبْ): لقد قام مسؤول في المخابرات بالإتصال بي من كابولْ .. و أخبرني أن ثمانيةً من العربْ متحصنين بالمستشفـــى .. و يعتقدُ بأنهم من القاعدة ... و لم أتصور بأن الليث بينهمْ ، حمقـــــــــــى .. أود قتلكم كلكم و أكل لحمكمْ ..

-القائدْ: أنا آسف سيدي سامحنيْ..

-المتمردْ (يشيرُ باصبعهِ للخارج): أخرج و لا ترني وجهك إلا بعد تعتقلهم ...، و أحذرك إن مسست إظفراً منهمــْ..

-القائدْ: لكن سيدي .. ماذا عن الرسالة ؟

-المتمردْ (يجلسُ بهدوء على كرسيهْ و يشعلُ سجارةً بين كفيهْ): إنها شيفرة قديمة ..و المقصود بها أريد طبيباً .. أحضروا لهم طبيباً مختصاً .. هيا إغرب عن وجهيْ..

-القائد) ينحني للأسفل و الأعلى): حاضر حاضر سيدي..

يخرجُ القائد الأفغانيْ .. و المتمردْ يدخن و يدخنْ:

-إذاً أنت هناكْ ...كما خططت لهْ .. وصلت لحتفك يا براكين الغضبْ .. أقسم على إقتلاع أظافركْ.. و جعلك تتألمــْ .. فلحظتها ستتمنى الموت أكثر من أي وقتٍ مضى ... هههههههههههههههه... كم أحب نفسي عندما أكون شريراً..

0

0

0

0

0

-أيها الليثْ .. جئنا بالطبيبْ..

يفتحُ مصعب و الشهبندر و الأصمعيْ و المجاهدين أعينهم غير مصدقينْ .. قد نجحت يا براكينْ الغضبْ .. يجري براكين الغضبْ ناحية الباب و يقف خلفهْ:

-براكين الغضبْ: قد جئت سريعاً أيها القائد العظيمــْ .. ترى هل أبلغت صديقي الرسالة ؟

-القائد (يحاولُ كتم غيظهْ): أجلْ..

-براكين الغضبْ (بسخرية): و هل بادلك بصفعةٍ ما على وجهك ؟

-القائدْ (يغلي و يغليْ): هل ستستمرُ بسخريتك هذه طويلاً ؟. إفتح الباب هيا وخذ الطبيبْ..

الأصمعي يشيرُ بيده لبراكين الغضبْ ليتوقف عن سخريته و يدخل الطبيب لأن الرجل يتألم بشدة:

-براكين الغضب: ها أنا أفتح البابْ.. و حذار من أية خدعة

-القائد: لا خدعْ صدقني..

يدخلُ الطبيب .. فيغلقُ براكين الغضبْ الباب بعد أن أفزعهُ منظر المقاتلين و الجنود الأمريكان خلف البابْ .. فاستند على الباب و أخذ يتنفس الصعداءْ..

يعاينُ الطبيب رجل المجاهد الذي كان يصرخُ بشدة: ..

-الطبيب: يؤسفني أن أخبرك بأن حالتهُ سيئةٌ جداً .. عليه تلقي علاج مكثفْ

-الشهبندرْ: كيف ذلك أيها الطبيب ؟ إن خرج من هنا سيقبضون عليهْ ؟

-المريضْ (و كان يتعرق بشدة): لا يهمني إن قتلوني .. المهم أن يعالجوني أو أن أموت شهيداً . لم أعد أستطيع التحمل أكثرْ ..

-براكين الغضبْ (حزيناً): أرجوك لا تستسلمــْ..

-الطبيب: قرروا الآنْ و أخبروني .. لدي دقيقةً للخروج

-المريض: سأخرجْ .. أرجوكم .. أخرجوني .. إما أن أعالج .. و إما أن أقتلْ..

-براكين الغضبْ... ... :

-مصعبْ: بم تفكر يا براكين الغضبْ ؟

-الأصمعيْ: أرى إن كانت هذه رغبتهْ .. فليقم بها.

-الشهبندرْ: لا أعلم ما علي قولهْ.

-المريض: آآآآآآآآآآآآه .. أرجوكم أخرجوني .. إنها رغبتي..

-الأصمعي (يحدق ببراكين الغضبْ): ماذا قررت أيها الأميرْ ؟

-براكين الغضبْ: لم أرد أن نستسلم .. لكن إن كانت هذه رغبتك .. فلن أمنعك..

-المريضْ (ممتناً): شكراً لك .. شكراً لكْ..

يخرجُ الطبيب معاوناً المريض ليمشي و الذي كان يلوح لأصحابهْ:

-لا اله الا اللهْ..

-الجميعْ: محمدٌ رسول اللهْ..

و يغلق براكين الغضبْ البابْ .. و ينظر إليهمــْ:.

-الأصمعيْ: و ماذا بعدْ يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ: شششش ... إسمعْ

و دوت طلقاتٌ مكثفة من النارْ لثوانٍ ثم توقفتْ..

-مصعبْ (بجزعْ): هل قتلوهْ فعلاً ؟

-براكين الغضبْ (يغلقُ عينيهِ هنيهةً ثم يفتحها بحدة): ترحموا على أخيكمـْ .. لقد أصبح شهيداً.

يجثي الشهبندرْ على ركبتهِ و قد نالهُ الإنهاكْ و الضيقْ:

-الشهبندرْ: متى يحينُ دورنا ؟.. أمر النجاةِ مستحيلْ .. فنحنُ محاصرونْ..

-مصعبْ: لا يهمني إن مت هنا .. فأنا لن أخرجْ .. سأموت بقندهار لأنها موطني..

-الأصمعيْ: لست خائفاً من الموتْ .. لكني أريد النجاة لتسنح لي الفرصة للعودة للخليجْ و إخبار الشباب و الناس أجمع عن تجربتي الحقيقية هنا .. فالإعلام أخفـــــى كل هذه الحقائق عنا .. من يعلم بأن الهدف ليس فقط إعتقال بن لادن و الليث؟ .من يعلم بأن لأمريكا مآرباً آخرْ .. من؟

-الشهبندرْ: بالنسبة لي.. أقترح أن ينجو الليثْ .. فأنت مهمٌ و مطلوب ثانٍ على لائحة القوات الأمريكية .. لذا سأبذل المستحيل لتنجو .. إن أمسكوك .. سأعدها إهانة لأني قطعت على نفسي بأن أحميك و أفديك بروحـــي .. و إن نجوت .. بعقليتك . . و خبرتك .. تستطيعُ تجنيد جيلاً قوياً من المجاهدين ليصبحوا مثلك يا براكينْ..

-براكين الغضبْ: لا .. سأموت معكمـْ..

-الأصمعيْ: صه يا براكين .. كلنا إتفقنا على أن تنجو..

-براكين الغضبْ: و أترككم هكذا و أذهبْ.

-مصعبْ: أيها الليث.. بإسمي و بإسم طالبان نرجوك أن تنجو بحياتك .. و خذ هذا – يخرجُ أوراقاً ملفوفة– هذه سجلاتٌ مهمة بها أسماء المجاهدين و القتلى و الشهداء و معلوماتٌ أخرى مهمة يجب ألا تقع بأيدي العدو ... و أنت أثبت عدة مراتٍ جدارتك بأيةِ مهمةٍ توكل بها .. أرجوك .. إن وصلت لبر الأمانْ .. سلمها لأحد قادة طالبانْ .. يدعى بأسد الله ... ليسلمها بدورهِ إلى أسامة بن لادنْ..

-براكين الغضبْ (و دمعةٌ تود أن تترقرقْ): لا . أرجوكم لا تفعلوا هذا بيْ أرجوكم،، لن أفارقكم .. لن.

-الشهبندرْ (بحدة): عليك تنفيذ الأوامر يا براكينْ .. إن كتب الله لنا النجاة سنتقابل بإذن اللهْ..

-مصعبْ: لا نعلم إلى متى سنظل هنا .. لكن ما هو أكيد هو أن تصل هذه الأوراق لأيدٍ أمينة...

-الأصمعيْ (يخفي حزنهْ و يقومُ بدفع براكين إلى نافذةٍ على الجانبْ): هيا أخرج .. حاول الهبوط للأسفلْ .. أتذكر عندما خبأت السيارة ؟ الآن إكتشفتُ ذكائك.. هيا إذهب .. سنغطيكْ..

-براكين الغضبْ (ينظر إليهمْ و يتحرك بتثاقلْ): أحبكم .. أحبكم في الله و أتمنى أن نلتقيْ..

-الأصمعي و مصعب و الشهبندرْ: بإذن الله..

ما أن يخرج براكين الغضب رأسهُ حتى يأتيه وابلٌ من النيران .. يرد عليه الشهبندرْ بقنابلهِ اليدوية..

و الأصمعي و مصعب و من معهمـْ يطلقون النيرانْ..

فينظرُ إليهم براكين الغضبْ بألمـْ .. و حسرة .. فيجثي على ركبتيهِ و يضم رأسهُ بذراعيهْ و يصرخْ:

-لا أستطيع ، لا أستطيعْ ، سأبقى معكمْ ، سأبقى معكمْ...

أترفض تضحيتهمْ يا براكين الغضبْ ؟.. لكن إن بقيت معهمـْ..

متى سينتهي هذا الحصارْ ؟.. ألا تتوقع نفاذ صبر المتمردْ ؟

و ربمـــــا أمر بإبادتكم جميـــــعاً ؟

الحلقة و الواحدة و العشرون: و جن جنون المتمردْ!!

يجثي على ركبتيهِ و يضم رأسهُ بذراعيهْ و يصرخْ:

-لا أستطيع ، لا أستطيعْ ، سأبقى معكمْ ، سأبقى معكمْ...

فيشدهُ الأصمعيْ من ذراعهِ و يحاولُ أن يرفعهُ من على الأرضْ:

-الأصمعيْ: براكين أبعد عنك العواطف ْ الآنْ . . إنها فرصتكَ للخروج من هنا..

-مصعبْ (يوجهُ النارْ على الجنودْ): هيا يا براكينْ الغضبْ...

-الشهبندرْ (يحدثُ نفسهْ " :(لا تضعفْ أيـــــها الليثْ . .. لا تضعفْ .. على جلدناْ إلا أننا بدأنا نضعفْ .. تماسك من أجلنا ... تماسكْ" ...

-براكين الغضبْ (مازال يصرخْ فيهمْ): هل أنتم مجانينْ .. ضقتُ ذرعاً مما أنا فيه ْ . أولها فقدتُ الأصمعيْ . . و صدمتُ بالمتمرد ْ .. و بعدها إستشهد الفارسْ الحبيبْ .. آآآآآآهٍ إني أرى ابتسامتهُ أمامي الآنْ..

-الأصمعيْ (يحاولُ أن يتماسكْ): أرجوك يا براكينْ .. لا تفتح المواجعْ علينا بهذا الظرفْ..

-براكين الغضبْ : لكني حزين ْ.. حزينٌ يا حمزة .. تعبتُ من هذا الفراق . .تعبتْ..

-مصعبْ: إنه إبليس اللعينْ أيها الليثْ .. تماسك رحم الله والديكْ..

-الأصمعيْ (يجلسُ بقرب براكين الغضبْ و يحدثهُ بهدوءْ): أيحزنك فراقنا يا براكينْ ؟

-براكين الغضبْ) يومئُ كالأطفالْ... ... :(

-الأصمعيْ (مبتسماً): قل لـــــي .. أتريدُ أن نعيش معاً في الدنيا .. أم الآخرة ؟

-براكين الغضبْ: خسرت الكثير من الأحبة يا حمزة .. خسرتهمـْ..

-الأصمعيْ: أتفهم وضعك .. هي مجردُ أحاسيس كانت مضغوطة و انفجرت الآنْ . أراهنُ بأن المتمردْ خطط لتحطيم نفسيتك .. أنت بالذاتْ...

-براكين الغضبْ: و ماأدراك !!! تأتيني حالات الاحباط كثيراً..

-الأصمعيْ: لا .... لم أرهـــا تصيبك الا عندما قدمنا الـــى أفغانستانْ...

-براكين الغضبْ (بغضبْ): كرهت نفسي ... لقد ضعفت ... ضعفت ْ..

-الشهبندرْ: بالعكسْ .. أثبت لنا بأنك انسانٌ عظيمٌ و لديه مشاعرْ..

-براكين الغضبْ: لا تخفف عنـــي يا شهبندرْ ..صرتُ ضعيفاً ... ضعيفاً..

-مصعبُ: أتريدُ أن تعود قوياً ؟

-براكين الغضبْ: أجلْ..

-مصعبْ) يشدُ على ذراع براكين الغضبْ): اذاً إنهضْ ... و دع الثقة بالله التي تحرككْ ..الثقةُ باللهْ..

0

0

0

إنهـــا وصيةُ خطابٍ لـــيْ..

0

0

0

-مصعبْ: ثق بأن الله سيقويك .. و يمدك بالقوة و الإصرارْ . . و صدقني ..إن كانت نوايانا صافية حقاً .. سنلتقي مرةً أخرى ..و لو كان بعدها موتنا....

-براكين الغضبْ (و لمعانٌ حزينٌ بعينيهْ.. ... .. :(

-الأصمعيْ: الثقةُ بالله يا براكينْ ... الثقةُ باللهْ..

-الشهبندرْ: و نعم باللهْ..

-براكين الغضبْ: لا أستطيعْ .. لا أستطيعْ .. سأبقـــــى هنا حتى النهاية..

طرقاتٌ شديدة على باب الجناحْ أفزعتْ المجاهدينْ السبعة ... فكان الثلاثةُ الذين إعتصموا مع أبطالنا الأربعة يقفونَ بالقربِ من البابْ .. و كانوا يشدون على أسلحتهمـْ .. بينما كانتْ مسحةٌ من الدهشة تعلوا وجوه أبطالنا .. و كأنهم تعرضوا لمفاجأةٍ على حين غفلة .. تشتدُ الطرقاتُ أكثرْ فأكثرْ .. و رجالٌ يصرخون من ورائهْ.. و أصواتُ طلقاتِ نارْ.. ليصرخ قائدهمْ:

-القائدْ: لديكم عشرُ دقائقْ لتسلموا أنفسكمْ و إلا قمنا بكسر البابْ و إبادتكمْ جميعاً.

-الأصمعيْ (مذعوراً): أعتقدُ بأن علينا تغيير الخطة .. الموضوعُ جديْ و ليس مجردُ حصارْ.

-الشهبندرْ: لن ننجو كلنا .. الأغلب بعضنا عليه النجاة بحياتهْ..

-مصعبْ (يغلقُ عينيهْ): أنا مستعدٌ للبـــــــقاءِ هنا..

-براكين الغضبْ: أيها القائدُ مصعبْ .. إما أن نموتَ معاً ... و إما أن ننجو معاً...

-مصعبْ (صامتاً. .. .... :(

0

0

0

طرقاتٌ أخرى قوية و رصاصاتٌ فرغت بالبابْ .. فينبطحُ الجميع للأسفلْ .. و كان الأصمعيْ ممدداً بين براكين الغضبْ الذي وضع ذراعيهِ خلف رأسهْ، و الشهبندرْ الذي مدد ذراعيهِ على الأرضْ ليهمس من تحت الطلقاتْ:

-الأصمعيْ: أي براكينْ .. هل من فكرةٍ يا صاحبي؟

-براكين الغضبْ (يصرخُ ليسمعهُ الأصمعي): أظنها اللحظة الأخيرة فعلاً يا أصمعيْ – و تشتد الطرقات بقوة أكثر و أكثر بشكلٍ مخيف و تراجع المجاهدينْ الثلاثة زحفاً للخلفْ .. حيث أصيب أحدهم برصاصةٍ بساقهْ .. و آخر بكتفهْ ..و كان الباب يكادُ ينتزعْ..

-مصعب ْ(متوتراً): لأول مرةٍ بحياتي أحس بالخوفْ.

-براكين الغضبْ (يقف على رجليهِ و يتناولُ رشاشهْ): إما أن نموت كالجبناءْ .. أو أن نموت كالشجعانْ..

-و أنا إخترت ُالثانية .. و سأمسك بسلاحي و أقتل قدر ما أستطيعْ قبل أن أموتْ – تك تك.. -

و الأصمعي ينظرُ إليهْ .. و التك التك مازالتْ...

فينظرُ الأصمعيْ لرشاشهِ و يفتحُ علبةً مـــــــا فوق ذيل الرشاش ليرى .. اللاشيءْ ، لا رصاصْ ، لا وجود لهْ ،و هذا هو تفسيرُ التك تك عند براكين الغضبْ

...فأخذ الشهبندرْ يتفقد ذخيرتهْ .. و لم يتبقـــــى إلا رصاصة واحدة .. لكنها لا تكفي لردع جيشٍ كامل يقفُ وراء هذا الباب ْ... و المجاهدين الثلاثة .. . تخرسهم الصدمة ... .. خاصة أن الذخيرة التي معهمْ نفدتْ أيضاً بسبب المقاومة المتواصلة ليل نهارْ لأيامٍ عديدة....

-الأصمعي (يرمي الرشاش على الأرض و يمسكُ خنجراً): لا مفر من المواجهة .. أراهنُ أن المتمردْ يريدنا أحياءاً أم أمواتاً ..

-الشهبندرْ : لا نملك ما يكفيْ من الذخيرة.. حتى القنابل اليدوية نفذتْ... ..

-مصعبْ: أملك قليلاً من الرصاص ببندقيتي...

تراجعٌ من المجاهدين الثلاثة .. لكن .. لحظاتٌ حتى وقفوا بجانب أبطالنا..

-براكين الغضبْ : سأقاوم و لو بيديْ هاتينْ..

-الشهبندرْ :فلنرى من خلف البابْ و لحظتها نقرر كيفية النيل منهمْ.

-الأصمعيْ : شششش ... إستعدوا ... إنهم يحاولون كسر البابْ...

يقف الكل بصفٍ طويلْ جداً ... ينتظرون لحظة سقوط البابْ .... و ثوانٌ عصيبة تمر ... و العرق يتصبب من جبين الأصمعيْ .. و نظراتٌ شرسة من عينيْ براكين الغضبْ .. و الشهبندرْ الذي لم يتوقف عن العبثْ بلحيتهْ .. و مصعبْ هادئٌ .. يراقبُ الموقفْ ... حتى يسقط البابْ و يتحطم لقطع صغيرة من ركلةٍ لأحد الجنودْ .. فيصرخ براكين الغضبْ:

-إنبطحـــــــــــــــــوا.

و ما أن ينبطح الجميعْ .. حتى ينطلق وابلٌ من النيران على جدار الجناح المقابلْ للبابْ .. بسيلٍ مستمر.. و برغم الخوفْ .. كان براكين الغضبْ يحطمُ قطعة البلاط التي بأسفلهْ بيده التي غرقت بالدماء ْ.. و أخفى أوراقاً ما تحت تلك القطعة و أحكم وضعها مرةً أخرى .... و مازلت النيرانْ تحلقُ كالنسور الجارحة .. بلا توقف .. تبعتهَا لحظة هدوءٍ انقشعتْ فيها غمامةُ الغبار و الدخان التي أثارتها ... وصرخةٌ من بين تلك الغمامة:

-قفوا و أرموا أسلحتكم على الأرض.

يحاول براكين الغضبْ أن ينظر ناحية البابْ ... ليرى ذلك الوجهْ صاحب هذا الصوتْ ... الذي لن ينساهُ أبداً ... لتعانق عينيهِ عيني المتمردْ المليئتينِ بالحقدْ...

يقفُ براكين الغضبْ .... و يقفُ من بعده الشهبندرْ و الأصمعيْ و مصعبْ .. و قد شلت المفاجأة حركة المجاهدينْ الذين جمدوا بأمكنتهمْ و لم يستطيعوا الوقوفْ .. فأكثرُ ما يخشى منه الناس بأفغانستانْ هذا المتمردْ المعروف بوحشيتهْ ... فأيةُ مفاجأةٍ هي أن يحضر المتمردْ بنفسهْ إلى هنا.

يضعُ المتمردْ ذراعيهِ على خصرهْ، و يبتسمُ بخبثٍ و مكرْ:

-المتمردْ: إذاً مازلتمْ أحياء.

-براكين الغضبْ (بغضبْ): أحياءٌ حتـــــى ننال منكْ.

-المتمرد (يقتربُ من براكين الغضبْ و ينظرُ إليهِ من الأعلى لأسفلْ :(و أراك بصحةٍ و عافية .. و كأن مفاجآتي لم تمسك بشيءْ.

-براكين الغضبْ) يبصقُ بوجهِ المتمردْ الذي أغمض عينيهْ): هذه إجابتيْ..

يقفُ المتمردْ و جسدهُ يرتعشُ غضباً .. و يفتحُ عينيهِ و ينظرُ بحقدٍ إلى براكين الغضبْ الذي كان يضحكْ..

و يمسحُ البصقة بظهر يدهْ .. فيصرخ مصعبْ الذي رفع بندقيتهُ بوجه المتمردْ:

-مصعبْ : سأقتلكْ.

و قبل أن يضع إصبعهُ على الزنادْ .. يغرقهُ الجنودُ برصاصاتٍ إنغرستْ بجسدهِ و أخذ جسده يتراقصُ حتى سقط ميتاً على الأرضْ ، الشهبندرْ متسمراً يهذي باسمهْ:

-الشهبندرْ: مصعبْ ، مصعبْ.

-الأصمعيْ (يقتربُ من جثة مصعبْ غير مصدقْ.. ... . :(

-المتمردْ (مبتسما بخبثٌ. ... .. :(

-براكين الغضبْ: وغدْ – و ينقضُ على المتمردْ الذي جحظت عيناهُ من الدهشة– سأقتلك ، سأقتلكْ ،

-الشهبندرْ: لا يا أيها الليثْ.

-الأصمعيْ..... ... :

كان المتمردْ بين رحمة يدي براكين الغضبْ الضخمتينْ ..

و اللتين كانتا يخنقان المتمرد الذي إزرق و إحمر و إصفر .. و جنودهُ يخشون الإقترابْ ... – أخفتهم يا براكين الغضبْ لعلمهمْ بأنك مقاتلٌ قويْ – .. ليستغل الشهبندرْ الموقفْ .. و يشير للمجاهدين الثلاثة بالهروب من النافذة .. و الأصمعي يتناول بندقية مصعبْ و يقفُ بالقرب من براكين الغضبْ و يضعُ رأسه على جبين المتمردْ و يوجهُ كلامهُ للجنود:

-خطوةٌ واحدة و سأقتلُ الجنرالْ.

-براكين الغضبْ: سأقتلهُ الآنْ ، الآن سأخلص العالم من هذا الشيطانْ.

-المتمردْ : اققق .. اقققق .. اقققققققققق – ويدهُ تدخل لجيبهِ الأيسرْ– ...

-براكين الغضبْ: حانت ساعتك أيها الجبانْ ، لم أتوقع بأنك غبيٌ لتقف قريباً مني هكذا.

-الأصمعيْ (ينظرُ إلى المتمردْ بدهشة... .. :(

-المتمردْ (يحاول إخراج يده من جيبهْ . ... .. :(اقققق . اقققق..

و فجأة يصرخ الأصمعيْ:

-إحذر يا براااااااااكينْ.

و ما إن غفل براكين تلك اللحظة حتى ينتشل المتمردْ ذلك المسدس الصغير ليتراجع براكين الغضبْ للخلف... فانتهز المتمردْ تلك الفرصة و خلص نفسهُ من أسر براكين الغضبْ .. ووقف قبالتهُ و بيده المسدسْ: ...

-الأصمعيْ (ينظرُ للمتمرد بغضبْ): ألن تكف عن ألاعيبك هذهْ.

-براكين الغضبْ (بغضبْ): تباً لهْ....

-المتمردْ: إعتقدت بأني سأتوصل لتسويةٍ ما معكمـــ .. لذلك جئتُ بنفسي إلى هنا..

-الأصمعيْ.. .. :

-براكين الغضبْ.. ... ..:

-الشهبندرْ... .. ... :

-المتمردْ : لكني لن أرحمكم اليومْ أبداً .. – فيشيرُ للجنودْ – .. خذوهم لسجني الخاصْ...

-العسكري : أتقصد بمعسكر القوات المتحالفة ؟

-المتمردْ (و أبخرةٌ تخرجٌ من عينيهِ من الغضبْ): بل إلى سجني الخاص ، الخاص بي هم سجنائي و لا دخل للقوات المتحالفة بما أفعل ، نفذوا الأوامر بدون أية أسئلةٍ سخيفة أخرى.

-العسكري (يخبطُ الارض بقدمهْ): علمْ.

يقيدُ الجنود أبطالنا بالسلاسلْ .. و يقودونهمْ عبر الأجنحة الأخرى .. و بينما هم يسيرون بتلك الممراتْ .. حتى يروا المآسي

في تلك غرف المرضى .. نوافذُ محطمة .. و دماءٌ على الأسرة و تغطي الجدرانْ .. الرجال و خاصة المصابين يُضربون بالأسواطْ ، و نسوةٌ يصرخنْ و يستنجدنْ .. و جثثٌ ملقاةٌ هنا و هناكْ..

أدمعت عينيْ الأصمعيْ .. و براكين الغضبْ ينظرْ بمشاعر امتزجت بالحزن و الغضبْ ليهمس بنفسهْ:

-لا حول و لا قوة إلا بالله العليْ العظيمْ ، لا حول و لا قوة إلا باللهْ...

-الشهبندرْ (بنفسهْ):أتراها النهاية ؟٠

0

0

0

-آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآ آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآ ه

0

0

0

صرخةٌ ما بعدها صرخة تهز الأبدانْ..

و المتمردْ يضرب .. و يضربُ بسوطهِ الغليظ جسد براكين الغضبْ المقيد الذراعين للأعلـــــــــى .. و قد تمزقت أنحاءٌ كثيرة بجسدهْ .. و تلطخت بالدماءْ .. و المتمردْ .. يتوقفْ قليلاً .. و يتناولُ كأس الماء البارد متلذذاً مستمتعاً .. و براكين الغضبْ يتألم بداخلهْ .. يحاولُ التماسك .. برغم العرق المتصبب من جبينهْ: ..

-المتمردْ: هل ستعترفُ بإستسلامكْ و تعلن خضوعكْ .. لنكمل عملية التفاوضْ ؟

-براكين الغضبْ (يلهثْ): أبداً ، أبداً.

-المتمردْ) يمسكُ بفك براكين الغضبْ بقوة): إعترف بالخسارة .. لن ينفعك هذا العنادْ .. و لا تسترك على أصدقائك بالشيشان و القاعدة.

-براكين الغضبْ (يبصق بوجه المتمردْ): خسئتْ.

يغلي المتمردْ .. و ملامحُ وجههِ لا تسر .. مما جعل بعض جنودهِ يخرجون من غرفة التعذيبْ .. ليصرخ المتمردْ

-أحضروا الجلادين إلى هنا هيااااااااا.

و يحضرُ خمسُ رجالٍ ضخامْ ... و بلهجةٍ غاضبة و هو يمسحُ البصقة عن وجههْ:

-أريدكم أن تحطموا عظامهْ ، لاأريدهُ أن يمشي مرةً أخرى ، أريدُ أن أنام على صوت صراخه ، هيا.

و يخرجُ من الغرفة و يغلقُ الباب من خلفهْ.. و براكين الغضبْ لم يكف عن الصراخْ ... صراخٌ فظيع .. خاصة أنهُ يضرب بالسوط و عصيٍ معدنية. فيهبُ العسكري إلى المتمردْ يرجوهْ:

-العسكري :سيدي . أعتذر عن تدخلي . .. لكني أرى بأنك قد بالغت بتعذيبهم مذ أحضرناهم إلى هنا ، لو علم رامسفيلد بذلك .. فسيغضب.

-المتمرد: لا يهمني رامسفيلد و لا غيره أنا الجنرالْ .. و أنا الآمر هنا . فليبحثوا عن أسامة في الكهوفْ..

-العسكريْ (متألمٌ كلما سمع صراخ براكين الغضبْ) : سيدي .. لكنك تبالغُ بهذا التعذيبْ .. أرجوك سيدي . فلننقلهم بالسجن بدلاً من ذلكْ..

-المتمردْ) بغضبْ): أبداً ، ثم كيف تجرؤ على الإعتراض على أوامري ؟ من سمح لك بذلك.

-العسكري (ينظرُ للأسفلْ يحاول كبت مابداخلهِ من أسى): أعتذر سيدي الجنرالْ..

-المتمردْ: إسمعْ .. أنا عائدٌ الى المعسكر ْ لأحيك قصةً ما لأولائك الأغبياءْ .. لأبرر مجيئي إلى هنا . .لا أريدهم أن يعرفوا شيئاً عن ماحصلْ .. أريدُ أن تحطموا عظام هؤلاء الثلاثة ، سأعود غداً..

-العسكري : نعم سيدي..

-المتمردْ: و عند عودتني .. أريد منك تجهيز غرفة الحفلة..

-العسكري (بذعرْ... .. :(

-المتمردْ: لدي حفلةً خاصة مع صاحبي الغالي .. أقسم على تعذيبه حتى يتمنى الموت رحمةً بهْ .. أقسم..

-العسكري: و ماذا عن البقية ؟

-المتمرد: ههههه ... سأقوم بالتمثيل بجسدهمْ أحياءً أمامهْ ... هههههههه... أعدُّوهم بأبهى حلة و صورة...

-العسكريْ (يبتلعُ ريقهْ): أجل سيدي..

-المتمردْ : شيءٌ آخرْ...

-العسكريْ: نعم سيدي..

-المتمردْ: أطلب من عملائنا بالخليج ليسرعوا بتنفيذ العملية التي طلبتها منكْ .. إنها فرصتي مادام الليثُ بين يديْ.

-العسكريْ: نعم سيدي..

-المتمردْ (يعيدُ ترتيب شعرهِ و من ثم يضع قبعتهُ على رأسهْ): سأذهب الآنْ..

-العسكريْ. ... ... :

يتقدم المتمردْ بضعة خطواتٍ ثم يعود إلى الخلف و يهمسُ بأذن العسكري الذي بدا التوتر واضحاً على وجههْ:

-إحذر من أن تقوم بحماقةٍ تثير غضبيْ .. أحذرك فأنا لا أخدعُ بسهولة.

-العسكري) يفتحُ أزرار قميصه من الأعلى ليتنفس بسهولة): علم سيدي..

تعودُ البسمة على وجه المتمردْ .. و يخرجُ من الغرفة .. و العسكري ينظرُ بحزنٍ في اللاشيءْ .. وتسري قشعريرةٌ بجسدهِ كلمـــــــــا وصلَ صراخُ براكين الغضبْ لأذنيهْ:

-قد جن جنون الجنرالْ ، قد جن جنونهْ.

هل أعتبرُ ذلك بدايةً لجنون المتمردْ .. أم مازلنا في البداية ؟

ما أتمناهُ هي معجزة .. تفك أسر أبطالنا .. لأردد معها

اللهم فك أسر أسرانا من المسلمين و المجاهدين بكل مكانْ .. اللهم آمينْ..

يجلسُ الشهبندرْ مسنداً ظهرهُ إلى الجدار .. متألماً من الضرب الذي تعرض لهْ . . و الأصمعيْ.. يتحسس جسدهُ .. و براكين الغضبْ مازال يصرخ.. وصوته ُيصل لزنزانتهما:

-الأصمعي (بهستيريا): سيموت ، لم يتوقف الضرب منذ أتينا إلى هنا.

-الشهبندرْ: لقد مرت ساعاتٍ طوال و لم يتوقف الليث عن الصراخ.. و هذا يعني بأنهم مستمرون بضربهْ..

-الأصمعي ْ(يقف و يمسكُ قضبان السجن و يهزهُ بعنفْ): توقفوا عن هذه الإنتهاكات أيها الكلابْ ستقتلونهْ...

-الشهبندرْ (بأسى و يخفي دموعهُ ببطن كفهْ): لا فائدة يا أصمعيْ ..قد جن جنون هذا المتمردْ .. و هو مصرٌ على تعذيب الليث حتى الموت ْ..

-الأصمعيْ : إن أراد تعذيبهُ فليفعل.. لكن لا أن ينتقم منهُ بدافع الحقد و لأسبابه الشخصية التافهة.

-الشهبندر: لا تنســـــى بأنه مر بظروفٍ صعبة بحياتهِ جعلته إنساناً غير سويْ..

-الأصمعي: لا شأن لي بهْ أريدهم أن يوقفوا هذه الحيوانية.

يتوقفُ صوت براكين الغضبْ فجأة .. و يتبادلُ الأصمعي و الشهبندر نظراتٍ لم تخلوا من الرعبْ:

-الأصمعي (بصوتٍ خافتْ و مازال ممسكاً بالقضبانْ): أتراهُ فقد الوعيْ ؟

-الشهبندر: أخشى الأسوء يا أصمعي .. يكفيني بأن يقتل صديقي مصعبْ أمام عينيْ .. إن حدث لليث مكروهٌ أيضاً فلن أسامح نفسي ، ليتني أجبرتهُ على الخروج من الجناحْ ، لن أسامح نفسي يا أصمعيْ–

-و ينخرط بالبكاءْ-

يقتربُ الأصمعي من الشهبندرْ.. و يخاطبهُ بهدوءْ:

-الأصمعي : أرجوك لا تبكي .. ستبكيني معكْ.. –دمعةٌ تترقرق– أسأل الله أن يغفر لمصعب و يسكنه جنات النعيمْـــ.. لم يقتل ... بل سقط شهيداً .. أما براكين الغضب فهو بمثابة الأخ و الصديق لي..

-الشهبندرْ: كنتُ أعتبرهُ إبناً لي .. و أخاً و صديقاً .. و على صغر سنه إلا أنني أعتبرهُ قدوةً لي.

-الأصمعيْ: و هو يكن لك معزةً خاصة يا شهبندرْ ... أذكر الله و توقف عن البكاءْ.. قل لا إله إلا الله..

-الشهبندرْ – يكفكفُ دموعهْ – : لا إله إلا الله محمدٌ عبدهُ و رسولهْ

-الأصمعيْ (مبتسماً): ... ... لا تقلق ... سيكون بخيرْ – ... بنفسهْ:آمل ذلك-

خطواتٌ أقدامٍ تقترب من الزنزانة:

-الأصمعي :شششششش ... هناك أحدٌ ما قادمْ...

-الشهبندرْ: لربما أحضروا الليثْ ؟

-الأصمعيْ (يسترق السمعْ): لا أعتقدُ ذلكْ ، فانا أسمعُ خطوات شخصٍ واحد لا عدة أشخاصْ – يلتفتُ إلى الشهبندرْ –ربما هو المتمردْ ، لكني أعرف خطواتهِ المغرورة ..من هذا يا ترى ؟

-الشهبندرْ (بذعرْ): هل هو شخصٌ جديدْ ؟

-الأصمعيْ (تضيقُ عينيهْ): سنرى الآنْ0.

0

0

0

من هذا يا ترى ؟ لو ركزت تحت هذه الإضاءة الخافتة بالزنزانة أرى شخصاً يرتدي زياً ..

مممممـــــــ .. عسكرياً .. لكنهُ مختلفٌ عن زي المتمردْ .. من هو يا ترى؟

)(**)(

)(

يتوقفُ الأصمعي و الشهبندرْ عن الحديثْ .. فتقتربُ خطوات الأقدام من زنزانتهمـــا.. فيقفُ الرجل العسكريُ أمام الزنزانة:

-الأصمعيْ: ماذا تريد أنت الآخرْ؟.. أتريدُ أخذنا للتعذيبْ ؟

-العسكري.. .. .. :

-الشهبندرْ: لا أظنهُ يفهمنا يا أصمعي .. لا أظنهُ يتقن العربية..

-العسكري: بل أتقنها...

-الأصمعي و الشهبندرْ (مندهشينْ.. .. :(

يدخلُ العسكري المفتاح بالقفلْ .. و يفتح باب الزنزانة و يدخلْ ... فيخلعُ قبعتهُ و يجلسُ على الأرض بالقرب من الأصمعي و الشهبندرْ المصعوقينْ:

-الشهبندرْ: أتجلسُ معنا على الأرض أيضاً ؟.. من أنتْ ؟

-الأصمعيْ: أنا أعرفهْ .. إنهُ العسكري الملازم للمتمردْ كظلهْ .. إلتقيتهُ عندما أسرتُ بمعركة جبهة قندهارْ...

-العسكريْ : بل أنا ذراعهُ الأيمنْ..

-الشهبندرْ: ماذا لديك ؟ لا نريدُ أن تغشنا أنت الآخر كما فعل المتمرد ببراكين و الأصمعيْ..

-العسكري (مبتسماً): جئت لأساعدكمْ..

-الأصمعيْ (يفتحُ فاههْ): جئت تساعدنا ؟

-العسكري :أنصتا إليْ ولا تقاطعانني..سيعودُ الحراس لحراستكما بعد وجبة العشاءْ...

-الأصمعيْ (بجدية): تفضلْ..

-العسكري: أعلم بأن ذلك يصعب تصديقه .. أنا نفسي لا أعلم لم أفعل ذلك .. لكن لإحساسي الذي يقول لي بأن ما يقوم به الجنرال قد تجاوز الحد.. برغم كره الجنرال لليثْ ... إلا أنهُ معجبٌ به .. و أحياناً يطلب منا الإيقاع بهْ .. و قتلهْ .. قد حاولنا قتلهُ عدة مراتْ .. لكنه كان ينجحْ في الهربْ .. و برغم أن ذلك كان يغيضهْ في بعض الأحيان .. إلا أنهُ بأعماق قلبه كان يضحك و يضحك .. و أرى ذلك بمحياهْ .. و كأنه كان يعلم بأنهُ سينجو..

-الشهبندرْ) بدهشة): و كأنهُ يلهو معهْ..

-العسكريْ: و أحياناً كان يخبرني عن شخصية هذا الليثْ.. و قوتهْ .. و أنا أرى شجاعتهْ . و حب الجميع لهْ .. حتى أنت أيها الأصمعيْ .. قد تعرضت للأسر .. للتعذيب .. و لم تقدم أي إعترافْ.

-الأصمعيْ. .. ... :

-العسكريْ: أعجبتني خصلة الإخلاص هذه .. و برغم بأني أدين بالمسيحية .. إلا أنني أحس بأن حياتي بلا هدفْ.. و لا يوجد هدفٌ من مجيئنا غلى هنا .. أما أنتمْ .. فتدَّعون بأنكم تقاتلون للهْ..

-الأصمعيْ: لا ندعي ... بل هي الحقيقة..

-العسكري: جئتُ إليكم لأريح ضميري .. و لن تهمني أيةُ عواقبْ .. أريدُ مساعدتكم للخروج من هنا..

-و من أفغانستان غلى الأبدْ إنكم شبابٌ تضيعون وقتكم في حربٍ لا تعلمون متى تكون نهايتها..

-الأصمعيْ :أخطأتْ يا أخيْ .. لا يهمنا متى قد تنتهي الحربْ .. يهمنا أن نقدم المساعدة لإخوتنا المسلمينْ.

-الشهبندرْ: لا تحبطنا أرجوكْ .. أنا قاتلت في الشيشان و عدت لأفغانستانْ .. حياتي كانت كلها سعيدة برفقة إخوتي المجاهدينْ و مساعدة الأبرياءْ..

-العسكري: في الشيشان إنتصرتم أيها العربْ.. و الأهم بوجود المضايقات من الروس .. إلا أنكمْ تملكون أغلب زمام الأمور هناكْ أما هنا بأفغانستانْ الموضوع غير منتهٍ بإنتشار أعمال الشغبْ ..و الحروب الطائفية هنا .. و معاداة الأفغان لبعضهم البعضْ .. إستيقظوا أرجوكمْ.. إنكم تضيعون وقتكم هنا...

-الأصمعيْ: لن أعود .. سأموت هنا..

-الشهبندرْ: و لا أنا .. إفعلوا ما شئتمْ بي .. أنا لن أعودْ...

-العسكريْ: إن كنتم ْ لا تريدون العودة .. فعلى الليث أن يعود للخليجْ.

-الأصمعيْ: و لم الليثُ بالذاتْ ؟

-الشهبندرْ: أجلْ .. لم الليثْ ؟

-العسكريْ: لأن لديهِ سببٌ ما هناك سيجعلهُ يعودْ..

-الشهبندرْ: سببْ ، أي سببْ ؟

-العسكريْ: لا أستطيع إعطاء تفاصيل أخرى .. المهمْ .. قد تحرينا عنكم و عن حياتكمْ في الخليجْ..

و أعرف كل شيءٍ عنكمْ .. لكني لم أجدْ شيئاً مهماً يخصكمْ لكني وجدتهُ في الليثْ.. و على أساسهِ طلب مني الجنرالْ أن أتصرفْ.

-الأصمعيْ (بخوفْ): و ما هو هذا الشيءْ ؟..

-العسكري: أختصر الكلام بأن هذ الشيءْ يخص عائلة الليثْ .. و أعتذر لا أستطيع الحديث أكثر فهو خاص بهْ..

-الشهبندرْ: لأول مرةٍ أعلم بأن لليث عائلة ، هو يتيم هذا ما أعرفهْ.

-الأصمعيْ (مندهشاً :(أجلْ ، أنا صديقهُ المقربْ .. وأعرف كل شيءٍ عنهْ .. عن أيةِ عائلةٍ تتحدثْ.

-العسكريْ (يقوم من مكانهْ): أرجوكما لا تضيعا الوقتْ ... سيأتي الحراسْ .. و علي إخراجكمْ من هنا.

-الشهبندرْ : كيف سنخرجْ ، و ماذا ستفعلْ أنتْ إن علم المتمردْ بهروبنا.

-العسكريْ (يشد على عينيهْ): لا تقلقْ.. سأتدبرْ نفسي ، هيا إتبعانيْ..

أصحيحٌ ما قرأتُ للتوْ ؟ إنقلابٌ خطيييييييييرْ قد حصلْ ؟ و معلوماتٌ

أخطر سمعتها للآنْ ، بدأت بعض الخيوط تنكشفْ ،

و بدأ الغموضُ يصبحُ أكثر وضوحاً ، تابعوني .. لم تنتهي الحلقة الواحدة والعشرون بعدْ

و بدأ الغموضُ يصبحُ أكثر وضوحاً ، تابعوني .. لم تنتهي الحلقة الواحدة والعشرون بعدْ

)(**)(

)(

يضعُ العسكريٌّ قشاً تحت ملاءاتِ الشهبندرْ و الأصمعيْ كنوع من التمويهْ .. و الأصمعيْ يراقبُ الباب المؤدي إلى السجنْ، و الشهبندرْ يرفعُ سبابتهُ لينهي آخر ركعةٍ من صلاة العشاءْ... يضربُ العسكري كفيهِ ببعضهما البعض لينفض عنهما بقايا القش و الغبارْ:

-العسكري :هكذا نضمنُ أنكمـــــا موجودان إلى الفجرْ .. حيث سيسعفكم الوقت للإبتعادْ قبل أن يأتي الحراس ليتفقدوكمْ قبل ذلك الوقتْ.

-الأصمعيْ (متسائلاً): ألست المسؤول هنا ؟ تستطيعُ أن تمنعهمْ من المجيءِ إلى هنا.

-العسكريْ (بضيقْ) كنت .. فبعد أن حاولت مواجهة الجنرال قبل مغادرتهِ.. أحسست بأنه سيكون على حذر... و أحس بأن الجميع يراقبونني..

-الشهبندرْ: و كيف سنخرج الآنْ ؟

-العسكريْ :إنتظراني هنا .. سأذهب إلى سجن الليثْ .. لقد أمرت الطبيب المناوب بأن يعالج جروحهُ على الأقل... دعوني أتفقدهُ و أحضره إلى هنا .. إبقيا هادئينْ..

-الأصمعيْ و الشهبندرْ (مبتسمينْ.. .. .. :(

يخرجُ العسكري من الزنزانةِ و يقفل الباب من خلفه ، فيلتفتُ الأصنعيْ إلى الشهبندرْ:

-الأصمعيْ: مارأيك يا شهبندرْ ؟

-الشهبندرْ (يحك رأسهْ): لا أعلم حقيقةً يا أصمعيْ .. فالذي حصل غير قابلٍ للتصديق للآن ، كيف يوالي الكافر المسلمْ ؟ أترى هنالك أية مصلحةٍ من الموضوعْ.

-الأصمعيْ (بريبة): لا أرى شيئاً برغم أني لا أصدق بأننا وثقنا بهْ .. دعنا ننتظر و نتحقق من صدقهِ معنا..

-الشهبندرْ: لدي إحساسٌ بأن الله معنا يا أصمعي .. و لذلك سخر لنا قلب هذا الكافر ليخرجنا من هنا..

-الأصمعي (باسماً): صدقت يا شهبندرْ . أليس الله مع المجاهدينْ ؟. و ألم يقل سبحانهُ بكتابه الكريمْ {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } الحج ٣٨

-الشهبندرْ: لا إله إلا اللهْ

يقتربُ العسكري من غياهبِ سجنٍ آخر .. تفصلهُ عنهُ قاعةٌ إتخذها الحراس مجلساً لهمْ.... وكان يسمعُ أصوات الحراس المناوبين عن بعد.. و الذين تعالت ضحكاتهم بسبب الشربْ .. و ما إن نظر إليهمْ حتى غعتدلوا في جلستهمْ:

-العسكريْ) بالروسية): تعلمون بأن الشرب ممنوعٌ وقت المناوبة..

-أحد الجنود : نعتذر سيدي..

-العسكري (بخبثْ): لكني لا أمانعُ بأن تكثروا الشرب اليوم إحتفالاً بإمساكنا لعدو جنرالنا اللدودْ.

يصرخُ الجنود مهللين .. و تتصادمُ الكؤوسُ على مائدة القلوب الخاوية ... و يرتشفون الكأس تلو الآخر .. و العسكر ي ينظر إليهمْ بشفقة.. و ما أن يتحرك خطوتينْ . حتى يصل لمنعطفٍ ضيقْ .. خلا من الإنارة .. و تكاد تسمع خطوات أصابع الجرذان التي تهرولُ هاربةً من تحت أقدام البشر ْ. .. ليصل إلى غرفةٍ ضيقة ... ومن خلف الباب ممرٌ أضيق .. مهترئْ .. و ما أن يضعُ العسكري يدهُ على الباب حتى يحدثهُ أحدهم من خلفهْ:

-لا أرى ضرورة لوجودك هنا سيدي.

-العسكري (يلتفتُ بإستغرابٍ للخلفْ): آه ديفيد – وبدأ يتعرقْ – ماذا تفعل هنا ؟ خلتك تحتفل مع الحراس.

-ديفيد (بملامحه الباردة): تعرفُ أن الجنرال أوكل إليْ مهمة حراسة الليث .. و هذه مسؤوليةً كبيرة..

-العسكري (يضغطُ على المقبضْ و يديرهُ لليمينْ): أعلمْ...
-ديفيد (وأسنانهُ تكشف لمعاناً ناصعاً): أنصحك بالتنحي عن طريقي يا سامْ .. فبرغم قربك من الجنرالْ .. إلا أن أصولك اليهودية لن تشفع لك أي تصرفْ.

-سامْ (يفتحُ البابْ): دعني الآن ..علي تفقد السجينْ..

-ديفيدْ (يضعُ يدهُ على كتف سامْ): بعد أن تتفقدهُ أعطني المفتاح .. لأنهُ قد وصلتني أوامرُ بالإحتفاظ بالمفتاح معيْ.

-سام) غير مبالٍ): حقاً.

-ديفيدْ: أجلْ.

-سام (يدخلُ إلى الداخلْ :(إتفقنا.

يدخلُ سام إلى الداخل و يغلقُ الباب من خلفهْ .. و ديفيد مازال يبتسمُ و كأنهُ يقولْ : سأنحيك يا سام!!

من خلف ذلك البابْ .. ساحةٌ صغيرة .. فيها مكتبٌ قديمــٌ .. و يبدو أنهُ وضع لأحد الحراس ْ.. و عدةُ زنزاناتٍ صغيرة .. و أغلب أبوابها كانت مفتوحة لأنها خاليةٌ من المساجين .. إلا زنزانةٌ واحدة ... منارةٌ بضوء الشمعدان ... و ما إن إقترب منها سام، حتى رأى الليث ممدداً على الأرض .. و بقربهِ الطبيب يعالجهُ و يضعُ الضمادات على جسدهْ:

-الطبيبْ: أظنهُ قادراً على السيرْ .. لقد قمت بمعالجة ما أستطيعُ معالجتهْ..

-سامْ (يجلسُ على ركبيتهِ و يمدُ يده ُ متحسساً الجروحْ المتفرقة :(أتمنى أن ينجو..

-الطبيبْ (بخوفْ): هل أنت متأكد من أن أحداً لا يعلمُ بوجدي هنا ؟

-سامْ: لا .. أنا الوحيد الذي أملك هذا المفتاحْ..

-الطبيبْ: سام ..أنت تعرف الجنرال .. لن يعجبهُ ذلك ، أنت تعرف أنه أوصى الحراس أيضاً بأن يتفقدوا السجين طوال الليلْ.

-سامْ (ينفثْ بقوة) : لقد رتبت كل شيءْ .. إلا مشكلةً واحدة إعترضتنيْ ، و هي أن ديفيد سيستلم المفتاح منيْ ، و هذا يعني بأن الحراس على أقل تقدير سيمرون بالقرب من الزنزانة و القش خدعةٌ مكشوفة بهذا الموقفْ إذا قمتُ بها.

-الطبيبْ (يلملمُ أغراضهْ): و ماذا عن الآخرينْ ؟

-سامْ: لا. إني أضمنُ بأن لا يزوهمْ أحدْ..

-الطبيبْ: و ماذا ستفعلْ الآنْ ؟

-سامْ: لا أعلمْ ، لا أعلمْ إني أفكرْ..

-الطبيبْ) يقفُ حاملاً حقيبتهُ السوداءْ): كن حذراً .. و الآن فلنخرج الآنْ..

-سامْ: هيا..

يخرجُ سام و الطبيبْ .. و يحكمُ سام إغلاق الباب المؤدي للزنزانة .. و يسيران بحذر . حتى يصلا لمفترق ممر.. و يسيرُ الطبيب جهة اليمينْ .. و يكملُ سام طريقهْ .. و يمرُ على الحراس الذين شاركهم ديفيد الاحتفالْ .. حيث تلاقت عيناهْ مع سام و هو يرتشفُ الشرابْ .. و سام.. إكتفى بأن ينظر إليهِ من دون أيةِ مشاعرْ .. و أكمل سيرهْ .. حيث كان الحراس ينادونهْ .. فعلل ذلك بأنهُ يريدُ تفقد المعسكرْ في الخارجْ....

سامْ (يهمسُ بنفسهْ): " كيف ليْ أن أخرج الليث من السجنْ و كل هؤلاء الحراس هنا لم أتوقعْ أن يحكم ديفيدْ على عنقي هكذا ، أراهنُ بأن الجنرالْ قام بتوصيتهِ عليْ.

كان الأصمعيْ و الشهبندرْ ينتظران سامْ على أحر من الجمرْ .. حتى سمعا صوت القفل يفتحْ، فيفتح سام باب السجن و يدخلُ إليهما:

-الأصمعيْ (مستبشراً): هل الليثُ بخيرْ ؟

-الشهبندرْ: أخبرنا هل هو بخيرْ.

-سامْ (بخيبة أملْ): هو بخيرْ . . و قد تأكدت بأن الطبيب قد قدم له العلاج اللازمــ .. و بأن الحراس منشغلون بالشربْ . لكن توجدُ مشكلةٌ إعترضتْ طريقي و لا أعلمُ ما عليَّ عملهْ.

-الشهبندرْ) بدهشة): أيةُ مشكلة ؟

-الأصمعيْ: لا تقلْ لي بأن المتمردْ قد عادْ.

-سامْ: لا .. لكن الجنرال لديهِ إحساسٌ بأني قد أقدِم على مساعدتكما .. ولأنهُ يظن ذلك أعطى أوامرهُ بأن يقوم رئيسُ الحراس بحراسةِ زنزانة الليثْ و أستبعدُ أن يقوم أيٌ من الحراس بزيارتكما اليومْ لإنشغالهم بالليثْ.

-الشهبندرْ: وكم طريقاً يؤدي إلى سجن الليثْ ؟

-سامْ: طريقٌ واحدْ فقط.

-الأصمعيْ: و كم مرةً على الحراس تفقد الليثْ ؟

-سامْ: عشرُ مراتٍ على الأقلْ إن لم أكن مخطئاً في حال إستلام رئيس الحراس للمفتاح مني لأنهُ لا يحب التجوال بين السجون .

-الشهبندرْ (بحزنْ): كيف سنخرجهُ إذاً ، و كيف سنخرجُ يا أصمعيْ.

-الأصمعيْ(يسترخي بجلستهْ مسنداً ظهرهُ للجدارْ): إني أفكرُ يا شهبندرْ..

-سامْ (يحتضنُ جبينهُ بيدهْ مفكراً بعمقْ): كنت أريدُ إخراجكم الآن .. و قد قمتُ بتوفير الملابسْ لتتنكروا بها .. و سيارةُ جيب جاهزة لتنقلكمْ لقندهار على الأقلْ .. و من هناك أنصحُ بأن تهربوا عبر هيراتْ .. و من هيراتْ إلى إيرانْ .. و من هناك عودوا للخليجْ ، لدي أصدقاءٌ في مطار طهران ..و عند حدود إيران .. سيقدمون لكم التسهيلاتْ .. و لدي جوازاتُ سفرٍ مزيفة لكمْ أيضاً لكي تستطيعوا الطيران من دون أية مشاكلْ .. وعندما تصلون إلى هناك .. ينتهي دوري...

-الأصمعيْ: هيرات إيران ..لكنك تعرف الشيعة هناك ، لا أتوقعُ أن نمر بسلامٍ لحظة وصولنا إلى هناك.

-سامْ: أين إلاهكمْ من ذلك ؟ ألا تقولون بأن الله يساعد المجاهدينْ ؟

-الشهبندرْ (مبتسماً): بودي أن أعرف من أين تملك هذه الأفكار أيها العسكري.. أأنت مسيحيٌ حقاً ؟

-سامْ: أدعى سام .. أنا مسيحيٌ لكن والدي يهوديْ .. و أستطيع قراءة أفكاركم أيها المسلمون .. – يضحكْ – و أعتقدُ بأني بدأتُ أتأثر بكمْ..

-الأصمعيْ: لكن أخبرنا .. ماذا عنك ؟.. هل ستبقى أم ستذهبُ معنا ؟

-سامْ (ينظرُ للأرضْ): سأبقى .. علي محاولة تأخير عمل عملائنا في الخليجْ .. على الأقلْ أسبوعينْ.. كي أضمن وصول الليث إلى هناك..

-الشهبندر: هكذا كأنك تقول لليثْ توقف عن الجهادْ.

-سامْ :عليهِ ذلكْ ... لقد قام بما فيه الكفاية..

-الأصمعيْ (يصرخُ بغبطة:(

وجدتها

!

ينظرُ إليه سام و الشهبندر بعد أن أفزعهما ... و أردف قائلاً

-الأصمعي: وجب على أحدنا إنتحالُ شخصية الليثْ .. و هكذا يتأكد الحراس من أن الليث موجودْ.

-الشهبندرْ (ينظرُ غلى الأصمعيْ برعبْ): لا تقل لي بأنك تريد إنتحال شخصية الليثْ.

-سامْ) هادئْ. ... :(

-الأصمعيْ: أجلْ أنا لقد أسرني الجنرال ذات مرة .. . وغضب لأن الجنود بكابول أطلقو سراحي .. له ذلك .. سأفدي صديقي بنفسي. و قبلهُ أفدي ديني..

-الشهبندرْ: أنت تعلم بوجود حلولٍ أخرى يا أصمعي ْ تريث أرجوك.

-الأصمعيْ: لا خيار لنا .. و لا أظن بأننا نملك الكثير من الوقتْ .. صح سام ؟

-سامْ: أجلْ .. صحيحْ..

-الأصمعيْ: هيا سامْ .. علينا أن نقوم بعملية التبديل تلك الآن، مادام الحراس غافلونْ .. فكر بطريقةٍ ما أدخل بها لزنزانةِ الليثْ...

-سامْ: سأطلب العون من حارسٍ أثقُ بهْ لكي يخرج الليثْ .. فهو غائبٌ عن الوعي حالياً..

-الشهبندرْ: أيها المجنون ماذا سيفعلُ بي الليث إن علم بأنك هنا ؟ ماذا سيفعلُ الأصمعي بك لا تتصرف كالمجانينْ أرجوك.

-الأصمعيْ (يضعُ كفهُ على فم الشهبندرْ): شششششششْ .. إخفضْ صوتك ستجعلُ الحراس يهرعون إلى هنا ، سأنفذ ما أريدهُ و لا تناقشنيْ ، لا تنسى بأني أميرٌ كالليثْ و عليك إطاعتي يا شهبندرْ.

-الشهبندرْ (بأسى): أرجوك .. فكر بحلٍ آخرْ أرجوك..

-الأصمعيْ (ينظرُ بعينينْ تخفي آلاماً و أحزاناً): لا أملكُ حلاً آخرْ يا شهبندرْ .. و أنا سعيدٌ بهذا الحل .. إلى متى سأظل هارباً من الجنرال؟.. من قدري!!

-الشهبندرْ: لكنك تملكُ الخيار .. تلك الخيار..

-الأصمعيْ (مبتسماً): قدري أنا أحل محلهُ بكل سرور .. أليس هذا أقل شيءٍ أفعلُ لديني ؟.. أليس هذا أقل شيءٍ أفعلهُ لكما ؟.. ألم يقل الرسول عليه الصلاةُ و السلام: المسلم للمسلمْ ؟

-الشهبندرْ (صامتاً. .. .. :(

-الأصمعيْ :لا تنس بأن لدينا أوراقاً مهمة أوصى مصعبْ بأن يسلمها براكين الغضبْ إلى بر الأمانْ..

-الشهبندرْ.. . .. :

-سامْ: حسنٌ اذاً ... سنبدأ فوراً .. سآخذك أيها الشهبندرْ إلى الساحة الخلفية للمعسكر حيث أن لا حراسة هناك اليومْ .. و سترتدي الزي الذي وضعتهُ هناك...

-الشهبندرْ (ينظرُ إلى الأصمعيْ بضيقْ :(سأذهبْ...

-سامْ: و من بعدها سنذهبُ يا أصمعي إلى السجن الذي يقبعُ فيه الليثْ .. سألبسك ثياب طبيبْ .. و سيأتي معنا أحد الحراسْ ..

-الأصمعيْ :جاهز...

يعانقُ الشهبندرْ الأصمعيْ بحرارة:

-الشهبندرْ (يحتضنُ الأصمعي بقوة و يمسحُ دموعهُ بكتف الأصمعيْ): أتمنى أن أراك أتمنى أن أراك ، أحسُ بنارٍ تأكل قلبيْ..

-الأصمعيْ (مبتسماً): لا اله الا الله يا شهبندرْ...

-الشهبندر: محمدٌ رسول اللهْ...

يتبعُ الشهبندر سامْ و الأصمعي كان يبدلُ ملابسهُ و يرتدي ثياب الطبيب .. و يضع شوارب مزيفة ويرتدي السماعة الطبية .. و هناك .. في الساحة الخلفية .. يقوم سامْ بتعليم الشهبندر كيفية قيادة هذا النوع من الجيب المتطورْ . و أخذ يخبرهُ عن نقاط التفتيش عند حدود إيران و أفغانستانْ .. و كيفية العبور من هيرات إلى هناك .. و معلومات أخرى ستفيدهمْ لهروبهم .. و من بعد أن تأكد بأن الشهبندرْ قد حفظ كل شيءٍ عن ظهر قلبْ .. عاد مرةً أخرى إلى الأصمعي و الذي كان رائع التنكرْ .. و اصطحبهُ و أحد الحراس .. متجهين إلى سجن الليثْ .. عندما وصل الثلاثةُ للمكان الذي كان يجلس فيه الحراس .. و كانوا قد وصلوا لأقصى درجاتِ الثمالة .. و كان ديفيد ثملاً هو الآخرْ .. و هذا ما أراح سامْ و الذي كان يتصبب عرقاً من أن يكون ديفيد بوعيهْ ويطالبهُ بالمفتاح . ويقوم بسؤالهِ عن هذا الطبيب الذي أحضرهُ بهذا الوقتْ .. فتكشف الخطة كلها.

-سامْ :فلنسرع .. ساعاتٌ و سيعود الجنرالْ.

يفتحُ سام قفل الباب .. و يديرُ المقبضْ .. و يدخل و من معهُ على عجلٍ متجهين غلى زنزانة براكين الغضب و الذي مازال فاقداً للوعي .. كان سام يراقبُ الطريق .. و كان الحارسُ و الأصمعي يلبسان براكين الغضبْ ملاءة الطبيب التي كان يرتديها الأصمعي...

للحظاتْ .. حيث تمنيتُ أنا أن يتوقف فيها الوقت .. كان الأصمعي ينظرُ إلى براكين الغضب .. مغمض العينينْ .. و بداخله تساؤلاتٍ كثيرة .. كثيرة جداً . . " كيف لليتيم الذي أعرفه عائلة ؟. عن أيةِ عائلة تحدث سام؟.. هل حقاً لك عائلة تركتهم من أجل الله و رسوله يا براكينْ ؟.. أنا تخليت عن من أحببت . .. عن خطيبتي .. و جئتُ إلى هنا برغم المضايقات التي تعرضتُ لها بوطني . و الصعوبات التي توقعتُ حدوثها .. و أنتْ على الرغم من أنك لم تفارقني يوماً إلا أنك مازلت غامضاً بالنسبة ليْ ...و مادمت حافظت على هذا السر ْ.. فإني أريدُ أن أموت و أنت مازالت غامضاً بالنسبة لي .. لأني أحب براكين .. براكين الغضب الغامضْ .. و ليمت سؤالي المحيرْ معي.

من أنت فعلاً يا براكينْ ؟

!

!

-هل إنتهيتما؟.. علينا الرحيلْ.

-الأصمعي: إنتهينا .. هيا إحملاهُ الآن..

يضعُ الأصمعي ذراعيْ براكين الغضب على أكتاف سام و الحارسْ .. و يطبعُ قبلةً على جبين الليثْ .. و يخفي دمعةً بقلبهْ ... و يلوحُ لهما من بعيدْ .. فيعيد سام إقفال باب الزنزانة .. و يدخلُ الأصمعيْ بفراش براكين الغضبْ ... و يرفعُ يديه للسماءْ:

-اللهم إني نذرتُ بأن أخدم هذا الدين .. و بأن أقدم العون لكل محتاجْ ... و نذرت بأن أفدي بروحي هذا الدين .. و بأن أفدي بها إخوتي المجاهدين .. أسألك بعظمتك .. بقوتك . بأن تؤمن الطريق لأخوتي في الله .. و تجعلهم بحمايتكمْ.. و ترجع أخي في الله و حبيبي براكين إلى ديارهِ سالماً .. اللهم ثبت قلبي .. و أعني على قول كلمة الحقْ و بأن لا أضعف .. فاني أعلم بأن لحظتي قد حانت .. قد مللت الكر و الفر .. و حياة الدنيا و ما فيها .. و سأمت أن أنظر إلى الأبرياء و هم يقتلون .. أسألك بأن أموت شهيداً .. و أسألك أن تكتبني عندك شهيداً .. اللهم آمينْ .. اللهمْ..

يصمتُ للحظاتٍ .. ينظرُ فيها بنوع من الضياعْ .. و يرفعُ يديهِ للسماء مرةً أخرى:

-اللهم .. إني ظلمتُ نفساً أحبتني بصدقْ .. و ضحت لأجلي الكثيرْ .. سامحني ربي لأني سببت لها الاذى.. و ما فعلت ما فعلت إلا من أجلك .. فسامحني .. و إغفر لي .. و أكتب لها السعادة حيثما كانتْ . . – و دمعةً حاااااااااااارة على خدهْ – و إرزقها الزوج الصالح الأفضل منيْ..

بكاءٌ .. بكاءٌ لكن بصمتْ . بصمتْ .. يحاولُ كبت مشاعرهْ .. و جعلها خالصةً لله عزوجل .. يقاوم الشيطان الذي يرديهُ أن يحس بالأسى على هو فيه .. لكنهُ يغالبُ ذلك .. و لا يريدُ أن يصبح فريسةً لقلبهْ .. لقلبهْ ... و قرأ ما تيسر لهُ من القرآنْ .. و تدثر بالملاءة من رأسهِ لقدمه .. و استسلم للنوم من شدة الإرهاق و التفكيرْ ... فهو لا يعرفُ ما ينتظرهُ من مفاجآتْ..

بين تلك الصحراءْ . و تحت ستار الظلامـــــْ . و ضوء القمر الخافتْ .. يقودُ الشهبندر بأسرع ما لديهْ تنفيذاً لوصية سام لهْ .. و براكينُ الغضبْ بدأ يستعيدُ وعيهُ على هزات الطريق الوعرة ... ووضع بطن كفهِ على وجههِ ومسح عليهْ ... ثم نظر بدهشةٍ إلى السماءْ .. و إلتفت إلى يسارهِ ليرى الشهبندر الذي صرخ فرحاً:

-حمداً لله على سلامتك أيها الليثْ ، حمداً لله على سلامتكْ.

-براكين الغضبْ (يعقد حاجبيهِ دهشةً): أين أنا ؟ ماذا تفعل عندك ؟ – و يلتفتُ ليمينهِ – و ما كل هذا الظلامْ ؟

-الشهبندرْ (ينظرُ للطريق و يلتفت إلى براكين الغضبْ): قصةً طويلة يصعبُ شرحها الآنْ ، قندهار أمامنا الآن ،.. سنصل و سأخبرك بكل شيءْ..

-براكين الغضبْ: أين حمزة ؟

-الشهبندرْ (يبتلعُ ريقهْ): سأخبرك ريثما نصلْ . هو بخيرْ ... سيلحقُ بنا...

-براكين الغضب (ينظرُ بضعف حيث مازال مرهقاً): أمتأكد؟

-الشهبندرْ (بنوع من الثقة كيْ لا يصطادهُ براكين الغضبْ): أجلْ..
-براكين الغضبْ (يبتسم و هو مغمضن العينينْ): أعلم بأنك كاذبٌ يا شهبندر ْ.. لكن طالما حمزةٌ بخير كما قلت وسيلحقُ بنا ..فأنا مطمئنْ..

-الشهبندر: إسترخ قليلاً .. سنصل الآنْ..

-براكين الغضبْ – .. .. : يغلقُ عينيهِ من جديدْ.. -

أتراك ستفتحُ عينيك على خبرٍ سعيدْ ؟

ليتك تنام هانئاً و لو للحظاتٍ كالآنْ

كما خطط لهُ سامْ ... و الذي كان يجلسُ في مكتبهْ .. يقلبُ القلم بين يديهْ والحراس مازالوا ملتهين بالشرابْ-:

"لا أعلم مالذي فعلتهْ ؟ كيف لي أن أفعل مافعلت ؟ خنت وطني وقمتُ بمخالفة أوامر رئيسي و الذي يمثلُ الوحشية نفسها .. ماذا فعلت ؟ أحمل المسيحية بدمائي .. و عقيدتي يهودية بحتة .. و التي تدعوا للتنكيل بكل من يشهدُ أن لا إله إلا اللهْ . .. و مع ذلك قمت بمساعدة شخصيةٍ نلاحقها منذ أشهرٍ طويلة ..و لو نلنا منها لزلزلنا صفوف المجاهدين بالعالم كله .. لم وقفت بصف هؤلاء الذين يحبون الموت ؟. .. لم ؟..

خبطةٌ على قفا البابْ .. أجزعت سام ْ و الذي كاد يقعُ من على كرسييهْ ... و نظر هلعاً للذي يقتربُ منهُ ببطءْ .. يحملقُ بوجهِ سامْ:

-مالذي فعلتهُ يا سامْ.

إبتلع ريقهُ عدة مرات .. و حاول التماسك و لو مرةً واحدة في حياتهْ .. وحاول أن يضبط مشاعرهُ المتخبطة وتحركت شفتاهُ بنوعٍ من القوة:

-فعلتُ ماذا سيدي الجنرالْ ؟

-المتمردْ) يرفعُ ذراعيهِ للأعلى): لقد تفقدت الليث بنفسي و رأيت بأنهُ مازال فاقداً لوعي .. وقلبي الطيب منعني من أن أفسد نومه.. و رأيتُ مدى حرصك على تغلق عليه الأبواب .. خاصةً حالة الفوضى التي أثارها الحراس الأغبياء بعد أن وثقت بديفيد الذي لا يستحق أية ثقةٍ بعد الآنْ.

-سامْ.. ... ... :

-المتمرد: أنتظر زلةً واحدة – و دووووووووبْ ، يرمي بمسدسهِ ليحدث صوت إرتطامٍ قويٍ على المنضدة – لأتخذ إجراءاً قاسياً ضده..

-سامْ: حقاً ؟

-المتمردْ: سأناقشُ ذلك فيما بعدْ ... لم يبقى على الفجر الكثيرْ .. هل جهزت غرفة الحفلة كما طلبتُ منك ؟

-سامْ: أجل سيدي..

-المتمردْ: جيدْ .. أحضروا لي الليث فوراً.

-سامْ (و نغزاتٌ بين ضلوعهْ): علم سيدي.. سأطلب من ديفيد أن يقوم بإحضار الليث لأنهُ المعني بمراقبة السجن الذي وضع فيه..

-المتمرد (يرفعُ حاجبهْ): و المفاتيحُ معك ؟

!

!

زلةٌ لم تحسب حسابها يا سامْ

-سامْ: لقد أخبرني ديفيدْ بعد أن عاينَ الطبيب الليثْ بأنك قد أوكلت له المسؤولية الكاملة عن الليثْ..

-المتمردْ (يعقدُ حاجبيهْ): و بعدْ ؟

-سامْ: لكني تجاهلت ذلك و أحكمت القفل .. و أعطيتهُ نسخةً من مفتاحي لأنهُ أصر على ذلك .. و قال بأنهُ يتحمل مسؤولية ما قالهْ ... و بأنك تثق به أكثر مني .. و و و..

-المتمردْ (إرتفع حاجبهُ الأيسرْ): و بعدْ ؟..

-سامْ: هذا ما حصلْ..

-المتمردْ (يتناولُ سوطهْ): إتبعنيْ..

-سامْ) بدهشةٍ): إلى أينْ ؟

-المتمردْ: إتبعني فقطْ..

و يتبعُ سام المتمردْ و الذي كانت الأبخرةُ تخرجُ من أذنيهِ كالتنينْ..

وسام متوترٌ بعض الشيءْ .. . و يكثر الدعاء حتى لا ينكشف أمرهْ.

)(**)(

-لم تركت ذلك المجنون ليفعل ذلك لـــــــــــــــــــــم لـــــــــــــــمَ ؟

هكذا كان يصرخ في الشهبندرْ .. و مجموعةٌ من القادة الأفغان يجلسون في المسجد الكبير .. بعد أن وصل الشهبندر و براكين الغضب لوسط المدينة .. و احتفى بهم الأفغان البؤساءْ فما أسعدهم إذا ما نظروا لهذا القائد الذي قهر الأمريكان و الروسْ..

نعودُ إلى المسجد .. حيث كان بعد صلاة الفجر تحديداً .. يجلس القادة و المجاهدين للتشاور فيما بينهمْ في أمورهم اليومية .. ولحظتها إنتهز الشهبندر فرصة إستعادة براكين الغضبْ لعافيته، و أخبره بأنهُ تم تبادل الأماكن بينهُ و بين الأصمعي ... و أخبرهُ بخطة العودة إلى الخليجْ:

-براكين الغضبْ (ثائراً): و لم أعود ؟ و من قال لكم بأني أريد العودة ، أريد أن أموت هناك ، أريد أن أتعفن في ذلك السجن ما شأنكمْ بي.

-الشهبندر :صدقني حاولت أن أثنيه عن رأيه . لكنهُ أصر .. خاصة بعد أن أقنعهُ سام بأن عليك أنت أن تعود إلى الخليجْ.

-براكين الغضبْ: يا شهبندر أتعرف معنى أن الأصمعي هناك .. و بقبضة ذلك المجنون.. معناهُ بأني لن أراهْ لن أرى حمزةَ أبداً – يضعُ كفهُ على جبينهْ.. -

ينظرُ المجاهدين إلى براكين الغضب و الشهبندر الذي كا يحاول تهدأتهْ:

-أحد القادة: حسبي الله و نعم الوكيل ... نعلم بأنهُ مجنون .. لكن ما العمل إن كان يقاتل على أرضنا.

-مجاهدٌ من المجاهدينْ: ما عرفنا عنهُ إلا كل خيرْ .. و أجمل ما فيه تلك الإبتسامة التي لم تفارقهْ . كنتُ معهُ عندما كنا في القمة..

-أحد مجاهدي عمرانْ: كان قائداً عظيماً بكابول .. و عمران يحبهُ كثيراً كما نفعل نحن ..وخالفنا وصيته لنا عندما قال : إبقوا معهُ دائماً .. – و يبكي–

-الشهبندرْ: أيها الليثْ ..لا وقت الآن للغضب .. دعنا نسلم الأوراق المهمة إلى القائد أسد الله.. هو صديقٌ لمصعب رحمهُ الله .. و يمثلُ الجسر الأمين إلى القاعدة و الشيخ أسامة بن لادنْ..

-براكين الغضبْ (يحاول تمالك أعصابهْ): الأوراق ليست معي ..أخفيتها بمستشفى قندهار خشية أن أموت أو يمسك بي أحدْ..

-أسد اللهْ: الله أكبر على ذكائك أيها الليثْ . هل أستطيع إرسالك إلى هناك لتحضر إليْ تلك الأوراق المهمة ؟

-براكين الغضبْ (بهدوءْ :(أجل..

-أسد الله: سأنتظرك هنا بإذن اللهْ..

-الشهبندر: أيها الليثْ. سآتي معك لأني أريد إخبارك بشيءٍ ما..

-براكين الغضب: ماذا لديك بعد يكفيني ماقمت به أنت و حمزة.

-الشهبندرْ: أتفهمُ ضيقك منيْ.. لكني أريدُ أن أخبرك بشيءٍ لم أخبرك عنهُ بعد .. فلنخرج من هنا و نذهب إلى المستشفى .. و في طريقنا إلى هناك سنتحدثُ بهدوءْ.

-براكين الغضبْ (يوافق على مضضْ :(موافقْ..

)(**)(

)(

-أسد اللهْ: أرجوا منكما أن تستريحا على الأقلْ بعد العناء الذي تعرضتما له في الساعات الأخيرةْ .. وبصراحة أود إستضافتكما بمنزلي إن أحببتما ذلك..

-الشهبندرْ(بنوع من الحزن): نشكر لك هذا الكرم أيها الكريم... لكن.. تعلم بأن منزل الليث قد إحترقْ ، و مصعبْ قد إستشهدْ ، و بما أنهُ صديقٌ لي و كنت أسكن عندهْ، فأني أفضلُ أن أذهب لمنزله أنا و الليث خاصةً بأن خادمهُ يعيشُ وحيداً هناك..

-أسد الله (مبتسماً): إن كانت هذه رغبتكما فلا مانع لديْ.

-براكين الغضبْ: سأحضرُ لك الأوراق بوقتٍ آخرْ إن شاء الله..

-أسد الله: رغم بأنها أوراقٌ مهمة، إلا أنهُ لا مانع لديْ من الإنتظارْ..

-براكين الغضبْ (مبتسماً.. .. .. :(

-الشهبندرْ :هيا يا أيها الليثْ..

-أسد الله: إستريحا اليومْ..و غداً سنجتمعُ لنتباحث ببعض الأمور .. سأبلغكما بالمكان لاحقاً..

-براكين الغضبْ و الشهبندر) يحاولان الإبتسام): .. .. – من توتر الجو بينهما طبعاً-

يستأذن الصديقينْ الجمع الموجودْ، و يغادران المسجدْ الكبيرْ متجهين لمنزل مصعبْ .. بينما كان براكين الغضبْ و الشهبندر يسيران بأحد الأحياءْ، إذا بهما ينظران إلى الدمار الذي ألحق بهذا الجزء من المدينة، فكم من مرةٍ غابا عنها و في كل عودةٍ لهما يجدان حال المدينةِ من أسوأٍ لأسوأ .. و كأن لعنةً ما حلت بالبلادْ..

-الشهبندرْ :برغم الدمار الذي رأيناهُ بالشيشانْ.. و أشلاءُ الجثث المتناثرة بكل مكانْ . منظر قندهار أفظع بكثيرٍ مما رأيناهُ بالشيشانْ..

-براكين الغضبْ (ينظرُ بهدوء للأفغان و الأطفالْ): ربما لأنك أحببت الحياة هنا..

-الشهبندرْ: الحق بأني فعلاً أحببت الحياة هنا .. و أحببت الناسْ .. لكن بداخلي سؤالٌ يقولْ: إلى متى سأستمر بالقتال هكذا من دون نهاية ؟

-براكين الغضبْ (يلتفتُ إلى الشهبندرْ بغضبْ): ماذا تقصدُ يا شهبندرْ ؟

-الشهنبدرْ: أعني بأننا بذلنا جهدنا من قتالٍ و مقاومةٍ هنا .. لكن إلى متى أيها الليثْ لا أمل لنا من الإنتصار.

-براكين الغضبْ (يشدُ على حاجبهِ الأيسرْ): و كأنك تلمحُ لأن نتراجعْ عما نحن فيهْ.

-الشهبندرْ (بجدية): أيها الليثْ.. الحرب التي نخوضها هنا مختلفةً عن أي حربٍ خضناها من قبلْ ، القوى هنا غيرُ متكافئة ، حيث أن الروس كانوا يخشوننا هناك فأخرسناهم للأبد ، أما هنا فكل شيءٍ ضدنا حتى هذه الأرضْ النهمة لأجساد الشهداء فإلى متى أيها الليثْ إلى متى ؟

-براكين الغضبْ (بحيرة): لا خسارة في ذلك أيها الشهبندرْ.. سأقاتلُ و أقاوم حتى أموتْ..

-الشهبندرْ: لكن أيها الليثْ.. نسيت شيئاً مهماً في الجهادْ .. خاصةً بما يتعلق بحقوق أخرى تمسكنا من أرقابنا...

-براكين الغضبْ (يتعرقْ.. .. .. :(

ينظرُ الشهبندر إلى براكين الغضب و كأنهُ تعمد رمي تلك الجملة: ...

-الشهبندرْ: أليس كذلك أيها الليثْ؟

-براكين الغضبْ: مممممـــــ .. أظن بأن عائلتك بأمانْ .. فقد زوَّجت بناتك و تزوج أبناؤك.. و زوجتك متوفاهْ .. إذاً أديت

حقوقهمْ .. و أنت متفرغٌ للجهادْ.

-الشهبندرْ: و ماذا عن أولائك الذين ليسوا من الأساس متفرغين للجهادْ.

-براكين الغضبْ (يحاول التماسكْ): .. .. .. إلى ماذا تشير يا شهبندرْ ؟ أخبرني هيا كف عن هذا الدورانْ..

-الشهبندرْ: إسمع أيها الليثْ.. لا أحب التدخل بشؤون أحد .. خاصةً شؤونك الخاصة .. لكن لدي إحساسٌ بأنك هناك حقاً لم تأدهِ كما يجبْ.. أو أنك قصرت فيه من غير أن تتعمد الأذى لأحدْ .. و لأن الله يحبكْ .. ربما أراد أن يلفت إنتباهك إليهْ.. فـــ.

-براكين الغضبْ) يعقدُ حاجبيهِ بشدة..:(

-الشهبندرْ (يأخذُ شهيقاً و من بعدهِ يطلقُ زفيراً): فحصل ما حصلْ.. و أسرنا .. و ها نحن أحرارْ .. و..

-براكين الغضبْ: لحظةً لحظة أيها الشهبندرْ..كدت تقول شيئاً لولا ترددك في الإسترسال أكثر .ترى ما الحكاية ؟.. هل إختلطت عليك الأمور لكي لا تعرف كيفية شرح ما يعتلي داخلك أم هو الخوف من شيءٍ ما ؟

-الشهبندرْ (بحدة): ليس الخوف بحد ذاته أيها الليثْ.. بل الخوف من عنادك و إصرارك على أنك دائماً على حقْ ، و الآخرين على خطأ.

-براكين الغضبْ.. .. .. :

-الشهنبدْرْ: عدني بأنك لن تتصرف بنوع من الأنانية أو الإصرار على رأيك الشخصي فقطْ.

-براكين الغضبْ (يشدُ على قبضة يدهْ): قل لي بالله عليك يا شهبندرْ.. مالذي يحدثْ؟.. أهي فكرة العودة إلى الخليجْ ؟ من قال لك بأني أريد العودة ؟

-الشهبندرْ: سأختصر كلامي معك أيها الليثْ بأني أشك بوجود دمٍ لك بالخليجْ .. و أنك تركته و جئت إلى هنا.

-براكين الغضبْ (يتوقفْ فجأة .. .. :(
الشهبندرْ (يضعُ كفهُ على كتف براكين الغضبْ): توقفك المفاجأ يخبرني بأن شكي بمحلهْ .. و كل الشواهد تثبتُ ذلك..

-براكين الغضبْ (ببرود): .. أيةُ شواهدْ ؟

-الشهبندرْ: كم مرةً كدت تموت و لم تمتْ أخبرني .. ألم تفكر لم لم تمت للآنْ ؟
-براكين الغضبْ (بلا مبالاة و برود الثلج يملأ عينيهْ): أراك بدأت تعرجُ للخطأ يا صديقي.. و تدخلُ بأمور الغيب و..

-الشهبندرْ: حسنٌ ... ماذا لو أخبرتك بشيءٍ آخرْ.. أتذكر سام .. – و يحرك كفهُ بعصبيةٍ في الهواءْ – ذلك العسكري الملازم للمتمردْ و الذي أنقذنا..

-براكين الغضبْ (ينظرُ لفتياتٍ صغيرات يلهون في الطينْ): أجلْ..

-الشهبندرْ: أخفيت عنك بأنهُ قصد مساعدتك بالذات لتعود إلى الخليج و تنقذ حياة من هناك .. فهو في خطرْ..

تلمعُ عينا براكين الغضبْ و هو ينظرُ برعب للشهبندرْ و الذي كان يحاولُ استنباط ردة فعل براكين الغضب التي ظهرت فجأة و أردفْ:

-الشهبندرْ: لا أعلم بالتحديد مالعملية التي أمر بها المتمردْ لتنفذ بحقكْ هناك .. لكن .. طبقاً لكلامهْ . أظن بأننا نملكُ أسبوعين

على الأقل لكي نعود الى الخليجْ..

-براكين الغضبْ (يتماسكْ و ينظرُ للفتيات مجدداً): لا تكفيْ.. و لن أعودْ..

-الشهبندرْ (ينفثُ بغضبْ): لن أطرح عليك أية أسئلةٍ جديدة .. و لن أحاول إقناعك.. ما عليك معرفتهُ بأني سأكون موجوداً لحظة قررت العودة إلى الخليجْ..و لدي كل ما يلزم لنعود هناك كما زودني بها سامْ..

-براكين الغضبْ (ينظرُ إلى الأعلى): لن أعود .. لن أعود إلا في حالة وجود سببٍ قوي..
-الشهبندرْ (باستغرابْ): أقوى من ذلك ، سببٍ أقوى من قتل أحدٍ من عائلتكْ.

-براكين الغضبْ (مبتسماً بمكرْ):أجلْ..

-الشهبندرْ (بضيقْ): لم أيها الليثْ لم ؟ من أين لك بهذا القلب القاسيْ من أينْ ؟ دع عنك الآن كل شيءْ.. و فكر بمن لهم عليك حقْ..

-براكين الغضبْ: أرجوك .. إسبقني لمنزل مصعبْ.. أريدُ القيام بشيءٍ ما.

-الشهنبدرْ: أمتأكدٌ بأنهُ ليس ما أفكرُ فيهِ الآن ؟

-براكين الغضبْ: أجلْ.. – يضحكْ – سأذهب للحلاقْ لأهذب لحيتيْ... سألحق بكْ..

-الشهبندرْ: هههههههههههه ... حسنٌ أيها الليثْ... مع أني أعلمُ بأنك تهذب لحيتك لوحدكْ.... سأسبقك إلى هناكْ..

-براكين الغضبْ. .. .. .. :

-الشهبندرْ: أراك بإذن اللهْ..

-براكين الغضبْ. ... . :

يسيرُ الشهبندرْ بضع خطواتٍ قبل أن يدخل لمنحنىً بجهة اليمينْ و يغيبَ عن نظر براكين الغضبْ الذي كان يسيرُ بهدوءْ و سرحانٌ ما هام على وجههِ فجأة و هو يضعُ يدهُ على قلبهْ:

-مايهمني هو حمزةْ .. حمزةٌ لا غيرْ... – ينظرُ إلى السماء متضرعاً الله... –

)(**)(

)(

طراااااااااااااااااااااخ!

يسقطُ بين الكراسيْ و يرتطم وجههُ بباب الدولابْ.. فيقتربُ منهُ المتمرد و يقومُ بتسديد اللكمات على جانبي وجهه ليحطم له فكه الأعلى فيسقط سنه الجانبيْ .. كان ينزفُ بشدة و المتمرد مازال يضربهُ و يضربه و الحراس يقفون مرتعشين من الخوف وراء البابْ:

-كيف لا تدري كيف ؟ عن أي غباءٍ تتحدث أيها الغبيْ ، كان في السجن .. كان متحطماً و مصاباً و لا يقوى على الحراك ، كيف هرب كيف ؟ أكاد أجن ، سأشيب و السبب في ذلك أغبياءُ مثلكم.

يرتعشُ بين يدي المتمرد و يتوسلهْ:

-سيدي صدقني لا أدري ، لا أعلم كيف حصل ذلكْ.

-المتمردْ (يصرخ بهستيريا): غبيْ ، غبيْ – و يلكمهُ مرةً أخرى لتنغرس أسنانهُ السفلية بفكه العلوي من قوة الضربة و يسقط على الأرضْ.. -

يقفُ المتمرد و ينفضُ الغبار و الدم من على ذراعيهِ و يصرخ بالحراس:

-خذوه لغرفة الجلد ، لا أريدهُ على قيد الحياة سيعدم اليوم ، اليووووووووووم.

-أحد الحراس: حاضر سيدي.

يدخل الحراس و يساعدون زميلهم على النهوض و يقتادونهُ إلى الخارج .. فيرمي المتمرد جسدهُ الغاضبْ على كرسيه و يحتضنُ وجهه المحمر بين كفيه.. و ينظر لذلك المكبل على الكرسي و الذي كان يضحك بسخرية .. فيرمقهُ المتمرد بحقد و ينادي:

-المتمرد: ساااااااااااااااااااااام ساااااااااااااااااام ، تعال إلى هنا.
يدخلُ سام إلى الغرفة .. و ما إن دخل الغرفة حتى عانقت عينيهِ عيني الأصمعي الذي كان ينظرُ إليه

-و علاماتُ الجدية مرتسمةً على وجهه، فينقل سام عينيه إلى عيني المتمرد الذي فاجأهُ بوقوفهِ أمامهُ و بيدهِ سوطه:

-المتمرد: الغبيْ يقول بأنه لا يدري كيف نقل الأصمعي إلى سجن الليثْ.. و لا يعرف كيف هرب الليث أين كنت أنت ؟

-سام (بهدوءْ): كنت قد تفقدت الليث ... و من ثم أعطيت ديفيد المفتاح و من ثم جلست بالمكتب عندما عدت أنت.

-المتمرد (و عينيهِ تتفحصان سام): ألديك شاهدٌ على أقوالك هذه ؟

-سام: إسأل الطبيب .. كنت معهْ .. وكان شاهداً على أن الحراس جميعهم و من فيهم ديفيد كانوا يحتسون الشرابْ..

-المتمرد : ربما إستغل الليث تلك اللحظة و هرب ، لكن كيف يهربُ و جسدهُ مثخنٌ بالجراح ، لا أكاد أصدقْ ، أكاد أجن أكاد أجن.

-سام (متظاهراً بالأسى): لا أعلمُ سيدي..

-الأصمعي (يضحك بسخرية. .. :(

-المتمردْ (ينظرُ إلى الأصمعي بطرف عينيهْ): و هذا الأحمق لم يكف عن السخرية مذ أحضروه إلى هنا.

-الأصمعي: أسخرُ من وجهك الغاضب يا صديقي.

ينظرُ المتمرد إلى الأصمعيْ و يشيرُ إلى سام لكي يخرجْ.. و الذي كان ينظر إلى الأصمعي بفزع .. و الأصمعي يبتسمُ له..

يقتربُ المتمرد من الأصمعي و يضعُ قدمهُ على الكرسي بين ساقيْ الأصمعيْ و يتكئُ على ركبتهِ:

-المتمرد (بشيءٍ من البرود و كانهُ يتمالك نفسهْ): أعلم بأنك تعلم كيف هرب الليث و إلى أين ؟ أخبرني كيف هرب و إلا قلبت يومك هذا إلى جحيم.

-الأصمعيْ (يهزُ كتفيهِ بلا مبالاة): إفعل ما شئتْ.. لا يوجد لدي سبب لأرفضْ.

-المتمردْ (بخبثْ): حقاً.

-الأصمعيْ (بتحدٍ): أجلْ.

-المتمردْ: لك ذلك – و يقومُ بركل الأصمعي بين ساقيه ِ ليصرخ الأخير و ينقلب الكرسي للخلفْ–

كان الأصمعي يتألم و يضغط على ساقيهْ.. فيجثي المتمرد على ركبتيهْ و يمسك الأصمعي من شعر رأسه بقوة:

-المتمرد: مادمت هنا ... سأستضيفك بطريقتي الخاصة ..لدي أربعةُ مساجين آخرونْ و أنتْ لأسلي نفسي بكمْ حتى أعثر على الليثْ و متى عثرتُ عليه صدقني سأقتلهُ فوراً.

-الأصمعيْ (يتألمُ بصمتْ و إبتسامة السخرية لم تفارقهْ): إفعل ما شئتْ نذرتُ نفسي لهذا الدينْ .. و لا شيء سيردعنيْ.. و في كلا الحالتينْ سأموت شهيداً..

-المتمردْ (بغضبْ): أيةُ شهادةٍ أيها الأحمقْ ؟ سأعذبكم حتى الموت لتتمنوا أن تعودوا إلى بطون أمهاتكمْ.

-الأصمعي (بتحدٍ أكبرْ :(إفعلْ..

-المتمردْ : تذكرني بهْ ، ذلك الساخرُ دائماً – و يفرجُ عن خصلات شعرهِ المسكينة–

و يصيحُ عند باب مكتبهْ بجنونْ:

-المتمردْ: خذوهُ إلى الزنزانة الصغيرة و أحضرو إلي المساجين الأربعة لأفرغ غضبيْ بهمْ.

أسرعوووووا ، سأريهمْ كيف يجن جنونُ المتمردْ.

ويحكْ يا متمردْ .. تفرغُ غضبك بهمْ لأن الليث قد هربْ.

تذكرني بأمريكا التي إجتاحت بحقدها أفغانستان و العراق من أجل رجلٍ واحدْ...

أسامة بن لادنْ

مالذي سيحصلُ الآنْ للأصمعيْ ؟..

وماذا سيحصلُ لبراكين الغضبْ و الشهبندرْ بعد أن تحررا من الأسرْ ؟

إنتظروا الحلقة الثانية و العشرونْ

الحلقة الثانية و العشرون: اللهم فك أسر مجاهدينـــا بسجون الاحتلالْ!!

كان الأصمعي يقبعُ بتلك الزنزانة النتنة، المظلمة و الرطبة، و كانت شفتيهِ تسبحان و تعظمان اللهْ برغم قسوة الموقفْ، فهو مكبلٌ من رجليهِ إلى يديهْ، فلا يستطيع الحركة، حتى لاح لهُ فرجٌ و لو قليلْ، فيسمعُ صوت المفتاح الذي دخل بالقفلْ ليفتح باب الزنزانة جنديٌ بغيضُ الشكلْ، كريه الرائحة تقشعرُ لهُ الأبدانْ، إلا الأصمعيْ، الذي كان هادئاً برغم أن الجندي كان يسحبُ الأصمعيْ على الأرضْ، و القيودُ تتفرسُ بلحمهِ، إلا أنهُ كان متماسكاً، إلى أن وصل به الجندي إلى مكتب المتمردْ و الذي لم يكن متواجداً، فرماهُ بقوة ليتدحرج المسكينْ و يجرحُ وجههْ، فيغلقُ عينيهِ هنيهةً:

-الأصمعيْ: اللهم أكتبني عندك شهيداً .. اللهم أكتبني عندك شهيداً..

وفجأة .. أصواتٌ تستغيثْ أقضتْ الأصمعيْ، فانتفض من الخوفْ، صراخُ من هؤلاء ، كان الصراخُ يزدادْ.. و يزداد.. لم يكن صراخاً .. بل صراخ مهانة ..صراخُ ذل.. صراخٌ إختلط بتكبيرْ.. الله أكبرْ.. الله أكبرْ ..هذا ما كان يسمعهُ الأصمعيْ وسط أصواتِ ضرباتٍ و تهشمٍ لأشياء لم يستطعْ تمييزها..

و ضحكاتُ الجنود و هم يمرون من أمامهْ.. ليكبت دمعةً ما:

-الأصمعيْ: الحمدلله أني لم أدعهُ هنا.. الحمدللهْ بأني أخرجتهُ من هنا..

منظرٌ أخرس الأصمعيْ.. و جعلهُ يحدقُ برعبْ.. ها هو جنديان يسحبان جسداً ما ملطخ بالدماءْ.. و ماهذا ؟

بينما مر الجنديانْ..فاذا ببصر الأصمعيْ يقعُ على ساقيْ ذلك الجسدْ المتدلي .. – و كأنهُ أحد السجناء الأربعة – لكن مهلاً .. ساقهُ اليسرى .. مابالها. فيحدق الأصمعي أكثر ليراها مبتورة للركبة.. وكأن اللحم قد أنتزع نزعاً... و عظام الركبة واضحة .. ليحدث الأصمعيْ نفسهْ:"قد جن جنون المتمردْ.. جنْ.. جنْ" ..

و ضرباتٌ على صدر الباب تفزعُ الأصمعيْ ..ليلتفت و يرى سام واقفاً ينظرُ إليهِ و كأنهُ يصارع شيئاً ما بنفسهْ..

فيهمسُ الأصمعيْ:

-الأصمعيْ: هل أنت مجنون ؟ إذهب قبل أن يراك أحد.

-سام: لا تقلق .. إنهم مشغولون بنقل السجناءْ..

-الأصمعي: مالذي يجري ؟

-سام (ينفثُ بحزنْ): إنه موسمُ التعذيب لديهْ.إنهُ يعذبُ هؤلاء المساكين بوحشية.. قد مات أحدهمْ قبل قليلْ... أرأيته ؟

-الأصمعيْ (و كأنهُ يحاول إسترجاع المشهدْ الذي رآهْ): أجل .. رأيتهْ..

-سامْ: لقد مثَّل الجنرال بجسد المسكينْ.. و إقتلع عينيهْ .. و قطع لسانهْ .. و المسكين حيْ.. يتألم و يضربُ برجله الأرض

كالخروف الذي يذبحْ و اقتلع قلبهُ وبقر بطنهْ.. و بتر ساقهْ.. فظيعْ.. ماحدث فظيعْ ، لم يتصرف الجنرال على هذا النحو من قبلْ.

-الأصمعيْ: إنهُ ينفسُ خيبتهُ بهرب الليثْ...

-سامْ: إغفر لي .. لن أستطيع مساعدتكْ..أحسُ بأن الجنرال يعرفُ بأني من خطط لهرب الليثْ..لم أصدقْ بأنهُ صدق حكاياتي لأني وقعتُ في الكلام عن طريق الخطأ.

-الأصمعيْ (بدهشة): أفعلتْ ؟

-سامْ: أجلْ .. و لدي شعورٌ بأنهُ يمثلُ فقط بأنهُ صدق الحادثة المزعومة .. و أخافُ أن يكون مصيري كمصير من مات منذ قليلْ.

-الأصمعيْ: صدقني .. مافعلتهُ لن يضيعْ.

-سام: لستُ بمسلم فكيف لا يضيعُ عمليْ ؟

-الأصمعيْ (مبتسماً رغم القيدْ... ... .. :(

صراخٌ و جلبةٌ في الخارجْ.. جعلتْ سام يقفزُ من الخوفْ..و الأصمعيْ صلبْ.. و متمكنٌ من نفسهْ.. تبعهُ صراخٌ للمتمرد الذي كان يصرخُ بالجنود ليحضروا الأصمعيْ.. و هنا .. دخل جنديان و رأيا سام مع الأصمعيْ فأخبراهُ بأنهم سيقومون بأخذهِ .. يقوم الجنديان بسحبِ الأصمعيْ و الذي كان ينظرُ إليهِ سام بأسىً .. حتى وصلا به لغرفةٍ ملآ بالدماء و بقايا من أصابع مبتورة .. و ألسنٍ .. و قطعٌ كبيرة حمراء كأنها قلوبٌ نزعت من أجسادِ أصحابها .. و كان المتمردْ يقفُ و بيدهِ إصبعٌ يقلبها بين أصابعهْ:

-المتمردْ: ضعوهُ على الكرسيْ..

-الأصمعيْ) ساخراً): أليس لديك إلا هذا الكرسيْ ؟ ألا توجدُ أساليب أخرى للتعذيبْ.

-المتمردْ (متهكماً): بل لديْ ... أحضروا التلفازْ..

يقومُ جنودٌ بحمل تلفازٍ متوسط الحجمْ.. و يضعونهُ أمـــــام الأصمعيْ الذي كان مندهشاً .. و متسائلاً في نفسهْ عن الغرض من هذا الجهازْ.. و كان أحدُ الجنود يوصلُ التلفاز بجهاز فيديو صغيرْ ..ليراقبهُ الأصمعي بصمتْ.. فيقتربُ المتمردْ من الأصمعي بمشيتهِ المتبخترة .. و يقف وراءهْ و لحظتها تمنى الأصمعيْ أن يتقيأ لكريه الرائحة المنبعثة من ملابس المتمردْ الغارقة بالدمـــــاء و الوحشية، فيشيرُ المتمردْ بإصبعهْ لأحد الجنود الذي أدار التلفازْ و قام بتشغيلهِ ليردف المتمردْ:

-المتمردْ: أنظر إلى شاشة التلفاز أيهـــــا الأصمعيْ.

فينظر الأصمعي إلى الشاشة ... ليفاجأ بأجســـادٍ عارية ... لرجالٍ و نساء على حد السواءْ.. و كانوا يمارسون الجنسْ بأوضاع تثيرُ الإشمئزازْ.. ليشيح بوجهه عن الشاشة إلى اليمينْ.. و يستعيذُ بالله و يتعوذ من الشيطان الرجيمْ .. و المتمردْ يتضاحك هو وجنودهْ ..

-المتمردْ : لم أشحت هكذا أيها الأصمعيْ ؟ هل تخجلُ من رؤية النساءْ ؟

-الأصمعيْ (مازال يشيحُ نظرهُ و يستغفر و يكبر بينهُ و بين نفسهْ.. .. .. :(

-المتمردْ: ما المشكلة في ذلك أيها الأصمعيْ ؟ سمعتُ بأنك لم تمارس الجنسْ أبداً .. فهل هذا دليلٌ على عجزك مثلاً ؟

-الأصمعيْ (يحدقُ بالمتمردْ بغضبْ): أعوذ بالله من هذه الأعمال التي تثيرُ غضب اللهْ..أعوذ بالله..

-المتمردْ: كف عن تصنع الورعْ... و أنظرْ..–ويمسكُ بفك الأصمعي بيده بقوة ليجبرهُ على النظرْ– أنظر لتكسب الإثم هيا أنظرْ .. – و الأصمعي يحاول أن يشيح بوجهه بقوة لكن أظافرُ المتمردْ تنغرسُ بفكهْ فتألمهْ-

كان الجنود يتضاحكون .. و يقلدون ما يفعلهُ الأنجاس في المشهدْ فيما بينهْم .. و المتمردْ يضحكْ.. سعيدْ..

و فك الأصمعي بين يديهْ.. يجبرهُ على النظرْ... و الأخير لم يرضخْ.. بل أغلق عينيهْ كي لا يرى ... ليفتح المتمردْ عينيْ الأصمعي عنوةً .. بأصابعهْ.. ليجرحَ اظفرهُ مقلة الأصمعيْ التي نزفت من جانبها ... و كان يصرخُ فيهْ:

-المتمردْ: أنظر أيها الأحمقْ ، أنظر لمتعةٍ لم تتذوقوها أيها المسلمون أنظرْ.

-الأصمعيْ: لن أنظر .. لن أنظر....

-المتمردْ (يضعُ قدمهُ على ساق الأصمعي و يضغطُ بشدة ليفتح عينيهْ): بل ستفعلْ..

-الأصمعيْ: لاااااااا .. لن أفعلْ ... حراااااااام .. هذا حراااااااااااااامْ ... أقتلني و أرحني من هذا كلهْ.. أقتلني فالقتل أرحم عندي من رؤية هذا – فتدمعُ عينا الأصمعيْ.. و لم تعدْ أعصابهُ تتحملْ أكثر من ذلك.. فتذرفُ عيناهُ بالدموعْ .. و تنسلُ الدموعُ لتبلل لحيتهُ التي خالطها البياضْ.. -

يتوقفُ المتمردْ... و يبعد يدهُ عن عينيْ الأصمعيْ.. و تنشلُ حركتهُ للحظاتْ .. لينظر للجنود الذين سرعان ما توقفوا فجأة عن ضحكاتهمْ.. فأشار إليهمْ بإنتهاء الحفلة مع علاماتِ إستفهامٍ كثيرة على وجوههمْ.. ليخرج المتمردْ ... و الذي ترك الأصمعي الذي كان يبكيْ... و دلف إلى مكتبهِ و أغلق البابْ... و خلع قبعتهُ و رماها على ظهر المنضدة .. و جلس على الكرسيْ بعد أن تناول علبة السجائر من الدرج .. و أخذ يدخن و يدخنْ.. و ينظرُ إلى الأعلى .. واضعاً ساقيهِ على المنضدة:

-المتمردْ (محدثاً نفسهْ) " ماذا جرى ليْ " لم عجزتُ فجأة عن تعذيبهْ ، لم أثر بي منظرُ دموعهْ لم لم ؟ علي قتلهْ... أجل .. قتلهْ.. فقط من أجل أن أجعلك حزيناً طوال حياتك حتى أقدم على قتلك بيديْ ، بيدي أيها الليثْ.

طرقاتٌ أخرى على البابْ... فيصيحُ المتمردْ بالطارقْ:

-المتمرد (من تحت دخان سيجارتهْ): من هناك ؟

-الطارقْ: سيدي لقد تم العثور على الليثْ ، إنهُ بقندهار.

-المتمردْ: أدخل بسرعة.

يدخلُ جنديٌ كث الشعرْ... و يقتربُ من مكتب المتمردْ الذي أفرج عن إبتسامة خبثْ:

-المتمردْ: أقلت وجدتمْ الليثْ؟

-الجندي: أنهُ بقندهار سيدي .. لقد أخبر أحد الأفغانْ أحد عملائنا بذلك مقابل كسرة خبزٍ بأحد المقاهيْ..

-المتمردْ (و عينيهِ على وسعهما): جيدْ.. إليك بهذا .. سننزلُ إلى قندهار غداً..

-الجندي: و الاعداد سيدي ؟

-المتمرد (و حقدٌ يملؤُ عينيهْ): لا .. لدي خطةٌ رائعةْ..

خطة ، ماهي خطتك أيها المتمردْ ؟

أين أنت أيها الليثْ أين انتْ ؟

في هذه الأثناءْ.. كانت الشمسُ قد إشتدت بظهر اليومْ.. و كان براكين الغضبْ يمشي بين الأحياء و يتفقد أحوال الأفغانْ... و دخل بسوقٍ صغيرة .. حتى وصل لمحلاتٍ متراصة .. ووقفَ قبالة أحدها و قرأ اللافتة: حلاق ممتازْ ودخل ْ... و كان بالداخل رجلين و الأغلب هما حلاقانْ.. و أفغانيٌ يجلسُ وقد وضعت مادة الحلاقة على ذقنهْ.. يحيي أحد الحلاقينْ براكين الغضبْ.. وأشار بيدهِ ناحية الكرسي ليجلس براكين الغضبْ .. ما إن جلس براكين الغضبْ.. حتى نظر إلى المرآة المتهشمةِ نوعاً ما .. و أخذ يحدق بوجهه..

-براكين الغضبْ (محدثاً نفسهْ" :(قد لامس الشيب لحيتك يا براكينْ .. برغم صغر سنك إلا أن الشيب يأبى إلا أن يصافحكْ .. "

يسلمُ براكين الغضبْ نفسهُ للحلاقْ .. و الذي يدعى بممتاز خان كما عرف عن نفسهْ.. و قد أغلق براكين الغضبْ عينيهِ لحظة.. و حلق خيالهُ لمكانٍ بعيدٍ عن الحلاق ممتاز خانْ و قندهارْ ... و سافر بعيداً الى هناك .. حيث كان يقفُ أمام المرآةْ .. و يحكمُ إغلاق أزرار بدلتهِ العسكرية .. لتدخل عليهِ تلك الصغيرة الباكية:

-الصغيرة: خذني معك باااااابااااااااا

يضحكُ براكين الغضبْ .. و يجثي على ركبتيهْ و يضمُ الصغيرة إلى أحضانهْ:

-براكين الغضب) بحنانْ): لا أستطيعُ أخذك صغيرتي .. لكني أعدك بأني سألعبُ معك في المساءْ..

-الصغيرة (تضربُ برجلها الأرضْ وهي تبكيْ): لاااااااااااااا .. إلعب معي الآن يا باباااااااااا.

-براكين الغضبْ (يحتضنُ خديها المتورمينْ و يقبلها على جبينها): يا حياتي لن أتأخر.. أعدك بأني لن أتأخرْ عليك..

-الصغيرة (تصرخْ و تصرخْ): لاااااااااااااا .. إلعب معي باباااااااااااا .. إلعب معي ... لن تخرج يا باباااااااا.

-براكين الغضبْ (ينهض و قد تعب من العنادْ :(كفي عن هذا .. و لا تفسدي زيِّي.. – و يقف على قدميهِ و يتجهُ ناحية البابْ

-

تلحقُ الصغيرة ببراكين الغضبْ .. و تتشبثُ بساقيهِ و تعيقهُ عن السير و تصرخ:

-الصغيرة : لا تذهب يا باااااااابااااااااااااااااااا ، لا تتركني مع مااااااااماااااااااا.

-براكين الغضبْ: بلقيييييييييسْ ، كفي عن هذا فوراً . لا أعلم على من يقعُ اللوم لعنادك هذا.

-الصغيرة (تبكي و تولولْ): لا باااابااااااااااا لاااااااااا.. لن أدعك .. لن أدعك تفلتُ منيْ...

للحظة .. يمسكُ براكين الغضب نفسه.. ثم ينفجرُ من الضحك على.. لن أدعك تفلتُ منيْ..فيجثي مرةً أخرى على ركبتيهْ و يضم الصغيرة لصدرهْ:

-براكين الغضبْ: هههههههههه .. حبيبتي من علمك تلك الجملة ... هههههههههه

-بلقيسْ (بدلعْ): ماما..

-براكين الغضبْ (و مازال يضحكْ): هههههههه .. من أين تعلمت ماما تلك الكلمة صغيرتيْ ؟

-بلقيسْ) بثقة و قد مالت برأسها لليمينْ): من المسلسل المكسيكي أمسْ يا بابا.

إسودت الدنيا بوجه براكين الغضبْ .. و إنقلبت البسمة لوجومْ .. و توقف عن الضحك .. و بلقيس كانت تضحك لترى العبوس و الغضب بعيني والدها لتكف عن الضحك و تبتلعْ ريقها .. فيصرخُ الأسد الجسورْ:

-كم مرةٍ قلت لكنْ ألا تتطلعن إلى هذه الوساخة ؟ يا أم بلقيييييييييسْ أين أنتِ أين أنتِ لأقوم بضربك أنت و إبنتكْ ... أقسمُ و ..

آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه!!!

هكذا صرخ الأسدُ الجسورْ من تحت مقص الحلاقة .. فأصاب الحلاق ممتاز بالذعرْ.. و أخذ يتحسسُ خدهُ الأيسرْ .. و ينظرُ للدماءِ على رأس إصبعهْ .. ليرمق الحلاق بنظرةٍ جانبية شريرة .يتبعها الحلاق و زميلهُ بالضحك.. فلا يملكُ براكين الغضبْ إلا أن يضحكْ معها .. و يعيد رأسهُ مرةً أخرى ليهذب الحلاق لحيتهْ..

فهل تستمرُ سعادةُ ذلك اليوم طويلاً ؟..

آهٍ منكمْ و من جمال حياتكمْ أيها المجاهدينْ..
فعلاً أنتم بشر عاديينْ.. تضحكون . و تبكون..
و تحلقون ذقونكمْ ، فلم يكرهكم الناسْ هكذا ؟

تنتهي عملية الحلاقة بسلام.. و طبعاً براكين الغضبْ لا يملك قرشاً .. فوعد الحلاق ممتاز خانْ بأنهُ سيرسلُ إليهِ المال بآخر هذا اليومْ إلا أن ممتاز خان كان يصر على عدم أخذ قرشٍ واحد من براكين الغضبْ . و إصرارهُ هذا كان يثيرُ دهشة براكين الغضبْ:

-براكين الغضبْ (مندهشاً): و لم لا تريدُ أجر عملك ؟..

-ممتاز خانْ (مشيراً بقبضتهِ إلى صدره و بلغةٍ عربية مكسرة): لأني أحب الليثْ..و الليث حبيب الأفغانْ. و هو بطلُ كندهارْ..

-براكين الغضبْ) مبتسماً. .. .. :(

-ممتاز خانْ: إعتبرني صديكاً لك .. متى أردت مساعدة فأنا موجودْ.. أنا مقاتلٌ و دخلتُ في عدة حروبٍ من قبلْ.. و دافعت و مازالت عن كندهار..

-براكين الغضبْ (و هو يصافحُ ممتاز خانْ): أشكرك على هذه المشاعر الطيبة يا ممتاز خانْ..

يغادرُ براكين الغضبْ الحلاقْ.. و الذي كان يقفُ عند البابْ ملوحاً بيدهِ و التي تحملُ مقص الحلاقة . و براكين الغضبْ.. سعيدٌ و مزهوٌ بنفسهْ" لم أعلم بأني محبوبٌ من الناس هكذاْ ".. كان براكين الغضبْ يمشي في الأحياءِ و الأفغان ينظرون إليهِ و يلوحونْ.. فهاهو بطلهمْ حرٌ طليقْ.. ووجودهُ يشعرهمْ بالأمانْ أكثر من وجود الشرطة المحلية أو طالبانْ نفسها..

يصلُ براكين الغضبْ إلى منزلِ مصعبْ في ذلك الحيْ الصغيرْ.. و يطرقُ البابْ الموارى قليلاً .. ثم يدخلْ.. فيجدُ الخادم العجوزْ يجلسُ و بيدهِ كأسْ التشايْ ليصرخ الآخرْ:

-الخادمْ: سيدي براااااااااااكينْ ، سيدي قد عدت.

و يحتضنُ الخادم العجوز براكين الغضبْ بقوة و لم تسعفهُ الدموع ليصف مدى فرحتهِ برؤية براكين الغضبْ الذي كان يحاول أن يتمالك أعصابهُ كيلا يبكيْ هو الآخر..

-الخادمْ (مشيراً لصينية التشايْ): سيدي أرجوك إجلس .. تعال فلنحتسي التشايْ معاً..

-براكين الغضبْ: لا وقت لإحتساء التشايْ.. علي أن أعد خطةً ما لأنقذ الأصمعيْ..

-الخادمْ (يعقدُ حاجبيهِ دهشةً): هل أعتقل ؟

-براكين الغضبْ (مطأطئاً برأسهْ): للأسف نعمْ..

-الخادم (بحزنْ :(لا حول و لا قوة إلا بالله. سيدي براكين .. – يمدُ يدهُ بكأس التشايْ– إحتسي التشاي و هدئْ أعصابك و أخبرني عن عمليتكمْ الأخيرة.

-براكين الغضبْ: أين الشهبندرْ؟

-الخادم: بعد أن ألقى التحية عليْ توضأ و صلى الظهرْ و نامْ ..أخبرني الآنْ ماذا حصلْ ..
-براكين الغضبْ يتناول كأس التشايْ):سأخبرك و بعدها سأذهبُ للصلاةِ أيضاً... لم تكن تلك عملية .. بل مفاجأة تعرضنا لها .. دخلنا بعدها في مقاومة إمتدت لأيامْ..

-الخادمْ: أخبرني ما حصل هناكْ.. ما سمعتهُ بأن سيدي مصعبْ قد إستشهدْ – و دمعةً على خدهْ–

-براكين الغضبْ: رحمهُ اللهْ... سأخبرك بما حصلْ..

و أخذ براكين الغضبْ يخبرُ الخادم عن كل شيءٍ حصل منذ ذهابهم إلى المستشفى و إلى عودتهمْ اليومْ..وما إن انتهى الحديثُ

عن المقاومة الأخيرة .. حتى توترت أعصابُ براكين الغضبْ . خاصةً عندما أخبر الخادم العجوز عن خطة التبديل و التي بسببها بقي الأصمعيْ محجوزاً هناك .. وأبدى إستياءهُ من أن الشهبندرْ يحثهُ على العودة إلى الخليجْ..

-براكين الغضبْ) مستاءاً): كيف لي أن أعود ، لا يهمني أحدْ مادمتُ هنا لهدفٍ ساميْ..

-الخادمْ : لكن يا سيد براكينْ ماذا عن البريءْ الذي تركتهُ هناك؟ إني أرى بأنهم على حق و أنت على خطأ.

-براكين الغضبْ : أتخطئني أنت أيضاً ؟

-الخادم: سيدي براكين .. لن أدخل معك بنقاشْ الا بأني سأعطيك حلاً .. الجهاد هنا لن يتوقفْ صدقنيْ..

-و هناك من يحتاجُ إليكْ..إذهب و أد حقك لهْ.. و من ثم عد إلى أفغانستانْ ..ثم أراد الله لك أن تعود إلى هناك لتؤدي ذلك الحق و من ثم قد تستشهدْ من يعلمْ

-براكين الغضبْ: الصعوبةُ لا تكمنُ في الذهابْ.. بل في العودة و لي عهدٌ قطعتهُ بقتل هذا المتمردْ.

-الخادم: صدقني .. لست من يحدد موعد موتهْ.. بل اللهْ.

-براكين الغضبْ.. ... ... :

-الخادم : أعلمُ ما تحسُ به و ما يخالجكْ.. لذا .. مارأيك أن تستخير الله بأمرك؟

-براكين الغضبْ : معك حقْ.. سأستخيرُ و أرى ما سيحدثُ بعد ذلك..

-الخادم) مبتسماً): ربما سترى رؤيا .. أو سيقودك إحساسٌ معينٌ إلى قرارٍ صائبْ.. إذهب الآنْ .. و توضأ..

و قم الليل و إستخر الله في أمركْ..

-براكين الغضبْ) متسائلاً): و ماذا عن الآخرين ؟.. الأصمعيْ.. الشهبندرْ.. القادة الذين عاهدتهم على الدفاع عن قندهارْ..

-الخادمْ (مبتسماً): سيدي براكينْ.. إفعل ما قلتهُ لك .. هيا إذهبْ.

-براكين الغضبْ : حسنٌ أيها العجوْز ..قد أقنعتني لأني في حيرةٍ من أمريْ.

-الخادمْ (مبتسماً برغم تجاعيد وجهه محتسياً التشايْ.. ... ..:(

يقومُ براكين و يتوجهُ إلى الحمامْ و يحسنُ الوضوءْ و يمسحُ على وجههْ... و من ثم يتناولُ سجادةً من على المنضدة و يضعها على الأرض ناحية القبلة و يرفعُ يديهِ للأعلى مكبراً .. و يصليْ الظهرْ.. و بعد أن سلم و أنهى صلاتهُ .. رفع يديهِ إلى السماءْ و قال:

اللهمـــْ.. اللهم رب هذا الكونْ .. رب العرش العظيمْ.. يا مالك السموات.. و مالك الأرضْ..

القوي الجبار ..القادر .. اللهم إني أسألك و أنا عبدك الضعيف بأن تشرح لي صدري..

و تخرجني من حيرتيْ.. أنت أعلمُ بنيتي و بسبب مجيئي.. و تعلم مدى خجلي منك إن ما فكرتُ بالعودة .. ربي إني أسألك الشهادة .. لكني أحسُ بوجودِ دينٍ

على رقبتي جعلني أتوسطُ حيرةً قاتلة .. اللهم ساعدنيْ" ..

ينهي دعاءهُ و يمسحُ وجههُ بكفيهِ و يطوي السجادة ليخرج الشهبندرْ من الغرفة و يرى براكين الغضبْ الذي كان متسمراً و سارحاً لمكانٍ آخرْ:

-الشهبندرْ: أي ليث .. ألا تريدُ تناول الغداءْ ؟

-براكين الغضبْ (يعود للواقعْ): غداءُ ماذا ؟

-الشهبندرْ (يضحك :(ألست جائعاً ؟.. هيا فلنخرجْ لنتناول الغداءْ في الخارج..

-براكين الغضبْ: لكن أسد الله قال بأنهُ سيخبرنا بموعد و مكان التجمعْ .. لا أستطيعُ أن أشغل نفسي بأي شيءٍ آخرْ..

-الشهبندرْ (يضعُ ذراعهُ على كتف براكين الغضبْ): هيا تعالْ .. سنخرجُ و نتحدثُ سوية كأيامنا الخوالي في قروزنيْ..

-براكين الغضبْ : تعرفُ كيف ترجعُ إبتسامتي أيها الوغدْ..

-الشهبندرْ: .. هههههههههههه .. لا تقلقْ.. لا أظن بأن القادة سيجتمعون في النهار .. ثم إني أعرفُ أين سنجدهمْ..

-براكين الغضبْ: لا أستطيعُ يا شهبندرْ ..سأتناول أي شيءٍ هنا .. أريدُ أن أجمع من الرجال ما يكفي ليساندوننا بإقتحام معسكر المتمرد.. أريدُ إنقاذ الأصمعيْ قبل عودتي للخليجْ...

-الشهبندرْ) مهللاً): هل ستعودُ حقاً ؟.

-براكين الغضبْ : ربما .. سأصلي صلاة الإستخارة و من ثم سأقرر..لكن قبل ذلك أريدُ أن أضع خطةً محكمة لإنقاذ صديقي من ذلك المجنونْ.. يكفي بأنهُ ضحى بحياتهِ من أجلي . و الله أعلمُ بحالهِ هناك..

-الشهبندرْ: إسمعْ .. سأخاطبُ بعضاً من المجاهدين ليأتوا إلى هنا .. مارأيك بمجاهدي عمرانْ ممن كانوا مع الأصمعي ؟.. هم أشداءْ .. و مخلصون لقائدهم أشد الاخلاصْ .. و نحن نحتاجُ إليهم .. ثم إني أستطيعُ الوصول إليهمْ..

-براكين الغضبْ: أطلب من الخادم أن يعد أي شيءٍ للغداءْ.. و خاطبهم ليأتوا إلى هنا لنضع خطةً ما قبل أن يحل المساءْ..

-الشهبندرْ: بكل تأكيدْ..

-براكين الغضبْ (محدثاً نفسهْ):" سأنقذك يا حمزة .. بإذن الله سأنقذكْ" ...

و يسارعُ الشهبندرْ بالقيام بمراسلاتهِ و إرسال من يستدعي مجاهدي عمرانْ ليحضروا إلى منزل الشهيدْ مصعبْ

لمقابلة الأمير براكين الغضبْ ... فيأتي المجاهدونْ على عجلْ ..ليجتمعوا بغرفة المعيشة الصغيرة .. يتوسطهمْ براكين الغضبْ و الشهبندرْ.. و الخادم يقوم على خدمتهمْ و تتوسطُ شفيتيهِ المتشققينْ إبتسامة فرحة :" عادت أيام التكتيك أخيراً.. "

و كان براكين الغضبْ يحدثهم عن رغبتهِ بتحرير قائدهم الأصمعيْ بعد أن أوضحَ بأنهُ أسيرٌ هناكْ.. و قد أخبرهمْ بكل ما حصل فترة غيابهم الماضية...

-أحد المجاهدينْ: ليت قائدنا عمران معنا .. لقد وصلنا بأنهُ لن يستطيع القدوم بسبب الهجمات المتواصلة لجنود الإحتلال على المدنيين بكابولْ.. فقد كان إتفاقنا معهُ بأن يلحق بنا بقندهارْ بعد أن يجمعَ موافقة جميع أفغانستان لتقاتل معنا..

-مجاهدٌ آخرْ: لن نتخاذل عن مساعدة الأصمعيْ.. نحن مستعدون أيها الأميرْ..

-براكين الغضبْ: جيدْ. إذاً إستمعوا إلى ما أقولهْ... و ركزوا معيْ..

-المجاهدونْ: و نحنُ لك مطيعونْ..

و هكذا .. بدأ براكين الغضبْ يشرحُ خطتهُ و التي بناءها على أساسِ موقع المعكسر ْ وممراتهِ و مايتذكرهُ عن ذلك المعسكرْ و ساعدهُ على ذلك الشهبندرْ .. ومعاً رسموا خطةً لإنقاذِ الأصمعيْ و فك أسرهْ .. و بذاتِ الوقتْ.. رسمَ براكين الغضبْ خطتهُ الخاصة للنيلِ من المتمردْ .. و إعتبر بقرارة نفسهِ أن النيلَ منهُ هو إشارةُ العودة للخليجْ.. – ما أكثر حبك للجهاد و تفضيلهِ على أقرب الناسْ يا براكين-

إستغرقَ التخطيطُ عدة ساعاتٍ حتى عانقَ الليلُ السماءْ .. وكان فيهِ تباحثٌ للأسلحة التي يملكها المجاهدون .. و قد أخبرهم الشهبندرْ بأنهُ يستطيعُ الحصول على بعض المدد من أحد القادة .. وبعد دراسة بعض إستراتيجيات هذه العملية.. غادرَ مجاهدي عمرانْ منزلَ الشهيدِ مصعبْ.. و لحظتها .. جاءَ رسولٌ من طرفِ أسدِ اللهْ . يسألُ عن الليثِ و الشهبندرْ.. ونقلَ لهمْ رسالةً من أسدِ الله بأنْ يلقوهُ بمنطقة كذا بساعة كذا .. و أخذَ براكين الغضبْ يحاولُ فك شيفرةِ الكذا تلكْ.. بينما حللها الشهبندرْ و عرفَ المكانْ ووقتَ الموعدْ .. وبراكينٌ غاضبْ.. طالما كان الشهبندرْ أكثرَ حظاً بفك الشيفراتْ .. لكنْ.. ذلك ليس مهماً .. فهما سيذهبانِ لذاتِ المكانْ .. و ها هما يجلسانِ مع الخادمْ.. و الذي أصر عليهما أن يتناولا الغداء .. و بعد الالحاح على رأس براكين الغضبْ العنيدْ .. تناولوا الغداء.و المكون من رزٍ أبيضْ و علبة تونة... و قليلاً من التمر و الماءْ..

مرت الســــاعاتُ سريعة .. و قد تخللتها ضحكاتٌ و إسترجاعٌ للذكرياتْ.. ذكرياتُ الأشهر التي قضاها براكين الغضبْ و الشهبندرْ و الأصمعي و السيف البتار و الفارس بأفغانستانْ .. و تلك السنوات التي قضياها بالشيشانْ ..شيشان القلب يا براكين الغضبْ .. و بعد أن قام المأذن بالتكبير و نادى لصلاة العشاء... بعدها .. قام براكين الغضب و دخل ليتوضأ.. تبعهُ الشهبندرْ .. و بعد ذلك ... خرجا مع خادم مصعبْ من المنزل متجهين إلى المسجدِ الكبير للصلاة..

بعد أداءِ الصلاة .. جلس براكين الغضبْ و الشهبندرْ على الأرضْ ..و كان براكينُ الغضبْ يقرأ في كتاب اللهِ و الشهبندرْ كان يسَّبحُ ويكبرُ و بين أصابعهِ الجافة مصباحٌ ذو كراتٍ زرقاءْ.. و كان خادم مصعبٍ قد إستأذن سيدهُ براكين الغضبْ و الشهبندرْ ليعود للمنزلْ.. و برغم إنتهاءِ الصلاة .. إلا أن الكثير من الأفغانْ و المجاهدينْ كانوا يجلسونَ بشكلِ حلقاتٍ.. و عينا براكينُ كانتا ترقبانِ كل حلقةٍ .... يحاولُ لحظتها أن يرهف بسمعهِ ليعرف عن ماذا يتحدثُ هؤلاءْ..

فهناك حلقةٌ خلفهْ، جل حديثهمْ كان عن عمليةٍ يود شبانها القيامُ بها، وحلقةٌ أخرى يتزعمها شيخٌ كبير يقوم بتدريس الصغار علوم الفقهْ، و حلقةٌ أخرى بدا على أصحابها بأنهمْ أشداءْ.. و يبدو بأنهم يمثلون سريةً ما ... فالجهادُ قائمٌ بقندهارْ.. و لا توجدُ سريةٌ واحدة بل عدةُ سرايا و مجموعاتْ . وكلٌ منها يقومُ بواجبهِ تجاه الدين و الوطنِ على أكملِ وجهْ..

يهمسُ الشهبندرُ بأذنِ براكين الغضبْ:

-الشهبندرْ: أيها الليثْ أرى بأن ننسحبَ بهدوءْ و نتوجهَ إلى حيثُ طلب منا أسدُ الله مقابلتهْ..

-براكين الغضبْ (يغلقُ القرآن الكريمْ برفقْ): أود أن أخبرهُ بخطتي لمهاجمةِ معسكر المتمردْ..

-الشهبندرْ: لا تنسى بأننا لسنا وحدنا هنا لنقررْ ، علينا إعلامهُ بالأمر .. ربما كانت لديهِ فكرةٌ ما لعمليةٍ جديدة أراد أن يدخلنا فيها..

-براكين الغضبْ :لا يهمني شيءْ ، سأخبرهُ عن خطتيْ و سأنفذها .. إنقاذُ حمزة هو هدفي الآنْ و لا أرى غيرهُ إلا جثةَ المتمردْ ملقاةً خلفهْ..

-الشهبندرْ: سنرى ما بجعبتهِ و من ثم تستطيعُ إخبارهُ بما تريدْ تذكر .. بقي أسبوعين فقطْ إن فكرتَ بالعودة.

-براكين الغضبْ (يقفُ على ساقيهِ و يمدُّ ذراعيهِ للأعلى ليبعدَ عنهُ الكسلْ): فلنذهبْ الآنْ..

-الشهبندرْ (يقومُ ببطءْ): توكلنا على الله يا صاحبيْ..

يخرجُ الصاحبانِ من باب المسجدِ الكبيرْ و يهبطانِ من على السلالمِ المتكسرة .. و يشيرُ الشهبندرْ بيدهِ لسيارةِ أجرة محلية هناك – سيارةٌ صغيرة الحجمْ عليها مظلةٌ من قطعةِ قماشْ مخططة – و يطلبانِ من السائقْ نقلهما، فيصعدانْ السيارة الصغيرة و التي إستهانَ براكينُ الغضبْ بقدرتها على التحركْ، لتدور العجلاتُ على نفسها بقوة، و تثيرُ الغبار من خلفها، و تنطلقَ كالحصانْ مما جعلَ صاحبينا يندفعانِ للخلفْ و يتشبثانِ بمقبضِ البابْ – هل مازلتَ تسخرُ منها يا براكينْ الغضبْ؟-

تتوقفُ سيارةُ الأجرة عند منعطفٍ لإحدى الأحياء، فيترجلُ منها الصاحبانِ و يدخلُ براكينُ الغضبْ يدهُ بجيبهِ و يخرجُ قطعةً معدنية و يعطيها للسائقْ الذي رفعَ يديهِ للأعلى و أخذ يدعو لبراكين الغضبْ ... و بعدها .. أكملا المسيرَ مشياً على الأقدامْ.. حتى أشارَ الشهبندرْ للأعلى:

-الشهبندرْ :هنا أيها الليثْ .. علينا أن نقطعَ هذا الشارعْ لتلك المنطقة المهجورةْ..

-براكينْ الغضبْ (عاقداً حاجبهُ الأيسرْ): هل هم هنا ؟

-الشهبندرْ (ضاحكاً :(لا أيها الليثْ.. بل بعد تلك المنطقة .. إتبعني و لا تنظرْ لجانبيكْ..

-براكين ْ الغضبْ : لم ؟

-الشهبندرْ: هذه المنطقة مهجورة .. ماذا تتوقعُ منها ؟.. لقد أتيتُ إليها عدة مراتٍ من قبلْ.. و أعرفُ عنها الكثير.. سر بجانبي .. و لا تنظر لجانبيكْ..

-براكين الغضبْ (مندهشاً): حسنٌ..

يمشي براكين الغضبْ و هو ينظرُ للأمامْ .. و لم يلتفت لجانبيهِ مع فضولهِ الشديد و الذي يقطع تفكيرهْ.. لكن .. ما السرْ في ذلك ؟.. و لم يسيرانِ هكذا في الظلام من دون الإستعانة بمصباح على الأقلْ ، و إلى متى سيعتمدانِ على ضوءِ القمر في المسيرْ .. كان براكين الغضبْ يختلسُ النظر بطرفِ عينيهْ.. و لمح أشياءَ تبدو كرؤوسٍ و لديها آذانٌ طويلة ... و أسنانْ .. و ... أعينٌ حمراءْ .. توقف براكين الغضبْ فجأة ... و أخذ الشهبندرْ ينادي عليهْ .. لكنهُ لم يتحرك..

إقتربَ منهُ الشهبندرْ.. و حدثهُ بهدوءْ:

-الشهبندرْ: أسرع . لا يجدرُ بنا البقاءُ هنا طويلاً ؟

-براكين الغضبْ: أينَ نحن يا شهبندرْ ؟ لم تصر أن أمشي هكذا بلا هدفْ.

-الشهبندرْ (بهدوءْ): شششششش .. لا تصرخْ.. سنقعُ بمصيبةٍ إن أطلنا المكوثَ هنا..

-براكين الغضبْ (بغضبْ): لن أتحرك حتى تقول لي ماذا يجري هنا ؟

-الشهبندرْ (ببرودْ): أتريدُ حقاً أن تعرف ما يجري أيها الليثْ؟..

-براكين الغضبْ : أجلْ.

-الشهبندرْ : لك ذلك.

يضعُ الشهبندرْ أصابعهُ تحت رقبتهِ و يزيلُ طبقةً ما و كأنها جلدٌ جديد وسط ذعر براكين الغضبْ.. و أخذ يزيلُ تلك الطبقة و يرفعها للأعلى و معها إنفسخت شفتاهُ و أنفهُ و بقيتْ هالاتٌ على عينيهِ .. و براكين الغضبْ ينظرُ بفزعْ:

-براكين الغضبْ (يصرخْ): أعوذ بالله . أعوذ بالله.

يخلعُ الشهبندرْ تلك الطبقة و التي كانت تشبهُ القناعْ .. و يرميها على الأرضْ.. و يتفرَّس بوجهِ براكين الغضبْ الذي إنعقد لسانهُ عن الكلامْ.. ونظر إلـــــــــــيهْ:

-هل إرتحت الآنْ أيها الليثْ ؟

-براكين الغضبْ (يرفعُ سبابتهُ بوجههْ): المتمردْ .. كيف ذلكْ ؟ كل ذلك الوقتْ و أنت كنت معيْ.

-المتمردْ (ساخراً): هههههههههههههه .. لتعلمَ بأنك لن تنجوا بفعلتك تلك . وستعودُ معي إلى المعسكرْ..

-براكين الغضبْ (بحَمَقْ): سحقاً لك..

-المتمردْ: سيكونُ مصيرك كالأصمعيْ..المسكينْ قد ماتْ و هو يتلفظُ بإسمكْ كزوجةٍ تستنجدُ بزوجها لحظة إغتصابها..

-براكين الغضبْ : سحقاً لك .. سحقاً لك..

و يندفعُ براكين الغضبْ ناحية المتمردْ.. و يرديهِ أرضاً .. و تصاعدَ العراك بينهمـــــا .. و كلٌ يريدُ قتل الآخر بعراكٍ عنيفْ.. حتى كانت الغلبة للمتمردْ و الذي أحكمَ السيطرة على براكينْ الغضبْ ووضعَ المسدسَ بين عينيهْ:

-المتمردْ: ستموت أيها الليثْ. .. ستموت و بعدك أسامة بن لادنْ...

-براكين الغضبْ: لعنةُ الله على قذرٍ مثلك..عارٌ على العرب و الأمة الاسلامية كلها..

-المتمردْ (ساخراً): وداعاً أيها الليثْ..

طاااااااااخْ .. طاااااااااخْ .. طاااااااااخْ..

طاااااااخ .. طاااااااااااخْ...

طلقاتٌ تبعتها طلقاتْ .... كلها إنبعثتْ من فوهة المسدسْ.. و باتتْ حارقة على الجلدْ..

و سوادٌ في سوادْ .. صوتٌ ينادي من بعيدْ..

أيها الليثْ... أيها الليثْ..

ليفتحَ عينيهِ بطءْ... و جسدهُ متعرقْ.. و تلتقي عينيهِ بعينيْ الشهبندرْ..

و الذي كان يهزهُ بعنفْ:

-الشهبندرْ: إستيقظْ.. مابكْ ؟ لم تصرخُ هكذا ؟

يفتحُ عينيهِ على وسعهـــما .. و ينظرُ إلى الشهبندرْ برعبْ.. و يتلفتُ يميناً و يساراً...

و ينظرُ للسماءْ .. و يصرخُ بسائق سيارة الأجرة..

توقففففففففففْ . توقفْ حالاً.

فيتوقفُ .. و يترجلُ من السيارة على عجلْ وسط دهشةِ الشهبندرْ الذي يريدُ تفسيراً لم يحدثْ.. فيدخلُ براكين الغضبْ يدهُ بجيبهْ و يتوقفْ لحظةً

"هذا المشهدْ !! لقد رأيتهْ ... هل ما أحسُ بهِ حقيقي؟"

-أيها الليثْ.. هل أنت بخيرْ؟.. هيا إدفع للرجلْ..

يعودُ براكين الغضبْ لأرض الواقع و يدخلُ يدهُ عميقاً بجيبهِ و يجد قطعةً معدنية فأخذ يتحسسها و يهمسُ بنفسهْ" هناك قطعةً معدنية بجيبي!!".. و يعطيها للسائق و الذي رفعَ يديهِ للأعلى و أخذ يدعو لبراكين الغضبْ ...و الذي كان ينظرُ إليهِ محدثاً " لقد سمعت ذلك .. لقد سمعتُ ذلك أيضاً" و بعدها .. أكملا المسيرَ مشياً على الأقدامْ ..حتى أشارَ الشهبندرْ للأعلى:

-الشهبندرْ: هنا أيها الليثْ .. علينا أن نقطعَ هذا الشارعْ لتلك المنطقة المهجورةْ..

-براكينْ الغضبْ (صامتاً محدثاً نفسهُ مرةً أخرى): " و رأيتُ ذلك أيضاً " .. ثم يردفْ للشهبندرْ: هل هم هناك ؟

-الشهبندرْ (ضاحكاً): لا أيها الليثْ.. بل بعد تلك المنطقة .. إتبعني و لا تنظرْ لجانبيكْ..

-براكين ْ الغضبْ (يحاولُ ربط الأمورْ) : لم ؟

-الشهبندرْ: هذه المنطقة مهجورة .. ماذا تتوقعُ منها ؟.. لقد أتيتُ إليها عدة مراتٍ من قبلْ.. و أعرفُ عنها الكثير.. سر بجانبي..

-براكين الغضبْ) عاقداً حاجبهُ الأيسرْ محدثاً نفسهُ أيضاً):" لقد نسي أن يقولْ و لا تنظر لجانبيكْ، و أحسُ بأنها إشارةٌ لشيءٍ ما...."

-الشهبندرْ (مندهشاً): مابكْ ؟ هيا فلنذهبْ..

-براكين الغضبْ: إنتظر أيها الشهبندرْ.. هل قلت بأنك تأتي إلى هنا مراراً ؟

-الشهبندرْ (بإستغرابْ): أجل..

-براكين الغضبْ : و لم يرك أحد تدخلُ إلى هنا؟

-الشهبندرْ: أبداً..

-براكين الغضبْ) مبتسماً بغموضْ): اذاً دعني أخبرك بأن المخبأ مكشوفْ.

-الشهبندرْ) يصرخْ): ماااااااااذا ؟

-براكين الغضبْ (يضعُ بطن يدهِ على فم الشهبندرْ): أصمت كي لا يسمعوننا و يعرفون بأننا هنا..

-الشهبندرْ: من هم أيها الليثْ عم تتحدثْ ؟ لم أفهم شيئاً.

-براكين الغضبْ (و نظرةُ غموضٍ بعينيهْ): المتمردْ قد وصل إلى هنا .. و أشتم رائحة آثارهِ هنا..

-الشهبندرْ:كيف ذلك و هي المرةُ الأولى التي تحضرُ فيها إلى هنا.
-براكين الغضبْ: أسرعْ و أشعلْ فتيل اللعبة النارية التي معكْ..

-الشهبندرْ: هل جننتْ علينا أن نجتمع الآنْ ، أتعلمُ معنى إشعالها ؟

-براكين الغضبْ: أعلم .. تعني بأن المخبأ قد أكتشف أمرهْ.. و علينا أن نفترقْ.. إفعل ما قلتهُ لك و سأثبتُ لك كلاميْ..

-الشهبندرْ (يوافقُ على مضضْ): حسنٌ..

يضعُ الشهبندرْ اللعبة النارية في الرمالْ.. و براكين الغضبْ يراقبُ المنطقة بعينيهِ الثاقبتينْ ليرصدَ أية حركة ..و ما أن يطلقَ الشهبندرْ اللعبة .. حتى تحلق عالياً في السماءْ و تصدرُ دوياً كبيراً في السماءْ.. حتى تنطلقَ إلى السماءْ طلقاتُ نارية من رشاشاتِ و بنادقْ و كأنها تلاحقُ تلك اللعبة النارية التي إنفجرتْ فيصرخ الشبهندرْ:

-الشهبندرْ: إنهم هناااااااااا ، قد صدقتْ إنهم هنا... جنود المتمردْ هنا.

-براكين الغضبْ (يمسك بذراع الشهبندرْ): فلنعد إلى المسجد الكبير بسرعة..

-الشهبندرْ: جرياً.

-براكين الغضبْ : فلنبتعدْ ..دوي الرصاص يقتربُ منا .. هيا .. أراهنُ بأن أسد الله و من معهْ سيذهبون إلى هناك ..أسرع..

-الشهبندرْ: أنا وراءك أيها الذكيْ.. لكن أخبرني فيما بعدْ كيف عرفتْ ذلك..

يجري الصديقينْ.. ودوي الرصاص و الرشاش يقتربُ منهما .. فيلتفتُ الشهبندرْ إلى الخلفْ و يكبرْ:

-الشهبندرْ: الله أكبر و كأني أرى إنفجاراً هناك بين دوي الرصاصْ.

-براكين الغضبْ: إركض الآنْ ، ربما كانت هناك مجموعةٌ من المجاهدين تحرسً الممر الداخليْ فوقفت للجنود بالمرصادْ أسرع.. يكفي بأننا لا نملكُ أية أسلحة..

-الشهبندرْ: هيا..

يصلُ الصاحبانِ إلى المسجدْ .. و كلٌ منهما منهكْ .. و قد خرَّ براكين الغضبْ على السلم العلوي حيث إفترشَ الشهبندرْ السجادة ... و أخذ يهمسْ الأخيرْ:

-الشهبندرْ: يالك من وغدْ ، كيف عرفت بأنهُ كمينْ ؟

-براكين الغضبْ (يحاولُ أن يتنفسْ): عندما غفوتُ و نحن بطريقنا إلى هناك رأيت ذلك .. و إستنتجتُ بأننا في خطرْ..

-الشهبندرْ: أتعتقدُ بأننا المستهدفونْ ؟

-براكين الغضبْ: ربما نحن .. و ربما غيرنا .. وربما أرادوا تتبع طريقنا ليقضوا علينا جميعاً.

-الشهبندرْ) بغضبْ): ليتني أعرفْ كيف علم المتمردْ بذلك ، أراهنُ بأنهُ هو صاحبُ ذلك الكمينْ.

-براكين الغضبْ : لا يهمني شيءٌ الآن غير أن ألتقي بمجاهدي عمرانْ لنذهب و نهجم على المعسكرْ اليوم بالذاتْ.

-الشهبندرْ: دعنا نتأكد بأن أسد الله هنا .. و نخبرهُ بذلك لنسألهُ المددْ..

-براكين الغضب: هيا..

يدخلُ الإثنانِ و يجدانِ حالةً من الفوضى .. حيث يقفُ أسدُ الله بين المجاهدين ْ..، و مجاهدي عمرانْ.. و كان أحد المجاهدين ْيصرخْ و يعبرُ عن غضبٍ ما فيهْ.. فيقتربُ منهم براكينُ الغضبْ و الشبهبندرْ:

-براكين الغضبْ : هل الجميعُ بخير يا أسد اللهْ ؟

-أسد الله: الحمدلله قد أخلينا المخبأ بسرعة حالما رأينا إشارة الإخلاءْ.. أودُ شكر من قام بها..

-الشهبندرْ: أنا فعلتُ ذلك بناءاً على إصرار الليثْ..

-أسد الله (مبتهجاً): أشكرك أيها الليثْ.. أتعلمُ ما فعلت؟ قد أنقذتَ ٤٠٠ مجاهدْ من خيرة رجال القاعدة..

-براكين الغضبْ (غير مصدقْ): القاعدة ، هل أنت منهمْ ؟

-أسد الله : أجلْ.. أنا منهمْ.. و الشيخ أسامة بن لادن يرسلُ سلامهُ إليك .. و كذا صديقك السيف البتارْ..و هم يعدون العدة ليقوموا بعمليةٍ جديدة في الخليجْ..

-براكين الغضبْ (مبتسماً): حفظهم الله و يسر عليهم جميعاً..

-أحد المجاهدينْ: لا وقت لدينا سيدي .. مارأيك أن نكمل ما نحن عليهِ من مقاومة حتى يحين إجتماعنا التالي بعد التأكدِ من سلامة المكان الجديد ؟

-براكين ْالغضب: على ذكر أمر المقاومة .. أردتُ إستئذانك بأني و الشهبندرْ ومجاهدي عمرانْ سنقوم بالهجوم على معكسر المتمردْ.. لقتله و تحرير السجناء هناك..

-أسد اللهْ (وقد جحظت عيناهْ): لاااااا .. لا تفعلوا ذلك... هذا خطر..

-براكين الغضبْ: إغفر لي إن عصيتك هذه المرة و تصرفت بإنفرادية .. لكن صديقي يحتاجُ إليْ... و هناك شيطانٌ علي قتلهْ..

-الشهبندرْ: نسألك المدد من السلاح و الرجال إن إستطعت..

-أسد الله) صامتاً.. .. .. :(

-براكين الغضبْ: إن لم تستطع مساعدتنا فلا بأسْ ، سنقوم بذلك بما نملكهُ من ذخيرةٍ بمنزل مصعبْ.. أليس كذلك أيها الشهبندر؟

-الشهبندرْ (يومئُ بالايجابْ): أجل .. نستطيعُ ذلك..

-أسد الله : ليس الأمر بهذه البساطة .. فخصمنا ليس سهلاً..

-براكين الغضبْ: الله معنا .. ألم يقل سبحانهْ: و أعدوا لهم ما إستطعتمْ من قوةٍ و من رباط الخيلْ" . سنقوم بما نقدرُ عليهِ و الله سيوفقنا بإذنهْ.. لقد أعددت خطة الهجوم .. و حددت الوقت و كيفية الهجومْ...

-أسد الله.. .. .. :

-الشهبندرْ: لا تبقى صامتاً هكذا...

-أسد الله: لا أريدُ أن أخسركما هكذا..

-براكين الغضبْ (و مشهدُ عراكهِ مع المتمرد يراودهْ): يجبُ أن أنقذ الأصمعيْ.. يجب أن أنقذ صديقي ..سأذهبْ..

-أسد اللهْ. ..:

-براكين الغضبْ (يترقبُ كلمةً ما من بين شفتيْ أسد الله... :(

صوتٌ قطعَ سحابة الحزنِ التـــــــي خيمت على براكين الغضبْ و الشهبندرْ و أسد الله و بقية القادة و المجاهدين:
-مجاهد (يلهثُ و بيده قطعةُ قماشٍ تحتضن شيئاً ما) سيدي براكينْ ، سيدي براكين .

ينتفضُ براكينُ الغضبْ ... و يلتفت للرجلْ و يسألهُ بفزعْ:
-براكين الغضبْ (و أوصالهُ مازالتْ ترتعشُ غضباً): مابكْ ؟ تكلمْ . تكلم.
-مجاهدْ (مازال يلهثْ و قد جثى على ركبيتهْ ..
-الشهبندرْ (غاضباً): مابك أخفتنا سامحك الله ماذا هناكْ؟

ينظر المجاهدْ إلى براكين الغضبْ الذي يرمقهُ بغضبْ .. ليمد له باللفافة :
-مجاهدْ: سيدي براكينْ ... هذه لكْ قد أعطاني إياها رسولٌ من قواتِ التحالفْ و قال أنها هديةً من الجنرال.

-براكين الغضبْ (يفتحُ فاههُ مندهشاً و يتناول اللفافة على عجلْ): ماااااااااااذااااا أرني.

-الشهبندر و أسد اللهْ :إفتحها يا براكينْ.

يحتضنُ براكينُ اللفافة بين يديهِ .. و يقلبها بين كفيهِ و علاماتٌ من عدمـــــ الرضا على وجهه .. و قد بدا يتعرقْ .. و يتعرقْ..
ليهمسْ و عينيهِ تحدقانِ باللفافة:
-براكين الغضبْ (و عينينِ ضائعتينْ :(إنهـــــــــــــــا دافئة .. مازلت دافئة .
-الشهبندرْ: ماهي هيا إفتحها.
-أسد اللهْ: ماذا تنتظرُ يا براكينْ فلنرى ماذا أرسل ذلك المجنونْ الذي يزدادُ جنوناً يوماً بعد يومـــْ.

ينظرُ براكين الغضبْ للشهبندرْ و أسد الله . . و للمجاهدْ الذي مازال جاثياً على الأرضْ .. و بقية المجاهدين ْ الذي أحاطوهُ من كل جانبْ .. فينظر إليهمـــْ من تحت حاجبيهِ الكثيفينْ .. ثم يعود بعينيهِ للفافة .. ليضع أصابعه بينها .. و يزيل الطبقة الأولـــــــــــى ليظهر شيءٌ ما يشعْ و يتلألأ . و من ثم يزيلُ الطبقة الثانية .. ليتسمَّر براكين الغضبْ برهة .. و يتسمر معهُ الشهبندرْ و أسد الله و اللذين لم يفهما شيئاً .. فيصرخُ براكين الغضبْ .. و يرفعُ قبضتهُ للأعلـــى و بيدهِ خنصرٌ مقطوعٌ من يد أحدهمـــْ .. محاطٌ بخاتمـــــٍ فضيْ .. ليضمهُ براكين الغضبْ بقبضتهْ:
-سحقاً لك أيها المتمردْ سحقاً لك.

فيحتضنُ وجههُ بين يديهْ .. و يجثي على ركبتيهْ .. و يكيلُ باللعناتِ للمتمردْ .. و أسد الله ينظرُ للشهبندرْ و كأنهُ يسألهُ عن سبب .. فيضعُ الشهبندرْ كفهُ على ذراع أسد الله :
-الشهبندرْ (بحزنْ): إنهـــــا أصبعُ صديقهِ الأصمعي .. قد عرفتهُ من هذا الخاتمـــِ الفضيْ .. قتله المتمردْ .

-براكين الغضبْ (يزمجرُ بهيستيريا :(فعلها المجنونْ .. لم يصر على إيذاءِ كل من أحبْ لم ؟ لم .. لم .. قبلهُ الفارسْ ..و بعدهُ كدتُ أفقد السيفْ... مصعب.... لم لم ؟

:

:

صمتٌ .. لكن رهيبْ .. أتبعهُ أسد الله بأن هتفْ بالمجاهدينْ :
-الله أكبرْ ، الله أكبرْ ، كبروا و إدعوا لأخيكمـــــْ الشهيدْ..

هل أستشهدَ الأصمعيْ هكذا ؟ ماذا سيحصلُ الآنْ ؟

هل سيسمحُ أسد الله لبراكين الغضبْ للذهاب و الثأر؟

و هل سيعود براكين الغضبْ إلى الخليج ؟

الحلقة الثالثةُ و العشرونْ: ليثُ قندهارْ!!

مازال براكين الغضبْ يمسك بذلك الإصبعْ بين قبضتهِ.. و جسدهُ يرتعشُ غضباً... و أحاديثُ جانبية.. و تكبيرٌ ودعواتٌ لأخيهمْ الشهيدْ.. و الشهبندرْ.. و أسد الله و بقية القادة.. كانت المفاجئة كافية لتجعلهمْ عاجزين عن التفكير بأي شيءْ... فبرغم أن الشهادة شيءٌ عظيمْ و مرغوب ..إلا أنهمْ يعرفون مدى مكانة الأصمعي الغالية بقلب براكين الغضبْ.. يقطعُ براكين الغضبْ صمتهمْ هذا و حرقةٌ بقلبهْ:

-براكين الغضبْ: أستأذنكمْ الآن.. لدي حسابٌ أصفيه مع هذا المجنونْ.

-أسد الله: رويدك يا براكين الغضبْ.. فالمتمرد ما أراد إلا إستفزازك.

-براكين الغضبْ : إنها رسالةٌ منهْ... يريدنني أن أبكي كل من أحبْ.. إنهُ يريدني شخصياً .. و يتحداني... و أنا قبلتُ التحدي... و سأذهب و أسحقهُ بمعقلِ داره الآن .. و أحذركم إن حاولتمْ منعيْ.

-الشهبندرْ: إستعذ بالله أيها الليثْ ، لا تقدرُ على المتمردْ و ما يملكهُ من إمكاناتٍ هناك.

-براكين الغضبْ: سأنتقم منه لم فعلهُ باخوتي المجاهدين و الإهانات التي سببها لهذا الدين .. أريد الثأر .. لله و الرسول و لكل مسلمْ ، أريد أن أحرق قلبهُ كما أحرق قلبي بصديقيْ – تماسك يا براكين .. تماسكْ – إن تركتهُ أكثرْ فسيصفي بقية المقاتلين الأكفاءْ.

-أسد اللهْ (يطلقُ تنهيدة): كنا نريدُ مهاجمة المعكسر الموجودْ بشرق قندهار.. و إن أردت مهاجمة معسكر المتمردْ.. فلا مانع لديْ كلنا هنا مجاهدونْ.. و كلنا نقاتل من أجل هدفٍ واحد... إذهب و نحن معك.. و سنمدك بالعتاد الذي تحتاجه.. و سأرسل معك خيرة رجالي ليحاربوا معك و مع مجاهدي عمرانْ..

-أحد مجاهدي عمران يقال له زيدْ: سنثأرُ لقائدنا.. و لأفغانستانَ كلها...

-الشهبندرْ: سأقوم بما يلزم من توفير ما نحتاجُ إليه أيها الليثْ بالتنسيق مع أسد اللهْ..

-براكين الغضبْ (و لمعانٌ في عينيهْ): " سأنال منك يا عدو الله .. سأنال منكْ... "

)(**)(

)(

يجلسُ المجاهدينْ متربعين على الأرضْ.. و كلٌ منصتْ إلى مايقولهُ أميرهمْ .... و الذي إفترش الحائطَ بورقةٍ و كأنها خارطةُ موقعْ... ورسم مربعاتٍ و أشار على عدةِ مناطق بدوائرَ حمراءْ.. و يشيرُ تارةً باصبعهْ.. و أخرى برأس غصن الشجرةِ التي لم يفارقْ يدهْ .ولم ينسى أن يذكرهمْ بين الفينة و الأخرى بأهمية هذه العملية ... و بأنها ستعد ضربة كبيرة لقوات الإحتلالْ.. و بأنها الخلاص للأسرى بذلك المعسكرْ ... وذكرهمْ باخلاص النية للهْ... و ذكرهم بالشهادة و بمنزلة الشهداءْ... و كأنهُ مقدمٌ على أول عمليةٍ مع أنهـــــا ليست الأولى مذ وطأت قدماهُ أفغانستانْ.. لكن ربما لأنهُ أميرٌ.. و يحصلُ على كل الدعم الذي يحتاجهْ.. من تنظيم القاعدة و التي على رأسها أسامة بن لادنْ الذي بارك تلك الفكرة بعد أن نقل له أسد الله ذلك من أجل

دعم أميرهـــــا

براكين الغضبْ .. أو الليثْ.. يطوف بالمجاهدينْ.. و يرد على أسئلتهم و إستفساراتهمْ حول العملية..

فيدخل الشهبندرْ و ينادي الليثْ:

-الشهبندرْ: أيها الليثْ تعال و أنظر بماذا أمدتك القاعدة أيها الأميرْ.

يخرجُ براكين الغضبْ و من خلفهِ المجاهدينْ..فيفرجُ عن إبتسامةٍ إمتلأتْ بالبهجة.. فأمامهُ دباباتٌ و سياراتُ جيب و قذائفْ.. و دزينةٌ جديدة من المجاهدين .و الأجملْ.. إقترابُ أسد الله من براكين الغضبْ ووضعه ليدهِ على يد براكين الغضبْ مصافحاً إياهْ:

-أسد الله: الإمداد .. المقاتلينْ..كلهم تحت تصرفك أيها الأميرْ..الشيخ أسامة بن لادنْ..يبلغك سلامهْ.. و كذا السيف البتارْ.. و يباركون خطوتك هذهْ.. و يدعون لك بالتوفيقْ و بأن تحرز النصرْ بإذن الله..

-براكين الغضبْ (مبتسماً و يشدُ على يد أسد اللهْ): أشكرهم بالنيابةِ عني يا أسد اللهْ..

-أسد الله : شيءٌ آخر.. يطلب منك الشيخُ أن تنظم رسمياً لتنظيم القاعدة . . و يخصك بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدينْ..

-الشهبندرْ (ينظرُ بخوفْ إلى براكين الغضبْ.. .. :(

-براكين الغضبْ: أشكرهُ جزيل الشكر.. شرفٌ عظيمٌ لي بأن أنضم له و للقاعدة .. بعد إستضافة طالبان لي.. تستضيفني القاعدة إنهُ لكثير و الحمدلله رب العالمينْ..

-أسد اللهْ (يحرك حاجبيهْ): هل أعتبرها موافقةً أيها الأمير؟

-براكين الغضبْ: دع الأمر للأيامْ.. بعد كل تلك الأحداث بأفغانستانْ . و معرفتي بأبطالٍ مثلكمْ.. يكفيني ذلك ...و أفضلُ أن أعود كمجاهدٍ حرْ.. يجوب البلاد بحثاً عن الشهادة .. و نصرةً للأبرياءْ..

-الشهبندرْ (تنفرجُ أساريرهُ.. .. .. :(

-براكين الغضبْ (ينظرُ إلى الشهبندرْ مبتسماً): و لا غنى لي برحلتي هذه عن صديقي و رفيقي و معلمي الشهبندرْ ..أليس كذلك؟

-الشهبندرْ (تترقرق عينيهْ): خلتك ستنساني لحظة هذا التشريفْ العظيمْ..

-براكين الغضبْ: عد إليهْ و أخبرهُ بما أخبرتكْ.. بحفظ الله يا أسد اللهْ..

-أسد الله (يشدُ على يد براكين الغضبْ): بحفظ الله أيها الليثْ... سنكونُ بجبهتنا بعد ساعةٍ من الآنْ.. نتمنى لكمْ النصرْ بإذن الله..

-براكين الغضبْ (ينظرُ للسماءْ): بإذن اللهْ...

أسد الله (يشدُ على يد براكين الغضبْ): بحفظ الله أيها الليثْ... سنكونُ بجبهتنا بعد ساعةٍ من الآنْ.. نتمنى لكمْ النصرْ بإذن الله..

-براكين الغضبْ (ينظرُ للسماءْ): بإذن اللهْ...

)(*)(

بعد أن تأكد أن كل شيءٍ جاهز.. و أن كل مجاهدٍ على علمٍ بما عليهِ فعلهْ... يجلسُ أمير المجاهدينْ على صخرةٍ و يمسحُ بندقيتهُ بطرفِ عمامتهْ.. و يمسكها ..و يوجهها للسماءْ و ينظرُ من خلالها .. ثم يعيدها و يضعها فوق ساقيهِ و يقومُ بمسحها مرةً أخرى . و ما أن ينتهي حتى يضعها جانباً .. و يتحرشُ بالنار أمامهُ و كأنهُ يريدُ إيقاظ ألسنةِ اللهب مرةً أخرى ..و ينظرُ إليها .. وتمرُ بمخيلتهِ عدة صورٍ قديمة..

فيرى شاملْ ..بإبتسامتهْ..و يرى إشراقةَ ملامح خطابْ...و القطري.. و الغامدي..

و غيرهمْ..

ممن أحبهمْ في الله و للهْ..

و عاش معهمْ أياماً حلوة في الشيشانْ.. و تذكر يوم إستشهادِ خطابْ.. حيث دس لهُ الأوغاد السمْ ليموت مسموماً..

و تذكر يوم حذرهُ مراراً . و لكن طيبةُ خطابْ منعتهُ من الرؤيا بوضوحْ تلك اللحظة.. و تذكر دفنهُ بيديهْ..

و بنفس اليدينْ إحتضنها و هي بلفافتها.. و قبلها بين عينيها الصغيرينْ..

و أصر على أن يسميها بلقيسْ..

ها هو يُدخلُ يدهُ لداخلِ ردائهْ.. فيتوقفُ فجأة و يخرجُ يدهُ الخالية اللهثة لتلك الصورة..

ووضعَ يدهُ على ركبتهِ..و أغلقَ عينيهِ و كأنهُ يحاولُ أن يخفي تلك الدمعة التي تنازعُ للخروجْ..

و تذكر بأن الصورة لم تعدْ معهْ و أنهُ أخفاها مع الأوراق في المستشفى خشيةَ أن يمسك به الجنودْ و قد صدق ظنهْ

لكن ما السبيلُ الآنْ.. يريدُ أن يعاودَ عادتهُ تلك .. و يتحدث إليها .. و يضحك معها و يغضبَ منها..

يقطعُ صوتُ تحطمِ الأغصان تحت قدميْ الشهبندرْ حبل أفكارهْ..

و ينظرُ إليهِ براكين الغضبْ بملامحَ باردة – وكأنهُ يخفي حالة سرحانهْ... -

-الشهبندرْ (يجلسُ و قد إمتلأت جيوبهُ بالذخيرة و القنابلْ): أتفكرُ بالخليجْ ؟

-براكين الغضبْ (يزفرْ): لا . كنت أحاولُ إستحضار العملية و أفكر بالخسائر التي ستلحق بنا وبالعدو...

-الشهبندرْ: لا بأسْ.. لكني أردتُ أن أذكرك بذلك الموضوعْ.. مضى يومان سيمضي الثالثْ و الرابعْ....

-براكين الغضبْ: سأذهبُ للصلاة..

-الشهبندرْ: هل تناولت عشاءك ؟

و تركهُ براكين الغضبْ من دون أن يجيبْ.. فلم يأخذ الشهبندرْ الموضوعْ بحساسية .. و أخذ ينظرُ إلى النيرانْ ... و دارت بهِ الأفكارْ هو الآخرْ.

0

0

0

0

حرص براكين الغضبْ على أن يتفقد المجاهدينْ قبل أن يستأثر بمكانٍ بعيدٍ عنهمْ

ليصليْ.. فصلى ركعتين للهْ.. و رفع يديهِ للأعلى .. و تمتمتْ شفتيهِ بالدعاءْ.. و من ثم وقف و إرتفعتْ يديهِ للأعلى خلف أذنيهْ

و أخذ يكثر من الركوع و السجودْ.. وفي ركعتهِ الأخيرة .. هدأ قليلاً.. و نظر للقمرْ.. و الذي كان يضيءُ هذه الصحراءْ..

و من بعيدْ ..بدا وهجُ النيران التي أشعلها المجاهدينْ ليحتموا من البرد ْ رائعاً..

و كأنها ضياءٌ و ليستْ بنارْ..

أخذ يتأملُ هذا المنظر.. و الحراس يقومون بحراسةِ الموقعْ..

و بعضٌ من المجاهدين يقرئون القرآنْ.. و منهم من كان يقومُ بأداءِ بعض التمارينْ..

و آخرين إكتفوا بالحديث و تذكر مواقف حصلتْ لهم في حروبٍ سابقة.. كان ينظرُ إليهمْ بسعادة .. بغبطة لذيذة سرت بجسدهْ..

كان سعيداً بأن الله أكرمهُ و هو الوضيعُ بنظر نفسهْ. بأن يقود هذا العدد من المجاهدينْ.. كما الأيام الخواليْ..و أن يقدم شيئاً و لو بسيطاً للهْ..

في بلد الغربة هذهْ.. و التي ما أعتبرها غربةً لأنها دارٌ من ديار المسلمينْ.. لكن الله أكرمهُ بالجهادْ.. و بحب الناسْ.. و بصحبة الأخيارْ..

و يأملُ بأن يكرمهُ اللهُ بالشهادةْ..

دمعةٌ.. دمعةٌ ساخنة تسقطُ على خدهْ.. و تبللُ شاربهُ و الذي عانق سوادهُ شيئاً من البياضْ.. و الذي إمتد إلى شعرهِ المسترسلْ على كتفيهْ..

دمعةٌ كانت بأولها خشوعْ.. و خوفٌ من اللهْ.. و تبعتها دمعاتْ.. تمثلُ ذلك الشوق إلى أخوتهْ.. إخوتهِ الشهداءْ..و حبيبه الشهيدْ..

شوقٌ لجنة الخلودْ... و ليكون مع الأنبياءْ و التابعينْ.. و شوقٌ آخرْ .. شق عباب السماءْ ببكاءِ أمير المجاهدينْ.. و تراءتْ له

تلك الصغيرة .. الصغيرة بلقيسْ.. وضم قبضتهُ لصدرهْ.. و ناداها:

"حبيبتي بلقيسْ.. إغفري لوالدكْ. .إغفري لهْ.. أسأل الله أن يغفر لي إن أخطأتُ بحقكْ..و أن يريني طريق الصوابْ"..

و دمعةٌ ختم بها دمعاتهْ.. و كانت دمعةٌ قد إفتقدها..

منذ حضر إلى هذا العالمْ المفقودْ ..مفقودٌ من خارطة العالمْ الإسلامي كغيرهْ..

و كأن هذه الدولْ لا تحتضنُ مسلمينَ .. لزم على إخوتهمْ في جميع الدول الإسلامية مساعدتهمْ...

فكانت تلك دمعةٌ حرقة .. غضبْ.. ممزوجةٌ بأسفٍ على هذا الحالْ..

"نقاتلُ هنا .. و غيرنا في منازلهمْ نائمونْ " ... " نقاتلُ هنا و نحمي أعراضنا.. و الجميعُ يصفوننا بالإرهابيينْ

و بأننا إنتحاريونْ ، فهل رخصت مفاهيمنا هكذا لنقدم روحنا لغير الربْ"

يعودُ الأميرُ إلى ساحةِ الإستعدادْ.. و ينادي بالمجاهدينْ. . و يكبر و يكبر بصوتهِ الذي يجبر الأذن على الخضوع له...

و يشحذُ همتهمْ بحلو الكلام من قرآنٍ و أحاديثْ.. ويخفف وطأة قسوة الموقفْ ببعض الطرائفْ التي

أعادتْ للمجاهدينْ ضحكاتهمْ.. فالجهاد لا يعني أن يكون المجاهدونْ متجهمينْ أبداً.

و من ثمْ.. أطلق إشارة بدءِ الزحفْ.. و بدأت الدباباتُ و سياراتُ الجيبْ بالتحركْ.. و أصر أمير المجاهدين على إمتطاءِ العنقاءِ.. عنقاءُ الأصمعيْ..

و التي عثر عليها مجاهدي عمرانْ عند عائلةٍ من الأفغانْ.. و قد إعتنوا بها على رغم جموحها .. و قاموا بإستعادتها فور وصول خبر إستشهادِ الأصمعيْ..

و سلموها لصاحبهِ براكين الغضبْ – لأنه صديق الأصمعيْ – والذي إستطاعَ أن يروضها من أول لحظة ، و هذا ما أثار إستغراب الجميعْ.

فالعنقاءْ معروفةٌ بولائها للأصمعيْ فقطْ.. فهل يا ترى إشتمتْ رائحةَ

سيدها في صاحبهْ .. و كان الشهبندرْ.. و زيد .. و بقيةُ مجاهدي عمرانْ يمتطون الخيولْ..

مممممممـــ.. هل هذا تكتيكٌ جديدْ

من يعلمْ

المَشهـد الخامِس عشــر

الإقتــحام

يضعُ ساقيهِ على المنضدة ... كعادتهْ .. و يدخلُ ديفيدْ من البابْ:

-ديفيدْ : هل من أوامرَ أخرى سيدي ؟

ينظرُ إليهِ المتمردْ بغضبْ من تحتِ قبعتهِ: ..

-المتمردْ: لا .. هل قمتمْ برميهِ بالرصاص الثقيلْ ؟

-ديفيد (ضاحكاً): أجل . .ليتك ترا جسدهُ و هو يتطايرُ بين الرصاصاتْ.. مسكينٌ أنت يا سامْ...

إرتكبت خطأ عندما ظننت بأنك ستخدعُ الجنرالْ.

-المتمردْ (جامد الملامحْ. .. :(

-ديفيدْ) ينتظرُ تعقيباً من الجنرال الصامتْ بفضولْ. . .. :(

-المتمردْ (بتململْ :(إخرج الآنْ..

-ديفيد (بدهشة): حسنٌ سيدي الجنرالْ..

-المتمردْ) بحزمْ): و أقفل البابْ خلفك.

-ديفيد: حسنٌ سيدي الجنرالْ..

خرج ديفيد و أغلق الباب خلفهْ .. و المتمردْ على نفس وضعية الجلوسْ.. فيتناولُ السيجارة من على المنضدة و يشعلها .. فينفثُ ذلك الدخان للأعلى .. و تحدثهُ نفسهْ:

"حاولت خداعي يا سام .. ووقعت بزلة لسانٍ عندما تحدثت عن المفتاح .. و تظاهرتُ بأنني صدقتكْ..

حتى حانت اللحظة و صفيت حسابيْ معكْ ، أيها الخائن قد وثقت بك كثيراً.. ما أغاظني بأنني حين كنت أعذبك كنت تلفظ الشهادتينْ.. تُرى.. هل لقنك ذلك الأصمعي فترة أسرهِ هنا ؟ أنت لا تعرفُ معناها في الأصلْ .. سحقاً..

و يرمي بالسيجارةِ على الأرضْ.. و يضغطُ على رقبتها بطرف حذائهْ .. و يعود إلى وضعيتهِ المعتادة من جديدْ .. و يفتحُ الدولاب الحديديْ.. و يخرجُ زجاجة الشرابْ.. و أخذ يحتسي الكأسَ وراء الأخرى .. و أخذ ينادي على الليثْ.. و يكيلُ له باللعناتْ .. و يضحك بهستيريا .. و الجنود مندهشين من تصرف الجنرالْ الذي كان لا يكثر من الشرب أبداً ... أتراها الصدمة من خيانةِ يده اليمنى سامْ ؟

بينما المتمردْ مستمتعٌ بسهرتهِ تلكْ... حتى يقفَ أمام زجاج نافذة مكتبهِ و يرفعُ زجاجة الشراب تجاه النافذة و يصرخُ و هو يضحكْ:

نخبي كجنرالٍ عظيمْ..

و ما أن وضع فوهة الزجاجةِ على شفيتهِ حتى دَوى إنفجارٌ رهيبْ بوسط المعسكرْ.. و الساحة المقابلة لمكتبِ المتمردْ. .و الذي حلق في الهواءِ و إصطدم بالحائطْ.. و سقط على الأرضْ.. و تطاير زجاجُ النافذة من شدة الإنفجارْ..

أخذ المتمردُ يتحسسُ الأرضْ بأصابعهْ .. و يحاول أن يقوم من على الأرضْ .. لينظر في النافذة التي تحطمتْ.. و الجدار المتحطمْ .. فينظرُ بذعر .. و حاول مغالبةَ حالة السكر تلك .. ووقف على قدميهْ و حاول الوصول لمنضدتهِ و هو يترنحْ .. فأخذ يحدقُ بالنيرانِ التي إندلعتْ في المعسكرْ.. شاهدَ تلك القذائفَ التي أمطرت المعسكرْ.. و مقاتلونَ أشداءَ في الساحة .. يقاتلون جنود المتمردْ و الذين أصابهم الخوف و الذعرْ..

فأخذ المتمردْ يصرخْ:

-ديييييفيييييييد .. ديييييييفيييد.

و قذيفةً أخرى تضرب سقفَ مكتبِ المتمردْ.. و الذي نجا منها بأعجوبة .. فأخذ يسعلُ من دخانِ الحريق..و تناولَ ماوصلتْ إليهِ يدهُ من أسلحة ..و خرجْ.. و أخذ يناديْ:

-ديييفيييييد ، ديييييييفيييييييد.

يخرجُ إلى الردهة .. و يرى الجميعَ و كأنهم في خليةِ نحلْ.. و يصرخون يستغثون باليسوع..

فأخذ ينظرُ إليهم بغضبْ:

-مالذي يجري ؟ مالذي يجري هنا ؟

-جنديٌ (يلهثْ): سيدي لقد تعرضنا للهجوم من قبل مسلحين..

-جنديٌ آخرْ: سيدي .. لم نشدد الحراسة اليومْ لأنك لم تطلب منا ذلك .. و إقتحمتْ المعسكر سياراتُ جيبٍ خالية من السائقينْ.. و كان بداخلها قنابل فجرت البوابة الرئيسية ... و سيارةٌ إنحرفت و تدحرجتْ حتى أصابت بعض الجنودْ.. و الردهة الغربية .. و تطايرت منها بعض القذائف و التي إنفجرب بمناطق عدة في المعسكرْ..

-المتمردْ (يمسكُ الجندي من تلابيبهْ): أيها الغبي ، بل كلكم أغبياء ، كيف لا تشددون الحراسة ؟ هل تنتظرون أمراً مني في ذلك أم شغلتكم حفلات الشرابْ.

صوتُ ديفيد بذعر:

-سيدي الجنرال . سيدي الجنرال.. لقد إقتحم مسلحون المعسكر و ها هم يقتلون رجالنا سيدي

-المتمردْ (بغضبْ :(أعلنوا حالة الطوارئْ و تأهبوا للدفاع عن المعسكرْ ... ديفيدْ.. أرسل في طلب طائرة هليكوبتر على وجه السرعة .. لن أبقى هنا طويلاً..

-ديفيدْ: حاضر سيدي.

-المتمردْ (يخرجُ مسدسهُ من جيبهْ): لن ينالوا منا أبداً.

)(**)(

)(

كانتْ ساحةُ المعسكرْ ملآ بالمقاتلينْ الملثمين ..و كانوا كالأسودِ ينقضون على الجنود و يضربونهمْ بقوةٍ و غضبْ .فيتساقطُ الجبناءُ على الأرض واحداً تلو الآخرْ .. و هناك من فرْ .. و هناك من كان يحملُ بين يديهِ سلاحاً أقوى من الأسد الذي يقفُ أمامه عاري الصدر من أي درعْ .. فيسقطُ السلاحُ على الأرضْ .. و يفرُ هارباً و كأنهُ رأى شبحاً ما .. فوضى عارمةٌ نشبتْ مخالبها في ذلك المعسكرْ...و حالةٌ من عدم التنظيمِ إستفحلت فجأة .. و المتمردْ.. من بين النيرانْ يصرخْ بهذا و يشتم ذاك و كأن هذا الإقتحام قد شلَّ تركيزهُ تماماً.

-المتمردْ (يقفُ وراء بعض الجنودِ الذين كانوا يحاولون إطفاء النيران التي إندلعتْ بغرفة المؤونة): اللعنة ، اللعنة ، قاوموا أيها الرجالْ ، لا تدعوهم يهزموكمْ..

-سيدي الجنرالْ إحترسْ...

ينظرُ المتمردْ بطرف عينيهِ لذلك السقف الذي كاد أن يهوي عليهْ.. لولا أنهُ رمى بما في يديهِ من أسلحةٍ.. و رمى بنفسهِ متدحرجاً على الأرضْ كي ينقذ نفسهْ .. فيسقطُ السقفْ.. و يأكل ما تحتهُ من جنودٍ وقعوا ضحية عدم إنتباههمْ ..و كانوا يتراقصون بين ألسنة النيرانْ التي رسمتْ لنفسها صورةً راقصة بعينيْ المتمردْ الذي أخذ ينظرُ إليها و رعبٌ ما حفر عميقاً في وجههْ...

-المتمرد (منبطحاً على بطنهِ و الرملُ و جروحٌ طفيفة أصابت جانب وجههْ): مالذي يحصلْ ؟ أكاد أجنْ ، أكادُ أجنْ.

تكبيرٌ بأرجاءِ المعكسرْ أغاظ المتمردْ .. فوقف على قدميهِ وأخذ يربت على ملابسهِ ويزيل ما عليها .. لولا صوت حوافر تلك الخيولِ التي ظهرت بوجههِ فجأة.. و نظر إلى تلك الخيولِ الرشيقة التي تضربُ بحوافرها الأرض و تهزها هزاً .. فيرمي نفسهُ مرةً أخرى بين تلك الحوافر لينتقل للجهةِ الأخرى فيتفادا أن يموت دهساً .. ...و ينظرُ برعب إلى أولائك الملثمون بردائهمْ الأسودْ .. و هم يضربون صدور الجنود ... و يردونهم قتلى ... و لولا الرعبْ الذي أمسك بساقيهْ .. لإندفع و تناول سلاحهُ الملقى على الأرضْ... لكن مازالت آثارُ السكر مسيطرةً عليهْ.. وخذلانٌ عانقَ روحهُ و جسدهْ .. و ظل على الأرضْ.. ينظرُ للنيران التي تلتهم المعسكرْ.. و الجنود الجبناء الذين يقاتلون و لا يقاتلونْ و كأن الخيار بأيديهمْ..

إلتفت ليمينهِ ليراقبَ أولائك الفرسانْ .. و كانوا متجهين ناحية البوابة الرئيسية المحترقة .. و أخذ بقية المقاتلون ينسحبون ببطءْ ... و يرمون بما تبقى لديهم من قنابل يدوية على الجنودْ لتفريقهمْ.. فحاول تمالك نفسهِ ووقف على ساقيهِ مجدداً .. و حاول السيرَ جهة البوابة حيث يقفُ ديفيد و الآخرينْ.. وما إن نظر إلى تلك الساحة المقابلة للبوابة، حتى رأى جيشاً عظيماً يقفُ هناكْ .. يقفُ في الأمام خيَّالون أشداءْ بردائهمْ الأسودْ.. و بيدي كل واحدٍ منهم كلاشاً و سلاح البيكا ... فتحدثهُ نفسهْ:

"من هؤلاءْ مالذي يجري هنا " و هذه الأسلحة ليست أفغانية . و هذا الإقتحام ليس أسلوباً أفغانياً ولا عربياً أصلاً ، و لا يمتلك الجرأة على تحدي المتمردْ إلا رجلٌ واحدْ"

و فجأة ... تقتربُ فرسٌ هائجة من خلف المتمردْ .. الذي إستدارَ ناحيتها .. و رفع ذراعيهِ للأعلى فوق رأسهِ ليتفادى الإرتطام بها من هول المفاجأة التي لم تسمحْ لهُ بأن يتحرك قيد أنملة .. فتقفزُ الفرسُ للأعلـــــى .. و الجنودُ ينبطحونَ على الأرضِ يناشدون عيسى بأن ينزل عليهم الرحمة .. فتركضُ الفرسُ بعيداً .. و ينظرُ المتمردْ لنفسهِ .. ويدقق بجسدهِ إن أصابهُ أي شيءْ .. و إستغربَ أن الفرس لم تدهسهُ حتى .. و ما أن يستديرَ للخلفْ .حتى يرى الفرسَ المجنونة ..و فوقها ذلك الخيَّالْ ..و من خلفهِ فرسانهْ..

أخذ ينظرُ إليه المتمردْ بعينينِ غاضبتينْ .. و عقد حاجبيهِ من القهرْ " .. بذلتهُ العسكرية ليستْ رائجة بأفغانستانْ .. ولثامهُ الأسودْ يمنعني من رؤيةِ وجههْ .. لكن لحظة .. – وكان الخيَّالُ ينظرُ إلى عيني المتمردْ بغضبْ – هاتينِ العينينِ أعرفهما .. أعرفهما جيداً.. أيعقلْ.."

تقفُ الفرسُ على ساقيها الخلفيتينْ .. و يكبرُ الفرسان و المقاتلونْ ..و يتراجعون للخلفْ ... و يختفون بين الضبابْ .. و

يتركون المتمردْ المصدومْ .. و الذي أخذ يضربُ الأرض بكفيهِ بجنون و هستيريا.. و كان ديفيد يحاولُ تهدأتهُ بلا فائدة..

-المتمردْ (ساخطاً :(ألم أقل لك بأن تطلب لي طائرة هليكوبترْ أيها الغبيْ ؟

-ديفيدْ) محرجاً):لكن سيدي الإقتحام المفاجئْ سبب خسائر عديدة في المعكسر على رأسها قطع أسلاك الإتصالاتْ فتعذر علي الاتصالْ بالمعسكر الرئيسي حتى لطلب النجدة.

-المتمردْ (يمسكُ ديفيد بقوة):لو كان سام حياً لعرف كيفية التصرف في مثل هذه المواقفْ و لأول مرةٍ أحس بأني أخطأتُ بإتخاذِ قرارٍ ما .. صحيحٌ بأنهُ خانني .. لكني أثقُ بهِ في الشدائدْ التي إكتشفتُ ضعفك فيها .. أغرب عن وجهيْ و آتني بتقريرٍ مفصل عن الإقتحام و الخسائرَ المترتبة عليهْ و أرسل من يتتبعُ أثر هؤلاء المسلحينْ .. هيااااااااااااا .. تحركْ.

-ديفيدْ (بخوفْ): أمرك سيدي الجنرالْ .. أمركْ..

و يترك العنان لساقيهِ لتسابق الريح لينفذ أوامرَ الجنرال الغاضبْ الذي أخــرجَ علبة السيجارة من جيبهِ و وضعها على شفتيهِ و أشعلها .. فأخذ ينفث الدخانَ الذي تصاعدَ فوقَ رأسهِ وإختلط بأفكارهِ السوداءْ . فيتمتمُ قائلاً:

"لن يهزني هجومُ فتيةٍ من الصغارْ ... أنا لهمْ ... أنا لهمْ"

بزغَتْ شمسُ النهارْ.. و أخذ الجنرالُ يتفقدُ المعسكرْ و بيدهِ التقرير الذي سلمهُ إياهُ ديفيدْ..و أخذ يركلُ جثث القتلى و هو يسيرُ بينهمْ لأنها تعيقُ تحركاتهْ .. ووقف قبالةَ المخزنِ المحترقْ وأخذ يتفحصهْ:

-المتمردْ :تباً .. الأوغادْ قاموا بإحراق المخزنْ .. – ينظرُ إلى التقريرْ – و يبدو بأنهمْ قاموا بإحراق غرفة المولداتِ الرئيسية .

-ديفيدْ (بقلقْ): لكن سيدي .. إن تجاهلنا أمر المخزن لوجود إحتياطي الطعام لدينا في مخزن الطوارئْ ..ماذا عن غرفة المولداتْ ، لقد قطعتْ الإتصالاتُ كلها .. و لا توجد كهرباءٌ و لا ماءْ.

-المتمردْ(ببرودْ): تخيل بأننا نعاصرُ الحرب العالمية الثانية .. حيث لا ماءَ و لا كهرباءْ ، و.....تصرفْ!

-ديفيدْ : لكن سيدي الجنرال .. كيفْ ؟

-المتمردْ (يحاولُ التماسكْ): ديفيدْ.،. لحظاتٌ و سأفقدُ صوابي من غبائكْ اللامحدودْ .. أغرب عن وجهي و دعني أتفقدُ الخسائرَ وحديْ..و إجمع الأغبياء الذين يفترضُ بهمْ أن يحسنوا الحراسة أثناء الإقتحامْ و لم يستطيعوا شيئاً – ولمعانٌ بعينيهْ – ويلٌ لهم من غضب الجنرالْ.

يقتربُ جنديٌ من المتمردْ .. و يهمسْ:

-الجنديْ: سيدي الجنرالْ .. أود إبلاغك بفقد بعض السجلات المهمة.

-المتمردْ) جاحظ العينينْ): سجلاتُ ، ماذا تكلمْ ؟

-الجندي: السجلات الخاصة و المخبأة بغرفة الملفات سيدي .. لقد تم إقتحامها و العبث بها.

-المتمردْ) يكاد يفقدُ أعصابهْ): أيها الغبيْ إرفع لي تقريراً عن السجلات الضائعة ، يهمني سجلٌ معين لا أريدُ أن أفقدهْ تحرك

ثم يلتفتُ المتمردْ إلى ديفيد:

-أمازلت واقفاً ؟

-ديفيد: لكنك سيدي لم تأمرني بأن أذهب الآنْ و لم تكمل بقية الأوامرْ ؟

-المتمردْ (يصرخْ): أحمـــــــــــقْ – طرااااااااااااااخ – أغرب تعني أغرب فوراً و الآنْ ، الاااااااااااااآن.

-ديفيد (يضعُ كفهُ على خدهِ المصفوع و يفرُ من وجه المتمردْ): حاضرْ سيدي..

ساعاتٌ عصيبة مر بها ذلك المعسكرْ... و المتمرد يرتدي بنطالهُ العسكري و قميصاً داخلياً فقط .. و العرقُ يتصبب من جسدهِ و ذلك لعدم وجود كهرباءْ و التي تستخدمُ لتشغيل المراوحْ .. يقف المتمرد و أمامهُ كافة التقارير المرفوعة إليهْ .. و أمامهُ ديفيد و بعضاً من المستشارين الخاصينَ بهْ .. و كان يتناقشُ معهم بخصوص الإقتحام الذي تعرض له المعسكر و عن الخسائر و الطرق الأخرى الممكن إستخدامها من أجل البقاءْ لأطول فترة ممكنة للإستمرار في المقاومة و النيلِ من هؤلاءِ المسلحينْ..

-المتمردْ: من هذه التقارير أستطيعُ الجزم بأن خصمنا غير واضح الرؤية حتى الآنْ .. و أظن بأنها حرباً إنتقامية على الأرجح ْ..

-المستشار الأول: لكن أيها الجنرال .. علينا معرفة ماهية الخصم و إستراتيجيتهُ في المعركة ؟

-المستشار الثاني : لا أظن أنهُ جيشٌ نظامي .. بل غيرُ نظاميْ ، ألم تروا بأن زيهم غير موحد ، لقد رأيتهم في الساحة.

-المستشار الثالث: علينا أن نجمع المعلومات التالية عنهمْ: نوع الجيش، العدد،العتاد .. و نرسم خطة محكمة للإيقاع بهْ.

-المتمردْ: يا سادة .. هذا الجيشُ ليس إلا ثلةً من الأغبياء .. يدعون بالمجاهدينْ...

ينظر المستشارون الثلاثة إلى المتمردْ الذي أردف قائلاً و هو يدخنْ:

-المتمردْ: إنهُ جيشٌ غير نظاميْ..و لا يحتوي على كتائب و سرايا و و و .. بل هو نوعٌ من حرب العصاباتْ .. أعرفهُ تمام المعرفة .. ويصعبُ تحديد موقع الجيش و ما إلى ذلك من معلوماتْ لأنه غير نظاميْ.. و ما سنتلقاهُ منه مفاجآتٌ فقطْ.

-المستشارُ الثاني:و ما السبيل لردعه أيها الجنرالْ ، لقد أصابوا الطبقة التحتية للمعكسر.

-المتمردْ: أدعوها مرحلة إستنزافٍ ...إستنزافٍ للمواردْ أيها السادة ..صحيحٌ بأن قائد المجموعة ذكيْ . لكنهُ ليس بذكاء المتمردْ.

-المستشارُ الثالثْ (يعبثُ بقلمهْ): و مالحل برأيك ؟

-المتمردْ (بغضبْ):لا أنكر الخسائر الكبيرة ..لكننا سنستمرُ بالقتال حتى يصل رسولي إلى المعكسرْ الرئيسي لطلب العون قبل فوات الأوانْ ، و سأعيدُ الصفوف لأني أتوقعُ هجمة ثانية هذه الليلة..

-المستشارونْ: نحن معك أيها الجنرالْ.

-المتمرد: سأخرج و أنظمُ الصفوف بالخارجْ .. إتبعوني..

و يخرجُ المتمردْ و المستشارينْ .. و بعد درسٍ في إحترام الزي العسكري و أداء الواجب تجاه الوطن..

معاقبة الحراس المهملينْ.. قام المتمردْ بإعادة الصفوف مرةً أخرى قبل مغيبِ الشمس ليكون على أتم الاستعدادْ..

و تغيبُ الشمسْ .. و تظلمُ الدنيا ... و يتعرقُ الجميع بما فيهم المتمردْ ..و ليس لحرارة الجو أي علاقةٍ بالأمر . بل هو الغضبْ..

الغضب و حرقة الأعصاب التي أصابت المتمردْ .. و جعلتهُ متيقظاً هو و رجالهُ طوال الليلْ . .. حتى أشرقتْ شمسُ اليومِ التالي .. ليكيلَ اللعناتْ و الشتائمْ..

و يحطم كل ما هو أمامهْ.

فيهرب من معهُ خشية أن ينفس الجنرالُ الغاضبْ غضبهُ فيهْ.

–أرى المتمرد يرمي قبعتهُ على الأرض و يقفزُ عليها و يركلها و يصرخْ–

لكن فعلاً .. أين أنتمْ أيها المجاهدونْ؟.. ألن تأتوا ؟

ألن تعيدوا كرة الإقتحام مرةً أخرى..

هناك .. على مسافةٍ بعيدة من المعسكرْ .. قريبةٍ من قمم الجبالْ.. يجلسُ أميرُ المجاهدينْ .. متوسطاً مقاتليهِ الشجعانْ ..كان الشهبندرْ كاشفاً جهةً من اللثامْ و يصفقُ مع من معهْ مبتهجينْ ...و زيدٌ يجلسُ مبتسماً على ركبةٍ و يستندُ على الأخرى التي وضعَ فوقها سلاح الكلاشنْ و أخذ يقومُ بمسحهِ و تلميعهْ .. وجنودُ عمران يثيرونَ الصخبَ و الحماسْ بين الصفوفْ .. فهم يمثلون أكثر مجموعةٍ حماسية في أي عمليةٍ جهادية ... فيرفعُ أميرُ المجاهدينْ كفهُ للأعلى فيصمتُ الجميعْ منصتينْ لأميرهمْ ..

-براكين الغضبْ (بملامحَ جدية): إذاً .. أراكم مبتهجينَ أيها الأسودْ..

لحظةُ صمتٍ يتبعها صمتٌ بين صفوفِ المقاتلين الأشداءْ .. فيردفُ الأميرْ:

-براكين الغضبْ (مفرجاً عن إبتسامةٍ جميلة): و أنا فخورٌ بكم و بما قمتمْ بهِ .. و هنيئاً لديننا و لنا بنجاح الضربةِ الأولـــى و الثانية.. الأولى كانت في الإقتحام ... و الثانية حرق الأعصاب للمتمرد العزيزْ.

يقفُ أحد مجاهدي عمرانْ ... و يهتفُ عالياً : الله أكبرْ

فيهتفُ الجميعُ بقوة و أسلحتهمْ محلقةً في الهواءْ : الله أكبرْ

يبتسمُ أمير المجاهدين مرةً أخرى .. و يلتفتُ إلى زيدْ:

-براكين الغضبْ: ماذا عن الخسائر التـــي قمتمْ بها للآن يازيدْ ؟

-زيدْ) يعتدلُ في جلستهِ و يخرجُ قلماً من جيبهِ الأماميْ و مفكرةً من جيبٍ آخرْ): كما خططتَ لهُ أيها الأميرْ.. لحظة إنفجار السيارتينْ و إطلاق اشارة الهجومْ . قمنا بمهاجمة المعسكر من الجهة الخلفية حيث الإمداداتْ و التموينْ .. و قمنا بضربِ غرفة المولداتْ..

-براكين الغضبْ (يومئُ بالإيجابْ): رائعْ ...و ماذا عنك أيها الشهبندرْ ؟ هل قمت بما أمرتك بهْ ؟

-الشهبندرْ (يخرجُ حزمةً من الأوراق من جيبهْ): أجل .. هاهي السجلات و الأوراق التي طلبتها .. لقد إقتحمنا غرفةً وجدتها بالقرب من مكتب المتمردْ .. و أظنها الغرفة التي نريدها .. فهي ممتلئةً بملفات عدة .. و بحثتُ على وجه السرعة

بينها ووجدتُ ما تريد..

-براكين الغضبْ (يحدقُ في السجلات و تقعُ عينيهُ على سجلٍ بعنوان (الخليجْ): أشكرك من قلبيْ .. وماذا عن السجناء؟.. ألم تجدوهمْ ؟

-مجاهدٌ من مجاهدي عمرانْ :أيها الأمير .. لقد بحثنا في السجون التي رسمتها لنا بخريطتك .. و لم نجد أحداً هناك!!

-الشهبندر ْ (يلتفتُ إلى براكين الغضبْ بخوفْ): هل تعتقدُ بأنه تم نقل السجناءِ إلى المعسكر الرئيسي؟

-براكين الغضبْ (مطأطأ رأسهْ): لا أظن أيها الشهبندرْ... فبعد أن يتم إستجواب و تعذيب السجناءْ .. يتم نقلهم خارج أفغانستان من كابولْ .. إما إلى الأردن.. أو إلى كوبا..

-الشهبندرْ (شاهقاً :(كوبا.

-براكين الغضبْ: أجل .. لقد أخبرني بذلك المتمردْ عندما كنت أتعرض للتعذيبْ..

-زيد: و لِم ينقل السجناءُ للخارجْ خاصةً إذا كانت لا فائدةً منهمْ ؟

-براكين الغضبْ: ليتم قتلهم و التخلص منهم لا سيما إذا كانوا من قادة العمليات الجهادية.

-الشهبندرْ: مر يومان الآن .. هل نستعدُ للضربةِ الثالثة ؟

-براكين الغضبْ (و لمعانٌ غامضٌ بعينيهْ): أجل .. إستعدوا..

كان المتمردْ قد سلم جسدهُ لفراشهِ منذ لحظاتْ . . ليسمع دويٌ قويْ قريبٌ من غرفته .. فينهضُ بجنونٍ من سريرهِ و يبحثُ عن سلاحهْ .. ويخرجُ من غرفتهِ بملابسهِ الداخلية و بيدهِ مسدسهْ.. و الجنود يصرخون و ينادون البقيةَ ليطلقوا جرس الإنذار لينذروا عن حالة طوارئَ قصوى .. فيتمتم المتمرد بغضبْ:

-المتمردْ (في وضعية التصويبْ): سحقاً لهم ، بعد أن جعلونا نسهر طيلة الليل يباغتوننا ،و بوضح النهار هذه ليس حرب عصابات و لا عملية إستنزافْ ، هذه حقارةٌ جلبها من الشيشانْ و من غيرهُ يستطيعُ جلب ذلكْ ؟ المعتوهْ ، سحقاً له .. سحقاً لـــــ

و إنفجارٌ يحلقُ على إثره المتمردْ في السماءْ .. و يسقط أرضاً و يتأوهُ من شدة السقطة .. و يلتف حولهُ الجنود .. و يحاولون مساعدتهْ فيصرخُ فيهمْ:

-دعوني و إقتلوا الأوغادْ ، قاوموا حتى النهاية ، حتى النهاية ، حتى لو كان هذا آخر عملٍ تقومون به بمعسكر الجنرال.

وتستمرُ عمليةُ المقاومة هذه .. و عملياتٌ أخرى على أيامٍ متتابعة... و التي يتخللها ضرباتٌ من المقاتلين الشجعان للبنية التحتية للمعسكرْ .. و يسببوا الخسائر تلو الأخرى في كل مرةٍ يهاجمون فيها المعسكرْ ..و هذا ما حمل المتمرد و من معهُ عبئاً نفسياً ثقيلاً .. حتى نال منهم التعب .. فهم لا يعرفون وقت الهجوم .. و الهجوم يكون إما مرةً في اليوم .. أو أحياناً مرتينْ ..و يركز على قتل الجنود .. و إصابة النقاط الحيوية في المعسكرْ ..و لم يظهر طيفهُ للآن أمام المتمرد الذي أخذ يأكل أظافرهُ من الغيظْ.

"لم لا يقتلني ؟ لم ؟ لم لا يقتلني و يرحمنـــــي من هذه الحرب النفسية ؟ لم لا يواجهني وجهاً لوجهْ ؟"

يتوقفُ الهجوم .. و يتفقدُ المتمرد المنهك للصفوف التي تتساقطُ كالفراشاتِ من ألسنة اللهب الغاضب .. فالجنود منهكون .. و قد تضرر الكثيرون منهم و سقط من بينهم الكثير من القتلى و المصابينْ .. .و لا سبيل لمعالجة الجرحـــــى لقلة الإمداداتْ.. و باتت مجموعةٌ منهم تلعن الساعة التي قبلت بالمهمة العسكرية بأفغانستانْ .. و المتمرد يستشيطُ غضباً و حنقاً و يصرخُ

بهم ليصمتوا .. و في قرارة نفسهْ .. كره الساعة التي أتى فيها إلى هنا .. و كره الساعة التي إنضم فيها للقوات الخاصة ..و كره اللحظة التي تعرف فيها على الليثْ.

يجلسُ بمكتبهِ المحترقْ .. و يحاول أن يهدأ و يركز..

"يالي من أحمق عندما تركت السجلات المهمة هناك ، لم لم أخبئها جيداً ؟ و أهم سجل قد فقد و أراهنُ أنهُ بين يديه الآن مع أن هذا السجل كانت ورقتي الأخيرة الرابحة .. من المؤكد من أن سام أخبره أو أخبر الأصمعي و الشهبندر عن هذا السجل.. الآن لا عذر لهُ بأن لا يقتلني . الوغدْ . أكرههْ .. و أمقت كل شيءٍ متصلٌ بهْ .. من أين جاء بهذا الجيشْ ؟ و أين يختبئونْ ؟ هل من المعقول بأني لا أستطيع هزيمتهم ؟ و ماذا عنهْ ، هل هو الفارس بالزي العسكري .. لقد مر بجانبي عدة مرات .. فلم لم يقتلني ؟ لم ؟ أكاد أجنْ .. أجنْ..

يدخلُ ديفيد مكتب المتمردْ على عجلْ و هو يلهثْ و الرعب قد ملأ محياهْ و قال:

-ديفيد (يرمي بنفسهِ عى المنضدة من التعب :(سيدي ... سيدي الجنرال .. إنه في الخارج .. ينتظركْ.

-المتمرد (يعتدلُ في جلستهْ): من ؟

-ديفيد (و جسدهُ يرتعشْ): إنهُ هو .. الليث .. الليثْ المرعبْ سيدي.

إسودت الدنيا للحظاتٍ أمام المتمرد الذي تجمدت أوصالهُ لوهلة ... الليث في الخارج ، أخيراً قرر المواجهة .. لكن لماذا ؟

و بماذا يخطط ؟

الحلقة الرابعة والعشرونْ: سأموتُ بطلاً

يخرجُ المتمردْ من مكتبهِ و قد دجج نفسهُ بكل ما خف وزنهُ من سلاحْ و كأنهُ مقدمٌ على معركةٍ كبيرة .. و ما إن خرج من دهاليز الجناح حتى توقف عن الحركة .. و أخذ ينظرُ إلى ذلك الخيَّال و من معهُ من فرسانْ .. يتوسطون ساحةً مملوءةً لعينها من جنود المتمردْ و الذين يصوبونَ بأسلحتهمْ نحوهمْ ... و هم من على خيلهمْ غير آبهينْ..

يحدقُ المتمردْ للحظاتْ بهذا الخيَّالْ الذي تحتضنهُ هالةٌ من ضياءْ ... يجلسُ على فرسهِ بكل هيبةٍ.. مدثراً نفسهُ بمعطفٍ ثقيلْ نوعاً ما فوق زيِّه العسكريْ ليقي نفسهُ من البردْ .. و مازال اللثام يغطي محياهْ .. و خصلاتٌ من شعرهِ ظهرت على جوانبِ من وجههْ ..و يبدو أن كثيراً من البياضِ قد خالطها .. أكسبت صاحبها وقاراً أكثرْ..

يرفعُ المتمردْ بغرور عينيهِ إلى قبعةِ الخيَّال العسكرية المكتوبُ عليها : الليثْ .. ليرتعشَ جسدهُ فجأة .. مع أنهُ يحاولُ كتم مشاعرهِ هذه .. إلا أنها سرتْ ليديهِ و التي خبأها في جيب بنطالهِ كي لا يلحظ رعشتهما أحدْ..

مازال الكل صامتاً .. و الجنودُ أخذوا يتبادلون نظراتِ الغباءْ .. لم هذا الهدوءْ ؟ لم لا يرشقون هؤلاءِ الملثمينْ بالرصاصْ ؟ لم لم يتحدثْ جنرالهم ألبته و قبعَ صامتاً هكذا ؟ وهؤلاءْ ، لم لا يتحركونْ ؟ وكل ذلك أغاظ الجنرالْ الذي يحاولُ تمالك أعصابهِ .. لينفجرَ بغضبْ و يصرخْ ملوحاً بيدهِ في الهواءْ بغضبْ:

-المتمردْ:ماذا الآنْ ؟ هل سنقفُ هكذا طويلاً ؟ من سيموتُ أولاً ؟ أنا أم أنتْ أيها الليثْ ؟

يبتسمُ براكينُ الغضبْ .. و ترى ضياء إبتسامتهِ من عينيهِ من تحت اللثامْ .. ليغيظ هدوؤهُ و برودُه المتمردْ .. لينفجرَ مرةً أخرى:

-المتمردْ: قد إقتحمت معسكرنا ليلاً و صمتُ على فعلةُ الجبن تلك .. و هاجمتنا بوضح النهارْ و أيضاً صمتْ ، و قمتَ برفع الضغط لديْ و أغظتني بمناوراتِ الأطفال تلك و أيضاً صمتْ ، ماذا الآنْ ؟ زيارة أخوية أم ماذا ؟

مازالَ براكين الغضبْ صامتاً .. و أسودهِ من ورائهِ يبتسمونْ .. ليستشيط المتمردُ غيظاً .. و تخرجُ أدخنةُ الحُمق من أذنيهِ و تحمر وجنتاهْ . ليرمي بقبعتهِ على الأرضْ . .. يقومُ بدهسها مراراً فيصرخْ بهيستيرياً بجنودهْ:

-المتمردْ: أيها الأغبياءْ ماذا تنتظرونْ ؟ أطلقوا عليهمْ النارْ ، أطلقوا على الليثْ و أردوهُ قتيلاً ، إنهُ أمامكمْ ، إنهُ أمامكمْ .

و الجنودُ يتبادلونَ الأنظارَ و كأنهمْ يستشيرونَ بعضهمْ البعضْ .. فيصرخَ القائدْ الغاضبْ و قد بدأ صوتهُ يبحُ من كثرة الصراخْ :

-المتمردْ: أيها الأغبياءْ أطلقوا النارْ ، أطلقوا النااااااااااااااااااارْ فوراً.

فيرمي الجنودُ الأسلحةَ على الأرضْ .. و يفروا هاربينْ .. و يقفُ المتمردْ يفتحُ فاهَهُ و كأنهُ تعرض لصفعةٍ ما على وجههْ: ..

-المتمردْ (بغضبْ): سحقاً لكمْ ، سحقاً لكمْ ثلةً من أغبياءْ.

يضحكُ براكين الغضبْ و من معهُ .. و المتمردْ ينظرُ إليهمْ بحقدْ .. فيحاولُ أن يهدأ ..و يلملمُ ما تبقى لهُ من أعصابْ..

فينظرُ لتلك العينينِ الغاضبتينْ:

-المتمردْ: أي ليثْ.. أعتقدُ بأنك فرحٌ الآنْ لأنك أرعبت جنودي .. فأقفُ أمامك و من دون جنودْ.. وإستمتعتَ بما يكفي من منظري الغاضبْ .. هلا قلت لي لم جئتْ؟. أقتلني و إنهي الأمرْ.

يترجلُ من على خيلهِ ..و ينظرُ للمتمردْ الذي على مظهرهِ الخارجي القويْ ..إلا أنهُ مهزوزٌ خائف من الداخلْ .. فينزعُ براكين الغضبْ اللثام عن وجههْ .. و ينظرُ للمتمردْ بعينينِ غاضبتينْ:

-براكين الغضبْ: جئتك لأعقدَ إتفاقية صلح بيننا أيها المتمردْ .. فأنا عربيٌ مسلمْ . . لم أنسى عشرة أيامٍ و لو قليلة أمضيتها معكْ ..و متأكدٌ من أنك في الداخلْ رجلٌ طيب .. لو وفرت طاقاتك لخدمةِ الإسلامْ.. ستخدمهُ بعينيكْ..

-المتمردْ (متأففاً): أرجوكْ . لا يهمني أيُ دينْ .. و لا يهمني ما تقولهْ..

-براكين الغضبْ (مبتسماً): في الأصلْ لا يجوزُ أن أتحاورَ مع خائنْ .. و عدوٍ للدينْ .. لكني أتيتكَ بطيبةِ أهل هذا الدينْ .. لأدعوك إليهْ .. و لأدعوك لتقاتل بصفوفنا ..لنُخرجَ هذه النجاسةَ من على هذه الأرضْ..

-المتمردْ: لن أقاتلْ معكْ ، و لن أقف معكْ.

-براكين الغضبْ: أخطأتْ ،لن تقف معي .. بل مع الدينْ ... أنظر لحقيقةِ الأمرْ.. فمهما طال بقاؤك معهمْ .. فأنتَ ضائعْ .. ضائعْ .. فالدم العربي يجري بشرايينكْ .. ووالديك مسلمانْ .. أي أنك تحملُ بقلبك تلك المشاعر لكنك ترفضها لم تعرضت لهُ في الصغرْ..

-المتمردْ (يرفعُ كفيهِ إلى أذنيهِ ليغلقهما): أسكتْ.

يقتربُ فارسٌ من وراءِ براكين الغضبْ.. و يبعدُ اللثامَ عن وجههْ .. ليظهر لنا وجهُ الشهبندرْ الممتلئْ .. فيوجهُ حديثهُ إلى المتمردْ:

-الشهبندرْ :مهما ظللت تقاتلُ بصف الشرْ .. سيأتي ذلك اليوم الذي سيندثرْ فيهْ..و سينتهي على يدي الخيرْ ،و مهما كنتُ تواليهمْ ..صدقني .. سيأتي اليوم الذي سيتخلصون فيه منك بعد أن يستنزفوا عقلك و جسدكْ .. فهم لا يحبون العرب عامة .. و المسلمين خاصة.

-المتمردْ: ماذا تريدون مني الآنْ ؟ كفاكم كلاماً و إقتلوني ، هيا.

-براكين الغضبْ: أستطيع قتلك منذ أول يومٍ إقتحمتُ معسكرك أيها المتمردْ .. لكني آثرتُ إعطاءك ضرباتٍ خفيفة لأوقظك من حلمك الضائع هذا .. لستُ بجبانٍ لأقتلك الآن و جنودك قد فروا كالفئرانْ .. لديك خياران أيها المتمردْ..إما أن ترفع راية الإستسلامْ ..و تتحالف معنا .. و إما أن نقتلك غير آسفينْ.

-المتمردْ: يالهذه القسوة ، هل هذا أسلوبك الرائعْ في الحديثْ.

-براكين الغضبْ (بجدية): لا أريدُ إضاعة الوقتْ.

-المتمردْ (بلا مبالاةْ):لا يهمني ..و أفضلُ الموت على أن أقف معكْ.

-الشهبندرْ: أبعد هذه الفكرة عنك ، أنت لن تتحالف معه لأجله .. بل من أجل الله.

-المتمرد (يصرخْ :(لاااااااااااااااااا أريدْ ، و سأموتُ بطلاً .. و بكرامتي.

-الليثْ) يمتطي ظهر فرسهْ): إبحث عن البطولة التي تريدْ.. والحربُ إذاً مستمرةْ ... و كان اللهُ بعونكْ.

-المتمردْ (غاضباً): أتهزأ بي ؟

-براكين الغضبْ(مبتسماً): لا أهزأ .. لكني مشفقٌ عليكْ .. جئتك بحسن نية .. ظننتُ فيك الخير و لم أجدهْ .. لذا . كان اللهُ بعونك ..من غضبهِ و غضبيْ.

تقفُ العنقاءُ على قدميها الخلفيتينْ .. و تجري مع الريح .. و من ورائها بقيةُ الفرسانْ .. و المتمردْ .. مازال واقفاً ..بين مشاعر الغضبْ التي تمسكُ به تارة..

و مشاعر أخرى تميلُ بهِ إلى الأرضْ .. فيعودُ إليهِ وعيهْ .. و يجري وراء الجنودِ الحمقى الذين خذلوهْ....

هناكْ.. عند جبهة المجاهدينْ الأبطالْ .. يتبادلُ براكينُ الغضبْ خطوط خطتهِ التالية مع زيدْ ... فيشيرُ بسبابتهِ على نقاطٍ كتبها

على ظهر ورقةٍ صفراءْ .. فيقتربُ منهُ الشهبندرْ .. و علاماتٌ من عدم السرور على وجههْ .. فينظرُ إليه براكين الغضبْ بطرف عينيهْ .. و يكملُ حديثهُ مع زيدْ.. و الشهبندرْ.. ينتظرُ براكين الغضبْ إلى إن ينتهي .. و زيدٌ يحسُ بأن توتراً ما بين الصديقينْ ... يضعُ الشهبندرْ يدهُ على خصرهِ .. و براكين الغضبْ ينظرُ إليهِ بطرفِ عينيهِ و من ثم يعيدها إلى الورقةْ.. و زيدٌ يحسُ بالإحراجْ .. إلا أنهُ فضل الصمتْ و عدم التدخلْ .. و ما أن أنهى براكين الغضبْ حديثهُ حتى إستأذنهُ زيدْ بالإنصرافْ.. مازال الشهبندرْ صامتاً .. و براكين الغضبْ يضعُ عمامتهُ على الأرضْ .. و يشرع عن ساعديهِ ليتيممْ .. و الشهبندرْ ينظرُ إليهْ بعجبْ:

-الشهبندرْ: أتستطيعُ إخباري عن اليوم ، لم لم نقتلهْ أيها الليثْ ؟ كنا عازمين على سحقهمْ اليومْ.

-براكين الغضبْ (مستمراً بالتيممْ يمسحُ بالرملِ على أجزاء جسدهْ): لأني أردتُ أنْ أريح ضميريْ أولاً.

-الشهنبدرْ (بدهشة): لكنك أضعت فرصتنا بالحوار مع سفيهْ ، الآن سنضطرُ لنعيد مسلسلَ الضربِ مرةً أخرى . و أنت تعلم أن الأيام التي سبقتْ إستنزفتْ جزءاً من إمداداتنا.

-براكين الغضبْ) يمسحُ على وجههْ): أعلمْ..

-الشهنبدرْ: أيها الليثْ ، لا أعلمُ بم تفكرْ .. لكني أظنك أخطأتَ هذه المرة.

-براكين الغضبْ (ينهي تيممهْ): ربما أخطأتْ .. أعترفْ.. لكني أردتُ أن أحاورهُ لأريح ضميري .. علهُ يعودُ إلى صوابهْ .. أديتُ ما تمليهِ علي أخلاقيْ و ديني .. هذا ماعلمني إياهُ خطابْ رحمهُ اللهْ .ومادام المتمردْ قد إختار خيارَ الحربْ.. فسنستمرُ بالإستنزافِ حتى يخروا صاغرينَ على وجوههمْ..

-الشهبندرْ: لكنهم ضعفاءٌ الآنْ حقاً ، ماذا تنتظرُ أكثرْ.

-براكين الغضبْ (يضعُ عمامتهُ على رأسهِ):أنتظرُ الجيش الآخرْ.

-الشهبندرْ (و في عينيهِ ألفُ سؤالْ): أيُ جيشْ ؟

-براكين الغضبْ : توجدُ معسكراتٌ أخرى بأفغانستانْ .. ثلاثٌ منها رئيسية و قوية .. و معسكرُ المتمردْ أحدها و بالتأكيد .. ستتحرك المعسكرات الأقرب له .. معسكر الأمريكان .. و المعسكر الدولي الذي يتبعهُ المتمردْ .. إن قمنا بتدمير معسكر المتمرد فقطْ ، سنتخلصُ من طاغيةٍ واحد ، أريدُ مجموعةً من الطغاة لأصفيهم أريدُ نصراً عظيماً لنا لا هيناً.

-الشهنبدرْ (يشهقْ): أتعني بأنك تنتظرُ جيوشاً أخرى لا جيشاً لينضم إلى المتمرد ؟

-براكين الغضبْ (بهدوءْ): أجل.

يضربُ الشهبندرْ بكفيهِ بقوة و يقول:

-لا حول و لا قوة إلا باللهِ العليْ العظيمْ .. لا حول و لا قوة إلا باللهِ العلي العظيمْ .. هل أصابك مسٌ من الجنون ،كيف سنقاتلهمْ و معداتنا بسيطة ؟ من أين لنا بالمزيد من المداد ؟ فلتشكر الله بأن القاعدة و طالبان أمدتنا بما لدينا الآنْ ، لا نستطيعُ طلب المزيدْ.

-براكين الغضبْ (ببرودْ): لا أحتاج إلى ذلكْ.

-الشهبندرْ : كيف لا تحتاجُ إلى ذلك ؟ هل حسبت فقط عدد الرجالْ ؟ رجالنا في حدودِ ٦٠٠ مجاهدْ .. و معسكر المتمردْ لا يقلون عن ٢٠٠٠ جنديْ . و المعسكرات الأخرى لا يقل فيها عدد الجنود عن 4000 و ما فوقْ ، هل جننتْ ؟ بربي جننتْ.

-براكين الغضبْ: النصرُ من الله و ليس من العتادْ أيها الشهبندرْ ... أرأيت اليوم كيف فر الجنودُ و نحن قلةٌ من الفرسانْ ، لقد أرهبناهم و هذا من اللهْ .. ألم يقل الله تعالى بكتابهْ ": تُرهِبونَ بِهِ عَدُو الله " قد أرهبناهمْ و الفضلُ لله .. و لا أريد طلب المزيد من العتاد .. ما لدي يكفيني..

-الشهبندرْ (و غضبٌ طفيفٌ سرى بوجهه):أيها الليثْ..قد خضتُ معك عدة معارك من قبلْ..و شاركتك بجنونكْ لإحساسي بأنك على صوابْ.. لكن الآنْ.. إعذرني.

-براكين الغضبْ: أعذرك من ماذا ؟

-الشهبندرْ: لن أشاركك في هذا الجنونْ ... ثم لا تنسى أن مدة الأسبوعين قد إنقضتْ.. و الله يعلم ماذا فعل عملاءُ المتمردْ بالخليجْ ، و قد حذرتك.

-براكين الغضبْ: و من قال بأني عائدْ ؟ لم أعودْ.

-الشهبندرْ: ماذا ؟

-براكين الغضبْ (مبتسماً): لن أعود .. قمتُ بأداء صلاةِ الإستخارة .. و لم أشعر بأني أريدُ العودة .. بل إشتهيت القتال و الموت في سبيل الله .. و إشتممتُ رائحة الدماءِ و البارود بأنفي ..ثم مَلفُ العمليةِ كلها بيديْ .. و لن يصلوا.

-الشهبندرْ (يعقدُ حاجبيهْ): أتقصدُ بأن ملف الخليج .. هو ملف العملية ؟

-براكين الغضبْ: يحملُ ذلك الملف معلوماتٍ كاملة عني و عن الأصمعي رحمهُ اللهْ ..و عنك .. و السيف و الفارسْ .. و مجاهدين آخرين من الخليجْ .. و في آخرهِ تقريرٌ كامل عن مخطط المتمردْ ضدي في الخليج ..و آخرٌ نموذج موافقة على عملية تصفياتٍ لكبار القادة بالقاعدة و طالبانْ و الشيشانْ و بلاد الرافدينْ.

-الشهبندرْ (غير مصدقْ): الله أكبرْ كل هذا في ملفٍ إعتقدتُ بأنهُ ليس مهماً ؟

-براكين الغضبْ : أجل ... كل ذلك و أكثر في ذلك الملف .. وتوجدُ ملفاتٌ أخرى لتصفية مجاهدين آخرين .. الحمدلله بأنها بحوزتنا .. سأعطيك هذه الملفات و الخاصة بالمعلومات لتعطيها رسولنا ليأخذها لأسد الله ليسلمها للشيخْ أسامة بن لادنْ .. فيحفظونها في بيت سجلات المجاهدينْ..

-الشهبندرْ : باذن الله .. أعطني الملفات و سأقوم بإرسالها الآنْ.

-براكين الغضبْ (بخبثْ): مممممـــ... قلت بأنك تعتذرْ ..أكمل حديثكْ..

-الشهبندرْ (بحرجْ): أيها الخبيثْ.. لقد وهبتُ نفسي لله و لهذا الدين و لأن أحميكْ.. فلن أتخلى عنك و مضطرٌ لمجاراتك

بجنونك.

-براكين الغضبْ:هههههههههههه .،.. – و يقومُ بضرب الشهبندرْ على رأسهِ بخفة – توقعتُ ذلك.

-الشهبندرْ : هههههههههه..

-براكين الغضبْ (بهدوءْ :(أتدري يا شهبندرْ.. لقد بحثتُ في شهادات الوفاةِ هنا .. لكني لم أجد شهادة وفاةِ الأصمعيْ.

-الشهبندرْ (تجحظُ عيناهْ): لم تجدها !كيف ذلك ؟

-براكين الغضبْ (يخرجُ ورقةً من جيبهْ و يمدها للشهبندرْ): لكني وجدتُ هذهْ..

-الشهبندرْ (يتناولُ الورقة): هذه شهادةُ وفاة..

-براكين الغضبْ: إقرأ اسم صاحبها...

يتسمرُ الشهبندرْ للحظةٍ .. و دمعةٌ تود الخروجَ من عينيهْ:

-الشهبندرْ: إنها .. إنها بإسم السيفْ ، السيف البتارْ.

-براكين الغضبْ (مخفضاً رأسهْ): أجل ... إنها لهْ.

-الشهبندرْ: إنا لله و إنا إليهِ لراجعونْ .. نال الشهادة ... نالها و إنهُ بها لمحظوظْ..

-براكين الغضبْ: شيءٌ آخرْ.

-الشهبندرْ (بضيقْ): ماذا أيضاً ، شهادةٌ أخرى ؟

-براكينُ الغضبْ : أجلْ..

-الشهبندرْ: لمنْ ؟

-براكين الغضبْ (يقلبُ ورقة شهادة الوفاة التي بين يدي الشهبندرْ): إقرأها..

-الشهبندرْ : إنها مأرخةٌ قبل سنةٍ تقريباً .. أي بعد معركة قندهارْ الثانية عندما كنتمْ تقاومون و أنتم في الجبلْ.

-براكين الغضبْ : بالضبطْ .. و اقرأ إسم صاحبِ الشهادة.

-الشهبندرْ : .. إسمهُ ... – و تجحظُ عيناهْ – .. إنهُ.

-براكين الغضبْ (ينظرُ إليهِ وعينيهِ تشتعلانْ. .. .. .. :(

-الشهبندرْ (ينظرُ بضياعْ):إنهُ أنتْ!

0

0

-براكينْ الغضبْ : أجل .. إنهُ أنا.

-الشهبندرْ (مقلباً عينيهِ دهشةً):و لم إسمك أنتْ ؟ الأصمعي هو الذي إستشهدْ ووجب كتابةُ إسمهْ في شهادة وفاة .. و أنت الحي يكتبُ أسمكْ ، ماتفسيرُ ذلك برأيك؟

-براكين الغضبْ (يرفعُ سبابتهُ و الوسطى و يضمهما لبعضْ): لدي تفسيرانْ .. – و يهبطُ بالوسطى للأسفلْ– اما أن يكون هذا تمويهٌ لقادة المتمردْ فيقولُ لهم قتلت الليثْ ليبعدهم عن طريقهِ و يتفرس بي .. – يرفعُ الوسطى ويضمها لسبابتهْ – و إما بأن هذا الملفْ كتب على أساس عملية التبديلْ التي قمنا بها .. و كان المتمرد عازماً على قتلي فاستبق الأحداثْ و كتب هذه الشهادة..

-الشهبندرْ (يحكُ لحيتهُ): و ماذا إذا كانتْ دليلاً على عدم وفاة الأصمعيْ.

-براكين الغضبْ : يستحيل ذلك ... و إلا لم كتب شيئاً عن وفاتي ، أستبعدُ ذلك .. لقد مضى على الموضوع مدةً طويلة يا شهبندرْ .. و لا أظن أن تفسيرك منطقيْ.

-الشهبندرْ: ماذا لو نقل إلى كوبا أيها الليثْ ؟

-براكين الغضبْ (و أملٌ أخرسٌ بعينيهْ): لا أظن ذلك .. فلا دليل على ذلك .. و دعنا من هذه التفسيرات التي تضيعُ العقلْ .. أكره المنطقْ .. خاصةً بأن كل شيءٍ غير منطقي هذه الأيامْ.

-الشهبندرْ : أمستعدٌ للضربةِ التالية ؟

-براكين الغضبْ :أنتظر مجاهدي عمران الذين أرسلتهم لتفقد أحوال معسكر المتمردْ .. و قد أمرت زيد بالقيام ببعض الإستعداداتِ أيضاً .. و ريثما يصبحُ كل شيءٍ جاهزْ .. سأذهبُ إلى المدينة..

-الشهبندرْ: أتذهب إلى المدينة و نحنُ في حالة تأهب للحربْ ؟ ماذا لو تعرضنا للهجومْ ؟

-براكين الغضبْ: لم أنت متشائمٌ هكذا .. لن يحصل أي شيءٍ إلا باذن الله .. ثم أن تنظيمي لجيشي وضعتهُ على أساسِ تأهيل القادة .. إفترض بأني مت .. هل سيتوقف الجهادْ ، كل مجاهدٍ هنا هو قائدْ.. و لا ضرر من تغيبي قليلاً .. علي جلب بعض الأشياء من هناك..

-الشهبندرْ: سآتي معك.

-براكين الغضبْ: لا يصح أن تترك زيد و الآخرين هنا .. أنت بديلٌ عني في حالة غيابي .. علي الذهاب الآنْ..

-الشهبندرْ: أصر على مرافقتكْ.

-براكين الغضب (بنفسهْ) "ويحهْ .. إنهُ عنيدٌ أكثر مني .. " سأذهب وحدي أيها الشهبندرْ.. و هذا أمرٌ من قائدك .. و دعني الآن أصلي...

و يقومُ براكين الغضبْ بأداء الصلاة و الشهبندرْ غير مصدق بأن براكين قد تجاهلهُ هكذا..

ففضل تركهُ يصلي و ذهب ليتفقد المجاهدين ْ المتحمسين للقتال والشهادة..

يتوجُه براكين الغضبْ إلى المدينة بسيارة الجيبْ .. و يتوقفُ عند سوق المدينة الغربيْ الأقرب لجبهتهْ .. و يرتجلُ من السيارةِ و يسيرُ على قدميهْ..كان كل شيءٍ هادئاً كعادة قندهارْ القلبْ .. هادئةً على الرغمْ من آلامها .. و الأطفال يلعبونْ في الأزقة كعادتهمْ .. و الأفغانْ يقومون بحرفهم اليدوية المعتادة ... و تقودُ قدما براكين الغضبْ إلى محل الحلاقة .. ليخرج من الداخل ممتاز خان و يحتضنُ براكين الغضبْ الذي أفزعتهُ المفاجأة:

-ممتاز خان: أيها الليثْ مرحباً بعودتك أيها البطلْ.

-براكين الغضبْ (يحاولُ أن ينقذ نفسهُ من أحضان ممتاز خان): مرحباً بك ، قتلتني .. هل تريد خنقي ؟

-ممتاز خان : خخخخخخ .. فرحتي بلقياكْ أنستني نفسي .. إغفر لي

-براكين الغضب : لو علمت بأنيْ سأتعرضُ للخنق هكذ لما مررتُ من هنا.

-ممتاز خان : هاااااهاااااااهاااااااهااااا ااااااه .. أخبرني .. هل عدت لأهذب لك لحيتك؟

-براكين الغضبْ (متلفتاً يميناً و يساراً): لا ... لكني أبحثُ عن هاتفٍ عمومي هنا . أذكرُ بأني رأيتُ واحداً هنا .. و يبدو بأني ضللتُ الطريقْ..

-ممتازْ خانْ (يشيرُ لجهة اليسارْ): من هناك أيها الليثْ .. سر بضعة خطواتٍ وأدخلْ لذلك المنحى و ستقابلُ مكتب عبدالرحمن لخدمات الطباعة .. بجانبهِ ستجدُ هاتفاً عمومياً..

-براكين الغضبْ: .. مممـــ .. إن أعطيتك معطفي العسكري هذا .. أتعطيني بعض النقود المعدنية لأستخدمها ؟

-ممتاز خان) يضعُ يديه على كتفي براكين الغضبْ): أستحلفك بالله أن لا تقول ذلك ، سأعطيك بلا مقابلْ.

-براكين الغضبْ : لا .. يجب أن أقايضك بشيءٍ ما..

-ممتاز خان (و ملامحُ الضيق على وجههْ): قلت لك لا أيها الليثْ .. و هذا آخر مالديْ ، أنا رجلٌ لا أتنازلُ عن كلمتيْ أبداً.

-براكين الغضبْ (مقهقهاً):حسنٌ أيها الطيبْ.

ويدخلُ ممتازْ خان إلى الداخلْ .. و يفتحُ خزنتهُ الصغيرة و يخرجُ منها النقود المعدنيةْ .. و يضعها في كف براكين الغضب

الذي خذلتهُ الكلماتْ ليعبر عن شكرهِ و إمتنانهِ لهذا الرجلِ الطيبْ ... يلوحُ براكين الغضبْ لممتاز خان الذي كان يدعو لليثْ برفعة الشأن عند الله تعالى و بأن يحميهِ من أي مكروهْ ..يصلُ براكين الغضبْ إلى مكتب عبدالرحمن ْ لخدماتِ الطباعة و يستديرُ ليقابلَ الهاتف العموميْ كما وصفهُ له ممتاز خان ْ.. و يدخلُ الكابينة و يغلقُ الباب من خلفه ... و يفتحُ كفهُ و ينظرُ إلى النقود المعدنية و كأنهُ مترددٌ في وضعها بثقب الهاتفْ " ...مضى وقتٌ طويلٌ و لم تسمع صوتي .. أتراها ستعرفني؟"

فيغلقُ عينيهِ هنيهةً و يتناولُ قطعةً و يضعها في الثقبْ.. و يتناولُ السماعة ويلصقها بأذنهْ و يضغطُ الأرقامْ برؤوسِ أصابعهْ.. يستمعُ إلى شوشرةٍ في الخط سرعان ما زالتْ مع رنين الهاتفْ.. و قلبهُ يخفقُ بشدة.. فيسمعُ حركة رفع السماعة لتتحدثْ صاحبتها:

-ألو..

-براكين الغضبْ.. .. .. :

-ألوووووو..

-براكين الغضبْ (تتعرقُ يديهْ.. .. :(

-ألا تتحدثين يا إبنة الكلبْ ؟

-براكين الغضبْ (يود أن تتحرك شفتيهْ): . ... .. أنـــ

وطوووووووووطْ طوووووووووووووووووطْ طووووووطْ

أقفل الخطْ..

0

0

يتمالكُ نفسهُ و يعيدُ طلب الرقم مرةً أخرى .. لكن لا أحد يجيبْ.. فيعيدُ الكرة مرةً و أخرى حتى تُرفعَ السماعةُ بهدوءْ و تصرخُ صاحبتها بطفولة:

-ألوووووووووو

-براكين الغضبْ (يتسمرُ للوهلةِ الأولى .. .. :(
-ألوووو .. من هنااااااااك ؟ باااابااااا.

كلمةُ بابا كادتْ تهوي ببطلنا ليغشى عليهْ .. و ماكانت صاحبةُ الصوتِ إلا الصغيرة بلقيسْ .. لكن يبدو بأن هناك نوعاً من

التعب ِ بصوتها .. مازال صامتاً حتى تحدثت مرةً أخرى:

-بلقيسْ: باااااباااااا هذا أنت يا باباااااااا ؟ هل ستأتي لتأخذني باااابااااااا ؟

-براكينْ الغضبْ (يضعُ كفيهِ على عينيهْ ليمنع عينيهِ عن البكاءْ) " هذه بلقيسْ.. صغيرتي بلقيسْ .. هذا صوتها .. هذه مجنونتي بلقيسْ.."

-بلقيسْ (تصرخْ): باااااباااااااااا هل تسمعني ؟ هل أكل الفأرُ لسانك يا بابا ؟

-براكين الغضبْ (يود الضحكْ)" اللعنةُ عليك تعرفين كيف تضحكينَ أباك الذي يتوقُ ليحتضنكْ"

و فجأة يغلقُ الخطْ ، و ينظرُ براكين الغضبْ إلى السماعةِ بدهشة .. ماذا حدثْ ؟

يعيدُ الكرة و يطلبُ الرقم مرةً أخرى .. و يسمعُ شجاراً بين الصغيرةِ بلقيسْ و إمرأةٍ طالما بغضها

طوال حياتهْ تصرخ بالصغيرة:

-نورة : أبوك مات أيها الغبية ، دعيني أجيب على الهاتفْ.. ألوووووو ... ألوووووووووووووو ألا تردين يا إبنة الكلبْ ؟ ويلك مني إن رأيتك أتسمعينني.

و تغلقُ الخط وسط حيرة براكين الغضبْ .. الذي سرا بجسدهِ جموحٌ غاضبْ رغب

على إثرهِ سحق هذه الكابينة كلها ، أيجرؤُ أحدهم على معاملة صغيرتهِ بلقيسْ هكذا .. أهكذا يحافظ صديقهُ و زوجتهُ على إبنتهْ ويحهمْ..

إنتظرَ براكين الغضبْ نصف ساعةٍ قبل أن يعيدَ طلب الرقمْ .. لكن يبدو أن الهاتفَ ملهوفٌ على قطعةٍ معدنيةٍ أخرى لتسد جوعهْ..

فيضعُ براكين الغضبْ قطعةً أخرى .. و يديرُ الأرقامْ .. و ينتظرْ.. و ينتظرْ..

فترفعُ الصغيرة السماعة لكنها تهمسُ بهدوءْ:

-بلقيسْ : بابا ؟

-براكين الغضبْ) بحنانْ): صغيرتي .. هذا أنا بابا . هذا أنا بابا يا حياتي..

-بلقيسْ) تودُ الصراخْ لكنها تصرخُ همساً): باااااااااباااااااااا ، هذا أنت يا باباااااااا ، أين أنت يا بابا ؟ تعال و خذني من هنا يا بابا . إنها تضربني كل يومٍ يا بابا ... وااااااااااااااااااااااااااااا ااااءْ..

-براكين الغضبْ) يحاولُ أن يحدثها بهدوءْ برغم غضبهْ): حياتي سآتي و آخذك لا تقلقي .. فقط إصبري .. لا تبكي يا حياتي ...من الذي يقومُ بضربكْ ؟

-بلقيسْ (تبكي): كلهم يا بابا .. لا يحبونني .. و يقولون أنك مت يا بابا..

-براكين الغضبْ (ودمعةً تترقرقُ بعينيهْ): لا تبكي يا حياتي .. لا تبكيْ .. سيأتي بابا و يحطمُ رؤسهمْ .. لا تقلقي..

-بلقيسْ (تصرخُ فرحة): حقاً بابا ؟

-براكين الغضبْ :شششششْ .. لا تصرخي و إلا سمعوكِ .. من في المنزلْ ؟

-بلقيسْ (تهمسْ): عمتي نورة نائمة .. و أبناؤها يلعبون في الخارج .. و عمي ماجد في الخارج . .و أنا تحت السريرْ...

-براكين الغضبْ (يعقدُ حاجبيهْ): تحت السريرْ ؟

-بلقيسْ : تحت سرير عمتي نورة.

-براكين الغضبْ (بدهشة): ماااااذا ؟ ستسمعك أيتها المجنونة.

-بلقيسْ (بصوتٍ يشوبهُ الإنكسارْ): لقد أخذت عني الهاتف يا بابا و قامت بضربي و ربطي و حبستني هنا و نامتْ يا بابا .. ففتحتُ الرباط و سحبتُ الهاتفْ .. أنا أتحدثُ بصوتٍ منخفضٍ بابا لن تسمعني إنها نائمة فهي تحملُ طفلاً داخل بطنها ونومها ثقيلْ بابا..

-براكين الغضبْ (محدثاً نفسهْ)":يا حياتي ... أنا المخطأ . أنا الذي تركتُك لدي هؤلاء الحيوانات ليعاملوك كالكلابْ.."

-بلقيسْ: بابا .. متى ستأتي بابا ؟

-براكين الغضبْ : بلقيسْ حبيبتي .. سأعود بعد أن أنتهي من رحلتي ... و أعدك بأني سآخذك و لن نعود إليهمْ..

-بلقيسْ (و قلبها يرقصُ فرحاً): متى يا بابا ؟ إشتقتُ إليك باباااااااااا ... – و تبكي-

-براكين الغضبْ : لا تبكي حرقتي قلبي .. سأعودُ حبيتي .. و سأشتري لك لعبةً حلوة . فقط إهدئي .. و أعدك بأني سأحدثك مرةً أخرى..

-بلقيسْ: متى يا بابا ؟.. متى ؟

-براكين الغضبْ : سأحـــ..

و ينقطعُ الخط بينهما .. و يقومُ براكين الغضبْ بضربِ السماعة على الأرضْ غضباً و قهراً...

و يقومُ بإخراج نقودِ معدنية أخرى و لم يجدْ إلا قطعةً واحدة .. فتناولَ السماعة مرةً أخرى ووضع القطعةَ النقدية في الثقبْ..

و أعاد طلب الرقم:

-براكين الغضبْ (محدثاً نفسهْ): هيا يا بلقيسْ .. أجيبي .. أجيبي..

ترفعُ السماعة و تهمسُ ببراءة:

-بلقيسْ :بابا ؟

-براكين الغضبْ (يتنفسُ الصعداءْ): يا حياة بابا .. أجل هذا أنا يا بابا .. ظننتُ بأن تلك الغبية قد ضربتك؟

-بلقيسْ (تضحك بصوتٍ خافتْ :(مازالت ْ نائمة بابا..

-براكين الغضبْ : حبيبتي .. أردتُ أن أطمئن بأنك بخيرْ .. و سأعودُ بإذن اللهْ.. لا تقومي بأي عملٍ مجنونٍ آخر .. أفهمتِ؟.. و لا تخبري أحداً بأني هاتفتك..

-بلقيسْ: أجل بابا..

-براكين الغضبْ: و الآن يا حياتيْ .. قومي و أخرجي من الغرفة و تناولي شيئاً..

-بلقيسْ :ستضربني يا بابا ؟

-براكين الغضبْ : دعك منها هذه الغبية .. إخرجي و لا تهتمي بها .. أنت قوية كبابا .. إن ضربتك فاضربيها.

-بلقيسْ (ترفعُ حاجبها الأيسرْ): حقاً بابا ؟

-براكين الغضبْ: أجل .. إضربيها و بقوة أيضاً هههههههه.

-بلقيسْ : هههههههه .. حسنٌ يا بابا.

-براكين الغضبْ: هيا حبيبتي .. أغلقي سماعة الهاتفْ.. و إنتظريني الأسبوع القادم بإذن اللهْ بنفس الوقتْ..

-بلقيس: لا تنسى لعبتي .. لقد وعدتني بلعبة جديدة..

-براكين الغضبْ: سأرسلها لك حبيبتي إن تأخرتْ..

-بلقيسْ) بحزنْ): لا تتأخر بابا...

-براكين الغضبْ: بإذن الله .. هيا حبيبتي .. أخرجي من الغرفة .. – و يقبلها عبر الأسلاك– .. أحبك..

-بلقيسْ (تهمسْ :(أحبك بابا..

يغلقُ سماعة الهاتفْ وهي لم تقفلها .. و مازالت السماعةُ على أذنها ..
و دمعاتٌ تنحدرُ بسرعة على خديها .. تودُ لو تدخلُ عبر الأسلاك و تحتضن والدها ... فتضعُ السماعة بهدوءْ .. و تضعُ يديها على عينيها .. و تبكي بصوتٍ خافتْ .. و هو .. نيرانٌ تأكلُ قلبهْ .. أحس بالندم على إختياره الخاطئْ.. لقد وعدهُ

صديقهُ بالمحافظة على صغيرتهِ ووضعها في عينيهْ.. فهل إن أطال الغيابْ . . تفرسوا في المسكينة التي لا حول لها و لا قوة ؟

و لم يقولون والدك قد ماتْ ؟ هل لشهادة الوفاة التي بإسمهِ علاقةٌ بالأمرْ ؟ عليه أن يتصرف بسرعة .. فهو لا يستطيعُ العودة الآنْ.. و عليهِ أن يجد حلاً بديلاً ليخرج صغيرتهُ من ذلك الجحيمْ .. ويلك يا ماجدْ مني .. ويلكْ .. أقسمُ بأنك ستدفعُ ثمن كل دمعةٍ من عيني صغيرتيْ .. أقسمُ على ذلكْ..

و يخرجُ من الكابينة .. و يعودُ إلى سيارتهِ و يشغلُ المحركْ..

و يعودُ إلى جبهتهْ..

)(*)(*

)(

هناك في الجبهة ْ .. كانَ المجاهدونَ متوزعونَ على فرق مختلفة .. وكلُ فرقةٍ مع قائدها يستعدونَ من أجلِ تنفيذِ العملية المرتقبة على معسكر المتمردْ..

كان الشهبندرْ يقفُ و بقربهِ زيدْ يتبادلانِ الحديثِ و بعضاً من المجاهدينَ كانوا يتدربونَ على فك القنابلْ و تركيبها:

-الشهبندرْ: لا أعلم يا زيدْ .. لكن أعتقدُ بأنهُ علينا بدءُ العملية التالية..

-زيدْ: لكنهُ تأخر كثيراً .. و لا نستطيعُ تأخير العملية أكثر من ذلك أيها الشهبندرْ.. لقد قمتُ بما أوصاني به الليثْ..

-الشهبندرْ : سر و توكل على الله .. لن ننتظر الليثْ .. سنسيرُ على الخطة المرسومة..

-زيدْ: نحنُ ذاهبونْ .. نسألُ الله النصر بإذنهْ..

-الشهبندرْ:بإذن اللهْ..

و يتجهُ زيدْ ناحيةَ سريتهْ .. و تتحركُ الدباباتْ و المدرعاتْ وراءَ سيارتهِ الجيبْ .. و الشهبندرْ ينظرُ إليهمْ و يرفعُ كفيهِ للأعلى تضرعاً لله سبحانهُ و تعالى من أجلِ أن ينصرهمْ في عمليتهمْ هذهْ .. هناك .. بذلك المعسكرْ المشؤوم ْ.. تبادلٌ لإطلاق النار بين الضفتينْ.. بين جنودِ المتمردْ .. و المجاهدينْ بقيادة زيدْ ..

كانت الطلقاتُ تنطلقُ كالشرارْ .. تودُ شرب المزيدِ من الدماءْ .. و تلك النيرانْ التي تخرجُ من فوهةِ مدرعاتِ المجاهدينْ و الذين يكبرونْ : الله أكبرْ تحرقُ أرض المعسكرْ .. و ترهبُ الجنودَ الذين وصلوا لمرحلة اليأسْ من هذه المقاومة .. تحت ضعفْ الامكاناتْ و الإمداداتْ .. و صفوفٍ كثيرة من الجرحى و القتلى..

و تفشي الأمراضْ .. و المتمردْ الغاضبْ .. و الذي بدا عليهِ الإنهاكْ .. بملابسهِ الملطخة بالترابِ و الدماءْ .. يقفُ أسفلَ سقيفة البرجْ .. يقومُ بحملِ الجثثْ مع بعض الجنود و تغطيتها كي يدفنوها .. فيقتربُ منهُ ديفيدْ... و الذي كان ينادي المتمردْ من بعيدْ .. لأن أصوات النارْ و الطلقاتِ غلبتْ على صوتهْ:

-ديفيدْ (بإنهاكْ): سيدي الجنرالْ لن نستطيعَ الصمودَ أكثر.. الضرباتُ من كل جهة .. علينا إخلاءُ المعسكرْ.

-المتمردْ (يحملُ جثة في صدرهْ ليبعدها عن الطريقْ): لن نخلي المعسكرْ ... و سنقاومُ حتى النهاية.

-ديفيدْ : لكن سيدي الجنرالْ سنهلكْ ، دعنا نخرجْ و نعلنُ إستسلامنا .. أرجوك

-المتمردْ) يرمي بالجثة و يمسكُ بديفيدْ من تلابيبهِ): أيها الغبيْ ، لا متخاذلٍ بصفوف الجنرالْ ، ولن أستسلمَ لليثِ أبداً.

-ديفيدْ (متوسلاً): سيدي الجنرالْ . إرحمنا أرجوك.

يرمي المتمرد بديفيد على الأرضْ. و يركلهُ بقوة و الأخيرْ يصرخُ ألماً .. فيصيحُ بالجنودْ فيهز المعسكرْ:

-المتمردْ : ستقاومونْ .. و تقاومون حتى الموتْ – و يرفعُ مسدسهُ إلى الأعلى – و الموتُ بمسدسي مصيرُ من يعصي أوامري.

يوافقُ الجنودُ على مضضْ .. و هذا مالمْ تعترفُ به شفاههمْ الحانقة .. فيستمرونَ في المقاومة .. و المتمرد يتابعُ من فوق البرجْ بمنظارهْ،

و يهمسُ بنفسهْ: " أعدُ لك مفاجأةً أيها الليثْ "

تصاعدٌ خطيرْ.. و أدخنةٌ غطت محيا السماءْ ..حجبتْ النورْ .. و خلفت مزيداً من الدمارْ .. و كلُ جيشٍ مازال يقاومُ و يضربْ.. زيد و مجاهديه مستعدونَ للإقتحامِ الأخيرْ.. لتكون الضربة القاضية و التي ستشلُ المعسكرَ بأكملهْ.. و هناك سريتين أخريينْ ينتظرون إشارة زيدْ للإنقضاض من الجهات الأخرى للمعسكرْ..

و الشهبندرْ و من معهْ .. في طريقهمْ إلى هناكْ.. يحركهمْ إيمانهمْ بالله .. و نيلُ العزة و الكرامة .. و نيل الشهادةْ.. زيدْ يقفْ على مقعدِ السيارة الجيبْ.. ينظرُ من خلال منظارهِ هو الآخرْ.. فيعقدُ حاجبيهْ و يهمسُ لأحد مجاهدي عمرانْ:

-زيدْ: أرى المتمردْ فوق البرجْ..

-المجاهدْ: ماذا يفعل ؟

-زيد: لا أعلم .. لكنهُ يشيرُ بسبابتهِ عن يمينهِ و كأنهُ يقولُ لي أنظرْ.

يصرخُ المجاهدْ:

-أنظر يا زيدْ إنها مدرعاتٌ و دباباتٌ مرفوعٌ عليها العلم الأمريكي ، لقد وصل إليهم الإمداد.

-زيدْ(مبتسماً): بدأتْ المعركة الحقيقية .. – فيصيحُ بمجاهديهْ – هاجموا يا رجالْ.

و يندفعُ المجاهدونْ.. سواءً على خيلهمْ أم بسيارتهم أم بمدراعاتهمْ أم بأقدامهمْ نحو تلك الدباباتْ ..و تبادلٌ لإطلاق النار بين الطرفينْ .. ليدخلوا في ملحمةٍ شرسة .. و ها هم جنودُ المشاة يدخلونَ في المعمعة ْ.. و يقاتلونَ المجاهدين الذي ترصدوا لهمْ .. و يتصاعدُ الموقفْ.. و يلحقُ كل طرفٍ بخسائرَ كبيرة بالطرفْ الآخرْ..

فيأمرُ زيدْ أحد المجاهدين بأن يطلق إشارة النداءْ .. فتنطلق السرياتُ الأخرى لتهاجمَ و تضرب من الخلف ْ..، كانت الضربة القاضية .. و ضاعتْ أحلامُ الأعداءْ .. و أخذوا يتساقطونَ واحداً تلو الآخرْ .. على كثرة عددهمْ.. إلا أنهمْ لم يصمدوا كثيراً .. و المتمردْ يكيلُ باللعناتِ للمجاهدينْ.. و يحطمُ مقبضَ المنظارِ من شدة الغضبْ .. لكنْ..

أكانت تلك هي النهاية ؟..

و إغلاقُ ستار تلك المعركة

0

0

0

أرى الليثَ يصافحُ الشهبندرْ .. قد عادَ الأميرْ العظيمْ ... و إلتحقَ بجيشهْ..

الحلقة الرابعة العشرونْ: الملحمــة

أرى الليثَ يصافحُ الشهبندرْ .. قد عادَ الأميرْ العظيمْ ... و إلتحقَ بجيشهْ.. فيضعُ قدمهُ على الأرضْ.. و يترك السيارة الجيب لأحد المجاهدين الذي إندفعَ و صعد فيها.. و الشهبندرْ و الليثْ يتبادلانِ حديثاً إمتلأ بمعاتبة شديدة من الشهبندرْ .. وبنظراتِ الليثِ المتفحصة إلى جنودهْ.. و بعيداً إلى النار المندلعةِ من معكسرِ المتمردْ..

تستمرُ المقاومة الشرسة من الطرفين.. و هذا ما أفسد عملية الإقتحام الأخير للمعسكر.. لا سيما بأن المجاهدين بسرية زيدْ لم يستطيعوا للآن الوصول للبوابة الرئيسية، و هذا حال بينهم و بين ما تم تخطيطهْ..

الشهبندرْ و براكين الغضبْ يراقبان الوضعْ من بعيدْ.. ليأتي رسولٌ من زيد يخبرُ براكين الغضبْ بالحاصل هناك:

-براكين الغضبْ: أيها الشهبندرْ.. لا أظنُ بأننا سنقوم بالإقتحام الأخير هكذا..

-الشهبندرْ: لكننا أصبنا الكثير منهمْ..و حطمنا معنوياتهم كلها برغم الإمداد الذي وصلهم من المعسكرات الأخرى كما خططت أيها الليثْ..

-براكين الغضبْ (مطأطئاً رأسهْ): نحاربُ من ثلاث جهاتْ .. زيد يمسك جهتين.. فيقود الجهة الأولى.. وجهةً من الخلف ولاها لأحد المجاهدين الثقة.. و نحن ندير الجهة الرئيسية و لكنك تمثل أنت الدعم من بعيدْ.. ولا بد من أن نرسل مجموعةً لتقتحم المعسكر ْو الأهم إنتهاز فرصة الفوضى تلك و قتل المتمردْ.

-الشهبندرْ (مقلباً عينيهْ): ماذا تقصدُ أيها الليثْ صارحني بما يدور بعقلك من جنونْ.

-براكين الغضبْ: أعني سننتهزُ فرصة تشتت المتمردْ و جنودهْ .. و سنباغتهمْ أنا و عشرةُ من مجاهدي عمرانْ..

-الشهبندرْ (مستفسراً): وكيف ذلك ؟

-براكين الغضبْ (بروح عالية):علينا أن نجد سبيلاً لنفتح البوابة الرئيسية أو الخلفية .. لنستطيع إقتحام المعسكر و زرع القنابل فيه..

-الشهبندرْ (تجحظُ عيناه): أتعني ماتقول أيها الليثْ ؟ ستذهبُ هناك وسط تلك الدبابات و الأسلحة الثقيلة ..و من يدري قد تأتي الطائراتُ الحربية .. و الذهاب إلى المعسكر خطر خطرْ . أرجوك .. الشهادة أن تبحث عنها لا أن ترمي بنفسك في التهلكة.

-براكين الغضبْ (يرتدي حذاءه العسكري بدلاً من نعاله): ما أريده أن لا يفلت مني ذلك المجرم.. و سأخرجُ دماء الأبرياءِ من جسدهْ..

-الشهبندرْ (بحدة): إتفقنا على خطة التفجير أيها الليث .. و ليس هذه.

-براكين الغضبْ (ولمعانٌ غامض في عينيهْ و هو يشد على حبال حذائهْ :(لا حل لديْ غير هذا.

-الشهبندرْ (يصرخ): و ماذا لو لو تعد ؟ ماذا سنفعلُ من بعدك أيها الليثْ ؟

-براكين الغضبْ (و يعلو صوتهُ لأول مرة على الشهبندرْ): لقد إتفقنا مراراً.. و أذكرك بأني عينتك خليفةً لي . و تعلم ما عليك فعلهْ.. أرجوك أيها الشهبندر.. نحن في حربٍ الآن.. و لا وقت نضيعه في هذه المجادلات العقيمة.

-الشهبندرْ (يحاول إخفاءَ غضبهْ. .. .. :(

-براكين الغضب: إني أشم رائحة الشهادة.. أحسها قريبةً مني.. و أريد أن أختم حياتي بقتل ذلك المجرم بيدي هاتينْ.

-الشهبندرْ.. .. .. .. :

-براكين الغضبْ :إستمعْ إلى ما أقوله لك ..في حالة غيابي .. وبعد أن تستقر الامور .. – يخرجُ ورقةً من جيبهْ – إقرأ رسالتي هذه و نفذ ما بها حرفياً..

-الشبهبندرْ (ودمعةً تترقرق): لم أحسُ بأني سأفقدك فعلاً أيها الليثْ.

-براكين الغضبْ (يحتضنُ الشهبندرْ): أدعوا لي بالشهادة أيها الشهبندرْ.. هذا ما أريده..

-الشهبندرْ) حزيناً): .. .. . لم لا تدعني أقوم بذلك ؟ لقد أقسمت أن لا يصيبك مكروهٌ ما دمت حياً..

-براكين الغضبْ (يضعُ المتفجرات على حزام خصرهْ): لا .. سأقومُ بذلك لأني أميرُ المجاهدينْ.. و سأفعلْ ، المهمْ بأنك تأكدت من وضع المتفجراتْ بمكانها؟

-الشهنبدرْ: أجلْ .. و كل شيءٍ جاهزْ..

-براكين الغضبْ :إذاً .. فلننطلقْ.. و كن أنت و من معك على أهبة الإستعداد لأي طارئْ..

و لا تنسى ما أمنتك لتقوم عليهِ في حالة الطوارئْ..

-الشهبندرْ (يصرخُ عالياً :(سر و أنت مطمئن البالْ أيها الليثْ.

-براكين الغضبْ: إنتقلوا إلى الخطة التالية بسرعة .. و قوموا بتغطيتنا..

-الشهبندرْ: بإذن اللهْ..

-براكين الغضبْ (يلتفتُ إلى مجموعةٍ من مجاهدي عمرانْ): طاهرْ.. حسامْ ..عبدالرحمنْ.. نادوا الأخرين و إركبوا خيلكمْ.. لكم مهمةٌ ستحبونها يا عاشقي الشهادة..

يبتسمونْ .. و هم بشوقٍ لتلك المهمة .. فمجاهدي عمران عموماً معروفين بأفغانستانْ كلها بشجاعتهم و حبهم للقتالْ و بسالتهمْ..

فهم يتوقون للقتال و للشهادة .. و يتفوقون على الكل بمهارتهمْ.. خاصةً في العمليات الخاصة.

تكبيرٌ و تهليلْ.. فإنقضاضٌ على تلك الأرضْ.. و زحفٌ جعل الرياحَ تصطدمُ بتلك الأجسادْ التي ما همتها ريحٌ و لا نارْ .. و تتقدمُ مجموعةٌ من المجاهدينْ و من أمامها تلك الخيولُ الرشيقة .. فأقدامهمْ تهوي بقوة على الأرضْ .. و رصاصاتُ رشاشاتهمْ تتطايرُ في الهواءْ..

ها قد إقتربوا من تلك الملحمة .. و يبدوا أن جيش زيدٍ قد إلتحم إلتحاماً بالجيش الآخرْ.. و الذي إعتمد على جنود المشاة و المظلينْ.. ليطلق براكين الغضب إشارةً أخرى ..فيخرج من أعقابِ مجاهدي زيد الرماةْ .. رماةُ القوس.. ليضربوا صدور أعدائهم الذين إستعجبوا من هذا الأسلوب القديم..

لكن الفعال جداً .. فهاهم الرماةُ يرمون .. و يرمون.. و الجنودُ يتساقطون على الأرض تباعاً .. تهليلٌ و تكبيرْ .. و إمدادٌ آخر قادمْ .. ليلمحَ براكينُ الغضبْ أجنحةً سوداءَ في الهواءْ.. فيطلقُ إشارةً أخرى تصل للمجموعات الثلاث.. و كل قائدٍ يقوم بما عليه.. .. فيجتمعُ مجاهدون في كل مجموعة..

و يقومون بتوصيل بعض الأسلاك بجهازٍ صغيرْ.. مشابهٌ له آخر على مسافةٍ قريبة .. و آخر . و آخر .لتشكل تقريباً دائرة حول ذلك المعكسرْ الدامي.. ولحظاتٌ حتى تقتربَ تلك الأجنحة. و ما كانت إلا طائراتٌ عسكرية أتت لتقصفَ المجاهدينْ على تلك الأرض العارية . . فيرفعُ براكين الغضبْ حاجبهُ الأيسرْ للأعلى..

و زيدْ يرفعُ يديه للأعلى منادياً الله ... و الشهبندرْ بدا التوترُ واضحاً على يديهْ..

و أخذ يتمتمْ" ماذا لو إقتربتْ !! ماذا لو فشلنا" !! .. و ثوانٍ حتى تغير مسارها لتأخذ جهة الشمالْ .. " أغبيااااااااااااءْ ، يالهم من أغبيااااااااااااااااااءْ"

يصرخُ المتمردْ ؟ و يأخذ بالصراخ ليلفت إنتباه الطائراتْ..

وسط صوتهِ الضائعْ في تلك المذبحة. و في ساحة المعركة .. براكين الغضبْ يحتضنُ من معه من مجاهدي عمرانْ.. وزيد و من معه يكبرونْ.. و يستمرون في القتالْ .. الكل يهتفْ.. .و يشكر الله بأن جهاز تشويش الطائراتْ و الذي سهروا على تطويره قد نجح لتغيير مسار تلك الطائراتْ .. لا سيما أن من بين المجاهدين مجاهدين عربْ.. منهم الطيار العسكري.. و آخر مهندس إلكترونيات .. و هكذا.. كلاً يُوظِفُ طاقاتُهْ للدِينْ ... و هذا أجملُ ما في عمل الفريقْ..

تضربُ بقية السرايا المعسكر من الجهاتِ الأخرى .. ليحترق المعسكرْ بغيظِ المجاهدينْ.. و يتحول لشمسٍ تجثي بذل و مهانٍ على الأرضْ..و تراجعٌ واضح بصفوف الجنودْ.. لا سيما الدباباتْ .. و التي تراجعاتْ و كأن نيراناً تعضُ بأعقاب أقدامها .. و أخرى تلسعها من الأمامْ...وضرباتٌ و ضرباتْ.. و قوة بصف هؤلاء الأبطالْ.. و سقط من سقط شهيداً .. وآخر جريحاً.. لكنهم أبداً لم يجزعوا ... لم يجزعوا..

و كلٌ خطوةٍ تطبق كانتْ تبعاً لتعليماتِ أمير المجاهدين.. و الذي خطط لكل حركةٍ بعد دراسةٍ دقيقة جداً.. لا تهاونْ .. لا ترددْ ..هذا ماكان يرددهُ دائماً.. معسكرٌ محاصر بالنيرانْ.. و جنودٌ خذلهم شبح قائدهمْ .فأخذوا يفرون بجلودهمْ.. تركوهُ بغصتهْ.. و غضبهْ.. و الذي أخذ مقعداً ما بمكتبهْ ..تحت تلك النيرانْ.. و أخذ يدخنُ سيجارتهُ و كأن شيئاً لا يحصلْ.

بعد تسلل براكين الغضبْ و من معهْ و إندسوا بين الصفوف.. كانت البوابة الرئيسية تفتح لإخراج المزيد من الجنود.. و لحظة أن فتحت مرةً أخرى .. قام براكين الغضبْ برمي القنابل عليها ..فإنفجرت البوابة الكبيرة .. و سقطت محترقةً على الأرض وسط ذهول الحراس ..فتنطلقُ الخيول بجنوح للداخل.. و تردي بحوافرها من يعيقُ تقدمها .. و يحرقُ فرسانها من يقفُ أمامهم بقنابلهم اليدوية..

أو بألسنة كلاشاتهمْ.. فيصل براكين الغضبْ للبوابة الخلفية . و يترجلُ و إثنين من مجاهدي عمرانْ.. و يقومون بدفع المفتاح الكبيرْ.. لتفتح البوابة .. فتدخل المجموعة الخلفية إلى المعكسرْ ..صيااااااااحٌ و صرخاتٌ و عويلٌ مذبوحٌ بوسط المعسكرْ..أجزع الجنرال الغاضبْ الذي رمى السيجارة و تناولَ مسدسهُ من على الطاولة.. لتجحظ عيناهُ و هو يرى الجبناء يتراكضون واحداً وراء الآخر بساحة المعسكرْ..

و من خلفهم أولائك الملثمينَ ذوي الرداء الأسودْ.. بأيديهم رشاشتهمْ.. يكبرون الله أكبر فيزلزلوا المعسكر تحت حوافرَ خيلهمْ ، يجري المتمرد بين الأجنحة ... ويتبادلُ الطلقات مع هؤلاء الملثمينَ من خلف النوافذ التي يحتمي خلفها. و ما أن تنتهي الطلقاتْ.. حتى يتربع الأرض و يضعَ المزيد من الرصاصْ ...و يستمر ُ بإطلاق النارْ.. ليسقط أحد الملثمين على الأرضْ بطلقةٍ من المتمردْ..

و ما أن يبتسمَ حتى تختفي إبتسامتهُ على مجيءِ تلك الفرس الغاضبة..و علا فوقها ملثمٌ بزيٍ عسكري..

إنه الليثْ !! الليثْ!!

"لا بد من أن الوغد إنتهز فرصة الفوضى و تسلسل إلى هنا .. جئت لحتفك أيها الليثْ "

هكذا همس لنفسهْ.. و إختفى بين النيرانْ.. و براكين الغضبْ يزيحُ اللثامَ عن الشهيدْ.. و يقبلهُ بين عينيهِ و يأمرُ إثنينِ من الملثمينَ ليأخذوا جثتهُ.. و يبحثُ عن المتمردْ بين تلك النيرانْ.. و الذي كان واقفاً بينها لتعانق عينيه الغاضبتينْ عينا براكين الغضبْ المشتعلتينْ.. و نارٌ تأكلُ فؤادهْ ..فيرى الأصمعي بإبتسامتهْ.. و ذاتُ الضفائرْ و لعبتها بين يديها تصرخ باباااااااااااااااااااا .. و جميلةٌ طالما أغوت حماس الشِعر بنفسهِ تلوحُ لهُ من بعيدْ..

السيف البتارْ.. و أقلامهُ المبعثرة..

و هدوءُ الفارسْ...

فيزيحُ اللثامَ.. و يدخلُ بين تلك النيرانْ و مجاهديه يصرخون أيها الأميييييييييير ، أيها الأمير لم نتفقْ على ذلك ، أيها الأميييييييييير ،

فيغيبُ بين تلك الحفلة النارية .. و معها يتمالكُ المجاهدونَ أنفسهمْ..

و يستمرونَ بهدفهم الذي جاؤوا من أجلهْ

)(**)(

)(

يجلسُ ماجدْ على الكنبة و بيدهِ الريمونت كنترولْ .. و الأطفال يلعبون في الوسطْ.. و نورة تهزُ الطفلة بتأففْ.. فيلتفتُ إليها ماجدْ:

-ماجدْ (متسائلاً): ما بك تتأففين هكذا ؟

-نورة: لقد أتعبتني هذه الغبية..

-ماجد (و بنفسه يقول تستحقينْ): و ماذا فعلت هذه البلقيسُ أيضاً ؟

-نورة: أتذكر ذلك اليوم الذي مثلت فيه علينا بأنها ميتة و ناديتني قائلاً بأنها تحتضرْ ، لليوم لا تكف عن إزعاجي بتصرفاتها .. مللت منها خلصني منها..

-ماجدْ : لكن يا نورة تعلمين بأنها بعهدتنا إلى أن يأتي والدها و يأخذها..

-نورة (بغضبْ): و ما ذنبي بأن أتحمل تربية أبناء غيري ، تصرف .. لا أريدها.

-ماجد: إستغلي وجودها بأن تقوم بخدمتك .. هكذا تكف شرها عنا .. جيدٌ بأنها تذهب للروضة في الصباحْ..

-نورة (تصرخْ): بلقيييييييييسْ ، بلقيييييييسْ أيتها الغبية.

تقفُ الغاضبة الصغيرة بعينيها الشرستينْ.. و دميتها التي لا تفارقها .. و ضفيرتينْ أحدهما منسلة...

-نورة (تضعُ الطفلة بمهدها و تقفْ): تعالي إلى هنا و أكنسي هذا المكانْ.

-بلقيسْ (ببرودْ): لنْ أفعلْ.

-ماجد (بدهشة :(ألا تسمعين كلام عمتك نورة ؟

-بلقيسْ (تضربُ الأرض بقدميها): لن أفعل .. لست خادمة .. و ليحصل ما يحصلْ.. لن أفعل..

تقتربُ نورة من بلقيسْ التي لم تتحرك .. و أخذت تنظرُ إليها بغضبْ:

-نورة (تمسكُ بلقيس بقسوة من شعرها :(ستقومين بذلك لأنك غبية و لا أطيق وجودك هنا.

-بلقيسْ (تحاول أن لا تذرف دمعتها المتجمعة بمقلتها): لن أفعل .. أريد بابا..

-نورة : أبوك ماااااااات و أنت في منزلنا نطعمك و نسقيك و لنا المنة عليك.

-بلقيسْ) تبكي): لا أرييييييييدْ .. لن أفعلْ .. لن أفعلْ.

-ماجدْ (يحاولُ إبعاد يدي نورة عن بلقيسْ):توقفي عن ذلك يا نورة .. لا تقسي عليها هكذا .. مهما كان فهي طفلة.

-نورة (بغضبْ و تضرب بلقيسْ على رأسها): أكرهها و لا أريدها هنا .. لا أريدها.

-بلقيسْ (تصرخُ باكية): أريد بابا .. أريد باااااااابااااااااااا.

-ماجد (بغضب): إنك تؤلمينها يا نورة .. توقفي.

-نورة : أخرجها من هنا .. أخرجها.

تقومُ بلقيس بضرب نورة ببطنها .. و التي جثت على ركبتيها متأوهة .. و ماجد متسمرٌ في مكانهْ...

و نورة تصرخ فيهْ:

-نورة: الحقيرة قامت بضربي إفعل شيئاً ، سأجهضْ سأجهضْ.

-بلقيس (تضربُ بقدميها على الأرضْ): لم تضربينني .. بابا قال لي بأن أضربك إن ضربتني.

تجحظُ عينا ماجدْ و نورة.. فيتبادلان النظراتْ .. و من ثم يقتربُ ماجد من بلقيس التي سالت

دموعها .. ووضع يديه على كتفها الصغيرْ و قال:

-ماجدْ : متى قال لك ذلك ؟

-بلقيسْ (مازالت تبكيْ): بابا حدثني اليومْ.

-ماجدْ.. .. .. :

-نورة (تقلب عينيها رعباً.. .. .. :(

-ماجد (يلتفتُ إلى نورة): ويلنا من والدها البركان الغاضبْ.

المَشهـد السـادس عشـر

الإنتقـــــــــام

يجري المتمردْ بأقصى طاقتهْ ..و براكين الغضبْ من خلفهِ محطماً كل شيءٍ أمامهْ.. يتجاوزُ المتمردْ كل عائقْ. و يقفزُ من خلف تلك المنضدة .. و يتدحرجُ خلف تلك و التي تحترقُ من فوقها .. و هكذا .. حتى يصل إلى بابٍ موصد .. و يخرجُ المفاتيح من جيبهِ على عجلْ.. و يدخلُ المفتاحَ تلو الآخرْ...

و ينظرُ للخلف تارة ثم ينظرُ إلى أين يدخل المفتاح ..و الليثْ ، يقتربْ.. و يقتربْ.. حتى يدير المتمرد المفتاح الصحيحْ.. و يفتح البابْ الذي ما إن فتحهُ حتى سمع دوي رصاصْ.. فتفادى الطلقة إذّ دخل بسرعةٍ إلى الداخلْ ..و براكين الغضبْ يطلقُ الرصاص بلا توقفْ حتى ملأ الباب الحديدي بالثقوبْ..

و فتح الباب بقوة و صعد السلالمَ و هو ينادي:

"أيها الجبانْ .. هربت بمعركة جبهة قندهارْ.. فهل ستهربُ ثانية؟"

يلوحُ شبح المتمردْ من بعيد.. و تبادلٌ للنار بينهما حيثُ إحتمى براكين الغضبْ بظهر الباب الحديدي بآخر السلالمْ.. و توقفت النيرانُ فجأة من قبل المتمردْ.. و إستغرب براكين الغضب لذلك.. لكنهُ أمال وجههُ للأمام قليلاً .. و رأى المتمردْ يجري مبتعداً .. فإبتسم غبطةً لأنه أحس بأن الذخيرة قد إنتهت من مسدس المتمردْ.. و لحق به . و دخل لممرٍ ضيق و مظلمٍ نوعاً ما يؤدي لردهةٍ فيها مكتب..و ما إن دخل الردهة حتى صرخ:

-براكين الغضبْ: أيها الجبانْ أين أنت ؟

ثقلٌ سقط على كتفي براكين الغضبْ و ما كان إلا المتمرد الذي كان متعلقاً بالسقفْ.. و أسقط براكين الغضبْ على الأرض و الذي وقع رشاشهُ منهْ.. يحاولُ براكين الغضبْ أن يخلصَ نفسهُ من قبضة المتمردْ و الذي حاول تثبيت براكين جيداً .. فيخرجَ خنجراً من جيبهِ و يحاول طعن براكين الغضبْ و الذي عاجلَ الأخير بركلةٍ من الخلف أسقطتهُ بعيداً عنهْ.. فقام على عجلْ متجهاً ناحية رشاشهِ ليرمي المتمردْ المتألمْ بخنجرهِ لتنغرسَ بقدم براكين الغضبْ الذي صرخ و سقط أرضاً..

يضعُ براكينُ الغضبْ يدهُ على ساقه متحسساً إياها متألماً.. و المتمردْ يمسكُ ساقهُ محاولاً النهوضَ لكن يبدوا أن إصابة كاحلهِ بليغة قليلاً..

ينظرُ براكين الغضبْ إلى المتمردْ و الذي كان ينظرُ إليه بإشمئزازْ:

-المتمردْ (محاولاً إخفاء مشاعرهْ): لن يكون قتلي سهلاً أيها الليثْ فأنا الجنرالْ.

-براكين الغضبْ (يبصقُ على الأرضْ): هذا هو مستواك أيها الجنرالْ.

-المتمردْ: هل تعتقدُ بأن إقتحامك لمعسكري يعد إنتصاراً ؟ أقتلني أولاً.

-براكين الغضبْ: هل كنا نلهو منذ البداية أيها الذكي ؟

-المتمردْ (يجلسُ على ركبتهِ اليسرى): يكفي بأنك حاولت قتلي و إطلاق النار من خلفي و هذا شيءٌ لا يغتفرْ.

-براكين الغضبْ (بسخرية): صهْ .. لا يهمني إن كان يغتفرُ أم لا .. – يحاولُ أن يقف على قدميهْ.. لكنها تخذلهْ–

-المتمردْ (يحاولُ أن يزحف متجهاً نحو رشاش براكين الغضبْ): أوهْ حقاً ، سنرى الآنْ من سينتصرُ أيها الليثْ.

يراقبُ براكين الغضبْ المتمرد الذي يقتربُ من رشاشه بهدوءْ .. و يحاولُ أن يفكر بطريقةٍ أخرى تنقذه من هذا الموقفْ .. و ذلك الألمْ الرهيبْ.. يمسكُ الخنجر المنغرسْ بقبضتهِ و يشدهُ للخارج بقوة و يصرخُ و المتمردْ يمسكُ الرشاشَ و يستديرُ للخلف حتى ما أن إنبطح للخلفْ أخذ وضعية الجلوس و إتكأ على كوعهيهْ و نظر لذلك الليثْ الذي كان يتعرقُ بشدة:

-المتمردْ: ما إحساسك أيها البطلْ و سلاحك بين يديْ ؟

-الليثْ (هادئاً.. .. .. :(

يقفُ المتمردْ على ساقيهْ .. و يصوبُ الرشاشَ على رأس براكين الغضبْ:

-المتمردْ: يؤسفني قتل صديقٍ عزيزْ.. و عدوٍ عزيزٍ أيضاً..

-براكين الغضب (و برودٌ ملأ محياهْ.. :(

-المتمردْ (يخفي سخطهُ على برود براكين الغضبْ): ما أثار غضبي هو ظهوري كجنرالٍ ضعيف .. و السبب هجماتكم الصبيانية تلكْ.

-براكين الغضبْ: لا تنسى بأنك حاولت قتلي عدة مراتْ ... على الأقل شجاعتي أتت بي شخصياً لأقتلك .. و ليس الجبن الذي يجعلك ترسل من يقتلني أيها الشجاعْ.

يضربُ المتمردْ خد براكين الغضبْ بمقعد الرشاشْ .. و الذي إنقلب على بطنهِ من شدة الضربة..

واضعاً كفه على فكهِ الذي غرق بالدماءْ..

-المتمردْ: لا مزيداً من الثرثرة .. ودع العالم أيها الليثْ لكن على طريقتي ز

رصاصةٌ إخترقت بطن ساق براكين الغضبْ الذي أخذ يزمجرُ كالأسد الجريحْ.. و قهقهةٌ ملأتْ المكانْ .. و فرحةٌ ملأت قلب المتمردْ السعيدْ..

-المتمردْ: اليوم سترى الجنة التي تمنيتها أيها الأحمقْ ، و عليك شكري لذلك.

-براكين الغضبْ (يحاولُ أن يخرج شيئاً ما من حزامهْ.. .. .. :(

-المتمردْ (بشيءٍ من الهرجْ): الوداع أيها القائدُ العظيمْ.

براكين الغضبْ: خسئتْ.

إنفجارٌ شق عباب المعكسرْ.. و نثر الرمادَ و الأشلاءَ بكل مكانْ .. و هلعٌ في أعينُ الملثمينْ .. و هلعٌ و فزعٌ أكبر بعينيْ الشهبندر الذي شهقْ عندما سمع الدوي الكبيرَ و رأى تلك الغيمة السوداءْ و التي إفترشت صدر السماءْ..

و أخذ ينادي بجنونْ:

-الليثْ ، أين الليثْ ؟ تحركوا و إبحثوا عنه.

و طائراتٌ تقصفُ المعسكر .. وإخلاءٌ من قبل زيد ليتراجعَ المجاهدونَ وسط تلك الأدخنة السوداءْ و حالة الفوضى .. فالطائراتُ تقصفُ كل شيءْ ... سواء جنودهمْ أم المجاهدينْ .. و الشهبندرْ يطلقُ إشارة الإنسحابْ المبعثرْ .. أي أن لا تتقيد المجموعاتُ بطريقٍ واحد للإنسحاب لتقليل أقل خسائر ممكنة في الأرواحْ..

ساعاتٌ لم تنتهي إلا بثقلْ و ببطءٍ شديدْ ... أعقبتها لفحةٌ حارة من الشمسْ التي ودعتْ ذلك اليوم الطويلْ.. و غابت ْ لتبعث الهدوءْ بعد تلك المذبحة الشنيعة .. و على أثرها .. قامت القوات الأمريكية بالعراق بمذبحةٍ جماعية أخرى في بغدادْ و كأنها تنتقمُ لمن مات بذلك المعسكرْ.. وما كان القاتلُ إلا همْ..

معلنين في القنوات الفضائية بأن كل من ماتْ كان بصفِ المجاهدينْ.. و أخفت حقيقة بأنها أبادت عدداً كبيراً من الجنود المصدومينْ بتلك الخيانة .. بعد أن أتقن أبطالُ الليثْ التعمق و الإلتحام بصفوفهمْ.. ليقدموا أرواحهمْ رخيصةً للدينْ ..فسقط من سقط شهيداً.. و فاحتْ رائحةُ مسكٍ عطرة من تلك الأرضْ في ذلك اليومْ..

و أعلن حدادٌ خفي للقتلى بواشنطنْ تحت سخطٍ واضحْ للرئيس جورج بوشْ.. و رامسفيلدْ الذي لم يستطع إخفاء الإحراج الذي حصلْ.. و الذي سببه ذلك الجنرال أولاً للإنتهاكات التي قام بها بمعسكرهْ.. .. و للقتلى الذين أبيدوا بطائراتِ جيشهمْ..

و ثانياً لإخفاء حقيقة أن الحرب التي شنت على ذلك المعسكرْ كانت بقيادة الليثْ الذين إستماتوا في البحث عنهْ .. حقاً شيءٌ محرجْ ..خاصةً تلك الحقائق الزائفة عن موت الجنود و الذي حبكها بوش لأهالي القتلى ، كذبةٌ و كذباتٌ تجر بعضها يا بوشْ

الحلقة الخامسة و العشرونْ: ما بعد الحربْ

تقفُ سيارة الجيب أمام مستشفى قندهارْ.. و يشيرُ للسائقْ بأن ينتظرهُ في السيارة ريثما يعودْ.. و يترجلُ منها و ينظرُ لذلك المبنـــــى بعمقٍ و حزنْ.. حزنٌ يأكلهُ من الداخلْ.. فلهذا المكانْ المليءْ بالخرابْ ذكرياتٌ أليمة .. مرة .. حيثُ ذاق الويل هو و أصدقاؤه بحصارٍ لعينْ.. لكن .. لا يهم الآن . فالحرب التي يخوضونها غير متكافأة في الأصلْ .. و هدأ كل شيءٍ بعد المعركة الأخيرة .. و هو الآن هنا ليلملم ما بقي من رائحة

صديقهِ العزيز .. و الذي أحبهُ أكثر من نفسهْ .منفذاً الفقرة الأولى من رسالتهْ:

"أطلب منك يا أخي الحبيب بأن تذهب للطابق العلوي بمستشفى قندهارْ. و بالتحديد في الجناح الذي رابطنا فيه أثناء مقاومتنا لجنود المتمردْ.. على بعد خمسة عشرة خطوةٍ بقدمك.. تحسس الأرضية التي بأسفلك.. و حاول أن تزيلها لأني قد أخفيتُ تحتها أوراقاً مهمة .. واحدة لي .. صفراءْ .. و البقية رزمةُ أوراق .. يجب أن تسلم إلى الشيخ أسامة بنْ لادنْ .. و أوصيك بأن لا تنظر إلى الصفراءْ حتى تصل إلى الخليجْ.. تابع القراءة.. لتعرف ما عليك فعلهْ.. "

يتمالكُ أعصابه التي بدأت تنهارُ شيئاً فشيئاً .. و توجه للطابق العلوي .. و الذي قد أعادْ بنائه من جديد .. و إمتلأ بالجرحى .. فذهب للجناح المقصودْ.. و الذي تحول لغرفة إنتظارْ.. و تحت أنظار الأفغانْ الدهشة.. جثا على ركبتيه و أخرج الأوراق و التي مازالتْ هناك " كم أنت ذكيٌ يا صاحبيْ" .. و دمعةٌ تأبى إلا أن تخرجْ من مقلتيهْ.. ليمسحها بهدوءْ.. و يغادر المستشفى بأكملهْ.

أوقاتُ وداع عصيبة مرة بها الشهبندرْ.. يتوسطُ الجلسة أسد الله و مجموعةٌ من قادة طالبانْ.. و رموزٌ مهمة من القاعدة .. إجتمعوا ليودعوا الشهبندرْ الذي لم تفارقهُ ملامحُ الحزن أبداً.. خاصةً بأن الأحداث الأخيرة أثرت على صحته.. ففقد الكثير من وزنهِ . و فقد بريق وجههْ.. فأصابهُ النحولْ..

يتقدمُ أسد الله بالحديثْ:

-أسد الله: تقبل الله شهداءنا و أسكنهم فسيح جناتهْ.

-الكلْ : اللهم آمينْ..

-الشهبندرْ.. .. .. :

-أسد الله : أعلم مدى حزنك العميق أيها الشهبندرْ.. لقد تعرضتم للكثير هنا بأفغانستانْ.. و رأيتم الحقيقة بأعينكمْ. و رأيت كم نحاول أن نقاتل لكن ما نحرزهُ في العموم هو إحراز خسائر بليغة في صفوف العدوْ.. نقدر لكم البطولة التي قمتم بها .. و الفضل يعود لله .. ومن بعده القائد العظيم الليثْ.. لقد بحث عنهُ الرجال في كل مكانْ .. و لم يعثروا إلا على جثثٍ محترقة يصعبُ التعرف على أصحابهاْ..

-الشهبندرْ (يحاول منع نفسه من البكاءْ. .. .:(

-أسد الله : لم أقابل في حياتي قائداً مثله.. لا في ذكائه و لا حنكته.. فكيف له يخطط ويقاتل بـــ ٦٠٠ مجاهد أمام قوة ثلاث معسكراتْ.

-أحد القادة : أتدري ماذا حصل بعد أن إنفجر المعسكرْ؟.. قامت الطائرات بقصف المنطقة القريبة من جبهة الشهبندرْ.. و التي كانت حقلاً كاملاً للألغام و المتفجرات ، فتفجرت كلها و تحولت لشتاتْ.

-أسد الله : برغم فرحي بإستشهادهْ إلا أنني حزينٌ على فقد قائدٍ مثله.

-الشهبندرْ... .. :

-زيدْ (و الذي فقد ذراعهُ الأيمن في المعركة): إيه و الله كان حبيباً و قريباً للقلبْ .. و أكثر ما أعجبني فيه جرأتهْ.

-أسد الله : تقبل الله الفقيد و أسكنهُ فسيح جناتهْ.

-الكلْ: اللهمْ آمينْ.

-الشهبندرْ (بتثاقلْ): أستأذنكمْ أيها الأخوة .. لأني راحلٌ اليوم بعد أن سلمتُ لكم الأمانة..

-أسد الله: جزاك الله كل خيرٍ أيها الشهبندرْ.. ووضع كل عملٍ قمت به في ميزان حسناتكْ..

-الشهبندرْ (متخبطاً في حديثهْ): .. سأرحلْ .. و بإذن الله سأعودُ بعد أن أؤدي ماعلي في الخليجْ.

يقومُ القادة و المجاهدون بتوديع الشهبندرْ.. و أكثر من بكى زيدْ.. و مجاهدي عمرانْ الذين بكوا أميرهم الليث كثيراً.. كما بكته قندهار و لليومْ... كانت الأشجارُ مائلةً للأسفلْ.. و الشمسُ حارقة.. و السوقُ خالٍ من الناسْ.. و لا تسمعُ بذلك اليوم إلاالقرآن الكريم الصادر من التلفاز و المذياعْ من أجل الشهداءْ..

و خاصةً محبوب قندهارْ : أمير المجاهدينْ .. ليث قندهارْ.

يتوجهُ الشهبندرْ برحلتهِ الطويلة إلى هيراتْ.. و توقف عند قرىً كثيرة من أجل الماء و الزاد.. خاصةً بأن من الخطر السفر عبر مطار قندهار الذي أصبح ثكنةً عسكرية للقوات الأمريكية .. و معهُ هذ السائق الأفغاني الذي يتقنُ أغلب لغات قبائل أفغانستانْ.. و بالطبع. لم يرحب الناسُ بهيرات بالشهبندرْ.. نظراً لأن تلك المدينة قريبة من حدود إيران..

و أغلب من فيها يعادي السنة .. و خاصة الأفغان العربْ .. لكن وساطات السائق الأفغاني.. جعلت من الأمور سهلة و يسيرة على الشهبندرْ الذي كان يحاولُ التماسك.. أيامٌ أخرى طويلة .. وصل فيها الشهبندرْ إلى إيرانْ.. و هناك .. إستقبلهُ أحد أتباع أسد الله .. و تحمل مسؤولية تولي أمور الشهبندرْ هناك .. حتى أوصلهُ بأمانٍ إلى طهرانْ..

و عندما أتى اليوم الأخير للشهبندرْ بطهرانْ .طلب من التابع أن يرشده لمحل بيع لعب دميً للأطفالْ .. و هناك .. إنتقى أجمل و أبهى دمية .. قايضها بخاتمه الفضي.. و ذلك لأنهُ لا يملك من المال هنا .. و ليس لديهِ إلا ما قام به أسد الله من ترتيباتٍ من تذكرة سفر و إقامة مؤقتة في إيران حتى يصل إلى الخليجْ..

وحلقت الطائرة .. و معهـــــا الشهبندرْ.. و دميةً يحتضنها بين كفيهْ.. و دموعٌ يذرفها بين الحين و الآخر... و كأنه عاشقٌ فارق من يحبْ .. خاصةً بأن شكله الغريب.. و ملابسه الأفغانية .. و لحيته الكثة و الطويلة غريبة بعض الشيْ للركابْ..

تهبطُ الطائرة بهدوءْ.. و يستعدُ الركاب للنزولْ.. إلا الشهبندرْ الذي كان متردداً.. فقد مضى وقتٌ طويلٌ على مجيئه إلى هنا .. و كل شيءٍ بدا غريباً عليهْ.. توقفت خطواتهُ عند بوابة القادمونْ.. و جثى على ركبيتهْ.. و إحتضن كفيهِ و ذرف دموعاً غزيرة وسط دهشة المسافرين و عمال المطار..

تتوقفُ سيارة الأجرة عند منزلٍ بأحد الأحياءْ بمنطقة الأندلسْ .منزلٌ صغير .. و يفتح الباب شيخٌ مسن لم تسعفهُ الفرحة إلا بأن يحتضن إبنهُ الغائب عنهْ ، و تحت غمرة ذلك اللقاء الحار.. يصرخُ سائق التاكسي بالشهبندرْ يسألُ عن أجرتهْ.. فيندفعُ الرجل المسن و يرمي بدنانيرَ على وجه السائق.. و رفع له عصاهُ التي أفزعتهْ.. فضغط على دواسة البنزين و رحلْ..

يجلسُ الشهبندرْ ووالده الذي أغرورت عيناهُ بالدموعْ و هو يرى إبنهُ على هذه الحال.. وتدخلُ سيدةٌ بمتوسط العمر هي والدةُ الشهبندرْ.. تحتضنهُ و تضمهُ لصدرها .. و تغرقُ وجهه بالدموعْ.. و طلبا منه أن لا يرحل مرةً أخرى .. لكن الشهبندر أبا إلا أن يرحل.. و شرح لوالديه بأنه لن يطيل البقاءَ لأنهُ في صدد مهمةٍ أوصاهُ بها صديقهْ.. و لما سألهُ والدهْ.. صمت قليلاً.. و نطق إسم: براكين الغضبْ بصعوبة..

ليلةً أمرها من ليلة.. تقلب فيها الشهبندر يمنةً و يسرة.. يفكر في كيفية تنفيذ ما أمرهُ به براكين الغضبْ.. و كل ذلك الغموض بكلماتهْ.. ليتذكر تلك الفقرة التي تقول:

"أي صديقي الحبيبْ... بعد أن تصل إلى ولخليج .. إذهب إلى البنك الفلاني و إسأل عن حسابٍ هو بإسمي الحقيقي و هو كذا

و كذا وإنقلهُ لحساب بإسم من ستقابلهُ غداً السبت .. إسألهم عن صندوقي الشخصي.. ستجد أوراقاً ستحتاجها لعملية التسجيلْ ..لكن إفتحها بعد أن تقابل الشخص المعني.. و إدخر المبلغ الفلاني في حسابٍ سري للزمنْ" ..

من هو ذلك الشخصُ يا ترى ؟ و ما سِرْ هذه الدمية التي أصر براكين الغضبْ على أن يشتريها الشهبندرْ..

و أحسَ بأن من سيقابلهُ طفلٌ صغيرْ.. لكن منْ هو ؟.. وما علاقتهُ بالبراكينْ.

و يطلعُ ذلك الصباح .. و يقوم الشهبندرْ إلى الحلاق و يهذب من لحيته قليلاً ..و يتوجه إلى الحديقة المقابلة لروضة الأطفال كما أوصاهُ براكين الغضبْ..و يجلسُ على كرسيٍ هناك .. و ينتظر .. و يتذكر الفقرة الجديدة:

"ما أن تصبح الساعة الواحدة ظهراً .. سيقفُ ذلك الشخص بجانبك .. و ستساعدك ورقتي الصفراء ... و لا تنسى الدمية"

و هنا .. لم يقم الشهبندرْ بإخراج تلك الورقة من جيبه. بل إنتظر الساعة الواحدة .. و قتلهُ الفضول ..و ما هي لحظاتٌ حتى أشارت الساعة إلى الواحدة و النصف.. و غادر أغلب الطلبة الصغار الروضة مع أهاليهم.. و أخذ ينظرُ و يمعنُ النظر بوجوههمْ.. و أنتظر الشهبندر و أنتظر تحت تلك الشمسْ.. وأحس بغصة .. : ربما أخطأت هذه المرة لتفك غموضك أيها الليثْ.. و يبدو بأنك إستشهدت و معك أسرارك كلها .. من سأقابل يا ترى؟.. هل الدمية شيفرةٌ سرية مثلاً؟ وبم ستنفعني الورقة الصفراءْ ؟ هل لديك فلذة ؟ كيف سأعرفهُ ؟

ولما هم بالقيام حتى إقتربت طفلةٌ صغيرة و أخذت تنظرُ إلى الشهبندرْ الذي أخذ ينظرُ إليها بدهشة .. صغيرةٌ ذات ضفائر سوداءْ.. خداها متوردانْ.. و إحدى الضفائرُ منسدلة .. و بيدها تمسكُ دميةً ذات ضفائر أيضاً.. و لها .. لهاااااااا.

إلهي ، إلهي ، لها تلك النظرة الفاحصة..

كانت الصغيرةُ تتفحص الشهبندر و كأنها رجلُ مباحثْ..والشهبندرْ يتفحصها بالمثلْ.. و ترفعُ حاجبها الأيسرْ..

فيضربُ وجهه بكفه ليوقظ نفسهُ من حلمه:

-الشهبندرْ: سبحان الخالقْ العظيمْ.. إنها تشبهه ، تشبهه تماماً.

-الصغيرة) بحذر): ماذا تفعلُ يا عماهُ هنا؟.. هذه المدرسة للصغار و ليست للكبار.

-الشهبندرْ (يحاولُ التركيزْ): في الحقيقة .. إنني..

-الصغيرة (مازال حاجبها الأيسر عالقاً للأعلى و كأنها تنتظر زلةً من الشهبندرْ.. ... :(

-الشهبندرْ (بارتباكْ): .. . أقصد.. – و يخرجُ الورقة الصفراء و من الصدمة يجلسُ بإنهاك على الكرسيْ.. -

-الصغيرة: هل أنت بخيرٌ يا عماه ؟

-الشهبندرْ (متصلباً يحدقُ بالصورة.. .. .. :(

كانت الصورة لسيدةٍ قد مزقت الصورة عند وجهها فقط .. حيث كانت تحتضنُ طفلةً صغيرة.. هي نفسها ذات الضفائرْ و التي تمسكُ بنفس الدمية .. و التي رمت بنفسها بين ساقي الشهبندر تحدقُ به بإستغرابْ.

-الصغيرة (بصوتٍ عالٍ): هل أنت مريضٌ يا عمْ ؟

-الشهبندرْ) محدثاً نفسهْ): "هذه الصورة في قروزني .. وإن لم يخب ظني سأكتشفُ المزيد في تلك السجلات التي أخبرني عنها.. "

-الصغيرة (تصرخ): هل أنت مرييييييييييييضْ ؟

-الشهبندرْ (يحاولُ إدارة الموقف): كنتُ أنتظرك أيتها الصغيرة..

-الصغيرة: حقاً ؟

-الشهبندرْ: أجل.. ما إسمك ؟

-الصغيرة (بخبثْ): لن أخبرك ؟

-الشهبندرْ (يهمس: لها نفسُ برودهْ): حسنٌ... أنا أدعى عبدالله .. وأنا صديق والدك .. و قد أرسلني إلى هنا لآخذك معي .. ستكونين بعهدتي إلى أن يعود من رحلته..

-الصغيرة (تجحظُ عيناها): بابا ، هل قلت بابا ؟

-الشهبندرْ: أجل..

-الصغيرة (ترفعُ حاجبها مرةً أخرى): و ما الذي يقنعني بأنك صادقٌ معي ؟

-الشهبندرْ :هههه .. بسيطة .. أسم والدك كذا و كذا ..و هو مسافرٌ منذ كذا الى كذا.. و قد حادثك قبل أيامٍ و قال لك بأنه سيرسلُ لك دميةً.. أليس كذلك ؟

-الصغيرة (تحاول الإبتسام :(أجل.. صحيح..

-الشهبندرْ: إذا.. هل صدقتني الآن ؟

-الصغيرة : أنا بلقيييييييسْ.. أدعى بلقيس .. بلقيس إبنة بابا..

-الشهبندرْ :هههههههههههههههه ... أعلمْ..

يلتفتُ الشهبندرْ ليسارهْ.. و يتناولُ صندوق الدمية و يمدُ يده إلى بلقيسْ لتتناولها على عجلْ و غبطة:

-الشهبندرْ) مبتسماً): هذه هديتك من بابا..

-بلقيسْ (تصرخْ فرحة): باااااباااااااا ، هذه هديةُ بابا ، كما وعدني .. – و تخرجُ الدمية الجديدة و ترمي بالقديمة و تحتضنُ الجديدة–

-الشهبندرْ: أي بلقيسْ . سأقلك إلى البيتْ.. أتعرفين الطريق ؟

-بلقيسْ (بطفولة و هي تعبثُ بضفيرتها اليمينْ): أجل . بآخر الشارعْ .. لم يأخذني أحد اليوم .. تأخروا علي.

-الشهبندر (يقفُ و يحتضنُ كفها الصغيرة): سأقلك إلى هناك .. لكن قبل ذلك سنذهبُ إلى مكانٍ قريبٍ من هنا و سنعودْ.

-بلقيسْ (و قد شلت الدمية الجديدة إنتباهها): لا مانع عمو.

-الشهبندر (مبتسماً): هيا بنا توكلنا على الله.

يصلُ الشهبندرْ و الصغيرة بلقيسْ إلى البنك الذي وصفه له براكين الغضب برسالتهْ.. و كان التردد قد سرا بجسدهْ. خاصةً أول مفاجأة اليوم .. " هل يعقلْ أن تكون هذه الصغيرة إبنتهْ ؟.. لكن ما سرِ تلك الصورة ؟ أحسُ بمفاجأةٍ أخرى تنتظرني"

و بلقيسْ تلهو وتحدث دميتها " بابا أرسلك إليْ ، أرأيت كيف يحبني بابا " .. و الشهبندرْ ينظرُ إلى هذه البراءة التي تجلسُ بقربهِ و يهمسُ لنفسهْ" أظنهُ يريدني أن أهتم بها .. و أخرجها من ذلك المنزلْ الذي تعيش فيه.. من ثيابها القديمة يبدو بأنهمْ يسيئون معاملتها .. لكن .. أيسيئون معاملة إبنة الليث ؟ إبنة البطلْ"

يترجلُ الشهبندرْ من السيارة .. و تنظرُ إليهِ بلقيس بهدوءْ.. و يقتربُ من بابها و يفتحهُ لها..

لتترجل الأخيرة و تتبعهُ و هي تلهو بدميتها..

يدخلُ الشهبندرْ.. و يدهُ لم تفارق يد بلقيسْ الصغيرة و التي يبدو بأنها قد أحبت عمو عبدالله خاصةً بعد أن أهداها دميةً جديدة – ربما يعلمُ والدها كيف يُدخل الغرباءْ لنفس صغيرتهْ – و يطلبُ مقابلة المدير المسؤولْ.. و يطلب منه أن يفتح صندوق صاحب الحسابْ المعني.. و هو براكين الغضبْ لكن باسمهِ الحقيقي ... و يريهِ رسالةً بخط براكين الغضبْ و فيها توقيعهُ و أذنه الشخصي ليتصرف الشهبندرْ بمالهِ كيفما يشاءْ..

يطلبُ الشهبندرْ من بلقيس أن تجلس بالبهو وأن لا تبتعدْ .. و يدخلُ لخزنة العملاء خلف المدير.. و يقوم بفتح غرفة الصناديقْ. . ويغلق الشهبندرْ الباب من خلفهِ و ينظرُ للصندوق هنيهةً .. و يتنفسُ الصعداءْ.. ثم يفتحهْ.. لتصدمهُ المفاجأة.

وجد في الصندوق أوراق الليث الشخصية .. و وجد أرقام حساباتٍ أخرى في الصندوق ..و.. وجد عدة جوازاتِ سفرْ .. مهلاً ، هذا جواز سفر الليثْ ، لكنْ توجد عدة جوازاتْ . فهذا جواز سفرٍ شيشاني .. و آخر باكستانيْ.. و آخر روسي .. و عدة نسخ باسم واحد لكن بلدانٍ مختلفة.

هل هذا يعني بأن الليثْ جاهد في عدة مناطق في العالم غير الشيشانْ و أفغانستانْ.

و ماهذا ؟ يلتقطُ لفافةً يبدو بأنها جوازات سفر . لكن حجمها صغير.. يفتح الشهبندر اللفافة و يرى جوازات أخرى.. أخذ يقرأ في أحدها ووجد صورة رضيعة و كان لبلقيس.. لكن مهلاً ، لديها جوازانْ.. أحدهما خليجي .. و الآخرْ .. رباهْ ، شيشانيْ .. تجحظُ عيناه..

يلملم كل ما يحتوي عليه الصندوق و يضعهُ بحقيبةٍ أحضرها معهْ و عدة أسئلة دارت برأسهْ " أحقاً كان الليث متزوجاً و له فلذة كبد و أخفى عنا هذه الحقيقة كل تلك السنينْ ، كان متزوجاً من شيشانية .. أظن بأنها توفيت فقام و أحضر إبنته إلى هنا .. و لديها جوازان للتمويهْ ، ذكيٌ يا صاحبي ... و غامضْ.. و لليوم .. ستظلُ غامضاً بالنسبة ليْ"

يخرجُ الشهبندرْ إلى الردهة .. و يتأكد من أن بلقيسْ مازالتْ تلعب بدميتها.. حيث كانت مسرورة بها تقذف بها في الهواءْ.. ثم سرعان ما تحتضنها و تنادي بابا ... بابا حبيبي.. لكن يا بلقيسْ. أتعلمين بأنك لن تريه مرةً أخرى؟.. دمعةً عنيدة تسقطُ على خدهِ ...و يمسحها بظهر كفه و يتوجه إلى غرفة المدير.. و يقوم بإجراءاتِ نقل الحساباتْ لتصبح بإسم بلقيس .. و يقوم بكل ما أوصاهُ صديقهُ العزيزْ..

بعد أن ينهي الشهبندرْ عملهُ في البنك .. يتوجهُ مع الصغيرة بلقيس إلى منزلها الذي تعيشُ فيه .. ليفتح الباب رجلٌ نحيلْ .. بدا على وجهه الإصفرارْ و في يدهِ سيجارة .. يرمق الرجل الشهبندرْ بنظرةٍ غبية .. و يشد بلقيس بقوة:

-ماجد: أدخلي أيتها الغبية.

-بلقيسْ (بتحدٍ): لا تشدني هكذا.

-الشهبندرْ (غاضباً و يشد بلقيس و يحتضنها): أتعاملُ إبنة الأبطالْ هكذا يا هذا ؟

-ماجدْ (ببلاهة): أي أبطالْ ؟ هذه الفتاة يتيمة الأبوين .. و هي تعيش لدينا.

-الشهبندرْ: والدها فلان الفلاني.. و أنا صديقه.. و أوصاني بأن أقوم برعاية إبنته .. لدي بيانٌ خطي منه .. أحتفظ بجميع ما يملك عهدةً برقبتي.

-ماجدْ (يبتلعُ ريقهُ بصعوبة من الصدمة): أتقصدُ بأنه حيْ ؟

-الشهبندرْ (غاضباً): لا أعلم متى سيعود .. لكنهُ أخبرني بأن أعتني ببلقيسْ .. و أعلن نفسي وصياً عليها منذ الآن خاصةً بأن لا أقارب لها هنا.

-ماجدْ: نحن لا نعرف إن كان لها أقارب.. فجاري هذا غامضْ.. و لا معارف لهْ.. قبل رحيله أوصاني على إبنتهْ.

-بلقيسْ (تنظرُ إلى ماجدْ بغضبْ): لا أريد ، أنت تضربني كل يوم أنت و عمتي نورة.
-الشهبندرْ : سآخذها معي ... قد أخبرتك الآنْ.

-ماجدْ: أتأخذها هكذا من دون ثمنْ.

-الشهبندرْ (يهم بضرب ماجد و الذي تراجع للخلف خوفاً): و هل إبنة الأبطال للمقايضة ؟ لعنة الله على أمثالك ، و هذا عندما يوصيك نبينا عليه السلام بالجارْ ، بئس الجيران أنتم ، لن أتجادل معك و سآخذها معيْ.

-ماجد (متساءلاً) وماذا عن والدها و براكينهْ ؟

-الشهبندرْ: إقرأ على نفسك وأحفر قبرك قبل أن يأتيكْ .. فاني سأخبر والدها بما رأيت و سمعتْ وويلك منهْ.

-ماجد (يلطمُ خديهْ): ويحي من غضبه و سخطه عليْ !! ويحي!! كل ذلك من هذه الزوجة التي أتعستني بحياتي!!

تنظرُ نورة من وراءِ النافذة و تضربُ على صدرها بقوة مما سمعتْ للتوْ .. و الشهبندرْ يحتضنُ كف الصغيرة بلقيسْ و يقومُ و يضعها في السيارة .. و قبل أن ينطلقا .. كانت بلقيسْ قد أخرجتْ نصف جسمها للخارجْ تلوحُ لماجدْ و نورة التي وقفتْ بجانبهْ و أطفالهمْ:

-بلقيسْ (تصرخُ وسط ضحكاتِ الشهبندرْ): وداعاً عمي ماجدْ . وداعاً أيتها السمينة ... وداعاً.

و نورة مغتاظة .. تعاتبُ زوجها و تعنفهُ بأنه ترك بلقيسْ لرجلٍ غريبْ من دون أن يأخذ أي شيءْ .. لتشتعل نيرانهُ هو الآخرْ.. و يرفع كفه للأعلى و يهوي بها على خدها .. و يستمرُ بضربها و هي تفر للداخلْ و يصرخْ:

-ماجد (بغضبْ): لعنة الله على زوجةٍ مثلكْ ، لعنة الله عليك ، ويلي منهْ .. أنت طاااااااالقْ ، طاااااااااالق ، طاااااااااالقْ بالثلاثة.

كان الطريقُ لمنزل الشهبندرْ طويلاً نسبياً .. و كانت الشمسُ تودعُ ذلك النهارْ الذي إمتلأ بالمفاجآت .. فينظرُ الشهبندرْ لبلقيسْ و التي نامتْ على الكرسي محتضنةً الدمية .. و أخذ ينظرُ إليها .. و يتذكرُ أباها .. الليثْ..

"فلذتك ستكون في عيني أيها الصاحبْ الغاليْ .. سأوصي عليها أرق مخلوقينْ.. أبي و أمي .. و سأترك لها جزءاً من مالي . و سأضع بعض إستثماراتيْ بإسمها .. و سأحرص على أن تنشأ كما تريدْ.. بإذن الله .. بإذن الله.. "

000

0

-بابا ..٠

0

0

0

كانت تلك بلقيسُ الصغيرة .. تنادي والدها في نومها .. و الشهبندرْ رهيف الحسْ تذرفُ عيناهُ الدموعْ .. على هذه المسكينة التي لن ترى أباها .. و ثم يتذكرُ أحبتهُ

..مصعبْ .. الأصمعي .. السيف البتارْ .. الفارسْ ..

و غيرهمْ ممنْ كانت لهُ معهمْ ذكرياتٌ حلوة .. عبقةٌ بالمسكْ .. ذكرياتُ الدمْ .. دم الحرية .. العزة..

المَشهـد السـابع عشـر

رسالـــة عَبـــــر قنـــــاة الجَزيـــــرة

تعذيبٌ يومي يتعرضُ له هو ومنْ معهُ من الأسرى . . حتى فترة الغداءْ لا يستطيعون فيها التمتع و لو للحظة بسبب الكلابْ التي تمشي بين الطاولات .. يجلسُ هو بهدوءْ .. و مع سجينٌ شاميْ.. و آخر أمريكي مسلمْ:

-السجين الشاميْ: هل سمعتمْ بآخر أخبار العمليات بأفغانستانْ ؟

-السجين الأمريكي: أراهنُ بأن ذا الأصبعْ المفقودة سيحب تلك الأخبارْ.

-ذا الاصبع المفقودةْ (بغضبْ): أدعى بالأصمعيْ ، و ليس ذا الإصبعْ.

0

0

0

0

-السجينُ الشاميْ: لقد سمعتُ من أحد الضباطْ بأن مرعباً يدعى بالليثْ قد قاد مجاهدين أبطالْ و هزوا إحدى أقوى القواعد العسكرية هناك .. و معها دمر أسراباً كبيرة من سلاح الجويْ .. و قد تسببوا بخسارة عظيمة جداً للجيش الأميركي هناك.

-الأصمعيْ (مهللاً :(الليثْ ، الليثْ ، اللهم لك الحمد .. اللهم لك الحمد .. إنهُ صديقي.

-السجين الأمريكي: بطلْ ، حقاً بطلْ ، و ماذا حصل لهُ بعد ذلك؟

-السجين الشامي (بأسى): لقد أعلنوا في التلفاز سقوط شهداءْ ..و أظنهُ منهمْ لأنهم أعلنوا في CNN بأن بوشْ سعيدٌ لم قام به الجنود الأمريكيين هناك .. و بأنهم قتلوا الليثْ.

-الأصمعيْ (تسقطُ الملعقة على المنضدة.. .. .. :(

-السجين الأمريكي: رحمة الله عليهْ..

-السجين الشاميْ: .. .. أخبارٌ مؤسفة و مفرحة .. لكن ما حدث حصل قبل أشهر على حسب علمي و ما عرفتهُ من حديثهما.

-الأصمعيْ (يتحسسُ مكان إصبعهِ المقطوعة): مذ أحضروني إلى كوبا وأنا أحس بأني منقطعٌ عن العالم.

-السجينُ الأمريكي: على الأقلْ لدينا تلفازٌ هنا.

-السجينُ الشاميْ: لكن لا قناة هنا إلا القنوات الخلاعية و CNN لعنة الله عليهمْ..

-الأصمعيْ (تعودُ إبتسامتهْ): لا تقلقْ ، سنخرجُ من هنا.

-السجينُ الأمريكي (يعقدُ حاجبيهْ): وكيف ذلك يا ذا الاصبعْ ؟

-الأصمعيْ (و بريقٌ في عينيهْ): بإذن الله .. سأتدبرُ طريقةً للهروب من هنا .. و سأنضم إلى أصدقائي بأفغانستانْ و سأقاتلُ معهمْ.

-السجينُ الشامي و السجينُ الأمريكي: ونحنُ معكْ.

نباحٌ لكلابٍ تزمجرْ .. و السجانونُ يدخلونُ لردهة الطعامْ .. فيقتربُ رئيس السجن من التلفاز الموجودْ هناك .. و يقومُ بفتحه على قناة CNN و يقول بإستهزاءْ:

-رئيسُ السجنْ : جاء وقت المرح أيها الحيواناتْ .. أنظروا ماذا فعلنا بمجاهديكمْ بقندهارْ هههههههههه

تبادلٌ لنظراتٍ غاضبة .. ووعيدْ ... لكنْ .. الصمتْ أفضل في هذه المواقفْ.. و عدم الرد على السفهـــــــــاءْ..

و لِننظر معاً ماذا فيها CNN ؟

و التي ما إن شاهدوا النشرة الاخبارية حتى إنطلقت الزغاريطْ.. و إحتضن السجناءُ بعضهمْ بعضاً وسط الفرحة التي عمتهم.. و أبكت أعينهمْ خاصةً حبيبنا الأصمعيْ ، و الجنود و رئيس السجن غاضبون حانقونْ و أقفلوا الشاشة .. و قاموا بضرب السجناء حتى قادوهمْ إلى زنزاناتهم.

0

0

يفتحُ عينيهِ و ينظرُ لتلك الغرفة الممتلئة بالأجهزة .. و ينظرُ لأطرافه و التي كانت كلها ملفوفة بشاشاتٍ كبيرة و سميكة .. تقفُ لجانبه تلك الممرضة المثيرة .. فينظرُ إليها من الأسفل إلى الأعلـــــــى .. و يدخلُ الغرفة وجهٌ يعرفهُ تمام المعرفة .. كان رامسفيلدْ.

-رامسفيلدْ (مبتسماً): أراك قد نهضت من غيبوبتكْ.

-رامسفيلدْ: أحسنت . . قمت عملٍ بطوليْ و قتلتهُ في تلك المعركة الشرسة .. و ستنالُ عليها وسام الشرفْ.

-المتمردْ (يود التحرك لكنه لا يستطيعْ): .. .. هذا واجبي.

-رامسفيلدْ : لقد تعرضت لحروقٍ بليغة حقاً ، و معجزةٌ بأنك كنت تتنفسْ تحت تلك الأنقاضْ .. و تكريمٍ منا لم فعلتموهْ .. قمنا بإرسال ما قمتمْ به من عملٍ بطوليْ هناك .. و قتل الليثْ ... و أرسلناهُ لقناة .. CNN سيعرضون ذلك الآنْ .. أتمانعُ لو فتحتُ الجهازْ ؟

-المتمردْ: المهمْ بأني قتلتهْ . و أرحت ضميري و قمت بواجبي .. أتمنى أن تكون راضياً عني ؟

-رامسفيلدْ : مممم .. أجل .. مافعلتهُ هناك محا كل القائمة السوداء .. و أرحبُ بك أيها الجنرالْ للحياة مرةً أخرى..

يبتسمُ المتمردْ بفخرْ .. و في قرارة نفسه يعرفُ بأن رامسفيلد سعيدٌ لأن المتمرد عاجزٌ عن الحركة .. فقد تضرر جسدهُ كثيراً .. و عليه أن يخضع لعملية تأهيل ليستطيع المشي مرةً أخرى .. لا بأس من مشاهدة ما أنجزته يا متمردْ .. هكذا همسَ لنفسهْ.. و فتح الجهاز بالريمونت كنترولْ الموضوعْ تحت أصابعهْ التابع لسريره المتطورْ.. و أخذا يرقبان ما يقولهُ المراسلونْ .. و تغطيتهمْ للحدثْ.. ذلك هو المعسكرْ.. و قد إحترق..

إحترق بالكامل ، بالكاااااااااااااملْ ، و قد ذكرت التقارير إحصائيات للقتلى من المجاهدينْ – و في الحقيقة كانت للجنودْ لأن عدد المجاهدين ٦٠٠ .. فكيف يموت ٢٠٠٠ منهمْ ؟ – كذبٌ و افتراءٌ آخر يا حكومة بوشْ .. و العالمْ يصدقْ .. يصدقْ....

فجأة ، ينقطعُ البثْ و تعودُ الكاميرا لمذيعة الأخبارْ التي كان على وجهها علاماتْ الفزعْ التي أفزعت رامسفيلدْ و المتمردْ:

-المذيعة: عاجلْ / لدينا شريط فيديو عرض على قناة الجزيرة للتوْ.

رامسفيلدْ و المتمردْ يتبادلان النظراتْ المبهمة .. و يعيدان أنظارهمـــــا للشاشة .. لتضع القناة شريط فيديو .. بدأ بقص للرقابْ.. مهلاً ، هذه أفغانستانْ و هؤلاءُ هم جنودٌ كانوا يعملون بمعسكرهْ ، و من ما يراه يبدو بأنهم أسرى ، لكن هؤلاء كانوا موجودين بالمعركة الأخيرة التي خاضها...

أيعقلْ ؟ مالذي يجريْ ؟

و فجأة!!

يظهرُ على الشاشة رجلٌ ملأ الشاشة بهيبتهْ .. كان يرتدي زياً عسكرياً كالذي يرتديه المجاهدونَ بالشيشانْ .. و بيده

رشاشْ... وعلى رأسه قبعةٌ كتب عليها

"لا اله الا اللهْ .. محمدٌ رسول اللهْ ". و كان متلثماً بالسوادْ.. و عيناهُ تنطقان الغضبْ .. الغضبْ..

يرفعُ سبابتهُ بوجه الكاميرا بتحدٍ و يقولُ بصوتٍ هز جسد المتمردْ و رامسفيلدْ:

بسم الله الرحيمْ الرحيمْ..

الحَمدُ لله ربِّ العَالمين والصَّلاة والسَّلام عَلى الصادق الأمينْ

وعَلى آلهِ وصَحبهِ أجمعين وأزواجِهِ الطاهرين وعَلى مَن تَبعهمُ بإحسانٍ إلى يَوم الدين

أما بعدْ:

أيها العالمْ .. أنظروا إلـــــي و أنصتوا لم أقول بإذن المصغيْ لا بإذن شابتها شوائبُ الكفرة من أبناء الكفرة و من على شاكلتهم..

إني أمامكمْ مجاهدٌ تركتُ الديارْ .. و الأهل و الأحبابْ .. لأقاتل بصفوف إخوتي المجاهدينْ.. لنعيد العزة لدين الله و رسوله عليه السلامْ .. و لنرد الظلم عن أهل تلك الديار المغتصبة .. هل رأيتم يوماً كيف يعاني الناسْ هناك ؟ بالعراق و فلسطين و أفغانستانْ .. البوسنة و الهرسك و الشيشانْ . و غيرها مما أنتهك و سُفك .. و أنتم عن أمرهمْ نيامْ ؟ هم يموتونْ .. يموتون كل يوم .. تحت القصفْ .. و الجوعْ .. تجري الأم تحمل رضيعها .. و يحملُ العجوزُ عصاهُ ليدافع عن عرضهْ ، و أنتمْ فقط ناظرون لحالهمْ..

أيها المسلمين.. يا عباد الله .. يا من تدعون حب الله .. يا من تدعون حب الله .. لا نطلبُ منكم التصفيق.. و لا نطلبُ منكم أي شفقة، نطلبُ منكم أن تفيقوا لأنفسكمْ و إلا دارت الدنيا عليكم و ستذوقون ما ذاقه إخوتكمْ في ديارهمْ المحتلة .. إشحذوا همتكمْ .. قاتلوا .. و إبدؤوها بقتال حكوماتكمْ الخاضعة و التي أحنتْ الرقابْ للقصابْ .. و أخرجوا الكفرة من جزيرة العربْ.. أترون الشهداءْ؟.. أرأيتم إبتسامتهمْ ؟ ألا تدلكم هذه على شيءْ؟ أتدلكمْ بأن هذا الشهيدْ لم يقم بعملٍ إرهابي كما يدعونْ ؟ بل فدا دينه و أرضه بدمائهْ ، أمازلتمْ تصرون بأننـــــا إرهابيونْ و نحن من نحميكمْ و نود حمايتكمْ.

هذا عهديْ.. من أرض جزيرة العربْ ، أنا و إخوتي .. سنتعاهدْ .. و سنخرجُ الكفرة أبناء الصليبْ من جزيرة العربْ .. و سنرد عليكمْ الصاع صاعينْ .. و سنثأرْ .. الثاااااااااار الثاااااااااااااارْ ، و سيأتي دورك يا بوشْ ، بعقر دارك أعدكْ ، أعدك ، و أقسمُ بالذي كَسر الأكاسِرة وقصَم ظهور القياصِرة بأن موتك سيكونُ على يدي..

و سأبقى كابوسك الأبدي .. أنت و حلفائكْ.. ليثٌ لا تستطيعون الإمساك بهْ .. و حيثُ تكون ستجدني..

ستجدني أعدكْ

أنا..

أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدينْ

ليثُ الجزيرة

::::::

::

::

:

:

:

:

هناك تتمة للرواية

فهي لم تنتهي بعد

بقي الجزء الأكثر تشويقاً

أنتظروا.....

-و يزيلُ اللثام عن وجهه ليظهر وجه الليثْ الغاضبْ .. ونظرتهِ الغاضبة الثائرة-

يتسمرُ المتمردْ للحظة و تجحظُ عيناه ، و رامسفيلد خانتهُ رجلاه من الصدمة .. يصرخ المتمردْ بهستيريا:

-المتمردْ: لم يمتْ ، لم يمت الليثْ ، كيفْ ، كيف نجا ؟ كيف نجا و أنا لم أنجوا ؟ كذب .. إفتراء .. كنا بنفس المكانْ .. مات .لقد ماتْ ، رأيتهُ يموتْ قتلته بيدي.

ينتفضُ المتمردْ بعنفْ. و رامسفيلد يحاول تهدأتهْ .. و تقومُ الأجهزة بالصراخْ .. و يأتي الأطباءْ و الممرضون جرياً لجناح المتمردْ يحاولونَ إنقاذ حياتهْ:

-الممرضة (بفزعْ): دكتور الأجهزة تشيرُ لإرتفاع الضغط و إنخفاض لدقات القلبْ.

-الدكتورْ: أحضروا لي جهاز الصدمة الكهربائية.

0

0

0

0

بمكانٍ ما .. حيثُ يجلسُ رجالٌ يرتدون السوادْ .. يحتضنونَ أهاتَ أسلحتهم بين أيديهمْ ... و بينهمْ يجلسُ هو

و بسمةٌ على وجهه و هو يرى نفسهُ على شاشة التلفازْ ليهمسَ بنفسهْ:

"فعلاً ما حصل هو معجزةٌ من الله سبحانهُ و تعالى .. قد توقعتُ موتي تلك اللحظة التي أردتُ أن أفجر حزامي الناسفْ لأقتل المتمردْ . لكن قصفُ القوات الأمريكية منعني و تهاوى السقفُ علينا من كل حدب وصوبْ.. و أظنُ تلك الأنقاضْ قد حمتني من تلك النيرانْ .. لولا إنتشلني أولائك البشتونْ .. و قاموا بعلاج جروحـــــي لكنتُ ميتاً أنزف تحت ذلك الدمارْ .. وسبحان الله . . بقريتهمْ إلتقيتُ بمن يعرفُ أسامة بن لادنْ .. و الذي سارع بإستدعائهِ ليراني .. و بايعتهُ كمـــا تمنى من قبلْ .. و صرتُ أمير تنظيم القاعدة ببلاد الرافدينْ .. "

0

0

0

0

0

0

0

0

يصمتُ و ينظرُ إلى ضحكاتِ من معهُ من المجاهدينْ و الذين كانوا سعداءَ بأميرهمْ ليهمس لنفسهِ مرةً أخرى:

-قد إشتقتُ إليك .. إشتقتُ إليك كثيراً .. صغيرتي بلقيسْ .

0

0

0

0

0ودمعةً يحاولُ خنقها .. محاولاً ضبط عواطفهْ لحظتها ليهمس لنفسهْ:

-ترى هل سأراك قبل موتي ؟

0

0

0

0

إن عدنا للخليجْ .. لمنزل ماجدْ...كان ماجد ونورة يتابعان شريط الفيديو الذي عرض بقناة الجزيزة .. و ماجد يعضُ على شفتيهِ خوفاً:

-ماجد: ويحنا ، كما قال صديقه ، بطلْ و البطل حي يرزقْ ، و أحس بكلماته هذه تهديدٌ لنا لا لبوشْ.

-نورة (خائفة): دعنا نرحلُ من هنا .. أخشى أن يفجرنا هذا الإرهابي قبل أن يفجر بوشْ..

0

0

0

و تحديداً بمنزل الشهبندر .. نرى أمه تزغرطْ.. و والدهُ يبكي .. فيرفعُ الشهبندرْ يديه للأعلى:

-الشهبندرْ (يبكي بفرحة):اللهم لك الحمد .. لك الحمد يا الله ... صديقي العزيز حيْ ، حيٌ يرزقْ ، ماحصل معجزة . معجزةٌ من الله .. سبحان الخالقْ .. سبحان الخالقْ العظيم..

و تهمسُ نفسه " أي ليثْ.. كيف نجوتُ ، سأصاب بالجنون و السبب الليثْ ، كيف نجوت و من أنقذك ؟"

و كيف إلتحقت بتظيم القاعدة ببلاد الرافدينْ ؟ أراهن بأن الشيخ أسامة بن لادن سعيدٌ لأنك إلتحقت بهمْ فهذه أمنيته التي رفضتها من قبلْ.. لله درك .. و در جميع الأبطال مثلك"

و بلقيسْ .. الصغيرة بلقيسْ .. نائمةً تحتضنُ دميتها .. و إبتسامةً على وجهها و كأنها ترى بابا بحلمها..

ودمعةً إنسلتْ برقة على خدها .. في عالمٍ مفقود من بابا..

يا ترى..

هل تتحققُ أمنيتها و ترى بابا من جديدْ ؟

من يدريْ!!! ..

تَمتْ بفِضلْ الله ومَنِه وحَمدِه